جامعة الزقازيق
معهد الدراسات والبحوث الأسيوية
الدراسات العليا - قسم الأديان المقارنة

ظاهرة الغضب فى العهد القديم

أصولها وتطوراتها وموقف الإسلام منها

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الباحث
صبرى محمد حسانين حسن جاويش

إشراف

ستاذ الدكتور
مد منصور الحفناوى
قسم الشريعة الاسلامية
حقوق جامعة الزقازيق

الأستاذ الدكتور
محمد حسينى موسى محمد الغزالى
أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

جامعة الزقازيق
معهد الدراسات والبحوث الأسيوية
الدراسات العليا ـ قسم الأديان المقارنة

ظاهرة الغضب فى العهد القديم

أصولها وتطوراتها وموقف الإسلام منها

[رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير]

إعداد الباحث

صبرى محمد حسانين حسن جاويش

إشراف

الأستاذ الدكتور
منصور محمد منصور الحفناوى
أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية
بكلية الحقوق جامعة الزقازيق

الأستاذ الدكتور
محمد حسينى موسى محمد الغزالى
أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

قال الله تعالى في كتابه الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ

صدق الله العظيم

آل بسيوني للكمبيوتر بغزالة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

اهدى هذا العمل إلى :

الوالدين الكريمين

برًا بهما وحبًا لهما

واعترافا بفضلهما

﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾(١)

اخوتى وأخواتى

الذين كانوا يداً ترفع ودعوة تستجاب

سائلا الله للجميع الخير والتوفيق

---

(١) سورة الإسراء - الآية ٢٤ .

آل سيوفى للكمبيوتر بغزالة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حبب أهل العرفان إليه، وجعل حبه فى قلوبهم ينساب رحمة بهم، وبين أن حبه لا ينقطع، ففى الحديث القدسى الذى رواه أبو هريرة[1] ﷺ عن النبى ﷺ قال : « إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض »[2].

وبين أن غضبه وصرف وجهه الكريم يكون على أهل المعاصى أبدا، فهم الذين آثروا نزغات الشيطان على تعاليم الرحمن، فاستحقوا الطرد من وجهه الكريم والوقوع

---

(١) هو أبو هريرة بن عامر بن عبد ذي الشري بن طريف بن عتاب بن أبي صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران بن كعب الدوسي. وقال بن إسحاق قال لي بعض أصحابنا عن أبي هريرة قال: سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالرحمن وكنيت أبا هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي فقيل لي أبو هريرة. وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثا وذكر أبو محمد بن حزم أن مسند بقي بن مخلد احتوى من حديث أبي هريرة على خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وزيادة وحدث أبو هريرة أيضا عن أبي بكر وعمر والفضل بن العباس وأبي بن كعب وأسامة بن زيد وعائشة وبصرة الغفاري وكعب الأحبار . وروى عنه ولده المحرر بمهملات ومن الصحابة بن عمر وابن عباس وجابر وأنس وواثلة بن الأسقع ومن كبار التابعين مروان بن الحكم وقبيصة بن ذؤيب وعبدالله بن ثعلبة وسعيد بن المسيب وآخرون كثيرون . قال البخاري روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم وكان أحفظ من روى الحديث في عصره . وعن أبي صالح قال: كان أبو هريرة أحفظ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . قال أبو سليمان بن زبر في تاريخه عاش أبو هريرة ثمانيا وسبعين سنة قلت وكأنه مأخوذ من الأثر المتقدم عنه أنه كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بن ثلاثين سنة وأزيد من ذلك وكانت وفاته بقصره بالعقيق فحمل إلى المدينة، ومات سنة سبع وخمسين . راجع الإصابة فى تعريف الصحابة لابن حجر العسقلانى -: القسم الأول [من ذُكِر له صحبة، وبيان ذلك].. رقم: ١٠٦٧٤ – ص٤٢٦/٤٤٤

(٢) صحيح البخاري (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي رحمه الله تعالى)–ج٣ ص١١٧٥ باب: ذكر الملائكة. الحديث رقم: ٣٠٣٧، و باب: المقة من الله تعالى ج٥ ص٢٢٤٦ حديث رقم: ٥٦٩٣، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة ج٦ ٢٧٢١ – الحديث: ٧٠٤٧ (الطبعة الثالثة – دار ابن كثير – اليمامة – بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م – تحقيق دكتور مصطفى الديب البغا)، وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب: إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده، رقم: ٢٦٣٧. والمراد بـ: [(القبول في الأرض) المحبة في قلوب من يعرفه من المؤمنين، ويبقى له ذكر صالح وثناء حسن]. والحديث ذكره ابن حجر العسقلانى (ت: ٨٥٢هـ) فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٦ ص١٩٤ وبهامشه الجامع الصحيح للبخارى – المطبعة الخيرية مصر ١٣٢٥ .

في العذاب الأليم. قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له هو الرحيم الرحمن، العليم المنان، ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾(٢). قال في الحديث القدسي: « إن رحمتي سبقت غضبي »(٣).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم الذى امتدحه رب العالمين في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٤).

فاللهم صلى وسلم وبارك عليه، وهو الرحمة المهداة(٥) والنعمة المسداة، وهو السراج المنير، جعله الله رحمة للعالمين. أحبه الله وأحب الله، حتى إن رب العالمين

---

(١) سورة النساء – الآية ٩٣

(٢) سورة غافر – الآية ٣ .

(٣) الحديث رواه الإمام البخارى بصحيحه – باب: ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾الصافات: ج٦ ص٢٧١٢ الحديث رقم: ٧٠١٥، و باب وكان عرشه على الماء ج: ٦ ص: ٢٧٠٠ – الحديث رقم: ٦٩٨٦ بلفظ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لما قضى الله الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي). وذكره أيضا في – باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ .الروم: ٢٧ . في الحديث رقم: ٣٠٢٢، [٦٩٦٩، ٦٩٨٦، ٧٠١٥، ٧١١٤] – بلفظ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي). وأخرجه مسلم في التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم: ٢٧٥١. وذكره الإمام النووى في شرح صحيح مسلم في الحديث رقم: ١٤ . والمراد بـ[(قضى) خلقه، وأحكمه، وأمضاه، وفرغ منه. (كتب في كتاب) أمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ. (فهو عنده) أي الكتاب. (إن رحمتي غلبت غضبي) أي تعلق رحمتي سابق وغالب تعلق غضبي، أو المراد: إن رحمتي أكثر من غضبي، لأنها وسعت كل شيء. والمراد بالرحمة إرادة الثواب وبالغضب إرادة العقاب، أو المراد بهما لازمهما، فالمراد بالرحمة الثواب والإحسان، وبالغضب الانتقام والعقاب].

(٤) سورة القلم – الآية ٤ .

(٥) فعن أبى صالح عن النبى ﷺ يناديهم : أيها الناس إنما أنا رحمة مهداه . أخرجه الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (١٥٩هـ-٢٣٥هـ)- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار(مصنف ابن أبى شيبة) – ج: ٦ ص: ٣٢٥ – الحديث: ٣١٧٨٢ – مكتبة الرشد – الرياض ١٤٠٩هـ ط الأولى- تحقيق كمال يوسف الحوت. وراجع الإمام الكبير أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضيل بن حزام الأرامى سنن الدرامى ج١ ص٩٠ (دار الكتب العلمية بيروت). راجع شرح الجامع الصغير الحديث رقم ٢٥٨٣، وراجع (ابن سعد) في الطبقات (والحكيم) في النوادر (عن أبي صالح) . وقوله تعالى : ﴿ " وَما أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعالَمِين" ﴾ سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

جعل اتباعه من محبته. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

وارض اللهم عن أصحابه النجوم الزواهر، الذين كانوا أنواراً تتلألأ من أنوار رسول الله ﷺ فعن أبي بُرْدَةَ(٢)، عَنْ أَبِيهِ. قَالَ: « صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. ثُمّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتّىَ نُصَلّي مَعَهُ العِشَاءَ قَالَ: فَجَلَسْنَا. فَخَرَجَ عَلَيْنَا. فَقَالَ: (مَا زِلْتُمْ هَهُنَا؟) قُلْنَا يَا رَسُولَ اللّهِ صَلّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ. ثُمّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتّىَ نُصَلّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ. قَالَ (أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ) قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَىَ السّمَاءِ. وَكَانَ كَثِيراً مِمّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَىَ السّمَاءِ. فَقَالَ: (النّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسّمَاءِ. فَإِذَا ذَهَبَتِ النّجُومِ أَتَىَ السّمَاءَ مَا تُوعَدُ. وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي. فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَىَ أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمّتِي. فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أتى أمتى ما يوعدون) »(٣).

---

(١) سورة آل عمران – الآية ٣١.

(٢) هو: نضلة بن عبيد الأسلمي أبو برزة مشهور بأبى برزة الأسلمي. وقال أحمد بن سيار المروزي: إن أبو برزة اسمه عبدالله بن نضلة بن عبيد بن الحارث بن حبال بن ربيعة بن دعبل بن أنس بن جذيمة بن مالك بن سلامان بن أسمل بن أقصى نزل مرو ومات بها ودفن في مقبرة كلاباذ وولده بمرو وقيل مات بالبصرة وقيل مات بمفازة سجستان وهراة. قال أبو عمر وكان إسلامه قديما وشهد فتح خيبر وفتح مكة وحنينا، وروى عنه أنه قال: قتلت بن حطل. وروى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر. وروى عنه ابنه المغيرة وابنة ابنه منية بنت عبيد بن أبي برزة وأبو عثمان النهدي وآخرون. وقال خليفة: مات بخراسان سنة أربع وستين، بعد ما أخرجه بن زياد من البصرة. وقال غيره مات في خلافة معاوية. قلت: وجزم الحاكم أبو أحمد بالأول وقال بن حبان قيل إنه بقي إلى خلافة عبدالملك وبه جزم البخاري في التاريخ الأوسط في فضل من مات بين الستين إلى السبعين قلت ويؤيده ما جزم به محمد بن قدامة وغيره أنه مات في سنة خمس وستين. – راجع الإصابة لابن حجر العسقلاني – النون بعدها الضاد. ٨٧٢٢ [ص:٤٣٣].

(٣) صحيح مسلم باب بيان أن بقاء النبيّ صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة. في الحديث رقم (٢٥٣١). وذكره الإمام النووى(الإمام محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى ت:٦٦هـ) في شرح مسلم في الحديث رقم: ٢٠٧ م٨ ص٢٩٨ دار الفجر للتراث القاهرة.

وأخرجه الإمام: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت: ٣٥٤) – صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان – ج:١٦ ص:٢٣٤ – باب فضل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم – الحديث رقم: ٧٢٤٩ – مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م – ط الثانية – تحقيق شعيب الأرنؤوط. وفي شرحه قال الإمام النووى: [قوله صلى الله عليه وسلم: (النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد) قال العلماء: الأمنة بفتح الهمزة والميم والأمن والأمان، ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت. وقوله صلى الله عليه وسلم: »وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون« أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحا وقد وقع كل ذلك. قوله صلى الله عليه وسلم: (وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته صلى الله عليه وسلم في جانب الإخبار بالغيب]

وآل بيته الطاهرين، وأتباعه وأهل العلم والدين، ومن تبعهم من العلماء الصالحين، واحشرنا يا رب واجعلنا من المقبولين، فافض علينا من فيوضاتك فأنت رب العالمين.

أما بعد:

فإن دراسة العلوم العقلية من الأمور الصعبة، وبخاصة إذا تعلقت بالجانب النظرى الذى يعتمد على مطروحات الفكر ومقارعات الحجج، ويكون أكثر صعوبة إذا تعلق البحث بعلم مقارنة الأديان؛ لأن الباحث فيه يجب أن يكون على قدر كبير من الحيدة فى الرأى، والموضوعية فى الحكم، والدقة فى وزن الآراء المعروضة، والقوة فى معرفة المصادر التى يعتمد عليها، وهى أمور قل أن تجتمع كلها فى باحث[١].

بيد أنه لما يسر الله لى أسباب البحث فى العلم، وكنت أحد طلاب قسم المقارنة، فقد وقفت على العديد من الموضوعات فى مجال مقارنة الأديان، لم تنل حظها من الدراسات العلمية، بعضها أشار إليها بعض الدارسين[٢]، وبعضها وقفت عليها استقلالا، وكان مما وقفت عليه؛ الغضب فى العهد القديم بشكل لافت للنظر، وتنوع ذلك الغضب حتى صار ظاهرة[٣] يصعب غمض عين العقل عنها.

لذا؛ استخرت الله تعالى فى أن يكون موضوع دراستى لدرجة الماجستير فى مقارنة الأديان هو : « **ظاهرة الغضب فى العهد القديم. أصولها وتطوراتها وموقف الإسلام منها** ».

وقد سرت فى هذا البحث طبقا للخطوات الآتية :

---

(١) دل الاستقراء الحصرى على تلك النتيجة التى وقفت عليها، وتدل على ذلك الأبحاث العلمية.

(٢) يظهر ذلك فى المقترحات التى يذكرها الزملاء بخواتيم الأبحاث العلمية التى يقومون بها بغرض الإشارة إلى أنها بحاجة إلى دراسات مستقلة لموضوعات علمية لم تدرس،يعد ذلك من الخدمات العلمية التى يقدمها السابق للاحق فى هذا الميدان.

(٣) تعرف بأنها الأمر الذى يوضح ما يعقبُ الشيء ويحمل عليه قوة على سبيل المعاونة والمؤازرة، بقصد العلو والغلبة، أو على سبيل الضعف بقصد الاستخفاف به، وعدم الاكتراث على أن يتم ذلك كله بشيء من الثقة واليقين.

أولاً: اختيار الموضوع

ذكرت أن مقارنات الأديان من الأمور الصعبة، وأذكر أنني بذلت جهداً كبيرا فى اختيار الموضوع، حتى كلل الله جهدى بالتوفيق وقد وضعت فى الحسبان أن يكون إبراز الظاهرة فى العهد القديم هو الغرض من البحث مع بيان التطورات التى صاحبتها، وكذلك ضبط النتائج التى انتهيت إليها على الحكم الإسلامى. باعتبار أن الإسلام هو الدين الخاتم المهيمن، وأنه الوحيد الذى سلمت نصوصه، وستظل آمنة من عبث العابثين وضلال المضلين، وانحراف المفسدين(١)؛ حتى يكون أمر المقارنة قائما.

ثانيا: منهجى فى الدراسة

من المعروف أن كل علم من العلوم لا يتم إلاّ فى منهج محدد، ولما كانت المناهج متعددة، فإن اختيار أى واحد منها لابد أن يكون قائما على عنصر المواءمة بين طبيعة العلم والموضوع المبحوث مع المنهج المستخدم، ولما كان موضوع البحث قائما فى مجال المقارنة؛ فإنى استعملت المنهج المقارن الذى يقوم على :

التحليل لكل فكرة معروضة وعرضها، ثم تركيب تلك الجزئيات مع بعضها؛ بغية التعرف على النتائج، ثم التعقيب عليها من خلال النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، ثم المُنْتَج العقلى، متى كان ذلك ممكنا.

ثالثا: مكونات البحث

* **يتكون البحث من مقدمة وثلاثة أبواب، ثم الخاتمة، بجانب التوصيات والمقترحات، ثم قائمة بالمصادر، وأخيرا فهرس الرسالة، وسوف ألمح إلى تلك المكونات فيما يلى:-**

- **المقدمة**: تعرضت فيها لبيان ظروف اختيارى للموضوع، ومنهجى فى الدراسة ثم محتويات البحث، باعتبار أن المقدمة العلمية تمثل تلخيصا لأبواب وفصول البحث العلمى(٢).

---

(١) قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ سورة الحجر – الآية ٩ .

(٢) هذا مما يتفق عليه الدارسون، باعتبار أن المقدمة تكون فيها الإشارات إلى ما سوف يتم من دراسات.

الباب الأول: ظاهرة الغضب بين المدلول والتطور التاريخي.

وقد جاء هذا الباب في فصلين، وبأحضان كل فصل موضوعات متآلفة.

الفصل الأول : ظاهرة الغضب لغة واصطلاحا .

تعرضت فيه لبيان المحتوى اللغوى والدلالات للفظى الظاهرة، الغضب -كما تعرضت لظاهرة الغضب في الاصطلاح ورجحت منها ما غلبت أدلته عندى على غيره، وهو مطوى بين سطور الرسالة.

الفصل الثانى : التطور التاريخى :

تابعت فيه الغضب كظاهرة ابتدأت قبل خلق الإنسان في جماعات ذكرها مؤرخو الإسلام، بينما غفل عنها مؤلفو العهد القديم ومفسروه على حسب ما تيسر لى من الوقوف على مصادرهم، وكان ذلك تحت عنوان: (غضب جماعة الجن على جماعة البن)، وفى العهد القديم ابتدأت مع آدم عليه السلام وقد بينت ذلك كله على النحو الذى وفقنى الله تعالى إليه.

الباب الثانى: الغضب الإلهى

وقد جاء هذا الباب مع أربعة فصول:

الفصل الأول : تعريفه وموضوعه.

الفصل الثانى: تصوير غضب الله على الأقوام السابقين فى الوجود عن بنى إسرائيل. وذكرت نموذجا لذلك يتمثل فى الطوفان.

الفصل الثالث : غضب الله لبنى إسرائيل، تعرضت فيه لبيان أن العهد القديم ومفكريه وشارحيه قد ركزوا على أن الله إله خاص لبنى إسرائيل، وأنه يغضب لهم من خضومهم الذين يعادونهم حتى ولو كان الخطأ من بنى إسرائيل، أو هم الذين ابتدءوه، وناقشت ذلك وبينت فساده.

الفصل الرابع : غضب الله على بنى إسرائيل، إذ من الضرورى أن يسير الدارس طبقا لخطة علمية، فإذا كان مؤلفو العهد القديم قد حرصوا على بيان أن الربَ يتعاطف معهم ويغضب لهم، فإنهم قد وقعوا فى إثبات نصوص دلت على أنه غضب منهم، وقفز غضبه عليهم من خلال نصوص محدودة، عرضتها فى حينه وناقشتها وبينت أن القوم ليسوا على اعتقاد صحيح.

◄◄ الباب الثالث : الغضب البشرى

❊ الفصل الأول : غضب ابن آدم على أخيه:

ذكرت فيه الموقف بالنسبة للعهد القديم، ثم ناقشته وذكرت كذلك موقف مفكرى المسلمين، وبينت الرأى الذى ترجحه الأدلة فى المسألة.

❊ الفصل الثانى: غضب أبناء إسحاق وذراريه :

تعرضت فيه لذكر مظهرين حسب رواية العهد القديم، وناقشت ذلك كله على الأوجه التى أمكننى الوقوف عليها.

◄◄ الخاتمة

عرضت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها، باعتبار أن أصحاب البحث العلمى يقررون أن الخاتمة تمثل نوعا من تلخيص نتائج البحث، كما ألحقت بها التوصيات التى أراها ضرورية فى هذا المجال وأخيرا حصرا لبعض الموضوعات التى لم تتم دراستها وأرى القيام بها كخدمة لطلاب البحث العلمى، ثم جاءت المصادر وأعقبها الفهرس(١).

رابعا تصنيف المصادر والفهرست للموضوعات

من البين القول بأنى رجعت إلى العديد من المصادر والمراجع، بجانب المعاجم والرسائل الجامعية. بعض تلك المصادر كان مخطوطا، وبعضها مطبوعا، وربما رجعت للمصدر الواحد كمخطوط مرة ومطبوع أخرى. ولذا فإنى أثبت فى صلب الرسالة ما أخذت منه مباشرة، أما ما رجعت إليه ثقافة فلم أثبته.

من ثم؛ فقد رتبت المصادر على النحو التالى:

(١) **القرآن الكريم وعلومه** : ذكرت من علوم القرآن والتفسير وما يخدم ذلك مقدما اسم الكتاب ثم اسم المؤلف، وأخيراً سنة الطبع إن وجدت .

(٢) **السنة النبوية المطهرة الصحيحة وعلومها** : وقد رتبتها مقدما أصحاب الصحاح، ثم أصحاب السنن ثم من بعدهم.

(٣) **المعاجم والرسائل الجامعية** : وقد رتبتها باعتبار السبق الزمنى للحصول على الدرجة بالنسبة للرسائل الجامعية.

---

(١) وبالتالى فالمقدمة والخاتمة تتكاملان بالنسبة لتلخيص أبوب وفصول ونتائج البحث .

(٤) **مصادر عامة :** وقد راعيت فيها الترتيب العلمي الحديث، وهو تقديم اسم الشهرة للمؤلف بعد تجريده من حرف (الـ) إن وجد فيه أولاً، ثم اللقب العلمي والأدبي، وأخيرا الاسم وسنة الوفاة إن وجد، ثم الكتاب أو الكتب التي استفدت منها بالنسبة له مراعيا أن يتم ذلك بترتيب حروف الهجاء؛ لأن ذلك شأن المصادر العامة.

ولا أزعم أن هذا العمل خلى من الأخطاء، فما العصمة إلاّ لله ولمن اصطفاه من رسله، وفي الحديث الشريف : « عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان يدعو بهذا الدعاء: (رب اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني. اللهم اغفر لي خطاياي، وعمدي وجهلي وهزلي، وكل ذلك عندي. اللهم اغفر لى ما قدَّمت وما أخَّرت. وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير) »[١].

فإني أتقدم بخالص شكري وعرفاني بالجميل لأستاذنا الفاضل. **الأستاذ الدكتور/ منصور محمد منصور الحفناوي**. أستاذ ورئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق جامعة الزقازيق. على سعة صدره وكرمه؛ لأنه قبل الإشراف على تلك الرسالة، رغم كثرة الأعباء التي يقوم بها.

كما أشكر **الأستاذ الدكتور/ محمد حسيني موسى محمد الغزالي**. أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق؛ لإشرافه على تلك الرسالة.

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[٢].

---

(١) صحيح البخاري – جـ٢ ٢٣٥٠ – باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخَّرت) – الحديث رقم: ٦٠٣٥/٦٠٣٦ . وأخرجه مسلم ج٤ ص٢٠٨٧ – كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب: التعوذ من شر ما عمل، رقم: ٢٧١٩. وأخرجه ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ٣ ص: ٢٣٧ – ذكر ما يستحب للمرء أن يسأل الرب جل وعلا المغفرة لذنوبه وإن كان في لفظه استقصاء– الحديث٩٥٧ . وراجع صحيح البخاري بحاشية السندي ج٤ ص١١٣ (دار نهر النيل) ، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ج: ٦ ص: ٣٣٢ الحديث رقم: ٦٥٥٢ ، وأخرجه ابن أبي شيبة – مصنف ابن أبي شيبة ج: ٦ ص: ٥٠ – ما كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم– الحديث ٢٩٣٩٢. والمراد بـ: [(خطيئتي) ذنبي. (جهلي) ما وقع مني جهلاً، والجهل ضد العلم. (إسرافي) تجاوزي للحد. (عمدي) ما وقع مني عن قصد. (هزلي) ما وقع مني حال كوني هازلاً، والهزل ضد الجد. (المقدم) تقدم من تشاء من خلقك إلى رحمتك بتوفيقك. (المؤخر) تؤخر من تشاء بخذلانك له. (كل ذلك عندي) أي أنا متصف بهذه الأشياء، فاغفرها لي].

(٢) سورة الكهف – الآية ١٠ .

الباب الأول

ظاهرة الغضب
بين المدلول والتطور التاريخي

الفصل الأول

ظاهرة الغضب
لغة واصطلاحا

تمهيد

من البين أن الألفاظ العربية هى الأثواب التى تعتصم بأرحامها المعانى العربية . وكذلك كلُ لغة ، فإن ألفاظها تمثل المبانى الخارجية التى تختفى بداخلها تلك المعانى الناقلة لذات اللغة المعبرة عنها لدى أصحابها.

ولما كانت هذه الدراسة حول ظاهرة الغضب فى العهد القديم[1] ؛ فكان من المناسب أن يتعرض لمفهوم لفظ كل من – الظاهرة ، الغضب – فى اللغة والاصطلاح ؛ حتى يكون القارئ لتلك الدراسة على إلمام بالمفردات التى تحملها المعانى المرادة منها.

ومن البديهى القول بأن مصادر العربية تعددت، والألفاظ الحاملة لتلك المعانى تعددت كذلك، مما يؤكد ثراء الكلمة ـ اللفظ والمضامين معا ـ وهو ما سوف يلمح إليه فيما يلى :ـ

وردت مادة (ظ هـ ر) فى القرآن الكريم أربعين وخمس مرات تقريبا ، وقد تكفل ببيان مواطنها فى السور والآيات القرآنية المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم[2] .

بينما تبين ورود مادة (ظ هـ ر) فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد مائة وستين وتسع مرات تقريبا ، وتكفل بذكرها وبيان الأسفار والإصحاحات الواردة فى الكتاب المقدس فهرس الكتاب المقدس[3] .

ونظرا لأن الدراسة تقع فى مجال الأبحاث العلمية الأكاديمية الدقيقة ؛ فإن المناسب هو استعمال منهج التحليل فى التعرف على المعانى التى تجرى بها.

وسأبدأ ـ بمشيئة الله تعالى ـ بعرض لفظ الظاهرة لسبقه على غيره فى الوضع العنوانى.

فما الظاهرة فى اللغة والاصطلاح إذن ؟

---

(١) عنوان الرسالة هو ظاهرة الغضب فى العهد القديم أصولها وتطوراتها وموقف الإسلام منها .

(٢) الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف باب الظاء مادة ظ هـ ر ص٥٤٠/٥٤١ (طبعة دار الحديث بالقاهرة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) .

(٣) دكتور جورج يوسف – فهرس الكتاب المقدس بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية فى الشرق الأوسط ص٣٨٤/٣٨٥ – مكتبة مشعل – الطبعة الخامسة عام ١٩٨١م .

أ- في اللغة

وردت الكلمة في اللغة العربية على العديد من المعاني. نذكر منها ما يلي:

الأول: الوضوح والبيان

تقول العرب: ظهر الشيء الذى كان قد خفى فصار واضحا بينا، ومنه العين الجاحظة لوضوحها وبيانها(١)، وكذلك يقال: ظهر الشيء بمعنى تبين بعد الخفاء، ويقال أيضاً: ظهر لِيّ السر بمعنى وضح وبان إذ لم أكن من قبل قد علمته(٢).

الثاني: ما يعقب أصله

ورد عن العرب قولهم: فلان أظهر فلانا، والقوم أظهروا آباءهم إذا كانوا منجبيهم فكل سلف يظهره خلفه وكل فرع يظهر اصله(٣).

الثالث: ما يُحمل عليه غيره

ومنه قول العرب: حمل فلان متاعه على ظهره، ومما يذكر أيضا حملت المسألة أخبارها، وظهرت بها ظهوراً لا يمكن خفاؤه(٤). ومنه قول الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٥).

(١) العلامة مجد الدين الفيروز آبادى – القاموس المحيط – ج٢ ص٨٢ – باب الراء فصل الظاء ط الأولى – مطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٠هـ. والفيروز آبادى: هو مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب. ولد سنة ٧٣٠هـ فى فارس قرب شيراز، وكان يسافر إلى بلاد ما بين النهرين، وإلى الهند وجزيرة العرب؛ لاكتساب العلم. تولى قضاء اليمن سنة ٧٨٥هـ، ومازال قاضيا حتى مات سنة ٨٢٠هـ. (الأستاذ محمد فريد وجدى – دائرة معارف القرن العشرين جـ٧ ص٥٦٨. طبعة دار الفكر- بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧١م).

(٢) العلامة سعيد الخورى – أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد ج٢ ص٧٣٣ م باب الظاء مادة ظ هـ ر. مرسلى اليسوعى - بيروت الطبعة الأولى ١٨٨٩م.

(٣) محمد مرتضى الزبيدى – تاج العروس – باب الراء فصل الظاء ص٣٧١ – مطبعة الخيرية بجمالية مصر ج٣ سنة ١٣٠٦هـ. وأيضا محمد فريد وجدى – دائرة معارف القرن العشرين ج٥ ص٨١٠ – باب الظاء مادة ظ هـ ر – دار الفكر بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧١م.

(٤) المعلم بطرس البستانى – قُطر المحيط ج٢ ض ى ص١٢٨٢ – طبعة مكتبة لبنان بيروت نقلا عن طبعة ١٨٦٩م.

(٥) سورة الروم – الآية ٤١.

والمعنى : أن الفساد وجد ما يحمل عليه فصار واضحا، بعد أن كان خافيا، وبارزا بعد أن كان مستتراً. فكأن أيدى الناس باعتبار ما يصدر عنها هى التى أبانت الفساد وأظهرته.

الرابع : القوة أو الضعف

طالعتنا مصادر العربية قائلة : هو رجل مظِهر يعنى قوى الظهر، بحيث يمكن الاعتماد عليه متى كان صحيحاً غير سقيم، هذا بالنسبة للإنسان، أما بالنسبة للحيوان فيمكن لنا استخدام ظهره[١] ونحمل عليه فيستبين أمرنا كما استبان ظهره أيضا، أو على النقيض فى القوة يرد لفظ الضعف فيقال: رجل ظهير فناله الضعف يعنون بذلك أنَّ ألما اشتد بظهره فعاقه عن الحركة النشطة، وبالتالى؛ فهو يشتكى آلام ظهره[٢] التى تسبب له صور الضعف، وإن لم يكن ضعيفا فى الأصل .

الخامس : المعاونة والموازرة

يقال ظهر فلان أخاه، وظاهر الجيش الآخر بمعنى عاونه فى المهمة التى وكلت إليه وآزره فيها حتى أتمها على الناحية المنشودة[٣]، وكذا يؤازر الظهر البطن، بحيث يبدو الجسم بيننا لكل من ينظر إليه فبدونهما لا يعرف الهيكل.

السادس : العلو والارتفاع

ومنه ما يقال : أظهرت البيت على الأرض، وعن أقرانه بمعنى أعليتهُ ورفعته فصار ظاهرا على غيره عاليا عنه مرتفعا عليه[٤]، ومنه قولهم أيضا ظاهر الرجل من امرأته بمعنى حلف عليها ألا يقربها فتلا عنها وابتعد لأنها دفعته إلى ذلك، فصار بما أقسم عاليا عنها، وإن كان فى فراش واحد حتى يبرأ أو يكفر[٥].

---

(١) العلامة الزمخشرى – أساس البلاغة – جـ٢ ص٦٠٨ – باب الظاء – مادة ظهر– ط الأولى – القاهرة – مطبعة دار الشعب ١٩٦١م.

(٢) العلامة مجد الدين الفيروز آبادى – القاموس المحيط – ج٢ ص٨٣/٨٢ .

(٣) العلامة أبو الحسن بن على بن الحسن – المنجد فى اللغة – باب الظاء – مادة ظهر ص٢٥٧ – تحقيق د/ أحمد مختار وأخر – الطبعة الثانية – مطبعة عالم الكتب ١٩٨٨م.

(٤) العلامة ابن منظور – لسان العرب – ج٤ ص٢٧٦٩ – باب الظاء – مادة ظهر – طبعة دار المعارف ١٩٨٤م.

(٥) ويعرف الظهار فى الشرع بأنه تشبيه الزوج زوجته فى الحرمة بمحارمه، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [سورة المجادلة – الآية ٣] وللمزيد فى هذا الموضوع راجع الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع للعلامة شمس الدين محمد بن أحمد الشربينى الخطيب – فصل الظهار ص٩٣ – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٠م. وأيضا العلامة أحمد بن محمد على النقدى الفيومى – المصباح المنير ج٢ ص١٨ – طبعة المطابع الخيرية ١٣١٠هـ.

قال ابن الأثير : « من أسماء الله تعالى (الظاهِرُ) وهو الذي ظَهَر فوقَ كلِّ شيء وعَلاَ عليه. وقيل: هو الذي عُرِف بطُرُق الاسْتِدْلال العَقْلي بما ظَهَر لهم من آثار أفعاله وأوصافِهِ. وفيه ذكر (صلاة الظُهر) وهو اسمٌ لنصْفِ النهار، سُمِّي به من ظهيرَة الشمس، وهو شدَّةُ حرِّها. وقيل: أضِيفت إليه لأنه أظْهَرُ أوقاتِ الصلاة للأبْصَار. وقيل: أظْهَرُها حَرّاً. وقيل: لأنَّها أوّل صلاةٍ أظْهِرت وصُلِّيت ...، وفي حديث عائشة رضي الله عنها [كان صلى الله عليه وسلم يُصلِّي العصر ولم تظهر الشمس بعدُ من حُجْرتها][١] أي لم تَرْتَفِع ولم تخرج إلى ظَهْرها. »[٢].

السابع : المطابقة بين الشيئين

تذكر مصادر العربية قولها: ظاهر فلان بين الثوبين، يعنى طابق بينهما، فعرف عن كل منهما ما يعينه على إصدار الحكم بشأن كل منهما فى موضوعية ودقة[٣].

الثامن : الغلبة والانتصار

جاء عن العرب قولهم: ظهر قوم فلان على أعدائهم بعد أن كانوا مستترين تحتهم، ويقصد بذلك أنهم غلبوهم وانتصروا عليهم فظهروا حتى كأنهم وحدهم الذين على الساحة، تشهد لهم بذلك أرض المعركة، ويستقر معهم أمر الظهور على الأعداء[٤].

وربما نستأنس لذلك المعنى بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾[٥]، فكأن صاحب القوم ما يجرى فى أعراق خصومهم المنهزمين أمام فرارهم من أنهم لو تمكنوا منهم؛ فلن يكون أمامهم إلاَّ الانتقام والتشفى والغلبة وإعلان الانتصار[٦].

---

(١) العلامة أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (٣٨٤هـ-٤٥٨هـ) - سنن البيهقي الكبرى - ج: ١ ص: ٤٤١ - الحديث رقم: ١٩١٧ مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤هـ/١٩٩٤م - تحقيق محمد عبد القادر عطا.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الأثير - المجلد الثالث. ص٥٤٩ حرف الظاء. باب الظاء مع الهاء.

(٣) الأب سامى حورى اليسوعى - المنجد فى اللغة والأدب والعلوم ص٤٨٢ م. الكاثوليكية بيروت ١٩٦٦م، وأيضا محمد مرتضى - تاج العروس ص٣٧٤ .

(٤) إصدار مجمع اللغة العربية - المعجم الوجيز - باب الظاء مادة (ظ هـ ر) ص٤٠٢ - م. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٩٨م .

(٥) سورة الكهف - الآية ٢٠ .

(٦) إصدار مجمع اللغة العربية - معجم ألفاظ القرآن الكريم ج٢ ط،ى باب الظاء مادة ظ هـ ر ص٧٣٢ م. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٩٠م .

التاسع : الاستخفاف بالشيء

ذكرت مصادر العربية قولها ظهر فلان بالحاجة التى بلغه أمرها أو نما إليه شأنها، فلم يعرها اهتماما أو يخف لنجدتها وتقديم المساعدة لها(١) على سبيل التقليل من شانها أو الاستهانة بالعواقب المترقبة.

العاشر: التثبت

قالت العرب: ظهر فلان بين القوم بمعنى ثبت فصار كالعَلم عليهم كما يقال قرأ فلان عن ظهر قلب يعنى بما ثبت فى فؤاده واستقر فى أفهامه، وبات من السهل عليه استظهاره ومراجعة ما فيه(٢).

مما سبق؛ اتضح لنا العديد من المعانى التى حفلت بها مصادر العربية للظاهرة على الناحية اللغوية، لكن تلك المعانى تحتاج إلى تعريف يجمع بينها ويؤلف، بحيث يكون تعريفا لغويا على ناحية شاملة، وتلك مهمة ينـدب دارسوا العلم أنفسهم لها، ويجدّون فى سبيل بلوغها، فما ذلك التعريف الجامع لها على الناحية اللغوية؟ ذلك مما سوف نقدمه فى التعريف التالى :

* **تعريف الباحث**: الظاهرة فى اللغة هى : الأمر الذى يوضح ما يعقب الشيء ويحمل عليه قوة على سبيل المعاونة والمؤازرة، بقصد العلو والغلبة، أو على سبيل الضعف بقصد الاستخفاف به وعدم الاكتراث على أن يتم ذلك كله بشيء من الثقة واليقين(٣).

---

(١) إصدار مجمع اللغة العربية – المعجم الوسيط – باب الظاء مادة ظهر ص٥٩٩ ج٢ ط٣ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٥م .

(٢) الأستاذ / الطاهر أحمد الزاوى الطرابلسي – مختار القاموس ص٣٩٩/٤٠١ ج١ م. عيسى الحلبى وشركاؤه ط١٤ سنة ١٩٦٤م .

(٣) لا أزعم أنى أقدم تعريفا جامعا مانعا أقطع به الطريق على من يأتى بعدى، وإنما هى وجهة نظر قبستها من مصادر العربية طبقا لما وقفت عليه، وذلك من أفضال الله، فإن وجد غيرى غير ما توصلت إليه فهى أقسام الله. والحديث الشريف : « عن معاوية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون) » الحديث رواه الإمام البخارى – باب: قول الله تعالى: ﴿فأن لله خمسه وللرسول﴾ /الأنفال: ٤١. الحديث رقم: ٢٩٤٨، [٧١]، وذكره ابن حجر فى فتح البارى . راجعه تقى محب الدين الخطيب وآخرون ص٢٥٠/٢٥١ ج٦ – دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م . والمراد بـ[(ظاهرين) منتصرين وظافرين على عدوهم الذي يخالفهم في العقيدة والمنهج].

ب- في الاصطلاح

عُرِّفت الظاهرة في الاصطلاح بتعريفاتٍ عديدة طبقا للعلوم التي ترد فيها، سواء أكانت على الناحية النظرية أم العملية في مجال العلوم التطبيقية، أم جاءت في العلوم السلوكية مصاحبة للقيم الأخلاقية، وذلك يستدعي من الدارس تقديم تعريفات منتقاه في العلوم التي استخدمتها باعتبار أن الاصطلاح هو: « عبارة عن اتفاق طائفة معينة في علم من العلوم أو فن من الفنون على استعمال لفظ معين على معنى محدد، سواء أكان اللفظ منقولا أم متفقا عليه أم موضوعاً له، بحيث يتميز هذا اللفظ بذات المعنى في ذلك العلم. ولدى تلك الطائفة »[1].

مع الأخذ في الاعتبار أنني سأحاول صياغة ما أرى الحاجة ماسة لإعادة صياغته، حتى يكون تعريفا اصطلاحيا مقبولا.

١- لدى علماء النفس

* يذهب علماء النفس والمعنيون بالتحليل النفسي في تعريف الظاهرة عندهم بأن « النزع أو النزعات التي تتجسد في تعريفات حقيقية أو متوهمة ترمي إلى إلحاق الأذى بالغير وتدميره بغرض إكراهه وإذلاله، حتى يؤدي أمر غير مقبول عنده »[2].

وهذا التعريف قائم من وجهة نظري على النتائج التي تنتج عنده مجريا عليه الغضب لا موضوع الغضب والفرق بينهما كبير؛ لأن الموضوع هو الذي يتحدد به تعريف الشيء على الناحية الحدية أما النتائج فتمثل إحدى الغايات في العلوم التجريبية، وتمثل النهايات في العلوم النظرية، وتمثل قواعد مستجدة في العلوم السلوكية[3]. كما

---

(١) الدكتور/ محمد حسيني موسى محمد الغزالي – حصاد الاقتصاد في الاعتقاد – ج٣ الأفعال الإلهية ص٢٧ طبعة آل بسيوني ط الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩١م .

(٢) جان بلانش و ج ب نونثا ليس – ترجمة الدكتور / مصطفى حجازي – المعجم العام لمصطلحات علم النفس والتحليل النفسي ص٣٢٢ – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ط أولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٣) يذهب المناطقة إلى أن التعريف للشيء قد يكون بالموضوع كما يكون بالحد والرسم والغاية، باعتبار أن الموضوع هو الفاصل المميز للشيء على الناحية الذاتية، ويسمى التعريف القائم عليه حديا لارتباطه بالذات وحدها، سواء أكان تام أم ناقص . (راجع في ذلك الغزاليات في منطق التصورات – دكتور/ محمد حسيني موسى الغزالي ص٦٩ – الطبعة الأولى – طبعة آل بسيوني – غزالة شرقية ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

* تعرف أيضا بأنها الواقع الخارجي المؤثر في الحواس كالظواهر الفيزيائية[1] والكيميائية[2] والحيوية[3] والفلكية[4]، وغيرها مما يقع في نفس الموقع، ويجرى عليه ما يجرى على غيره تماماً.

وهذا التعريف يمثل المؤثر في الغضب بالنسبة للجزء المحسوس فقط، والمعروف علميا؛ أن الجزء المحسوس إن لم يكن معه جزء غير محسوس وهو الجزء الروحاني، فإن فكرة وجود كائن حي مخلوق يقع له ذلك اللون من الغضب مرفوضة، باعتبار أن الجسم إذا لم تكن فيه روح لم توجد فيه مشاعر أو أحاسيس، وحينئذ قد يكون كالجماد لا حس، ولا حركة، ومن كان ذلك شأنه فلا شك أنه لا يمكن وصفه بالغضب أبداً.

* كما تعرف بأنها أمر عارض لا يمكن أن يستمر، وإنما يزول إذا زال سببه، باعتباره نزوعا نحو شيء ما دافع للعداونية[5].

وهذا التعريف يمكن قبوله على ما هو عليه، لكن وقوفنا على مفرداته ينتهى بنا إلى الغضب لا إلى الظاهرة، فهو تعريف يصلح في موضوع الغضب أكثر مما يصلح في موضوع الظاهرة على الناحية العلمية.

٢- عند علماء الفيزياء

* تعرف بأنها كل ما يبحث فيه العلم من الحقائق التجريبية أو على المعطيات التجريبية المباشرة من جهة ما هي مشتملة على المدرك[6].

---

(١) الفيزياء: علم يبحث كل خواص الأجساد الطبيعية، ويعرف بعلم الطبيعة عند العرب، كما يعرف الفيزياء لدى الغرب في المقابلة بالميتافيزيقا التي تعنى القضايا اللاهوتية في جانبها التأملي، وقد تطلق على ما يطلق عليه أنه علم الطبيعة باعتبار الميتافيزيقا النقدية، ونحن نرفض اعتبارها ميتافيزيقا نقدية؛ لأن ما يقول ذلك ينتهي إلى إنكار وجود الله تعالى.

(٢) الكيمياء: علم يبحث فيه عن خواص العناصر المادية والقوانين التي تخضع لها في الظروف المختلفة، وبخاصة عند اتحاد بعضها ببعض التراكيب وتخليص بعضها من بعض التحاليل. (المعجم الوجيز ص٥٤٧).

(٣) علم الأحياء أو علم الكائنات الحية: علم يبحث فيه مجموع ما شوهد في الحيوانات والنباتات من مميزات تفرق بينها وبين الجمادات مثل التغذية والنمو والتناسل، ونحو ذلك. (المعجم الوجيز ص١٨٢).

(٤) علم الفلك: يعرف بأنه علم يبحث فيه عن الأجرام العلوية وأحوالها (راجع المعجم الوجيز ص٤٨١).

(٥) جان بلانش جـ، ب - معجم مصطلحات التحليل النفسي ص٣٢٣ ط١ سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٦) دكتور/ جميل صليبا - المعجم الفلسفي ج٢ من الطاء إلى الياء ص٣٠- مطبعة دار الكتاب - بيروت عام ١٩٨٢م.

وهذا التعريف ينصب على الظواهر الطبيعية التجريبية ، وغيرها من الظواهر التى تماثلها كالهندسة الوراثية فى المجال البيولوجى ، ولا ينصب على الظواهر النفسية والعقلية ؛ لأنها لا ترد فى المحسوسات أو الحيز ، ولا يمكن التجربة عليها ، وكذلك علم الأحياء العام ، وبالتالى ؛ فإن هذا التعريف للظاهرة على الناحية تلك يمكن اعتباره غير جامع .

◄◄ **الظاهرة : حركة منقولة فى الفضاء تصل متلقيها كلما كان قريبا منها بدرجة أكبر مما لو كان بعيداً عنها** ، ويظهر ذلك بوضوح فى علم الطبيعة ، ويقرر أحد علماء الطبيعة ذلك فيقول : « إن عدد الذبذبات الصوتية التى تصلك من صفارة عربة الإطفاء وهى منطلقة ، أكثر من عددها والعربة تنطلق بعيداً عنك ، وهذا ما يجعل الصفير القادم طبقة أعلى من طبقة الصفير المدبر ، ويتجلى الفرق بين الطبقتين بوضوح فى اللحظة التى تنتهى وراء العربة أو تنخفض طبقة الصفير فجأة عندئذ[١] .

وتعرض تلك الظاهرة عنده على الناحية الفيزيائية هكذا :

❊ إذا كنت واقفا على جانب طريق تتحرك عليه سيارة سريعة آتية من بعيد مطلقة نفيرها ، فإنك سوف تلاحظ ظاهرة غريبة ، فبالرغم من أن درجة الصوت تستمر ثابتة إلى أن تصبح السيارة فى محاذاة نقطة المشاهدة تقريبا ، إلاّ أنها سوف تتوقف فجأة عندما تمر السيارة ويستمر على هذا المستوى الجديد أثناء تباعدها على الطريق بمعنى أنه كلما ابتعد الصوت عنا قلت ظاهرة سماعه[٢] .

وهذا التعريف للظاهرة يصلح عندهم فى علم الأصوات باعتبار أن الصوت مادة ينقل فى الفضاء بسرعة تصل إلى ١٧٩ ألف ميل فى الثانية الواحدة ، ويعرف البحث فى هذه الناحية باسم البحث فى ظاهرة الصوت وسرعة الصوت أيضا ، والمعروف أن العلماء الفيزيائيين قد تحدثوا عن هذه الجوانب ؛ لأنها تتعلق بالصوت وحده كناحية فيزيائية فقط ، وبالتالى ؛ يكون تعريفا خاصا[٣] لا تعريفا عاما يجرى فى كل العلوم بنفس المعنى .

(١) لوسن دياب وآخرون – الموسوعة العلمية الميسرة ص١٥٠/١٥١ – مطبعة مكتبة اليونان ١٩٨٥ – طبع فى لبنان على مطابع تيوبرس .

(٢) د/ف بوش أساسيات الفيزياء – ترجمة دكتور/ سعيد الجذيرى وآخرون ط٢ ص٤١٧ – الدار الجولية للنشر والطبع والتوزيع ١٩٨٨م .

(٣) المعروف أن العلوم تقع فى دائرة التراقمية ومعناها : أن كل النتائج التى توصل إليها الباحثون تعتبر قواعد ومقدمات ينطلق منها الباحثون المستجدون ، فإذا لم تكن للتعريفات صفة العموم التى تسمح لها بالانتساب فى كافة فروع المعرفة ؛ اعتبرت تعريفات خاصة ، وليست تعريفات عامة .

وبهذا يتبين لنا ؛ أن الظاهرة على الناحية الاصطلاحية هى التى لم تكن موجودة ثم وجدت فى المحسوسات والمعقولات سواء بسواء، أو أنها التى كانت موجودة ثم عدمت سواء بسواء أثرت فى الغير أم لم تؤثر فيه ، وإنما انحصر أمرها فى ذاتها ، فما ذ الغضب إذن؟

عرضنا فيما سلف الحديث عن الظاهرة فى اللغة والاصطلاح ، كما ألمحنا إلى أنها وجدت كلفظ فى العهد القديم[1] الذى يعتبره اليهود مصدرهم الأصلى والعهد الجديد[2] الذى يعتبره المسيحيون أهم مصدر لديانتهم، والثقافات التى يقومون عليها . ولما كان عنوان الرسالة (ظاهرة الغضب) ؛ فقد كان من الضرورى أن نثنى بالحديث عن الغضب فى اللغة والاصطلاح كما فعلنا مع الظاهرة.

◈ **فما مفهوم الغضب فى اللغة والاصطلاح؟**

أ- فى اللغة

تبين ورود مادة غضب فى القرآن الكريم حوالى خمس وعشرين مرة على العديد من صور إتيان الكلمة مما هو بين فى القرآن الكريم والعلوم التى تدور حول خدمة النقل المنزل.

ومما يجدر الإشارة إليه : من أن مادة غضب وردت أيضا فى الكتاب المقدس مائة وثمانين ومرتين اثنتين تكفل بحصرها المعجم المفهرس للكتاب المقدس، ولم يقتصر ورود مادة

---

(١) العهد القديم هو مجموعة من الأسفار المعتمدة عند اليهود، وتبلغ تسعة وثلاثيين سفرا، وتنقسم إلى أربعة أقسام: أ- كتب موسى أو الأسفار الخمسة. ٢- الأناشيد وعددها خمسة أسفار. جـ- الأسفار التاريخية وعددها اثنى عشر سفرا. د- أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفرا. (دكتور: محمد إبراهيم الجيوشى - دراسات عن اليهودية ص٤٢/٤٤ د.ت) .

(٢) العهد الجديد : هو مجموعة من الأسفار الخاصة بالنصارى، التى يقدسونها إلى جانب أسفار العهد القديم، ويعتقدون أن تلك الأسفار موحى بها لأصحابها من الله بمعانيها بألفاظها، ويتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين سفرا أقرها على النصارى. (الأستاذ عبدالراضى محمد عبدالمحسن - منهج أهل السنة والجماعة فى الرد على النصارى - دراسة علمية من خلال جهود ابن تيمية - الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - ط١٩٩٥/٢م).

هذه الكلمة فى القرآن الكريم والمعجم المفهرس، بل حفلت بها المصادر العربية على العديد من المعانى.

نذكر منها ما يلى:-

الأول : السخط

تقول العرب: غضب فلان على فلان بمعنى سخط عليه[1]، لأنه فعل خلاف أمر أو ارتكب نهيا أو فعل ما لم يقع عليه الاتفاق.

الثانى : المراغمة

منه ما ورد ذكره في لغة العرب من أن الإنسان قد يفعل في أى شخص أى شيء لا يطيقه، وقد تكون نتيجته أنه يراغمه[2]، ويحمله على قبول ما لم يكن لديه استعدادا لقبوله، وإنما أُكره عليه إكراها، وأُرغم إرغاما، ولم يهيئ نفسه له، وفى هذا المقام نستأنس قول الحق ﷻ : ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[3]، وقد كان مرسلاً إلى أهل نينوى، فالتقى به رجلان تصايحا من حوله[4].

---

(١) العلامة ابن منظور – لسان العرب – مادة غضب ج٥ ص٣٢٦٣ وما بعدها . وأيضا مجمع اللغة العربية – المعجم الوسيط باب الغين مادة غضب ط٣ ج٢ ص٦٧٨ . وابن منظور هو: جمال الدين أبى الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد بن أبى القاسم حبقة بن منظور . ولد بالقاهرة وتوفى بها سنة (٦٣٠/٧١١هـ) و (١٢٣٢/١٣١١م) من أشهر مؤلفاته لسان العرب، مقدمة كتاب لسان العرب .

(٢) العلامة مجد الدين الفيروز آبادى – القاموس المحيط – باب الباء فصل الغين ج١ ص١٠١، وأيضا الأب لويس معلوف اليسوعى – المنجد فى اللغة والأدب والعلوم – مادة غضب ص٥٥٣ – المطبعة الكاثوليكية الطبعة الثانية – بيروت ١٩٦٦م.

(٣) سورة الأنبياء – الآية ٧٨ .

(٤) قال ابن كثير: « فالتقى به رجلان تصايحا من حوله ونبهاه إلى أن المرسل إليهم تمكنت منهم الغلظة، وصارت القسوة هى المعلم الرئيسى فغضب ولما ركب السفينة ليعبر الشاطئ الآخر، وكان العدد قد زاد واحد فاقترع ركابها على من يلق بنفسه فى اليم لينجو الجميع، وكلما اقترعوا خرجت القرعة بعيدا عن سيدنا يونس ﷺ، ولكنهم يتصايحون يطلبون الإعادة، وأدرك نبى الله أن السفينة سوف تغرق بالجميع، إذا لم يقم واحد منهم بتخفيف الحمل وإلقاء نفسه فى اليم،فألقى بنفسه فى اليم لينجو الجميع، وهو على ثقة من نجاة الله له، وإلى ذلك يشير المولى ﷻ فى القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۞ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۞ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۞ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۞ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۞ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۞ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۞ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ سورة الصافات– الآيات ١٣٩/١٤٨ » (راجع العلامة أبو الفداء ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – م٤ج٧ ص٢٤– مكتبة الإيمان بالمنصورة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

الثالث : الهجرة والتباعد

ومنه قول العرب : غاضب فلان فلان، أى هجره وتباعد عنه[1] مؤقتا، حتى تهدأ النفوس وتستقر الأمور وتزول أسباب المغاضبة، وقد تستمر إذا كان كل منهما متمسكا بأنه صاحب حق والثانى هو المخطئ.

الرابع : العبوس والكدورة

☆ **فمن الأول** ما ورد ذكره عن العرب من قولهم: امرأة غضوب أى عبوس[2]، وكذا يقال عن الرجل أيضا[3] كما يطلق على الصغير والكبير متى قُطِب كلٌ وجههُ مما القى إليه أو وجل به أو حدثت بينهما مقابلةً تستدعى شيئاً من الغضب أو يتولد عنها فوات مصلحة أو تحقيق مضرة.

☆ **ومن الثانى** قولهم: الغضبى هو الكدور فى معاشرته، فهو لا يبتسم إلاّ قليلا، ولا ينفق إلاّ قليلا،وفى نفس الوقت فإن مشاعره السلبية تفرض نفسها على حياته، بحيث لا نرى له لحظة، وهو خال من المغاضبة، ويعرف بمنكود العيش، ويستوى فيه الرجل والمرأة.

الخامس : ما يظهر على العين

ذكرت مصادر العربية قولهم غضب بصر فلان يعنى انتفخ من الغضاب، ومن داء أصابه وأَغْضَبتْ العين قذفت ما فيها حين وصل به إلى حد البكاء المستمر والانفعال الزائد الذى إذا تمكن من صاحبه أدى إلى احتقان أوردة العين وارتفاع ضغطها وتورد الشرايين الدموية فيها[4].

---

(١) المعلم بطرس البستانى – قطر المحيط – باب الغين مادة غضب ج٢ ص١٥١٤، وأيضا راجع للإمام محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازى – مختار الصحاح – باب الغين مادة غضب ص٤٧٥، والعلامة الرازى: هو الشيخ محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازى زين الدين، وهو من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب وأصله من الرى . زار مصر والشام، ومن أشهر مصنفاته (مختار الصحاح) فى اللغة، و(حدائق الحدائق) فى التصوف، و (كنز الحكمة) فى الحديث وغيرها. (الأعلام جـ٦ ص٥٥) .

(٢) أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى – م ١٠٠ ت ١٧٥هـ – العين – العين والضاد والياء معهما ص٣٦٥ ج٤ – تحقيق محمد المخزومى – إبراهيم السامرى – ط١٤٠٨/١هـ/١٩٨٨م منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات – بيروت – لبنان .

(٣) السيد محمد مرتضى الزبيدى – تاج العروس من جواهر القاموس – مادة غضب – ص٤١٣ وما بعدها مطبعة دار الحياة.بيروت.

(٤) لسان العرب – ص٦٤، وأيضا سعيد الخورى الشرنوبى – اللبنانى– أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد – باب الغين مادة غضب ص٨٧٥ ج٢ سنة ١٨٩٠م – مطبعة ٢٠٠٠ .

ويقال: أغضبتْ العين من رمد أو غيره، فأدمعت لتخّرج ما فيها من داءٍ لا يمكّنها من القيام بوظائفها على النحو الأمثل[١].

السادس: ما يتقى به

قيل الغضبةُ جُنةٌ تتخذ من جلود الإبل تلبس للقتال، حتى تقى لابسها ضربات السهام أو طعنات السيف، وقذفات النبال أو تخفف عنه من حدتها[٢].

السابع: الحدة في السلوك

تقول العرب غضب فلان، فصار حاد الطبع مضطرب في السلوك شديد حمرة الوجه. غضوبا لا يثنيه عما هو فيه إلاّ سلطان أقوى أو منزلة يرتجيها[٣].

مما سبق؛ اتضح أن لفظ الغضب يأتي على العديد من المعاني بالشكل الذى ألمحنا إليه، وهى فى جملتها تحتاج إلى تعريفٍ مشتركٍ يجمع بينهم جميعاً على تلك الناحية، بحيث يؤدى فائدة تامة لقارئه وسامعه.

◈ **فما: ذلك التعريف؟**

* **تعريف الدراسة**: الغضب: حالة تصيب صاحبها بالسخط والمراغمة، فتدفعه إلى العبوس الذى يظهر فى وجهه وعينه، ويجعل غيره يهجره ويتقيه، حتى لا يناله سلوكه الحاد بسوء قصد[٤].

◈ **فما: الغضب فى الاصطلاح؟**

ب- فى الاصطلاح

الدارس يرى الغضب كلفظ يجرى فى العديد من العلوم باعتبار الكثير من المفاهيم، كما تتنازعه معارف عديدة ولابد من التعرض لبعضها وبخاصة ما يتعلق منها

(١) مختار الصحاح – ترتيب محمود خاطر – باب الغين – مادة غضب ص٤٧٦ طبعة دار المعارف. وراجع أيضا أحمد بن محمد بن على المقريزى الفتوحى – المصباح المنير – باب الغين مادة غضب ص٦١٤، ص١٩٢ ..

(٢) السيد محمد مرتضى الزبيدى – تاج العروس – ص٤١٤ وما بعدها .

(٣) المعجم الوجيز – باب الغين مادة غضب ص٤٥١ .

(٤) هذا التعريف مما وفقنا الله لاقتباسه من مصادر العربية، فمن وفق لغيره فذلك الفضل من الله، وليصوب لنا ما نكون قد كبونا فيه، فما العصمة إلاّ لله ولمن اصطفى من أنبيائه ورسله.

بالتخصص الدقيق فى مجال مقارنة الأديان، وذلك يقتضى منى أن أنظر فيه على النحو التالى :-

أولاً : فى اصطلاح اللاهوتيين[1]

يذهب كتاب ومفسرو الكتاب المقدس[2] إلى أن الغضب هو :

السخط واستجابة لانفعال يتميز بالميل إلى الاعتداء، وهو ضد الرضا والكتاب المقدس يميز بجلاء بين غضب الله وغضب الإنسان[3]،

وهذا التعريف ينظر إلى الغضب على أنه السخط، فكأن الاثنين شي واحد، ويعتبر الغضب نتيجة أو استجابة لانفعال، وهذا الانفعال يقع من صاحبه موقع الإبدال.

ويبدو أن صاحب التعريف قد أحس بضعف تعريفه، فحاول أن يجبره ذاكراً أنه « يجب أن يفهم غضب الله على أنه يخلو تماماً من الانفعال والجموح، والتغلب؛ لأن غضب الله هو التعبير المنطقى عن طبيعة الله، وهو كلي القداسة التى لا يمكن أن ترضى عن خطيئة الإنسان وتمرده وعناده، فغضب الله على الدوام عادل يتفق مع قداسته وبره، وهو جزء من طبيعته وعنصر هام من عناصر حكمته؛ لأنه يؤدى إلى مخافة الله الذى أعلن غضبه مرراً كثيرة فى عقابه للبشر بطرق مختلفة وأزمنة متعددة » .

ولكن هذه الترميمات التى حاول صاحب الرأى المحافظة بها على البناء المتصدع لا تكفى. بل حتما ستنهار مع البناء نفسه، باعتبار وجود الكثير من القصور الواقع فى التعريف؛ لأن المفردات التى وردت فى ذات التعريف عن كون الغضب جزءا من الله،

---

(١) يقصد باللاهوتين : الذين يحبسون أنفسهم على قراءة العهدين القديم والجديد، ويتخصصون فيهما، بحيث يصير الأمر عندهم هو التخصص فى العلم، بجانب الممارسة له (راجع علم الأديان المقارن- دكتور ماكس شيلر ص٧ ترجمة هناء يوسف ج١ بيروت ١٩٣١م) .

(٢) هذا اصطلاح يطلقه دعاة الفكر اليهودى والمسيحى على مجموع العهدين القديم والجديد، علما بأن كل منهما محل جدل وخلاف من حيث الإثبات والنفى والتصديق به أو التكذيب، حتى عند المتمسكين بهما أنفسهم. ونحن لا نرى أنه مقدساً، وإن كنا نذكر تسميتهم لهما .

(٣) دائرة المعارف الكتابية – المجلد الخامس – حرف ال ص ال غ ص٤٠٩ – المحرر المسئول وليم وهبه بباوي – دار الثقافة – طبعة أولى – بيروت ١٩٩٥م .

أو جزءاً من طبيعة الله أو عنصراً هاماً من عناصر حكمته قائمة على مفهوم أن الله جوهر. والعقل يرفض فكرة وصف الله بأنه جوهر[1]. فكما هو معروف من أن كل جوهر مخلوق، ولا يكون المخلوق خالقاً أبدا.

وفى نفس الوقت، فإن الشرع لا يطلق على الله تعالى ما لم يطلقه الله على نفسه. باعتبار أن أسماء الله توقيفيه[2] لا يجوز القول فيها بالرأى.

* **ويعرف الغضب أيضا فى اصطلاح اللاهوتين بأنه: حالة من حالات الرب، تعقب الفرح أو يعقبها الفرح، وتكون مقرونة بالعدل والشفقة والرحمة.**

يقول آرميا[3]: « اسكب غضبك على الأمم التى لم تعرفك والعشائر التى لم تدع باسمك »[4]، لأن الغضب الإلهى عنده حالة، فإنه يأتى عقب صفة أو بديلاً عنها، أو مقرونا بها، « لأنها تجعل من غضب الله رحمة للبشر باعتبار أن الله قاض عادل. وأنه يسخط فى كل يوم »، وما دام الله يغضب، « فإن غضبه لصالح الإنسان، باعتبار أن سخط الرب على الشر »[5]، وذلك يمكن أن يقع كل يوم.

وحيث إن الغضب عندهم حالة إلهية، فإن الإنسان إذا غضب يكون قد وقع فى خطيئة وتحق عليه الدينونة والله يكره الغضب فى الإنسان، ولا يكره الغضب فى ذاته، باعتبار أن حالاته الخاصة يجب ألا يشاركه فيها أحد.

---

(١) نحن المسلمين لا نصف الله تعالى إلاَّ بما وصف به نفسه؛ لأن أسماؤه جل علاه توقيفيـة، لا يمكن لأحد أن يقول بها. وإنما يجب الإيمان بها حسب ورودها فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة.

(٢) التوقيف : معناه ورود أسماء الله وصفاته تعالى فى النقل المنزل، وحينئذ يقف العقل عند ما ورد به، وفى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ سورة الأعراف - الآية ١٨٠ .

(٣) ارميا : « معناه الرب يؤسس أو يثبت، وقد ورد كثيرا فى العهد القديم اسم أرميا، لكن المراد هنا هو (أرميا بن حلقيا) الكاهن الذى يعتبره اليهود نبياً عظيماً ويدَّعون أن الرب دعاه للقيام بالعمل النبوى فى رؤيا رآها وهو صغير فأحس بأنه لم يكتمل نضجه، ولذا؛ فقد أجل عمله النبوى حتى كبر ». (سفر معروف ونبوات كثيرة - راجع قاموس الكتاب المقدس ص٥٦/٥) .

(٤) العهد القديم - سفر ارميا - الإصحاح العاشر - ٢٤ .

(٥) قاموس الكتاب المقدس - هيئة التحرير - دكتور / بطرس عبدالملك وآخرون - مكتبة مشعل بيروت - طبعة ٦ سنة ١٩٨١م ص٦٥٩ .

❊ **ويذهب اللاهتيون إلى أن الغضب كما يأتى فى الإنسان، فهو يأتى فى الله** حتى إن غضبه مضطرم وشفتاه تمتلئان سخطا، ولسانه كنار أكله، وروحه كسيل طاغ يبلغ إلى العنف[١]، وغضب الله هو عقاب ومحبة وخلاص ونتيجته هى الموت مع معاونى الموت وهم الجوع والهزيمة والطاعون[٢]، متى كان ذلك يرضيه، فإن لم يكن يرضيه فإنه يزيد فى الوسائل المؤلمة، حتى يبلغ فى نفسه مبلغ الرضا[٣].

❊ **وفى تقدير الباحث**؛ أن ذلك الغضب لدى اللاهوتين يقع فى دائرة الانفعالات التى هى جزء من التكوينات النفسية فى الإنسان القائمة على الاستجابة لمؤثرات، بحيث تؤدى وظائف هامة للإنسان من حيث إن الغضب يساعده على حفظ ذاته، فحينما يغضب الإنسان تزداد طاقته على القيام بالمجهود العضلى العنيف[٤]، وذلك مما يتنزه عنه الله الواحد القيوم جل علاه.

ولكن كتاب العهد القديم يغرقون فى تجسيم الذات الإلهية، وكل ما ينطبق على صفات الأجسام، يحاولون إثباته لله تعالى من غير مفارقة أبدا[٥].

وذلك مما يكشف عن مادية متمكنة من نفوسهم تلح عليهم فى التعبير عن نفسها حينا بعد أخر، ونحن لا نوافقهم عليه، بل ننتهى إلى بطلان تلك الأفكار وعدم صحة نسبتها إلى الله تعالى أبدا؛ لأنه تعالى منزه عن كافة صفات المخلوقين ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[٦] .

وسوف نتعرض لتلك الجوانب على ناحية التفصيل، أثناء تناولنا لمظاهر الغضب وأنواعه فى العهد القديم، من خلال النصوص التى يتناولونها بالسرد، ونتعرض نحن لها بالمناقشة.

---

(١) العهد القديم – سفر إشيعا ٣٠/٢٧– ٢٨ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس – ص٦٥٩ .

(٣) معجم اللاهوت الكتابى – ط ٢ ص٥٨٥ ج١ – مكتبة دار الشروق بيروت ١٩٨٨م .

(٤) محمد عثمان نجاتى – القرآن وعلم النفس – ص٥٠ – ط٣ دار الشروق – القاهرة ١٩٧٨م .

(٥) راجع عقيدة تجسيد الإله عند اليهود وموقف الإسلام منها (رسالة ماجستير) – للباحث : السيد عبدالبديع – معهد الدراسات والبحوث الأسيوية ١٤٠٢هـ/٢٠٠١م .

(٦) سورة المؤمنون – الآية ١٤ .

ثانيا : الغضب عند علماء النفس(١)

بعد أن تعرضنا لتقديم لمحة عن الغضب فى اصطلاح علماء اللاهوت وشُراح الكتاب المقدس، فمن المناسب أن نومئ إلى علماء النفس محاولين استنطاق المفردات التى يتناولونها حتى نتعرف على بعض المعانى التى تكمن بجنباتها أو تعتصم بأرحامها، مع الأخذ فى الاعتبار أن مدارس علم النفس ونظرياته تختلف باختلاف المناهج والموضوعات المعالجة والاتجاهات القائمة فى جانب كل من علم النفس النظرى، والآخر العملى الاكلينكي(٢) على ما هو معروف لدى تلك المدارس من النواحى الفنية.

بيد أن الدارس يرى ضرورة تقديم تعريف اصطلاحى للغضب على تلك الناحية الفنية، باعتبار أن ذات المدارس تذهب إلى اعتبار الغضب ظاهرة نفسية أو دافع سواء أكان من الدوافع الفطرية أم المكتسبة أم كان واحداً من التسميات التى تقع على مفهوم من المفاهيم المتعلقة بأمراض النفس قديما وحديثا.

وذلك مما يجدر بنا إلى التقاط بعض التعاريف للغضب عندهم على النحو التالى:

- **هو حركة النفس مبدؤها إرادة الانتقام من سبب هذا الغضب الذى يعتبر مسئولا عنه ونتيجة لما صدر منه**(٣)، وهو من التعاريف التى تمثل لونا من ألوان التعبير عن حركة النفس، وهو لم يلتفت إلى أن النفس فيها اتجاهات وتقع بها تحركات، وبالتالى؛ فحصر ذلك فى حركة بعينها يكون نوعا من التحكم فى المعانى رغم اتساع اللفظ.

- **الغضب : هو حالة عمياء تتسم بالعنف، وتقدم المصاب بها على القيام بسلوك فظ ينم عن الخشونة غالباً؛ لكنه لا يتذكر شيئا من ذلك كله إثر زوال النوبة الغضبية، أو فى وقت لاحق لوقوع هذه**

---

(١) علم النفس النظرى هو الذى يقع فى موضوعات ومناهج نظرية مهمتها تقديم كشوف إحصائية من خلال البيانات المجردة سواء أمكن لأصحابها تقديم حلول جدية للمشاكل المطروحة أم لم يتمكنوا .

(٢) هو الذى يعنى بدراسة العلل والأمراض التى تؤثر فى النفس الإنسانية، بحيث يجعل سلوكياتها مضطربة، ثم يقدم الحلول المناسبة لها عن طريق التفريغ الذاتى للأفكار والمشاكل، أو عن طريق تقديم الدواء والعقاقير المختلفة، أو التموجات الكهربية، أو غير ذلك من أنواع العلاجات التى يقدمها ذلك الفرع من الطب الدقيق.
(راجع فى المسألة : (اعرف نفسك) للدكتور سبنسر كونز الأمريكى – وكذلك الدكتور عادل صادق، والدكتور: جمال ماضى أبو العزايم وغيرهم ممن عنوا بذلك الجانب الأكلينكى.

(٣) دكتور جميل صليبا – المعجم الفلسفى ج٢ من الظاء إلى الياء ص١٢٨ وما بعدها – مطبعة دار الكتاب – بيروت ١٩٨٢م .

النوبة الصرعية[١] التى تعاوده مرة بعد الأخرى، وهو فى كل حالاتها كسابقاتها سواء أكانت المدة البينية بينهما متقاربة أم متباعدة.

وهو تعريف قد التقط بعض الحالات المرضية الموغلة فيه، ثم حاول تقديم تعريف لها يقوم على الوصف الثابت فى أصحابها الذين تبدو الظاهرة عليهم كلما أمكن ضبط سلوكيات صاحبه، فإذا لم يكن من الممكن ضبط تلك السلوكيات، فإن التعرف عليها لا يكون ممكنا.

❊ **هو انفعال يبدو كرد فعل حيال القيود التى قد تفرض على الفرد أو التهديد الذى يوجه نحوه، أو قد يكون وسيلة لجذب الانتباه أو الحصول على الثواب، ويتم التعبير عن انفعال الغضب بطرق مختلفة صريحة، أو مستترة هادئة أو عنيفة[٢].**

هذا التعريف منقسم باعتبار أن المعانى التى حملتها مفرداته، والمعروف لدى المناطقة أن التعريف إذا دخله لفظ أو أداة تفيد الانقسام فإن تعريفه يكون معيبا[٣]. إذ سيتكرر تقسيمه كلما ورد حرف التقسيم أو أداته فيه[٤].

❊ **وبناء عليه**، فإنه لا يكون تعريفا واحداً لشيء بعينه، وإنما سيكون تعريفات متراكمة[٥]، فإذا كان الغرض من التعريف هو التوضيح والبيان، فإن التعاريف المنقسمة تفقد ذلك الجانب وتوغل فى الإيهام والإبهام.

كما أن التعريف يلاحظ عليه ضرب آخره لأوله، إذ هو فى أوله يعرفه بأنه انفعال وفى آخره يبين أنه هادئ، فهل يتلاقى اللفظان ويتفق المعنيان أم يظلان على ذلك الحال لا يتلاقيان؟

---

(١) دكتور / أسعد رزق – مراجعة الدكتور عبدالله عبدالدايم – موسوعة علم النفس ص١٩٨ – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط٢ ١٩٧٩م.

(٢) دكتور / طلعت منصور وآخرون – أسس علم النفس العام ص٤٥٠ – م الأنجلو المصرية عام ١٩٨١م.

(٣) العلامة شيخ الإسلام عبدالرحمن الأخضرى – حاشية الأخضرى على سُلمه ص٢٣ – طبعة الحلبى بهامشه إيضاح المبهم فى معانى السلم للعلامة الشيخ أحمد الدمنهورى.

(٤) العلامة شيخ الإسلام إبراهيم الباجورى – حاشية الباجورى على شرح السلم ص٣٧ – طبعة الحلبى الأخيرة ١٩٣٨م.

(٥) الدكتور محمد حسينى موسى محمد الغزالى – الغزاليات فى منطق التصورات ص٥٧١ – طبعة آل بسيونى – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م.

* **هو انفعال أكثر شيوعا بين الأطفال الصغار من الخوف؛ لأنه عادة ما يوجد فى حياة الطفل مواقف تبعث على الغضب أكثر مما تبعثه على الخوف، ويتعلم الطفل بسرعة أن الغضب لا يزيد فحسب من القيود المفروضة عليه، لكنه يكون أيضا وسيلة لجذب الانتباه[1].**

وهو من التعاريف المبهمة ، إذ أن صاحبه يقرر أنه انفعال أكثر شيوعا. ولم يحدد الأقل منه ، كما لم يخبر عن المتساوى معه ، وإذا لم يخبر التعريف عن المتساوى أو الأقل ؛ فإن هذا التعريف لا يكون أمر التمسك به مقبولاً فى نفس الوقت ، فإن إهماله أولى من إعماله[2].

فى نفس الوقت ؛ فإنه قد علق تعريف الغضب على شريحة صغيرة هى شريحة الأطفال ، كما هو معروف من أن العمر السنى للطفل يبدأ من لحظة ولادته حتى انتهائه من رضاعته ، وربما امتد إلى سنوات وهى مرحلة إدخاله إلى رياض التعليم[3].

مع ملاحظة أن ذلك ينصب على الأسوياء منهم فقط، وهو لا يقدم معرفة متكاملة. ومن ثم فلا يكون تعريفا منطبقا على الغضب ، بقدر ما هو معبر عن جزئية فيه.

* **هو انفعال هام يؤدى وظيفة هامة للإنسان، حيث إنه يساعد على حفظ ذاته، فحينما يغضب الإنسان تزداد طاقته على القيام بالمجهود العضلى العنيف.**

وهو تعريف قد ركز فيه على أحد أنواع الغضب ، وهو الغضب الصحى ، ثم أكد على الجانب الإيجابى فيه بالنسبة للغضبان نفسه[4].

كما أن التعريف قد ركز على حفظ الجسد وحده ، باعتبار أن الذات تحفظ عن طريق الامتداد البيولوجى الذى يقع بين طرفى النوع الواحد ، كما قيل أن أولادنا امتداد لنا بهم حياتنا ، وفيهم تبقى ذواتنا[5].

ومن ثم ؛ فلا يكون ذلك التعريف للغضب متكاملاً عندنا ، لما سبق القول به والالتفات إليه.

---

(١) أسس علم النفس – ص١٥٤ .

(٢) الأعمال والإهمال قاعدتان معروفتان فى العلوم اللغوية والشرعية والمنطقية أيضا مع اختلاف الجهات فى كل منها.

(٣) السيدة تهانى عبدالرشيد صالح – الطفولة وسن الإلزام ص٩٥ – طبعة سعيد أمين ١٩٧٨م – أطروحة علمية سبق دراستها على ناحية أكاديمية بجامعة عين شمس – مركز الطفولة .

(٤) القرآن وعلم النفس – ص١٢٦ وما بعدها .

(٥) دكتور / السيد مصطفى عبدالحليم – أولادنا نحن ص١١٣ طبعة أولى ١٩٧١م .

* **هو حالة نفسية تشعر بها الإنسانية جمعاء، ولكن الفرق بين فرد وآخر هو أن العواطف المثيرة للغضب تختلف من فرد لآخر، وكذلك تختلف أساليب التعبير عن الغضب من فرد لآخر اختلافات بينة، سواء أكانت في أنواعها أم درجاتها، وكذلك تختلف في تراخيها وشدتها من شخص إلى أخر اختلافات واسعة المدى[1].**

وهذا التعريف أكمل من غيره الذى ذكرناه فى التعاريف السالفة، غير أنه وسع فى اللفظ أكثر مما يجرى فى المعنى، باعتبار أن الحالة النفسية على وجه الإطلاق تنطبق على المرء فى النوم واليقظة، مع أننا فى حالات النوم لا نشعر بالغضب باعتبار أن قيد الحفظ والكتمان[2] عندنا فى حالة النوم يكون أضعف.

وبهذا انتهى حديثي عن الغضب لدى علماء النفس من ناحية تقديم تعريف اصطلاحى، وإن كان ذلك لا يكفى إلاّ أنني أرتضيه هاهنا على أساس أن بحثي ليس متخصصا فيه.

ثالثا: عند الفخر الرازى وأبو حيان التوحيدى

نهج علماء الإسلام الكرام فى أبحاث علمية منهجا يتفق مع المعطيات الشرعية حسب فهمهم لما أدلت به النصوص الدينية، ولم يختلف أمرهم مع الغضب عن غيره.

ولذا؛ فقد عرفوا الغضب بعدة تعريفات على ناحية اصطلاحية نذكر منها ما يلى :-

أ- الإمام الفخر الرازى[3]

ذهب العلامة الفخر الرازى إلى أن الغضب هو تغير يحصل عند غليان دم القلب لشهوة الانتقام[4]، سواء أكان ذلك فى الإنسان أم فى غيره.

---

(١) دكتور عبدالعزيز القوصى – أسس الصحة النفسية – النهضة المصرية الحديثة ص٣٦٩ سنة ١٩٧٥م.

(٢) مصطلح أدبى يستخدم فى الدراسات الفنية فى جانب الأعمال المسرحية ذات الهدف المحدد، أما فى الدراسات السيكولوجية، فإنه يعرف بالقوى الإرادية واللاإرادية، فإن كان المرء يقظان؛ فإن القوى الإرادية يظل يتفاعل بطاقتها، أما إذا نام فإن القوى اللاإرادية هى التى تعمل ويحدث بينهما تبادل الظهور والخفاء.

(٣) الفخر الرازى هو صاحب التفسير والتصانيف ويعرف بابن خطيب الري واسمه محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مائتي مصنف منها التفسير الحافل والمطالب العالية والمباحث الشرقية والأربعين وله أصول الفقه والمحصول وغيره وصنف ترجمة الشافعي في مجلد مفيد وفيه غرائب لا يوافق عليها وينسب إليه أشياء عجيبة . ولد رحمه الله سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. وقد كان معظما عند ملوك خوارزم وغيرهم وبنيت له مدارس كثيرة في بلدان شتى، وقد وقع بينه وبين الكرامية في أوقات وكان يبغضهم ويبغضونه ويبالغون في الحط عليه ويبالغ هو أيضا في ذمهم، وقيل إنهم وضعوا عليه من سقاه سما فمات ففرحوا بموته . وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ٦٠٦هـ، ولا كلام في فضله ولا فيما كان يتعاطاه . راجع البداية والنهاية لابن كثير – ترجمة الفخر الرازى – ٣٧٧/١٠. وراجع الإمام فخر الدين الرازى – حياته وآثاره – للدكتور على محمد حسن العماوى – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص٥٠٦ سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م – مؤسسة دار التحرير للنشر والطبع

(٤) العلامة فخر الدين الرازى – مفاتيح الغيب – مجلد ١ ج١ ط١ ص٣١٨ – دار الغد العربى – بيروت.

وهذا التعريف أراه شاملاً الغضب لدى الإنسان والحيوان، باعتبار أنه يغضب ويؤثر غضبه على سلوكياته التى تصدر عنه معبرة كمظهر من المظاهر.

ب- أبو حيان التوحيدى(١)

يعرف العلامة أبو حيان التوحيدى الغضب بأنه : « غليان دم القلب بسبب حصول ما يؤلم »(٢).

وعلى هذا فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام. وإنما تتردد هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات والمهلكات قبل وقوعها إلى التشفى والانتقام بعد وقوعها، والانتقام فوق هذه القوة وشهواتها فيه لذاتها، ولا تسكن إلاّ به(٣).

وهذا التعريف قريب من معطيات اللغة، لكنه دعم ببعض الملاحظات السلوكية، ولذا: فهو مقبول من تلك الناحية فقط، وهو قريب من تعريف الفخر الرازى .

---

(١) محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان – الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسى الغرناطى النفرى نسبة إلى قبيلة البربر. ولد بمطخشاوش – مدينة من حضرة غرناطة فى آواخر شوال سنة أربع وخمس وستمائة. أهم مؤلفاته: البحر المحيط فى التفسير (النهر)، مختصرة أتحاف الاديب بما فى القرآن من الغريب، التذليل والتكميل فى شرح السهيل. وأخيرا قبل موته بقليل مات بالقاهرة فى سفر سنة ... . (طبقات المفسرين – الحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى ت: ٩٤٥ – تحقيق على محمد عمر ج٢ ط١ مطبعة الاستقلال الكبرى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م القاهرة .

(٢) أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى الحيانى الشهير بأبى حيان – البحر المحيط فى التفسير وبهامشه البحر الماد من البحر وكتاب الدار اللقيط من البحر المحيط ج٤ ص٣٩٤ ط٢ – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

(٣) محمد بن محمد بن الحسينى الزبيدى – إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين ج٨ – ص١٠ المطبعة اليمنية بمصر – القاهرة ١٣١١م .

الفصل الثانى

التطور التاريخى لظاهـــرة الغضـــب

تمهيد

دراسة ظاهرة الغضب من الناحية التاريخية تحتاج الرجوع إلى الماضى السحيق، بحيث نعمل على تحريك الأفكار، والغوص بها فى الأعماق، فقد نصل إلى نتيجة لنعرف بمن تأثر مفكرو العهد القديم، وبأى أنواع الغضب يتمسكون، وهل الغضب الإلهى الذى يجرى على ألسنة مؤلفيهم، وتحمله مفردات كتبهم خاص بالإله جل علاه، أم هو غضب غير إلهى نسب إلى الله وحمل نفس الصفات البشرية بكل ما فيها من ضعف وعنف، أم غضب آخر جاء بعيداً كل البعد عن الغضب الإلهى والغضب البشرى، وبالتالى؛ نكون بحاجة إلى التعريف به، والبحث عن تاريخ فكرته، والتطورات التى طرأت عليه والظواهر التى صحبته.

ويذهب البعض إلى أن هناك أمة أو أمما خلقها الله تعالى قبل خلق آدم عليه السلام، وأن تلك الأمة سكنت الأرض على حين كانت الملائكة تسكن السماء، وأن الله تعالى كلف تلك الأمة الشرع الشريف، وأمرهم أن يطيعوه جل علاه، وأن الحق تبارك وتعالى لم يذكر جميع الأنبياء، ولم يحصر جميع الرسل فى القرآن الكريم تخفيفا علينا ورحمة بنا، قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(1).

فالحق تبارك وتعالى أمر هؤلاء القوم أن يلتزموا الأوامر والنواهى إلاَّ أنهم لم يلتزموا شرع الله، كما لم يستجيبوا لتعاليمه، وألزموا أنفسهم المخالفة، وتمسكوا بالعصيان فأذهبهم الله تعالى. قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(2).

---

(١) سورة النساء – الآية ١٦٤ .

(٢) سورة البقرة – الآية ١٣٤، والآية ١٤١ .

ﷺ وقوله تعالى : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(١). وقوله تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾(٢).

كانت تلك الآيات وغيرها التى تدل على ذلك الأمر(٣)، وهو ما سوف ألمح إليه فيما يلى :-

١- غضب جماعة الجن على جماعة البن

فهم كثير من علماء الإسلام مما سبق من الآيات وغيرها مما ورد ذكره فى القرآن الكريم، وما حُكى عن أهل العلم، « أن الله تعالى خلق أمة سكنت الأرض قبل أمة آدم عليه السلام مؤيدين قولهم بما ورد فى القرآن الكريم، ومن بين ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٤) »(٥).

وأن هذه الجماعة هى جماعة البن، فبغت هذه الجماعة واستحقت عقاب الله، فسلط الله عليهم الجن فأبادوهم وسكنوها بعدهم(٦). وبهذا يكون قد انتهى أمرهم على يد الجن، طبقا لما ورد عند صاحب هذا الرأى.

---

(١) سورة الأنعام – الآية ٣٨ .

(٢) سورة النساء – الآية ١٣٣ .

(٣) أعنى بذلك الأمر غضب على الأقوام السابقين على آدم عليه السلام .

(٤) سورة البقرة – الآية ٣٠ .

(٥) أبو الفداء بن كثير – البداية والنهاية م١ ج١ ص٥٥، ص٧١ – دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م . وابن كثير وهو الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى من أشهر مؤلفاته تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية . توفى سنة ٧٧٤هـ . (الطبقات للداودى ج١/١١١) .

(٦) سيد قطب – فى ظلال القرآن – ص٥٦ ج١ – الطبعة الشرعية الثامنة عشر – دار الشروق – بيروت . والعلامة سيد قطب هو شيخ الإسلام سيد بن قطب المفكر الإسلامى المصرى . ولد بأسيوط سنة ١٩٠٦م، وتخرج من كلية دار العلوم، ومن أشهر مؤلفات: العدالة الاجتماعية فى الإسلام، وفى ظلال القرآن، توفى سنة ١٩٦٦م . (الإعلام للزركلى جـ٣ ص١٧٤) .

* **أما الباحث** : فليس لديه دليل على قبول الفكرة أو رفضها، والقاعدة عنده تسليم الأمر لله رب العالمين، والتفويض أسلم، متى كان التعرض لتلك المسائل الغيبية.

وقيل: إن الملائكة ربما فهموا ذلك من القتل وسفك الدم، بناء على تجارب سابقة من الأرض[١]، ويحدد أحد المفسرين هاتين الجماعتين قائلا: هما جماعة الجن وجماعة البن، والذى قال بذلك قتادة[٢]، قد فهموا من الآية الكريمة أن هناك أمة أو أمما سبقت الملائكة فى سكنى الأرض.

◈ **وربما يقال: إن الملائكة تسكن السماء، ولا تسكن الأرض؟**

❖ **والجواب على ذلك:** أن غالبية الملائكة يسكنون السماء، وقليل منهم يسكن الأرض، ومرادنا بسكنى الملائكة الأرض هو سكنى ذلك العدد القليل، ويقول العلامة محمد نووى الشافعى: « الملائكة أجسام نورانية لطيفة بأرواح قادرون على التشكل بأشكال مختلفة فى أشكال حسنة، شأنهم شأن الطاعة، ومسكنهم السماوات غالبا، ومنهم من يسكن الأرض صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى »[٣].

وإن هاتين الجماعتين سبقتا آدم عليه السلام أيضا، وأنهم فسدوا فى الأرض، واستحلوا المحرمات، فجعل الله نهايتهم قائمة وأمورهم منتهية، وأصحاب هذا الرأى يستندون إلى ظواهر نقلية، كما وقفوا على أقوال منسوبة لبعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

من ذلك ما ذكره الإمام الطبرى عن عكرمة عن ابن عباس قال: « إن الله خلق خلقا فقال: اسجدوا لآدم، فقالوا: لا نفعل. قال: فبعث الله عليهم ناراً تحرقهم. ثم خلق خلقا آخر فقال: إنى خالق بشراً من طين فاسجدوا لآدم فأبوا، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقتهم، قال: ثم خلق هؤلاء فقال: ألا تسجدوا لآدم؟ قالوا: نعم. قال: وكان إبليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم »[٤].

---

(١) البداية والنهاية – العلامة أبو الفداء ابن كثير ص٥٥، ٧١ .

(٢) قتادة: هو قتادة بن دعامة بن عزيز السدوس البصرى، من الثقات الإثبات، كان حجة فى الحديث مأمونا. توفى سنة بضع عشرة ومائة . راجع تهذيب التهذيب جـ٨ ص٣١٥، وتقريب التهذيب جـ٢ ص١٢٣ .

(٣) محمد نووى الشافعى – نور الظلام فى شرح منظومة عقيدة العوام ص١٦ – الطبعة الأخيرة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .

(٤) الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ٣١٠هـ – تاريخ الطبرى – تاريخ الأمم والملوك ج١ص٦٠ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ط أولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

فإن صحت تلك الرواية، فقد ثبت أن هناك مغاضبة قد وقعت في الزمن السحيق قبل خلق آدم عليه السلام، وأن تلك المغاضبة كان طرفاها جماعة البن وجماعة الجن، وأن الأخيرة تغلبت تماماً على الأولى وأبادتها، بل أنها محتها من الوجود محوا، بحيث لم يشذّ عن تلك النهاية واحد أبدا.

فكأن الملائكة قايسوا آدم وذريته على تلك الأمم التى تقدمت فى الخلق، فسفكت الدم، واستحلت الإفساد فى الأرض[1]، وقد انقرضت وجاءت الملائكة بأمر الله، فسكنت الأرض بجانب سكنى السماء، حتى خلق الله آدم عليه السلام[2]. وسواء أكان ذلك لجماعة الجن أم لجماعة البن باعتبار أن فسادهم كان قاسما مشتركا.

وذهب الشيخ النجار إلى نفس الرأى حين ذكر : « أن آدم عليه السلام قد خُلق بعد أمة كانت سابقة، وكانت تلك الأمة تسكن الأرض قبله، وتقوم على عمارتها، فلما أفسدوا؛ قضى الله عليهم بالهلاك، وأراد أن يجعل خليفة فى الأرض خلق آدم عليه السلام، وجعل منه نبيين من بعده، وربما ساند هذا الرأى كثيرون مما يذهبون إلى تفسير الآية الكريمة بناء على تلك المعلومات المتأصلة فى نفوسهم »[3].

◈ **وهنا يرد سؤال** : هل كان قضاء الجن على البن بأمر شرعى، بمعنى أن الله تعالى كلف الجن أن يقوموا بتلك المهمة، باعتبار أن الله تعالى إذا غضب على قوم سلط عليهم من يذلهم[4]، أم أنه تنازع للحياة على أرض صغيرة، والمغاضبة التى تمت طلباً للبقاء

(١) العلامة الزمخشرى – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ج١ ص٥ دار المعرفة – بيروت – لبنان دت. والعلامة الزمخشرى هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى الخوارزمى، العلامة النحوى اللغوى، المفسر كبير المعتزلة. ولد سنة ٤٦٧هـ. توفى سنة ٥٣٨هـ، (سير أعلام النبلاء جـ٢٠ ص١٥١، طبقات المفسرين للداودى جـ٢ ص٣١٤).

(٢) العلامة محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير ج١ ص٣٨١ . وابن عاشور : هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكين بتونس، من أشهر مؤلفاته : مقاصد الشريعة الإسلامية، وتفسير التحرير والتنوير. توفى سنة ١٣٩٣هـ. (الأعلام للزركلى جـ٦ ص١٦٤) .

(٣) الشيخ عبدالوهاب النجار – قصص الأنبياء ص٢٤/٢٥ – مكتبة التراث – القاهرة ١٩٨٥م.

(٤) كما حدث مع دعاة اليهودية فى عهود متفاوتة .

وخوفا من الفناء، كما تفعل الدول الكبيرة بالصغيرة[١]، أم أن ذلك قد تم من غير أن تعرف له أسباب ظاهرة أو خفية أن ذلك الأمر غائب عنا، والضرب فيه بسهم قد لا يصيب.

ولذا؛ فالباحث يتمسك بالجزء الأول، وهو: « أن الجن أبادوا البن متى صحت الرواية لدى ناقليها » .

وسؤاء أصحت تلك المسألة أم لم تصح، فإن الأمر عند الباحث فيها مفوض لله تعالى، إذ القاعدة التي يبنى عليها الباحث فكره : « أن ما لم يرد فيه نص قطعي[٢] في وروده[٣] ودلالته، فإن الأمر فيه مفوض لله تعالى (ولا يكلفنا الله ما لا تحتمله عقولنا). قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٤].

* **وبناء عليه**؛ فإن الباحث إذا أصدر رأيا قائما على ما انتهى إليه القول بوجود أمة أو أمم قد سبقت آدم عليه السلام، وأنها كانت من الجن أو من غيرهم.

فإن الأمر المتفق عليه هو وقوع غضب الله عليهم، حتى أذهبهم الله، وجاء بآخرين طبقا لقوله تعالى: : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٥]، وذلك من أفعال الله التي لا نستطيع إلاّ التسليم بها.

(١) ذكرت حوادث التاريخ أن بعض الأمم القوية كانوا إذا تغلبوا على الأمم الصغيرة أبادوها من الوجود واستحلوا ذلك على أنفسهم .

(٢) النص القطعي : هو الذى لا يحتمل سوى معنى واحد فى دلالته، والنص القطعي قطعي الورود، وهو الذى ثبت عن الله تعالى مجيئه على ما جاء من غير زيادة أو نقصان منه. ولذا؛ فالقرآن الكريم قطعي في وروده كله، لأنه كلام الله جل علاه، أما من حيث الدلالة فينقسم إلى قسمين : أ- قطعي الدلالة، فمعناه أن اللفظ الواحد لا يتحمل سوى معنى واحد مثل الأمور المتعلقة بالعقيدة. قال تعالى: ﴿ قل هو الله أحد ﴾، فإن هذه الآية لا تحتمل سوى معنى واحد، هو أن الله واحد وصارت الآية قطعية الدلالة قطعية الثبوت. ب- ظنية الدلالة مثل ما يتعلق بالأحكام وأوائل السور فإنها تحتمل أكثر من معنى. ولذا؛ يجتهد الفقهاء فى المسألة. (راجع الدكتور : محمد حسينى موسى محمد الغزالى – أوراق منسية فى النصوص الفلسفية ص٢٥/٢٢ – مطبعة آل بسيونى للكمبيوتر بغزالة – الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

(٣) مصطلح الورود : هو نفسه مصطلح الثبوت، لكن الأول عند علماء التفسير والتالى من ألفاظ الأصوليين .

(٤) سورة البقرة – من الآية ٢٨٦ .

(٥) سورة البقرة – الآية ٣٠ .

ولاشك أن المسلم متى عرضت له تلك الظواهر فما عليه إلاَّ أن يتوقف حتى لا يضل أو يشقى باعتبار أن ذلك من حيث الحقيقة مما أخفاه الله تعالى عنده، ولم يكلفنا القيام به، بل هو من المسكوت عنه لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾(١)، وما روى عن أبي ثعلبه ﷺ قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وغفل عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها" »(٢).

وعن أبى ثعلبة الخشنى(٣) قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها وترك أشياء من غير نسيان رحمة بكم فلا تبحثوها" »(٤).

---

(١) سورة غافر – الآية ٧٨ .

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر – طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م – باب ثان منه في اتباع الكتاب والسنة ومعرفة الحلال من الحرام. في الحديث رقم: ٧٩٦ ج١ ص١٧١ وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ج١٠ ص١٢ – ما لم يذكر تحريمه – الحديث رقم: ١٩٥٠٩ – طبعة أولى – مجلس دائرة المعارف العثمانية لحيدر آباد الدكن بالهند ١٣٥٥هـ وبهامشه الجوهر النقى . وأخرجه الإمام علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي (٣٠٦هـ–٣٨٥هـ) – سنن الدار قطني ج: ٤ ص: ١٨٣ – الحديث رقم: ٤٢ – دار المعرفة – بيروت – ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م – تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني .

(٣) أبو ثعلبة الخشني صحابي مشهور معروف بكنيته واختلف في اسمه اختلافا كثيرا .وسكن أبو ثعلبة الشام وقيل حمص روى عنه أبو إدريس الخولاني وأبو أمية الشعباني وأبو أسماء الرحبي وسعيد بن المسيب وجبير بن نفير وأبو قلابة ومكحول وآخرون ومنهم من لم يدركه قال بن البرقي تبعا لابن الكلبي كان ممن بايع تحت الشجرة وضرب له بسهمه في خيبر وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى قومه فأسلموا وأخرج بن سعد بسند له إلى محجن بن وهب قال قدم أبو ثعلبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى خيبر فأسلم وخرج معه فشهدها ثم قدم بعد ذلك سبعة نفر من قومه فأسلموا ونزلوا عليه . ومات رحمه الله سنة خمس وسبعين. راجع الإصابة لابن حجر العسقلانى – القسم الأول [من ذُكِرَ له صحبة، وبيان ذلك]. الفصل: ٩٦٥٨ ص٥٨/٦٠ .

(٤) كنز العمال – العلامة علاء الدين المتقى الهندى (طبعة مؤسسة الرسالة ١٩٨٩م) – الباب الثاني في الاعتصام بالكتاب والسنة. في الحديث رقم: ٩٨٠ ، وذكره أبو نعيم الأصفهانى – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج٩ ص١٧ – دار الكتب العلمية – بيروت . وذكر العلامة المتقى الهندى بكنز العمال – الفصل الرابع في الرباعيات. الحديث رقم: ٤٣٤٣٠ . الحديث بلفظ أخر هو : « عن أبي ثعلبة قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى حد حدودا فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وترك أشياء من غير نسيان من ربكم ولكن رحمة منه لكم فاقبلوها ولا تبحثوا عنها » .

وأن هذا الأمر الغيبى وغيره من الأمور التى أخفاها الله عن عباده رحمة بهم؛ لأن عقولهم قد لا تطيقها(١).

وبالتالى؛ فإن وجود أمة من البن أو من الجن أو من غيرهما من الأمم التى كانت قبل أبينا آدم عليه السلام أمر نعتبره من الغيبيات التى سكت الله عنها رحمة بنا ورأفة بعقولنا ورخصة لنا، فالبحث فيها والحكم عليها بالإيجاب أو السلب، إنما نعتبره مغامرة عقلية لسنا نضمن السلامة فيها، وما ذكره الباحث من ناحية وقوع غضب الله عليها، إنما هو باعتبار ما ذكره القائلون بها وترجيحهم لها.

ثانياً غضب الله على إبليس(٢)

بعدما انفرد الجن بالمعيشة الأرضية، راح الآخرون يمارسون نفس الممارسات الغريبة، من كفر بالله، وخروج على شرعه، وتنازع على مطالب الحياة، أدى بجماعة الجن إلى التقاتل المستمر والمغاضبة التى لم تنقطع، بل كانت النهايات لكل مجموعة منهم، تطل برأسها من خلف حصون الجماعة الأخرى، حتى يشد أذنها، ولا تختفى عنها، وكأنى بالمثل القائل: « وتطل من رأسى الظنون تلومنى وتشد أذنى » .

فراحت كل جماعة أو مجموعة تقاتل الأخرى بغياً وعدواً، وتبحث عن طرق إفنائها، حتى كلف الله الملائكة القضاء على تلك الجماعات المتناحرة من عالم الجن المتدابرة عن شرعه المفسدة فى أرضه السافكة للدماء بغير حق، فما انقضى أمرهم إلاَّ بعد

---

(١) الدكتور محمد حسينى موسى محمد الغزالى – الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى ص٦٠٦ ط٦ سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

(٢) أصل الاسم فى اللغة اليونانية ديابوس، ومعناها المشتكى زوراً والسالب لغيره، وفى العهد الجديد ديا بوليس باعتبارها لغة يونانية، وترجمت إلى العربية بلفظ إبليس، وهو روح شريرة ساقطة، ويسمى شيطان كما يسمى السالب . أما الخطيئة التى سقط فيها فهى الكبرياء، وهو اكبر عدو لله والإنسان، حيث يحرض الإنسان على ارتكاب الشر، وهو أيضا الحية القديمة التى أوقعت حواء فى التجربة، ولذلك دعى قتالا للناس من البرية وكذابا وابا للكذب، وهو يجول دائما من متلمساً يبتلعه حيث يضع له فخاخا، وينصب له شباكاً بقصد إيقاع الضرر والأذى، وله قوة على إعطاء الأرواح النجسة سلطة على البشر، وفى النهاية سيطرح فى بحيرة متقدة من النار والكبريت هو وجنوده، والذين يفعلون الشر، ويكذبون باعتبار أنهم يأتمرون بأمره ويعملون عمله هو وأولاده . (راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٥/١٦) .

أن أفسدوا وفعلوا فى أرض الخلافة ما لا يرضى رب العالمين جل علاه، ولم ينــج منـهم إلاّ إبليس حسب ما أدلت به الروايات التاريخية، ولم يسلم إبليس من المغاضبة، وهـو ما يلمح الباحث إليه فيما يلى:-

أ- عرض الفكرة

يقول ليوتاكسيل : « لقـد وصفـت التـوراة الحيـة وصفـا بلغـت طبيعتـه درجـة جعلت اللاهوتين المسيحيين يُدخلون على الخرافة التوراتية تصحيحهم الخاص بعـد أن رأوا أنها بعيدة عن الحقيقة بعدا غير مقبول. ولكن التصحيح المسـيحى بـدَّل مـا عرضـه سفر التكوين تبديلا كليا يتناقض تماماً مـع روايـة التـوراة، فحسب هـذا التعديـل: إن الشيطان هو الذى أخذ شكل الحية وأغرى زوجة آدم »[1].

يذكر العهد القديم : « أن الحية أمكر وحوش البرية التى صنعها الـرب الإلـه فسألت المرأة[2]: أحقا أمركما الله ألاّ تأكلا مـن جميـع شـجر الجنـة؟ فأجـابت المـرأة: يمكننا أن نأكل من ثمر الجنة كلها ماعدا ثمر الشجرة التـى فـى وسـطها فقـد قـال الله لا تأكلا منه، ولا تلمساه لكى لا تموتا. فقـالت الحيـة للمـرأة: لـن تموتـا، بـل إن الله يعرف أنه حين تأكلان من ثمر هذه الشجرة تنفتح أعينكما فتصيران مثله، قـادرين علـى التمييز بين الخير والشر، وعندما شاهدت المرأة أن الشجرة لذيذة للمأكل وشهية للعيون ومثيرة للنظر؛ قطفت من ثمرها وأكلت، ثم أعطت زوجها أيضـا فـأكل منـها فـانفتحت أعينهما وأدركا أنهما عريانان، فخاطا لأنفسهما مآذر من أوراق التين »[3].

ومفسرو العهد القديم يذهبون إلى أن إبليس قد استنسخ نفســه فـى صـورة حيـة، وجاء متنكـرا فـى شـكلها، وكـان قبـلا كائنـا ملائكيـا[4]، وتمـرد علـى الله فطـرح مـن السماء ... .

---

(١) ليوتاكسيل – التورات كتاب مقدس أم جمع من أساطير ص٢٢ – ترجمة حسان ميخائيل إسحق – ط١/١٩٩٤م.

(٢) هذه المرأة هى حواء حسب ما هو وارد فى ذات السفر من العهد القديم.

(٣) العهد القديم – سفر التكوين ٣: ١–٧ .

(٤) هذا غير صحيح؛ لأن الجن خلقوا من النار، وإبليس مـن الجـن، ولم يكـن مـن الملائكـة. قـال تعـالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَـا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَـنْ أَمْـرِ رَبِّـهِ ﴾ سورة الكـهف – الآيـة ٥٠ وعَـنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: خُلِقَتِ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُـورٍ. وَخُلِـقَ الْجَـانّ مِـنْ مَـارِجٍ مِـنْ نَـارٍ. وَخُلِـقَ آدَمُ مِمّـا وُصِـفَ لَكُمْ » الحديث رواه الإمام مسلم بصحيحـه – بـاب في أحـاديث متفرقـة. في الحديـث رقم: (٢٩٩٦) . وذكره الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم ج١٨ص١٢٣ – باب في الفار وأنه مسخ – فى الحديـث رقم: ٦٠ (ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٣٤٩هـ) . وقال الإمام النووى : [وقوله صلى الله عليه وسلم: »وخلـق الجان من مارج من نار« الجان الجن والمارج اللهب المختلط بسواد النار] .

ثم راح يجرب حواء، ويجعلها تشك فى صلاح الله، فقد أوحى إليها أن الله لا يريد أن تشاركه حواء فى معرفته للخير والشر، وأنه ركز نظرها على الشيء الوحيد الذى لا تستطيع الحصول عليه، وهو أن تكون كالله تماماً بتمام(١).

لقد لوث الشيطان تفكيرها حينما خدعها بقوله لها: إن أكلتى من الشجرة تصيرى مثل الله، وفى نفس الوقت يريد أن يبين لها أن الخطيئة لذيذة، وهى أصعب الخطايا فى تجنبها.

وبالتالى؛ فإن العهد القديم ومفسريه يختلفون حول الحية والشيطان(٢)، ويتفقون على أن مرتكبة الكبيرة هى حواء التى نظرت إلى الثمار المنهى عنها(٣).

ثم أخذت منها، ثم أكلت، وفوق ذلك أنها أعطت زوجها، وبالتالى خسرت المعركة، وإذ أنها أخطأت ثم دفعت بزوجها إلى نفس الخطيئة، ومن ثم اختار آدم وحواء من وجهة نظر العهد القديم ومفسريه طريق العصيان. أما لماذا؟

فلأن الله قدوس فقد أختار طريقة وأوقع بآدم وحواء عقوبة شديدة الصرامة. فكل كائن له فى هذا العالم قد ورث الطبيعة الخاطئة من آدم وحواء(٤).

والدارس لا يجد صعوبة فى الوقوف على مفردات العهد القديم؛ لأنها واضحة صريحة فى أن الحية أمكر وحوش البرية، وأن الشيطان استطاع اقتناص الفرصة والتنكر فى شكلها الخبيث.

وذلك كله مما يؤكد تخالف النصوص الثابتة فى العهد القديم على النصوص المفسرة للعهد القديم، والتى تعبر عن فكرهم، حيث يؤكد العهد القديم أنها حية زاحفة من حيوانات البرية، بينما يؤكد مفسروه أنبه الشيطان الذى كان ملكاً ثم تنكر فى صورة حية ولا يمكن الجمع بين القولين على ناحية مقبولة أبدا.

---

(١) التفسير التطبيقى ص١٣/١٢ .

(٢) هذا الاختلاف راجع إلى تصور الفرق اليهودية والمسيحية لطبيعة كل من الشيطان والحية والملائكة . (راجع فى ذلك : ليوتاكسيل – التورات كتاب مقدس أم جمع من أساطير ص٢٣ وما بعدها) .

(٣) يذهب الكثيرون من أصحاب العهد القديم إلى أنها شجرة معرفة الخير والشر ويسمونها التفاح. (ليوتاكسيل – التورات كتاب مقدس أم جمع من أساطير ص٢٣ وما بعدها).

(٤) التفسير التطبيقى ص١٣ .

على كل؛ فإن الأمر عندهم يؤكد ظهور غضب الله علـى ثـلاث كائنـات مسـتقلة فى العهد القديم بالنسبة لتلك الواقعة حسب الروايات المتوفرة لدىّ عنهم.

الكائن الأول : الحية[١]

الحية التى تمثل الشيطان[٢]، أو دخل الشيطان فيـها. ولـذا؛ لما غضب الرب عليها عندهم قال لها: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من بين جميع البهائم. ومن جميـع وحوش البرية على بطنك تسعين ومن التراب تأكلين طوال حياتك وأثير عداوة دائمـة بينك وبين المرأة، وكذلك نسليكما هو يسحق رأسك وأنت تلدغين عقبه »[٣].

وبالتالى؛ فإن غضب الرب على الحية التى كانت حظها العاثر قد أوقعـها فـى تمثل الشيطان بها، أو تنكره فى صورتها، قد حكـم عليـها بالعقاب المستمر، واللعـن الدائم، بجانب المكارة التى لا تنقطع، والعداوة المتوارثة بين نسل الحية ونسل المرأة.

---

(١) الحية حيوان يزحف على بطنه له رأس وذنب، لكن ليس لها أطـراف وتسمى نحـاس، وإذ تتلـوى فـى سـيرها يكون فمها معرضا للاحتكاك بالتراب الذى تلمسه، ولدغت بعض أنواعـها تصب سما مميتا فـى الجـرح، وهـى موجودة فى البرية والمناطق المأهولة وعلى الطرق والسياجات وغيرها. والحيات المحرقة التى لدغت بنى إسرائيل فى البرية وسببت الموت كانت نوعا من الحيات الموجودة فى الصحراء العربية وفى غيرها لـن تحـدث لدغتـه ألماً ناريا محرقا من الالتهاب والعطش.وحية التجربة كانت فى المظهر حية عادية، ولكنها تفوق وحوش البريـة فـى المكـر والدهـاء، وبعدمـا تورطـت فـى تجربـة الإنسـان لُعنـت مـن بـين الوحـوش . (قـاموس الكتـاب المقدس ص٣٣٢/٣٣٣).

(٢) الشيطان يسمى فى اليونانية (ديابولس) ومعناها مشتك، وهو ترجمة للكلمة العبرية، ومعناهـا مقاوم، ويسـمى أبدون وأبولويون ومعناه مهلك وملاك للهاويـة، ويسـمي أيضـا بأسماء كثيرة منـها بعلزيـول - بلعيـان ورئيـس الشياطين هو الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية، وهو الحية القديمة أيضا، وهو كائن حقيقـى أعلـى شأنا مـن الإنسان، ورئيس رتبة ، فى الأرواح النجسة، أما طبيعته فهى روحية، وهو ملاك سقط بسبب الكبرياء، ورغـم ذلك، فهو يمتاز بكل امتيازات هذه الرتبة من الكائنات. وهو خبيث وعدو لله، وهو إله هذا العالم وعـدو الإنسـان اللدود؛ لأنه منذ أخضع آدم وحواء فى جنـة عـدن أخضع كـل جنس تحت صولتـه الظالمة؛ لأنـه خـدع الجميـع والأرواح الشريرة شياطين؛ لأنها مرسلة من قبل الشيطان، وتحت أمره وسلطانه. ومـن المعـروف أن تلك الأرواح الشريرة تدخل للناس والبهائم فتحدث منهم أعراض الجنون والصرع، وكأن دخول الشيطان للنـاس أمـرا حقيقيـا ظهر على هيئة أمراض جسدية وعقلية.(قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٣/٥٣٥) .

(٣) العهد القديم – سفر التكوين ٣ : ١٤–١٥ .

والتى تقوم على العداوة المستمرة، وتربص كل منهما بالأخر، حتى فى الأنسال، وتظهر آثار تلك العداوة فى المطاردة والقتل.

ويستغرب أحد مفكريهم من حكاية خداع الحية للمرأة، ويقول: « لم يسق لنا العهد القديم المفردات التى أقنعت بها حواء آدم زوجها، ليأكل من تلك الشجرة المحرمة. كل ما فى الأمر أن العهد القديم ألقى للعقل بأن يتحمل وجود تحرش مستمر بين حواء وزوجها، وأنها استطاعت بحيلة أو بأخرى إيقاعه فى الأكل من تلك الشجرة »(١).

* **والذى ألحظه وأميل إليه أن غضب الرب على الحية طبقا لرواية العهد القديم ومفسريه تمثل فى :**

[أ] الحكم عليها باللعن المستمر: يقول العهد القديم: « لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من بين جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية »(٢).

[ب] الزحفُ على البطن بين جنبات الأرض: يذكر العهد القديم « وعلى بطنك تستعين »(٣).

[جـ] الأكل من التراب طيلة الحياة، بحيث لا تخرج عنه أبدا، يطالعنا العهد القديم: « ومن التراب تأكلين طيلة حياتك »(٤).

[د] إقامة العداوة الدائمة والمستمرة بين نسل الحية ونسل المرأة. يحدثنا العهد القديم: (وأثير عداوة دائمة بينك وبين المرأة وكذلك بين نسليكما)(٥).

[هـ] موت الحيات يكون عن طريق سحق الرؤوس ويشير إلى ذلك العهد القديم قائلا: « هو يسحق رأسك وأنت تلدغين عقبه »(٦).

(١) ليوتاكسيل – التورات كتاب مقدس أم جمع من أساطير ص٢٥ .

(٢) العهد القديم – التكوين ٣ : ١٤ .

(٣) العهد القديم – سفر التكوين ٣ : ١٤ .

(٤) العهد القديم – التكوين ٣ : ١٤ .

(٥) العهد القديم – التكوين ٣ : ١٥ .

(٦) العهد القديم – التكوين ٣ : ١٥ .

ويعلق ليوتاكسيل على تلك العقوبات التى نزلت بالحية، ويرى أنها تؤكد تأكيداً قاطعاً على أن « اللاهوتين يكذبون بفظاظة عندما يرون الشيطان فى هذه الأفعى وينسبون إليه غواية المرأة، ودفع الجنس البشرى إلى هاوية الخطيئة الأصلية. فلو كان الشيطان هو الذى أذنب؛ لنزلت العقوبة به، وليس بالحية البريئة »(١).

الكائن الثانى: المرأة [حواء(٢)]

يذكر العهد القديم أن الرب غضب على المرأة غضبا شديدا، وأنه قرر معاقبتها عقابا لا ينقطع هذا العقاب؛ لأنها استجابت للحية وأكلت من الشجرة. فقال لها أكثر تكثيرا أوجاع مخاضك فتنجين بالآلام أولادا، وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يتسلط عليك(٣).

إذن حواء استطاعت أن تقنع زوجها، وأن تقع فى الخطيئة مصاحبة له، كأنها لا تريد ألا تكون وحدها المخطئة، وإنما لابد أن يشاركها زوجها، ولذا؛ يعاقب الرب آدم على جعله حواء زوجا له(٤).

ويذهب مفسرو العهد القديم إلى أن آدم ألقى اللوم على حواء قائلا للرب: إنها المرأة التى جعلتها رفيقة لى، هى التى أطعمتنى من ثمر الشجرة فأكلت(٥)، ولو لم تكن تلك المرأة معى لاستطعت أن أمسك بزمام نفسى، وأتمتع بكل حريتى.

---

(١) ليوتاكسيل – التورات كتاب مقدس أم جمع من أساطير ص٢٥ .

(٢) حواء اسم عبرى معناه حياة، الاسم الذى أعطاه آدم للمرأة الأولى؛ لأنها أم لكل حى حالا بعد خلقه، أحضرت إليه لكى تكون معينا له، وقد تكونت حواء من جنب آدم، مع أنه يسود عليها وهى تخضع له، ولكى يمتحن طاعتهما منعهما من أن يذوقا ثمر الشجرة، لكن الحية تحت تأثير شيطانى قادت حواء فى الشك فى صلاح الله، ثم إلى أكل الشجرة المحرمة، ثم النهى على آدم أن يأكل هو الأخر، فأكل منها وشاركها ذنبها، وكانت النتيجة سقوط الإنسان، وطرد الزوجين المذنبين من الجنة . (قاموس الكتاب المقدس ص٣٢٨) . وهذا ما لا اتفق معهم عليه فيه. ولا يتفق معهم أى مفكر مسلم يستمد أفكاره من الكتاب والسنة النبوية المطهرة، وصارت حواء على التوالى أم قايين وشيث وهابيل وبنين وبنات آخرين. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٣٢٨).

(٣) العهد القديم – التكوين ٣ : ١٦ .

(٤) كما يتضح ذلك عند الحديث عن آدم ووقوع الغضب عليه.

(٥) التفسير التطبيقى ص١٥ .

فآدم ألقى اللوم على حـواء، وحـواء ألقـت اللـوم علـى الحيـة، وراح كـل منـهم يتساقط فى حبال الآخر، ويتعلق بها متلمسا الأعذار، لائما غـيره كمـا يفعـل الكثـيرون ممن فقدوا عنصر الإيمان وافتقدوا الشجاعة الأدبية.

لكن الحية ربما كانت التى وقفت وحدها صامدة لم تلق همـها علـى الآخريـن. وكأنها تريد أن تقول : إنى أستطيع غلبة الجميع ولا سلطان لأحد على وأتحمل وزر ما أقع فيه، فأنا المسئولة عنه وحدى، رغم أنها حيوان زاحف .

ولا شك أن فكرة أكل حواء من الشجرة أو إطعـام زوجـها ثانيـا، فكـرة سـاذجة يتبناها مفسرو العهد القديم، كما تبناها مؤلفـوه تماما بتمـام، باعتبـار أن المـرأة عندهـم ملعونة، أما الرجال فهم أبناء الرب، الذين جاءوا من بيت الرب، وذلـك مـدون عندهـم فى ثقافتهم القديمة التى اقتبوسها من (الأمم الأخرى)[1].

◄◄ مظاهر الغضب على المرأة حسب رواية العهد القديم :

[أ] تكثـير الآلام جـداً فـى المخـاض. يقـول العــهد القديــم: « أكــثر تكثــيرا أوجــاع مخـاضك »[2].

---

(١) يذكر العهد القديم : « وحدث لما ابتدأ الناس يتكاثرون على سطح الأرض، وولد لهم بنات انجذبت أنظـار أبنـاء الله إلى بنات الناس فرأوا أنهن جميلات، فاتخذوا لأنفسهم منهن زوجات حسب ما طاب لهم، فقال الرب لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر، وتكون أيامه مئـة وعشـرين سـنة، كـان فـى الأرض طغـاة فـى تلـك الأيام، وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنوا الله على بنات الناس، وولدن لهم أولاد هؤلاء هم الجبـابرة الذيـن منـذ الدهـر ذوو اسم »(سفر التكوين الإصحاح ٦ : ١٠٠/٤).

وبالتالى؛ فأبناء الرب ذكورا وأبناء الناس بنات، واليهود يعتبرون أنفسهم أبناء الرب، لأنــهم مـن أبنـاء ولده. وليس من الصواب القول: بأن أبناء الله هم الملائكة؛ لأن الملائكة لا يتزوجون ولا يلدون، وإنما هم أبناء على الحقيقة،كما يجرى فى أفهام الوثنين جميعا على أنهم يذكرون عبارة: « فى البدء كان الكلمـة، وأن الكلمـة التـى خرجت من فم الرب صارت فيها إنسان الرب، وهو الذى يأكل ويشرب ويلعن ويُلعن، ويغلـب ويُغلـب. (التفسـير التطبيقى ص٨) وهم يقيسون ذلك من أمثلة صارت بينهم، فصارت الأمثال الحقيقة كقولهم: « نضع الإنسان على صورتنا كمثالنا لا يفترق عنا ولا يختلف فى ملامحه عن الملامح التى تجرى لنا ». وهذا لاشـك ضـلال مبـين؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ ليس كثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (سورة الشورى – الآية ١١) .

(٢) العهد القديم – التكوين ٣ : ١٦ .

[ب] ازدياد الآلام لحظة خروج الجنين من الرحم. يذكر العهد القديم: « فتنجبين بالآلام أولادا »[١].

[ج] وقوعها عبدة للزوج. يطالعنا العهد القديم: « وإلى زوجك يكون اشتياقك »[٢].

[د] تسلط الزوج عليها إلى أبعد حد. يحدثنا العهد القديم: « وهو يتسلط عليك »[٣].

[هـ] اشتياقها إليه، بحيث لا يمكنها مقاومته. يشير العهد القديم: « إلى زوجك يكون اشتياقك »[٤].

الكائن الثالث: آدم[٥]

آدم أبو البشرية وزوج حواء الذى وقع عليه غضب الرب حسب رواية العهد القديم هو الأخر لا لسبب إلاّ أنه أذعن لقول امرأته وأكل من الشجرة التى نهى عن الأكل منها[٦].

ولكن يتبادر إلى الذهن سؤال: كيف أكلت حواء، وكيف أعطت زوجها، وهل تناولت ثمرة التفاح ثم قضمت منها بأسنانها، وأخيراً أعطت زوجها ما بقى معها من التفاحة، وهل الذى أكله من تلك التفاحة يتساوى مع حجم الكمية التى أكلتها حواء؟

إن العهد القديم يغرق قارءه فى تلك المسألة كما لم يكشف لنا عن طبيعة تلك الشجرة، من حيث أكلها، وهل تم ذلك بقشرتها؟ أم بشيء غير ذلك.

---

(١) العهد القديم – التكوين ٣ : ١٦ .

(٢) العهد القديم – التكوين ٣ : ١٦ .

(٣) العهد القديم – التكوين ٣ : ١٦ .

(٤) العهد القديم – التكوين ٣ : ١٦ .

(٥) آدم لفظ شائع يدل على مجموعة كبيرة من المعانى تدل على الإنسان الأول، الذى هو كفرد واحد، وتساوى لفظ إنسان الذى هو شخص محدد، وهو أب لكل البشرية، وهو جدنا، وقد خلقه الله على صورته، ثم جاء جميع البشر منه. (معجم اللاهوت الكتابى ص٢٥/٢٦) .

(٦) يذهب بعض اللاهوتين إلى أنها شجرة فى وسط الجنة من غير تحديد لنوعها، بينما يذهب غيرهم إلى أنها شجرة التفاح، ويذهب فريق ثالث إلى غير ذلك مما يؤكد أن المسألة فى دور التخمين قائمة، وليس لها فى الأصول قاعدة.

فى نفس الوقت؛ فإنه يثير الدهشة والاستغراب، ويجعل رأس العاقل تدور باعتبار أنها معلومات غير مستوفاة فى أسسها التى تقوم عليها.

لكن الذى ينتهون إليه هو أن آدم أكل من الشجرة المهنى عنها والأرض ملعونة، بسببه يقتات منها طول حياته بالمشقة شوكا وحسكا تنبت لك وأنت تأكل عشب الحقل بعرق جبينك، تكسب عيشك حتى تعود إلى الأرض. فمن تراب أخذت وإلى تراب تعود(١).

أجل؛ إن العهد القديم يصور آدم كمرتكب لخطيئة ليس فيها مجال للتسامح، كما يصور الإله بصورة المتكبر القاسي، الذى لا يعرف شيئا عن الرحمة أو التسامح، فكأن آدم والرب من وجهة نظر العهد القديم عدوان كل منهما يتربص بالأخر، وذلك مما يؤكد ما انتهيت إليه من أن كتاب العهد ومفسريه أخذوا الثقافات الوثنية ثم أخرجوها أسفارا حسبوها مقدسة، وما بها شيء مقدس.

لكن مظاهر غضب الرب عندهم تمثلت فى كل من :

[أ] جفاف عوامل الإنبات الطبيعية فى الأرض، وأن الأرض ملعونة بسببه. ويقصد باللعن هنا أن الأرض لا تنبت دون مجهود آدم. يقول العهد القديم : « لأنك أذعنت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى نهيتك عنها فالأرض ملعونة بسببك »(٢).

[ب] أن تكون حياتك قاسية . يذكر العهد القديم : « وبالمشقة تقتات منها طول عمرك »(٣).

[جـ] حصول قوتك بالمشقة الشديدة . طالعنا العهد القديم قائلا: « وبالمشقة تقتات منها طول عمرك »(٤).

---

(١) العهد القديم – سفر التكوين – ٣ : ١٦ – ١٩ .

(٢) العهد القديم – التكوين ٣ : ١٧ .

(٣) التكوين ٣ : ١٧ .

(٤) التكوين ٣ : ١٧ .

[د] أن يكون قوتك جافا شوكا وحسكا ينبت لك. ويشير إلى ذلك العهد القديم: « شوكا[١] وحسكا[٢] تنبت لك ».

[هـ] أن يكون القوت متعلقا بعشب الحقل القائم على عرق الجبين. يحدثنا العهد القديم قائلا: «بعرق جبينك تكسب عيشك، حتى تعود إلى الأرض »[٣].

وبهذا ينتهى القول إلى أن اتجاهات العهد القديم بشأن ما عرضه فى خطيئة آدم تمثل لونا من ألوان التهافت بكل ما فيه، وأن الرموز الموجودة بداخله لا تعبر عن واقع بقدر ما تعبر عن أفكار خالية تماماً من أوجه القبول عند الدارس الموضوعى الذى يعنيه البحث عن الحقيقة ويسعى إليها.

مناقشة الفكرة

عرضت موقف العهد القديم ومفسريه من قصة حواء مع آدم وأكلهما من الشجرة على النحو الذى ورد ذكره، وهاأنذا أحاول مناقشة ما تم عرضه، وسيكون ذلك على النحو التالى:

أولا: الناحية الدينية[٤]

الملاحظ أن مفكرى العهد القديم ومؤلفيه قد أغرقوا أنفسهم فى مسائل الغيب، ويبدوا أنهم ظنوا فى أنفسهم الإمكانيات على السباحة فى محيطه، فلما حاولوا غرقوا فى أعماق ذلك المحيط الغيبى، الذى لا يملكه أحد إلاّ الله جل علاه.

(١) الشوك من النباتات معروف واحدته شوكه. (لسان العرب - ابن منظور ج٤ ص٢٣٦٢).

(٢) الحَسَكَ: محركة نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم، ورقه كورقة الرجلة وأدق، وعند ورقه شوك ملذذ صلب، وله ثمر شربه يفتت حصى الكليتين والمثانة. (الشيخ مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادى الشيرازى - موشى الحواشى بطراز العلامة الشيخ نصر الهوريف. ويتيم لألىء التقطها مصححة من بحار القول المانوسى للعلامة القرافى بَاب الكاف فصل الحاء ص٢٩٨ - ط. أولى بالمطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٠هـ بنفقة الشيخ السيد عبداللطيف الخطيب وشركاه بمصر.

(٣) التكوين ٣ : ١٧.

(٤) أقصد بتلك الناحية الإسلام، لأنه هو الميزان الدقيق الذى سلمت نصوصه من العبث أو التحريف، كما أن نصوصه المشار إليها هى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة. على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾[1]. ويقول العلامة جلال الدين السيوطى: « إن الحق سبحانه وتعالى يعلم كل ما غاب، ويعلم بكل ما شوهد سبحانه وتعالى العظيم المتعال على خلقه بالقهر »[2].

ثم أنهم ضغطوا على مشاعر الآخرين، فتحدثوا عن حواء أم البشرية حديثا لا يتناسب مع ساقطات أى مجتمع، وذلك مما تبرأ منه ساحة أمنا حواء. فهم وصفوها بالدناءة والتطلع إلى ما عند الآخرين.

إذ أنها عندما شاهدت أن الشجرة لذيذة المأكل، شهية للعيون، مثيرة للنظر؛ قطفت من ثمرها وأكلت فاستحقت الوصف بالتدنى[3]، ولست أدرى كيف تكون هى أمنا جميعا، وتوصف بالتدنى الذى يترفع عنه آحاد الناس مما أرادوا لأنفسهم أن يكونوا من كوامل البشر.

فى نفس الوقت؛ كان القرآن الكريم وهو حديث الله الصادق، وخبره الأكيد لم يحدث عن أن حواء هى التى أخذت وأكلت ثم أعطت زوجها قاصدة إيقاعه فيما هرب منه، وإنما ذكر القرآن الكريم أن آدم عليه السلام إنما فعل ذلك اجتهادا منه، وغلبت ترجيح، وبالتالى؛ اعتبر ذلك من قبيل النسيان، لا من قبيل العزم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[4].

كما أن القرآن الكريم بين أن آدم عليه السلام ابتعد عن هذه الشجرة التى نهاه الله عن أن يأكل منها، فإنه أكل من نوع الشجرة، لكن غير تلك التى وقع له الأمر عندها؛ ظنا منه أن النهى تعلق بذات الشجرة، لا بنفس النوع.

---

(١) سورة الرعد – الآية ٩ .

(٢) تفسير الجلالين – الإمامين جلال الدين السوطى وجلال الدين المحلى – تفسير الجلالين ص٢٠٦ تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل– مطبعة الشمرلى ١٩٧٩م.

(٣) التدنى : تفرق العرب بين دنى بالتخفيف ودنى بالهمزة، ودنئ الهمزة تستعمل للؤم ودنى بالتخفيف تستعمل للخسيس راجع العلامة أحمد بن محمد بن على المقرى الفتوحى (ت: ٧٧هـ) – المصباح المنير – مادة دنا باب الدال ج١ – ص٣٠٩ – ط٢،١ – المطابع الأميرية بمصر ١٩٠٩م.

(٤) سورة طه – الآية ١١٥ .

ﷻ قال تعالى : ﴿فَوَسْوَسَ(١) إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا(٢) يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾(٣).

❁ **يقول العلامة الطاهر بن عاشور** : « وفى تعليق النهى بقربان الشجرة؛ إشارة إلى منزع سد الذرائع، وهو أصل من أصول، مذهب الإمام مالك – رحمه الله – والإشارة ﴿بهذه﴾ إلى شجرة مرئية لآدم وزوجه – عليهما السلام – والمراد شجرة من نوعها، أو كانت شجرة وحيدة فى الجنة »(٤).

❁ **ويقول صاحب البحر المحيط** : « فى قوله ﴿ ولا تقربا ﴾ مبالغة فى النهى عن قربان الشيء آكد من النهى عن الشيء، وإن كان المعنى لا تقربا هذه الشجرة بالأكل »(٥).

وقال بعض الحداق كما ذكر ذلك ابن عطية المفسر – رحمه الله – : « إن الله لما أراد النهى عن أكل الشجرة؛ نهى عنه بلفظة تقتضى الأكل مما يدعو إليه. وهو القرب »(٦).

وعن ماهية الشجرة المنهى عنها قال صاحب البحر المحيط : « قيل هى الكرم؛ ولذلك حرمت علينا الخمر، وقيل هى السنبلة، وقيل التين، وقيل الكافور، وقيل شجرة لعلم عليها من كل لون من أكل منها علم الخير والشر، وقيل شجرة الخلد تأكل منها الملائكة، وقيل شجرة من أكل منها أحدث، وقيل شجرة لم يعلمنا الله ما هى، وهذا هو الأظهر »(٧).

---

(١) تقول العرب وسوس الشيطان إليه : حدثه بما لا نفع فيه – (المعجم الوجيز – مادة وسوس باب الواو ص٦٦٩).

(٢) طفق بمعنى واصل الفعل. طالعتنا مصادر العربية قائلة : طفقا طفوقا إذا واصل الفعل خاص بالإثبات لا النفى . (القاموس المحيط – العلامة الفيروز آبادى – ج٣ ص٥٨ باب القاف فصل الطاء).

(٣) سورة طه الآيات ١٢٠/١٢٢ .

(٤) التحرير والتنوير – العلامة الطاهر بن عاشور (٤٣٢/١) .

(٥) تفسير البحر المحيط (١٥٨/١) .

(٦) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي – تحقيق الأستاذ / عبدالسلام عبدالشافى (١٢٦/١) – دار الكتب العلمية .

(٧) البحر المحيط (١٥٨/١) – دار الفكر .

وعن كون كيفية تغرير الشيطان بآدم وزوجه ؛ يقول الدكتور عبدالغنى الراجحى : « الفاء فى قوله تعالى ﴿ فأزلهما ﴾ معطوفة على محذوف مقدر أفصحت عنه آيات أخرى فى سورتى الأعراف وطه والتقدير ، فوسوس لهما فأكلا منها فأزلهما أى أوقعهما فى الزلل والخطيئة بسببها ، أى بسبب الشجرة ، أو أزلهما والمعنيان متلاقيان »(١).

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور : « الفاء عاطفة على قوله ﴿ ولا تقربا ﴾ وحقها إفادة التعقيب ، فيكون التعقيب عرفيا ؛ لأن وقوع الإزلال مجاز فى الإخراج بكرهٍ ، والمراد منه الهبوط من الجنة مكرهين »(٢).

وقال بعض العلماء الذين كتبوا فى هذا الموضوع : « وثمة غريزة ثالثة تعرضها علينا القصة الكريمة هى غريزة الملك ، وهى القوة التى ناغاها إبليس فى آدم ، ونبهها فى نفسه لأول مرة ، وهو يقول ﴿ " هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى" ﴾ .وقد أكل آدم عليه السلام من الشجرة استجابة لداعى تلك القوة الغريزية ، التى تتسرع إلى ملك ما يمكن تملكه »(٣).

وعن ما ترتب عن المعصية يقول الإمام الطبرى – رحمه الله – معلقا على هذا المقطع من المشهد القرآنى : « قوله تعالى ﴿ " فلما ذاقا الشجرة " ﴾ فلما ذاقا آدم وحواء – عليهما السلام – ثمرة الجنة ، يقول : طعماه بدت لهما سوءاتهما – انكشف لهما سوءاتهما ؛ لأن الله أعراهما من الكسوة التى كان كساهما قبل الذنب والخطيئة . فسلبهما ذلك بالخطيئة التى أخطأ أو المعصية التى ركبا ﴿ " وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة " ﴾ ، أقبلا وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليواريا سوءاتهما »(٤).

وعن أثر المعصية على آدم وزوجه : يقول الدكتور محمد الطيب النجار : « وكأنما أراد الله آدم وحواء أن يريا الجنة بما فيها من نعيم ، ثم ينزلان إلى الأرض بما

(١) آدم عليه السلام كما تحدث القرآن الكريم – الأستاذ / عبدالغنى الراجحى ص٧٦ – مؤسسة مكة المكرمة .

(٢) التحرير والتنوير – الأستاذ الطاهر بن عاشور (٤٣٤/١) .

(٣) آدم عليه السلام (فلسفة تقويم الإنسان) الأستاذ البهى الخولى ص١٧٤ – مكتبة وهبة .

(٤) جامع البيان – الإمام الطبرى – المجلد لخامس – الجزء الثامن ص١٠٥.

فيها من شقاء وبلاء، حتى يتبين لهما أثر المعصية فى شقاء الإنسان وبلائه. ونتيجة الطاعة في سعادته وهنائه »[1].

ومن ثم فلا تكون حواء هى التى أكلت وأعطت زوجها، أو أنها قصدت إلى ذلك الفعل فضلا عن أن تكون هى التى خاطبها الرب أو خوطبت منه، فلو خاطبها الرب وخوطبت منه؛ لكانت نبية، ولو خاطب الحية؛ لكانت هى الأخرى نبية، ولم يقل بذلك عاقل أبدا.

ثانيا: تناقض[2] النصوص

تتناقض نصوص العهد القديم تناقضا غريبا، فهى تقرن بين الحية والشيطان، وتجعل كلا منهما متدخلا فى الآخر، بحيث يصعب التعرف على هوية كل منهما استقلالا، وهذا ما يخالف نصوصهم ذاتها، التى تحدثت عن الشيطان كوحدة مستقلة، حيث إنهم يذهبون إلى أن الشيطان كائن حقيقى، وهو أعلى شأنا من الإنسان ورئيس رتبة فى الأرواح النجسة[3].

كما تحدثت عن الحية كوحدة مستقلة، وذكرت أنها حيوان يزحف على بطنه، لها رأس وذنب، لكن لها أطراف، وتتلوى فى سيرها، بحيث يكون فمها معرضا للاحتكاك بالتراب الذى تلمسه[4]، فإذا تم الخلط بينهما فمعناه وقوع النصوص فى التضارب الذى لا يمكن التوفيق بين أجزائه؛ والمعروف أن الجمع بين النقيضين محال.

وإذا كان الثابت لدى مفسرى العهد القديم وكتابه؛ أنهم لا يقرون بتوثيق كتبهم، كما لا يعترفون بأنها صحيحة النسبة إلى نبى الله موسى، وبالتالى؛ فقد حكموا

---

(١) تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن والسنة – الدكتور / محمد الطيب النجار ص٥٢ – دار الطباعة المحمدية بالقاهرة – الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.).

(٢) التناقض حينما يكون خاص بالأقوال، يكون بمعنى التحالف والتدافع، وفى ذلك تشير النصوص العربية قائلة: تناقض القولان تخالفا وتدافعا (المعلم بطرس البستان – قطر المحيط – مادة نقض – باب النون ج٢ ص٢٢٢٤).

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٣/٥٣٤ .

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٢ .

عليها بأنها منقطعة السند[١] مضطربة المتن؛ فإن التصديق بها أو الاعتماد على ما فيها. يكون ضربا من الخيال، بل من قبيل الأساطير. وحينئذ لا يكون هناك مصدر موثوق بـه إلا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، من أن الذى اجتهد هـو آدم عليه السلام. وأن اجتهاده لم يكن على باب الأولى، وسماه الله خطئا أو معصية، مـن بـاب حسـنات الأبرار سيئات المقربين، على ما يقرره علماء أهل الإسلام.

ثالثا : القول بالتناسخ

المعروف أن هناك نوعين من التناسخ :-

☆ **أولا:** تناسخ الأجساد.

☆ **ثانيا** : تناسخ الأرواح .

أولا: تناسخ الأجساد

معناه أن أجساد تمت فى الماضى من إنسان أو حيوان أو نبات، ثـم حـدث لهـا هذا الذى يحدث، وهو الموت والبلى[٢]، ثم العود مـرة أخـرى إلى مـادة الـتراب. التـى كانت الأصل الأول، وحينئذ تختلط المادة الترابيـة التـى ظلـت علـى أصلـها مـع المـادة الترابية، التى تحولت من تراب إلى إنسان، ثم عادت إلى التراب مرة أخرى.

ثانيا : تناسخ الأرواح

معناه: أن الأرواح يمكنها تبادل الأجساد، فإذا كـانت الـروح طيبـة، وهـى فـى جسم حيوان؛ أمكنها الترقى حتى تصل إلى الجسد، الذى تكون به دوما لإنسـان أعلـى من الحيوان، وتظل هكذا ترقى متى كانت صالحة[٣]، والتناسخ الجسـدى محـل اتفـاق بين العلماء.

---

(١) المقصود بالسند هو سند كتب العهد القديم والجديد، وأعنى بهما الكتاب المقدس، وليس المقصود به السـند المراد عند مفكرى المسلمين؛ لأن القرآن الكريم وثق بأسانيده كلها المتمثلة فى قراءاته المتواتـرة، ومظاهر توثيـق السـند فيه بينة لا تجحد. قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ سورة الحجر - الآية ٩ . وكذلك السنة النبوية المطهرة الصحيحة، فإنها موثقة السند فـى رجالهـا المعروفـين بـالرواة. (راجع فـى ذلك كتـب الرجـال وطبقات المحدثين فيها دلائل إلى ما أشرت إليه).

(٢) أقصد بذلك الهلاك.

(٣) الدكتـور/ محمـد حسـينى موسـى محمـد الغـزالى - أوراق منسـية فـــى النصـــوص الفلســـفية ص٢٣٦/٢٣٨ - ط٢ آل بسيونى للكمبيوتر بغزالة الخيس شرقية ١٤١٠هـ/١٩٩٩م .

أما التناسخ الروحى فلم يقل به إلا أصحــاب الفكـر الوثنـى، باعتبـار أن وجـود روحين يحلان فى جسـد واحـد، وليـس مـن المعقـول أن تجتمـع الروحـان فيـه. فـإذا افترضنا ما زعمه العهد القديم، بأن الحية ذات الجسد الرطب الطينـى. باعتبـار المادة التى نشأت منها، والشيطان الذى هو مادة نارية الأصل، وقد اجتمع فى جسد واحـد. فلابد أن يهلك كل منهما الأخر، وهذا ما لم يقل به عاقل أصلا.

رابعاً: أن الفكرة لوحظ فيها تقسيم رأسى للعقوبات

تساوى فى ذلك الحية الغير عاقلة مع البشـر العـاقلين، فكـأن الجميـع عقـلاء، وهذا رفع منزلة الحيوان، بحيث يتساوى مع بنى الإنسان فى الدرجـة، وذلـك ينافيـه قول الله تعـالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾(١).

يقول العلامة القرطبى : « والصحيح الذى يعول عليه ؛ أن التفضيـل إنمـا كـان بالعقل، الذى هو عمدة التكـاليف، وبـه يعـرف الله ويفـهم كلامـه، ويوصـل إلى نعيمـة وتصديق رسله »(٢).

ثم أن مسألة تسخير الحيوانات للإنسان، إنما هو من منح الله تعالى. وليس فـى عدله جل علاه، ان يجعل المسخر متساويا مع المتسخر فى درجة التكاليف الشرعية.

قال تعالى: ﴿والبدن(٣) جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾(٤).

---

(١) سورة الإسراء – الآية٧٠ .

(٢) الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (ت:١٢٧٣هـ) – الجامع لأحكام القـرآن (المشـهور بتفسـير القرطبى) – المجلد الخامس – مكتبة الغزالى – دمشق – مؤسسة مناهل العرفان بيروت .

(٣) البدن : جمع مفردها بدنة، وهى ناقة أو بقرة تنحر بمكة قربانا، وكـانوا يسـمونها بذلـك. (المعجـم الوجـيز – باب الباء مادة بدن المطبعة الأميرية – دار التحرير للطبع والنشر ١٩٨٠م) .

(٤) سورة الحج – الآية ٣٦ . وفى تفسير الآية قال صاحبا الجلالين: « والبدن جمع بدنة وهـي الإبـل جعلناهـا لكـم من شعائر الله أعلام دينه لكم فيها خير نفع في الدنيا كما تقدم وأجر في العقبي فاذكروا اسم الله عليها عنـد نحرهـا صواف قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى فإذا وجبت جنوبها سقطت إلى الأرض بعد النحـر وهـو وقـت الأكـل منـها فكلوا منها إن شئتم وأطعموا القانع الذين يقنع بما يعطي ولا يسأل ولا يتعرض والمعتر والسـائل أو المعـترض كذلك أي مثل ذلك التسخير سخرناها لكم بأن تنحر وتركب وإلا فلم تطق لعلكم تشكرون إنعامي عليكم » [راجع تفسير الجلالين ج:١ ص:٤٣٨].

ﷻ وقال أيضا : ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾(١).

قال العلماء : « ملكنا الله تعالى الأنعام والدواب، وذللها لنا. وأباح لنا تسخيرها والانتفاع بها رحمة منه تعالى لنا »(٢).

خامسا : وقوع الظلم فى موقع العدل

إن كتاب العهد القديم ومفسريه قد أوقعوا إلههم فى موقع الظلم، ثم أنهم نسبوا له أنه ساوى بين الحيوان والمرأة فى العقوبة وغفل عن ملاحقة الشيطان الذى تنكر فى صورة الحية، فما ذنب الحية إذن؟

وإذا كان قد تم التنكر فيها أنها لا ذنب لها، ولكنهم رجموا إلههم ووصفوه بالظلم وأوسعوه قدحا(٣) وردحا(٤) – تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا – فالله رب العالمين واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. شأنه العدل، وأمره بين الكاف والنون.

ﷻ قال تعالى : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾(٥).

يقول العلامة ابن كثير : « أى ونضع الموازين العدل ليوم القيامة الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه »(٦).

---

(١) سورة النحل – الآية ٨ . « و خلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة مفعول له والتعليل بهما بتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت بحديث الصحيحين ويخلق ما لا تعلمون من الأشياء العجيبة الغريبة » [راجع تفسير الجلالين ج:١ ص:٣٤٦]

(٢) الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – م١٥ – مكتبة الغزالى – دمشق – مؤسسة مناهل العرفان –بيروت .

(٣) القدح بمعنى الطعن والعيب والنقص. تقول العرب: قدح قدحا فى عرضة طعن فيه وعابه ونقصه . (لويس معلوف – المنجد فى اللغة والأدب والعلوم – ص٦١٠ –باب القاف – مادة قدح المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٩٦م) .

(٤) الردح بمعنى التمكن والثبوت تقول مصادر العربية ردح ردحا تمكن وثبت (راجع لويس معلوف – المنجد فى اللغة والأدب والعلوم– باب الراء مادة ردح ص٢٥٥ .

(٥) سورة الأنبياء – الآية ٤٧

(٦) الإمام الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – تحقيق طه عبدالرءوف ج٥ م٣ ص٢١٤.

ﷺ وقوله تعالى: ﴿ فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾(١). وقال أيضا: ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾(٢). وكما قال جل ثناؤه: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾(٣). وقال لقمان لابنه كما حكى القرآن الكريم: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾(٤).

وفى السنة النبوية المطهرة الصحيحة: « عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان. حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده) »(٥).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص(٦) قال: « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر

(١) سورة الأنبياء – الآية ٤٧
(٢) سورة الكهف – الآية ٤٩
(٣) . سورة النساء – الآية ٤٠ .
(٤) سورة لقمان – الآية ١٦ .
(٥) صحيح البخاري – ج٢ ص٢٣٥٢ – باب: فضل التسبيح في الحديث رقم: ٦٠٤٣. وأخرجه أيضا ج:٦ ص:٢٤٥٩– باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو على نيته – الحديث :٦٣٠٤، والحديث رقم:٧١٢٤ وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، (جـ٤ ص ٢٠٧٢) باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: ٢٦٩٤. وراجع صحيح ابن حبان ج: ٣ ص: ١١٢ ، ذكر التسبيح الذي يحبه الله جل وعلا ويثقل ميزان المرء به في القيامة – الحديث٨٣١ – وأخرجه الترمذى – سنن الترمذي ج:٥ ص:٥١٢ – الحديث :٣٤٦٧ – وأخرجه ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج:٢ ص:١٢٥١ – باب فضل التسبيح – الحديث ٣٨٠٦ . وأخرجه ابن أبى شيبة – مصنف ابن أبي شيبة ج:٦ ص:٥٣ – في ثواب التسبيح – الحديث ٢٩٤١٣. وأخرجه الإمام أحمد – مسند أحمد ج:٢ ص:٢٣٢ – الحديث ٧١٦٧ . والحديث ذكره العلامة العراقى (المتوفى سنة ٨٠٦هـ) فى كتابه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار – كتاب الأذكار والدعوات: الباب الأول في فضيلة الذكر، في الحديث رقم: ٢ . والمراد بـ : [(خفيفتان) سهلتان. (ثقيلتان) في وزن ثوابهما. (حبيبتان) محبوبتان، أي إن الله تعالى يقبلهما ويوصل الخير لقائلهما ويكرمه]. وراجع للعلامة أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلانى – إرشاد السارى لشرح البخارى بهامشه صحيح مسلم بشرح النووى ص٢٣٠ – م٩ – المطبعة الأميرية ببولاق مصر ١٣٢٣ .
(٦) عبدالله بن عمرو بن العاص : عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي كنيته أبو محمد عند الأكثر . روى عن النبي ﷺ كثيرا وعن عمر وأبي الدرداء ومعاذ وابن عوف وعن والده عمرو قال أبو نعيم حدث عنه من الصحابة بن عمر وأبو أمامة والمسور والسائب بن يزيد وأبو الطفيل وعدد وآخرون . وقال ابن سعد أسلم قبل أبيه ويقال لم يكن بين مولدهما إلا اثنتا عشرة سنة أخرجه البخاري عن الشعبي وجزم بن يونس بأن بينهما عشرين سنة.وفي البخاري والبغوي من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة ما أجد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب . قال الواقدي مات بالشام سنة خمس وستين وهو يومئذ بن اثنتين وسبعين. الإصابة فى تمييز الصحابة – (العلامة شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ) رقم: ٤٨٥٠ ص ١٩٧/١٩٣ .

عليه تسعة وتسعين سجلا[1]، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ يقول لا يارب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول لا يارب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال فإنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء" »[2].

ثم إن عدل الله قائم؛ لأن من أسمائه الحسنى[3] [العدل]، وذلك متحقق في الدنيا والآخرة، وآية ذلك قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾[4].

---

(١) السجل هو كتاب القاضي والجمع سجلات وسَجَّل القاضي قضى وحكم وأثبت كلمة في السجل (المصباح المنير– مادة سجل باب السين ص٤٠٨) .

(٢) سنن الترمذي (وشرح العلل) وهو كتاب الجامع الصحيح للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي "٢٠٩– ٢٧٩هـ – باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله. الحديث رقم: ٢٧٧٦ .

(٣) وعن أسماء الله الحسنى روى أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : « "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من أحصاها دخل الجنة » الحديث متفق عليه، رواه الإمام البخاري في باب: ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال مائة: إلا واحدة أو ثنتين – في الحديث رقم: ٢٥٨٥، ٦٠٤٧، ٦٩٥٧، أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، رقم: ٢٦٧٧. والحديث ذكره الإمام النووي في شرح صحيح مسلم الحديث رقم:٦ ج١٧ ص٥ (المطبعة المصرية ومكتبتها) . وروى الترمذي أيضا في الحديث رقم ٣٥٧٤– عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحدة من أحصاها دخل الجنة. هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور".

(٤) سورة الزلزلة – الآيتان ٨/٧ .

يقول الإمام محمد عبده[1] : « من يعمل من الخير أدنى عمل وأصغره ، فإنه يراه ويجد جزاءه. لا فرق في ذلك بين المؤمن والكافر. غاية الأمر أن حسنات الكفار الجاحدين ، لا تصل بهم إلى أن تخلصهم من عذاب الكفر ، فهم به خالدون في الشقاء »[2].

ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، لا فرق في ذلك بين المؤمن والكافر. فالمؤمنون يرون جزاء ما عملوا من شر ، إذا لم يكونوا تابوا عنه ، وليس الجزاء منحصراً في العقاب في دار العذاب ، فمنه ما يكون كذلك ، وهو الجزاء على الكبائر وترك الفرائض ، إذ لم تمحها التوبة الصحيحة ، ومنه ما يكون بنقص في درجة الكرامة ، كجزاء الصغائر ، فإنها وإن لم تدخلك النار ، ولكنها تريك منزلة أحط منزلة من تنزه عنها ، وهذا شرا تراه يقابل الشر ، الذى صنعته[3].

وعن أبى هريرة ﷺ قال : « قال ﷺ : لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى تقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[4].

---

(١) الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركمانى – مفتى الديار المصرية ، من كبار رجال الإصلاح والتجديد. ولد بمصر ، ونشأ فى محلة نصر بالجزية ، توفى سنة ١٩٠٥م . راجع الأعلام للزركلى جـ٦ ص٢٥٢ .

(٢) الشيخ محمد عبده – تفسير جزء عم ص١٣٨ – مطبعة محمد على صبيح ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

(٣) الشيخ محمد عبده – تفسير جزء عم ص١٣٩ – مطبعة محمد على صبيح ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

(٤) صحيح مسلم – باب تحريم الظلم. في الحديث رقم: ٦٠ – (٢٥٨٢) . – والحديث ذكره الإمام النووى فى شرح لصحيح مسلم فى الحديث رقم: ٦٠ م٨ ج١٦ ص١٣٦ ، وراجع سنن الترمذي (وشرح العلل) – كتاب صفة القيامة– باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص – الحديث رقم: ٢٥٣٥. ج٤ ص٦١٤ ، والحديث ذكره الإمام المباركفوري فى تحفة الأحوذي – ص١٥٦٨ ـ باب ما جاء في شان الحساب والقصاص في الحديث رقم: ٢٤٦٥ ، والمراد بـ: [(لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة) هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين. وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة. وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة. قال الله تعالى: وإذا الوحوش حشرت. وإذا ورد لفظ الشرع ، ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع ، وجب حمله على ظاهره. قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة ، المجازاة والعقاب والثواب. وأما القصاص من القرناء والجلحاء فليس هو من قصاص التكليف: إذ لا تكليف عليها. بل هو قصاص مقابلة. وألجلحاء هي الجماء التي لا قرن لها].

وعن أبي ذر[1] ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال « "يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما. فلا تظالموا. يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته. فاستهدوني أهدكم. يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته. فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي! كلكم عار إلا من كسوته.

(١) هو أبو ذر الغفاري الزاهد المشهور الصادق اللهجة مختلف في اسمه واسم أبيه والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن وقيل بن عبدالله وقيل اسمه بربر وقيل بالتصغير والاختلاف في أبيه كذلك إلا في السكن قيل يزيد وعرفة وقيل اسمه هو السكن بن جنادة بن قيس بن بن عمرو بن مليل بلامين مصغرا بن صعير بمهملتين مصغرا بن حرام بمهملتين بن غفار وقيل اسم جده سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار واسم أمه رملة بنت الوقيعة غفارية أيضا ويقال إنه أخو عمرو بن عبسة لأمه وقع في رواية لابن ماجة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر يا جنيدب بالتصغير وهذا الاختلاف في اسمه واسم أبيه أسنده كله بن عساكر إلى قائليه وقال هو إن بريرا تصحيف بريق وكذا زيد ويزيد وعرفة وكان من السابقين إلى الإسلام. وقصة إسلامه في الصحيحين على صفتين بينهما اختلاف ظاهر فعند البخاري من طريق أبي حمزة عن بن عباس قال لما بلغ أبا ذر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخيه اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم ائتني فانطلق الأخ حتى قدم وسمع من قوله ثم رجع إلى أبا ذر فقال له رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ويقول كلاما ما هو بالشعر فقال ما شفيتني مما أردت فتزود وحمل شنة فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فاضطجع فرآه علي فعرف أنه غريب فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يرى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسى فعاد إلى مضجعه فمر به علي فقال أما آن للرجل أن يعرف منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل أحدهما صاحبه عن شيء حتى كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فأقامه فقال ألا تحدثني ما الذي أقدمك قال إن أعطيتني عهدا وميثاقا أن ترشدني فعلت ففعل فأخبره فقال إنه حق وإنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئا أخافه عليك قمت كأني أريق الماء فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه وسمع من قوله فأسلم مكانه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري فقال والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فأكب عليه وقال ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأنه من طريق تجارتكم إلى الشام فأنقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه. وأخرج الطبراني من حديث أبي الدرداء قال: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتدئ أبا ذر إذا حضر ويتفقده إذا غاب ». وأخرج أبو داود وأحمد « عن عبدالله بن عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر ». وروى أبو ذر عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة، وروى عنه أنس وابن عباس وأبو إدريس الخولاني وزيد بن وهب الجهني والأحنف بن قيس وجبير بن نفير وعبدالرحمن بن تميم وسعيد بن المسيب وخالد بن وهبان بن خالة أبي ذر وآخرون. وكانت وفاته بالربذة سنة إحدى وثلاثين وقيل في التي بعدها وعليه الأكثر ويقال إنه صلى عليه عبدالله بن مسعود في قصة رويت بسند لا بأس به وقال المدائني إنه صلى عليه بن مسعود بالربذة ثم قدم المدينة فمات بعده بقليل. راجع الإصابة في تعريف الصحابة لابن حجر العسقلاني – وجدت في: القسم الأول [من ذكر له صحبة، وبيان ذلك].. ٩٨٦٨ – ص١٢٦/١٢٩.

فاستكسوني أكسكم. يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا. فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني. ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم. كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم. ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم. وإنسكم وجنكم. كانوا على أفجر قلب رجل واحد. ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم. وإنسكم وجنكم. قاموا في صعيد واحد فسألوني. فأعطيت كل إنسان مسألته. ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم. ثم أوفيكم إياها. فمن وجد خيرا فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »[1].

إذن ما قدمه العهد القديم فى هذا الشأن ليس مقبولا، على الناحية الشرعية، ولا على الناحية العقلية أو الأخلاقية، وذلك أمرٌكم تمنيت التثبت إليه والوقوف عليه.

سادسا: خداع الشيطان للحية

يذكر العهد القديم ومفسروه « أن الشيطان كان ملاكا تمرد على الرب، فغضب منه وابعد نفسه عنه »[2]. وهنا أصر الشيطان على إنزال الرب إليه، والتحدث معه، وذلك حين تنكر فى شكل حية، وذلك ينفى العلم التام عن الله تعالى، وهو أمر باطل؛ لأن من أسماء الله الحسنى " العليم ".

قال تعالى: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾[3].

وقال أيضا: ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾[4].

---

(١) صحيح مسلم. – باب تحريم الظلم. في الحديث رقم: ٥٥ – (٢٥٧٧)، وراجع صحيح مسلم بشرح النووى – الحديث رقم: ٥٥ – م٨ ج١٦ ص١٣٣، وذكره الترمذى فى سنن الترمذي (وشرح العلل)، فى الحديث رقم: ٢٦١٣ وذكره ابن ماجة فى سننه – باب ذكر الموت والاستعداد. في الحديث رقم: ٤٢٥٧، والمراد بـ: [(إلا كما ينقص المخيط) قال العلماء: هذا تقريب إلى الإفهام. ومعناه لا ينقص شيئا أصلا. كما قال في الحديث الآخر "لا يغيضها نفقة" أي لا ينقصها نفقة. لأن ما عند الله لا يدخله نقص، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني. وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص. فضرب المثل بالمخيط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة. والمقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه. فإن البحر من أعظم المرئيات عيانا وأكبرها. والإبرة من أصغر الموجودات مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء].

(٢) التفسير التطبيقى ص١٣ .

(٣) سورة العنكبوت – الآية ٦٠ .

(٤) سورة القصص – الآية ٦٩ .

قال العلامة الحافظ بن كثير : « وربك يعلم ما تكن الضمائر، وما تنطوى عليه السرائر، كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق »[1].

ﷻ وقال تعالى: ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾[2]. ومن كان ذلك شأنه فيستحيل أن يخدعه أحد أو يتنكر عليه متنكر، ولا يقول بتلك الأفكار سوى أصحاب العقائد الوثنية.

ﷻ قال تعالى: ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾[3].

قال الشيخ أبو بكر الجزائرى: « أخبر تعالى أن فريقا من الناس وهم المنافقون، يدّعون الإيمان بألسنتهم ويضمرون الكفر فى قلوبهم، يخادعون الله والمؤمنين بهذا النفاق. ولما كانت عاقبة خداعهم عائدة عليهم، كانوا بذلك خادعين لأنفسهم لا غيرهم. ولكنهم لا يعلمون كما أخبر الله تعالى أن فى قلوبهم مرضا، هو الشك والنفاق والحسد والحقد، وأنه زادهم مرضا عقوبة لهم فى الدنيا، وتوعدهم بالعذاب الأليم فى الآخرة، بسبب كذبهم وكفرهم »[4].

وأود الإشارة إلى أن العهد القديم لم يتعرض للحديث عن الأحداث التى تمت فى الكون قبل خلق آدم، وهذا معناه أن مؤلفيه اقتصرت ثقافتهم علىّ ذلك الجانب الذى ذكروه، ولو كان عندهم أمر أخر؛ لأذاعوه، سواء أكان ذلك مما يتعلق بالغضب أم غيره.

أما الدين الإسلامى فقد تحدث عن فترة زمنية سبقت خلق الكون، عرفت باسم الزمان المقدر فى علم الله الأزلى، كما أشار إلى الفساد الذى أحاط بالأمة التى سبقت البشرية، كما تحدث عن العقاب الذى حل بهم، فهم قد بغوا وفسدوا.

---

(١) أبو الفداء عماد الدين ابن كثير – تفسير القرآن العظيم م٣ ج٦ ص١٦١ .

(٢) سورة النمل – الآية ٧٥ .

(٣) سورة البقرة – الآيتان ١٠/٩ .

(٤) الشيخ أبو بكر الجزائرى – أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير م١ ط٢ عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م . راسم للدعاية والإعلان بجدة – السعودية . ص٤٤

ﷻ قال تعالى: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾(١). وهم بذلك استحقوا عقاب الله عليهم، حتى جاءهم التبديل على وجه العموم. وهو من الإشارات القرآنية الواضحة فى قوله تعال: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد * إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز﴾(٢).

◈ **فما .. أنواع الغضب إذن ؟**

❖ ذلك ما سوف نتعرض له فى الباب الثانى والثالث من هذا البحث إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة البقرة – الآية ٣٠ .

(٢) سورة فاطر – الآيات ١٥/١٧

الباب الثانى

الغضب الإلهى

تمهيد

لا شك أن الغضب من الألفاظ العربية التى لها دلالة فى اللغة الحاملة لها، ولها كذلك دلالة فى المفاهيم التى تجرى بها على ما سلف بيانه.

ومن البين أن مفكرى العهد القديم؛ قد استخدموا مادة الكلمة على نطاق واسع جاءه ذلك فى أسفارهم(١)، وكتابات مفكريهم(٢).

ولم يكن أصحاب العهد القديم ومفكروهم هم الذين تعاملوا مع مادة الكلمة وحدهم، بل شاركهم فى ذلك مفكرو الإسلام، من مفسرين ومحدثين وفقهاء وعلماء أخلاق وغيرهم، وكان لكل منهم جهده الخاص، وعمله الذى يتميز به عن غيره، مما يعتبر بحق إحدى علامات ثراء الفكر الإسلامى الأصيل. وقد ألمحت إلى ذلك فيما مضى(٣).

ومن المعروف أن الله تعالى يغضب، وهو ما يطلق عليه الغضب الإلهى، الذى له مظاهره العديدة، كما له تعريفاته المتنوعة عند أهل العلم والنظر والدين الذين ينتهون إلى أن غضب الله معناه:-

« إبعاد العاصين عن أهل الدين والصلاح فى الدنيا، مع وقوع العقاب والإهانة عليهم فى الآخرة »(٤) من حيث إنه جل علاه قد غضب عليهم، باعتبار أن ذلك راجع إلى معاملته جل علاه للمخالفين أمره، الحائدين عن هديه، القافزين فوق أحكامه.

---

(١) يقول العهد القديم : « هوذا ضرب الصخرة فجرت المياه وفاضت الأودية هل يقدر أيضا أن يعطى خبزا أو يجىء لحما لشعبه لذلك سمع الرب فغضب واشتعلت نار فى يعقوب، وسخط أيضا على إسرائيل » العهد القديم - سفر المزامير - المزمور ٧٨- ١٩ - ٢١ . م

(٢) أمثال ذلك ما يقال عندهم : « عرف الله هذه النوايا الباطلة، وهذا الكنود المستحكم، فغضب غضبا شديدا، فإذا نارا قد اشتعلت فى خيام أولئك القوم الظالمين؛ لأن الله لم يكن راضيا عليهم. (راجع فى ذلك السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم مبنى على آراء أفاضل اللاهوتيين ج٦ تفسير سفر المزامير ص٢٥ - صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى - بيروت - لبنان ١٩٧٣م) .

(٣) تعرضت لمفهوم الكلمة عند حديثى عن الغضب فى الاصطلاح .

(٤) الدكتور عثمان عبدالمنعم عيش - فلسفة الأخلاق عند ابن مسكوية ص١١٥ ط١ مكتبة الأزهر ١٣٩٦هـ/١٦٧٦م.

ومن الجدير بالذكر؛ أن ذلك الغضب الإلهى بما له من تعريفات فى اللغة والاصطلاح، فإن أمره لا يخفى على المفكر المسلم الذى يدرك أن مخالفة الأوامر الإلهية، أو محاولة التخفى من وجه الشرع أو الاحتماء بالتعلات[1] الفاسدة، التى تغضبن رب العالمين، أو يدرك كذلك أن الحائدين عن شرعه المستقيم قد سقطوا فيما حادوا، وبالتالى؛ تحقق فيهم الغضب الإلهى[2].

كما أن المفكر المسلم يرى « أن لفظ الغضب قد ينصرف أيضا إلى البشر، فهم يغضبون، ويقع بينهم ما يدفع للاختلاف أو ينشأ عنه، ولذا؛ فهم يعرفون الغضب عندهم بأنه تغير يحصل عند غليان دم القلب[3]، وكما يقع الغضب صفة من أوصاف الإنسان وعوارضه النفسية؛ فإن النتائج المترتبة عليه تكون متوافقة معه غالبا، باعتباره من بنى البشر، ويمكن تسميته غضبا بشرياً ».

وكذلك يقع الغضب من الجن[4]، والمخلوقات الروحانية، باعتبارها أنفسا وأرواحا لها علاقات متبادلة، وفيها تقع القابلات، بل إن الحيوانات أيضا يقع فيها الغضب متى استغضبت.

وفى الأثر: « من استغضب ولم يغضب فهو حمار »[5]؛ باعتبار أن الحمار يتميز بالبلادة وغضبه يكون بطيئا، وإن كانت مظاهره عنيفة.

---

(١) تقرن العرب بين العلة والتعلة، فالأولى بمعنى المرض تقول العرب على الإنسان عله مرض فهو معلول. (راجع فى ذلك سعيد الخورى الشرتونى اللبنانى – أقرب الموارد فى فصيح اللغة العربية – باب العين مادة عننص٨٢٣ ج٢) أما التعلة فهى سبب. طالعتنا العربية التعلة ما يتعلل به من طعام (راجع قطر المحيط – ص٤٣).

(٢) السيد الشريف على محمد بن على السيد أبو الحسن الحسينى الجرجانى الحنفى – التعريفات ص٢٠٩ فصل الصاد – تحقيق وتعليق الدكتور عبدالرحمن عميرة – عالم الكتب – طبعة أولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٣) العلامة الفخر الرازى – مفاتيح الغيب م١ ج١ ص٣١٨ .

(٤) ما سبق بيانه فى الحديث عن التطور التاريخى لظاهرة الغضب فى الفصل الثانى للباب الأول من الرسالة.

(٥) راجع الشيخ حسن أيوب – السلوك الاجتماعى فى الإسلام ص٦٤ – دار التوزيع والنشر الإسلامى – القاهرة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. وراجع حلية الأولياء للعلامة أبى نعيم الأصفهانى ج:٩ ص:١٤٣ (ط٤ دار الكتاب العربى– بيروت ١٤٠٥هـ) حيث يقول: « سمعت الربيع يقول سمعت الشافعي يقول من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن غضب فاسترضى فلم يرض فهو حمار وفى رواية (فهو شيطان). وراجع كشف الخفاء للعلامة العجلونى ج:٢ ص:٣٠٤ – رقم:٢٤٠٤. وذكر العجلونى من جهة جعفر الصادق قال: « ومن لم يغضب عند التقصير لم يكن له شكر عند المعروف » وأحاله إلى البيهقى فى الشعب.

وسوف أتحدث عن نوعى الغضب الرئيسين فى الرسالة :ـ

☆ **الأول:** الغضب الإلهى .

☆ **الثانى :** الغضب البشرى.

ولكل منهما باب مستقل .

الفصل الأول

الغضب الإلهى
(تعريفه وموضوعه)

أولا : تعريفه

أ- فى العهد القديم

يذهب دعاة العهد القديم ومفكروه إلى أن الغضب الإلهى هو احتقان فى القلب. وإنزال العقاب الذى قد يدفع قبل وقوعه متى استرضى. يقول سفر التثنية على لسان موسى : « غضب الرب على بسببكم قائلا : وأنت أيضا لن تدخل الأرض »(١).

ولم يسمح إلا للأطفال بدخول الأرض والصغار وغير المميزين، بل إن الرب هدأ غضبه فوهب الأرض لأولئك الأطفال، وجعلها بينهم ميراثا يقتسمونه، وفى نفس الوقت، استمر غضبه من كبارهم، حيث أمرهم بالتحول نحو الصحراء والارتحال إليها والترجل فيها بمحاذاة طريق البحر الأحمر فقط، وكان ذلك من ألوان ومظاهر غضب الرب عليهم(٢).

ولأن غضب الرب صور إنسانية بسيطة ساذجة خالية من التنزيه والجلال لدى مفكرى العهد القديم، فإن غضبه يتمثل فى احتقان القلب والاندفاع إلى ما يزيل ذلك الغضب كما هو الشأن من سائر البشر »(٣).

كما عرف مفسرو العهد القديم غضب الرب بأنه اشتعال ينال من صاحبه متى وقعت أسبابه، وأنه ينطفئ أو يزول كلية، إما باستفراغ الطاقة الكامنة أو من خلال الاعتذار من الذين غضب عليهم أو إظهار القبول لما أمرهم به أو نهاهم عنه.

يقول العهد القديم : « انقلبت سدوم وعموره وآدمه وصوييم من جراء غضب الرب وسخطه، وأنه فعل ذلك كله، لما احتدم غضبه العظيم »(٤). وبالتالى، قلبت تلك القرى من نتيجة غضب الرب وعدم سيطرته على نفسه.

---

(١) العهد القديم – سفر التثنية ١ : ٣٥ .

(٢) العهد القديم – سفر التثنية ١ : ٣٨ – ٤٠ .

(٣) الشيخ عطية إبراهيم الشوادفى – دراسات فى التوراة، المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية ص١٢٧ – المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية – الأزهر – مطابع الشروق – القاهرة – بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

(٤) سفر التثنية ٢٩ : ٢٣ – ٢٥ .

وأيضا يلتهب غضب الرب على ذات الأرض التي وجد فيها من يضايقه. أو يقوم بأعمال لا تناسبه، وحينئذ يصب على الأرض كل اللعنات الشفوية. فإذا لم تقم تلك اللعنات الشفوية بتهدئة غضبه؛ فحينئذ يأتي أمر فعلى. وهو اجتثاث تلك الأرض بغضب وسخط فيهما غيظ عظيم، لا يمكن السيطرة عليه أو التخفيف منه. وبناء عليه؛ فإنه يطوح بهم وأرضهم أرض أخرى؛ حتى يهدأ غضبه وتخف ثورته »[1].

يقول مفسرو العهد القديم: « إن عقولنا المحدودة لا تستطيع إدراك بعض الجوانب غير المحدودة في الكون الذى عمله الله. كما أن بعض الأشياء لا تلزمنا معرفتها، فمن المستحيل أن نعرف أو نفهم كل ما يفعل من قبل الإله. كل ما نعرفة هو أن الطاعة والعصيان ينتجان عن فعل إرادى، وكذلك الغيظ والغضب ينتجان عن فعل إرادى »[2].

مما سبق؛ اتضح أن « الغضب الإلهي في العهد القديم، يتمثل في صور بشرية تمام التمثل؛ ولأن القوم صوروا الإله عندهم بصور التجسيد البشرى، فلم يجدوا مانعا من وصفه بما يوصف به البشر، بحيث تنطبق تلك الصفات البشرية على الذات الإلهية تماما بتمام »[3].

أجل وصف القوم الرب بأوصاف جسمانية كثيرة ومنها المشي على القدمين والسير في عمود سحاب[4]، وكذلك الذهاب والرجوع فهو يغدو ويروح مع من يقوم بالتحرك معه[5].

---

(١) سفر التثنية ٢٩ : ٢٧ - ٢٩ .

(٢) التفسير التطبيقى للعهد القديم ص٤٠٨ .

(٣) راجع عقيدة تجسيد الإله عند اليهود وموقف الإسلام منها للزميل الباحث: السيد عبدالبديع وافى. رسالة ماجستير بمعهد الدراسات والبحوث الأسيوية بقسم مقارنة الأديان ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

(٤) فعن الذهاب والمجيء: يقول العهد القديم : « وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى مكانه »(تكوين ١٨ : ٣٣ .)، هذا عن الذهاب . أما المجيء : « فقال الرب لموسى ها أنا آتٍ إليك في ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك أيضا إلى الأبد »(الخروج ١٩ : ٩ .) . فمجيء الرب علامة لموسى حتى يجتمع له بنو إسرائيل فيستمعون صوت الرب على حقيقته عند ذلك يؤمنوا لموسى الذى جاء الرب إليه . والرب لا يستحى ويعترف بهزيمته، فيعقوب يصارع الرب وحده حتى طلوع الفجر فيتمكن يعقوب من الرب ولا يقتله فيتوسل إليه الرب حتى يتركه فيأتى يعقوب ذلك حتى يباركه فيباركه الرب ويغير اسمه إلى إسرائيل . يقول العهد القديم عن هذه المصارعة الإلهية الإنسانية « فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال: أطلقنى لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك ان لم تباركنى، فقال له ما اسمك قال يعقوب فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت »(تكوين ٣٢ : ٢٤ - ٢٨ .) . ويقول سفر الخروج ١٣ : ٢١ « وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب يهديهم في الطريق ليلا في عمود نار فيضيء لهم؛ لكى يمشوا نهارا أو ليلا » .

(٥) يذهب سفر التكوين في ذلك قائلا : « ذهب الرب مع إبراهيم بعد ما فرغ من الكلام » سفر التكوين ١٨ : ٣٣ .

وهو فى ذات الوقت له قلب يفرح ويحزن. فإذا فرح أعلن عن فرحه بسرعة. وإذا حزن؛ أعلن عن حزنه بسرعة؛ حتى يكتسب عطفهم. فيعودوا إليه قبل أن يوقع العقاب بهم.

يقول سفر التكوين : « فحزن الرب أن عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه »(١)، ولاشك أن ذلك الحزن من الرب؛ لأنه عمل الإنسان وتأسف فى قلبه. فيثبت نسبة الجهل إلى الله – تعالى عن قولهم علوا كبيرا –.

ومادام الجهل(٢). يقع منه والحزن يستولى على قلبه؛ فإن الغضب هو الآخر ينال القلب، بحيث يجعله يمقته، وهم يركزون على ذلك فيقول سفر التكوين : « وقال الرب لا أعود ألعن الأرض من أجل الإنسان »(٣).

يقول أحد الباحثين فى تلك الفقرات : « إسناد القلب الصنوبرى إلى الله. وهو تشبيه وتجسيم جريا فى الفكر اليهودى فيها محالاة على الله تعالى، ثم فيها البداء المستحيل على الله تعالى؛ لأنه نقص يستلزم الجهل. كيف؟

وهو : خالق الكائنات، ومانح المعلومات، بل هو ﷻ من حيث وجوده وسائر كمالاته أبده البداهيات، فدل ذلك على أن تلك النصوص الواردة فى العهد القديم. إنما هى أثر من أثار الوثنية الأولى، أيام أن كان الناس يفهمون الإله فهم الإنسان للإنسان. ولا أتصور كتابا سماويا ينزل من قبل الله لتقديس الله وتمجيده، ولكنه يشتمل على ذمه وتجهيله، وذلك لا يتفق مع أقل الناس تفكيرا وتدبيرا »(٤).

بل كيف يزعم الزاعم أنه كتاب مقدس جاء من عند الإله، ثم ينسب إلى ذات الإله الحزن على ما قدم وأبرم، مع أننا نرى الرجل العاقل يقلب الأمر على احتمالاته. فإذا استبان له الصواب فى ناحية من نواحيه؛ أسرع إلى تنفيذه، ثم إن صادفه النجاح فيها، فقد كفاه جهده، وإن لم يصبه فلا يلج الحزن قلبه، ولا يأكل الأسف لبه، لأنه قد بذل جهده، وقدر حده.

---

(١) سفر التكوين ٦ : ٦.

(٢) الجهل هو : « اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه... والجهل البسيط : هو عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالما. والجهل المركب : هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع(الإمام الجرجانى – التعريفات ص١٠٨).

(٣) سفر التكوين – ٨١ : ٢١.

(٤) الشيخ عطية إبراهيم الشوادفى – دراسات فى التوراة ص١٧.

والملاحظ أن مفكرى العـهد القديـم قـد جعلـوا التعـب الجسـدى. والنفسي ينـال ربهم. فهم يذكرون أن الرب: « فرغ من اليوم السابع مـن عملـه الـذى عملـه فاسـتراح فيه، وقدس ذلك اليوم؛ لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل »[1].

وإن استراحته فى اليوم السابع كـانت اسـتراحة بدنيـة؛ نظـرا لوقـوع المجـهود عليه. يقول سفر الخروج: « فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحار، وكل مـا فيها واستراح فى اليوم السابع »[2].

ومـادام قـد تنفس واسـتراحت عضلاتـه، فـإن غضبـه يكـون مـن هـذا القبيـل المحسوس، وكيف لا وهم الذين جعلوه يطلب تقديم طعام له كنـوع مـن القربـان. يقـول سفر العدد: « كلم الرب موسى قائلا: أوصى بنى إسرائيل، وقل لهـم قربـانى طعـامى معـه، وقـائدى راحـت سرورى، تحرصـون أن تقدمـوه لى فى وقتـه الوقـود[3] والخرفـان الحوليـة - خروفـان حوليـان صحيحـان يذبـح أحدهمـا فـى الصبـاح، والثـانى بـين العشائين »[4].

---

(١) سفر التكوين - ٢ : ٢

(٢) سفر الخروج ٢٠ : ١٢، ٣١ : ١٧ . إذ يقول فى ستة أيام من ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، واليوم السابع استراح وتنفس .:- ويقول العهد القديم أيضا: « وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح »(سـفر التكوين ٢ : ٢ .) .فالإله أصابه الوهن من ذلك العمل الشاق فقرر أن يجفف عرقه ويشعر بالراحة حتـى يستجمع قواه مرة أخرى . والإله ينهض واقفا عل صخرة فى جبل حوريب « أمام موسى ها أنا أقف أمـامك علـى الصخـرة فى حوريب »(خروج ١٧ : ٦ .)، وهنا نتساءل أهى وقفة تحيـة وتعظيـم مـن الإلـه لعبـده موسـى، أم هـى وقفـة استـعراض لقوتـه ؟ وهـل يعقـل هـذا أن ذاك مـن إلـه ؟، وينـاديـه شـعبه « قـم يـا رب فلتبـدد أعدائـك » (سفر العدد ١٠ : ٣٥.)، وكيف كانت حالته عند هذا النداء ؟ أكانا نائما ؟ أم جالسا ؟ لا شك أنه كـان علـى غـير هيئة القيام، وهل أنه لا يستطيع أن يبدد أعداءه دون قيـام ؟! وأيضـا يـنزل الـرب مـن عليائـه ويقـف أمـام بـاب الخيمة « فنزل الرب فى عمود سحاب فوقف فى باب الخيمة »(عدد ١٢ : ٥ .)، وكم كـان طـول هـذه الخيمـة ؟ وكم يبلغ ارتفاعهما حتى تحتوى هذا الإله المتجسد، فالنص يدل على أنه يشغل حيزا محددا .

(٣) الوقود جمع مفردها: وقد، وهو ما توقد بـه النار (المعجم الوجيز - باب الواو - مادة وقد ص٦٧٧) .

(٤) سفر العدد - ٢٨ : ١ - ٣ . . ويقول العـهد القديـم أيضـا: : « إن إبراهيـم عندمـا ظـهر لـه الـرب عنـد بلوطـات ممرا(اسم مكان لمسكن ممرا، وهو أمير أمورى قطع عهدا مع إبراهيم وهذا المكان هـو " رامـة الخليـل " التـى تقـع شمالى الخليل بمقدار ميل ونصف الميل - قاموس الكتاب المقدس بتصرف - ص٩٢٤)، على صورة إنسان مـن بـين ثلاثة رجال فتقدم إليهم بماء فغسلوا أرجلهم واستراحوا تحت شجرة ثم قدم لهم بعض الطعام من الخبز واللحوم والزبد واللبن فأكلوا من ذلك الطعام المقدم إليهم »(راجع القصـة واردة فـى سـفر التكويـن إصحـاح ١٨ : ١ - ٨ .) .ويقول سفر العدد: « وها هو الرب يخبر شعبه بأنه فى حاجة ماسة إلى الطعام فيقول « أوصى بنى إسرائيل وقل لهم قربانى طعامى »(عدد ٢٨ : ٢ .) .

وهم كما أطعموه لحما مشويا، كذلك جعلوه يشرب سكيبا مسكرا للرب[1]. إذن هو يأكل ويشرب ويستريح، كلها أمور محسوسة، لا يوصف بها إلا الحواس. فإذا جاءوا عند الغضب، فإنه لا يمكن فهمه إلا على النصوص الواردة عندهم. والتى لا تقبل المجاز، مما يدل على أن كتبهم تتناقض مع بعضها، وإن الصفات التى وصفوا الرب بها، إنما هى صفات بشرية خالصة اقتبسها القوم من الأفكار الوثنية. ثم صاغوها مفردات لفظية، بحيث يمكن قراءتها والتعرف عليها.

◈ **ربما يقال:** إن ما ذكر كان معبرا عن صور جسمانية، بينما الغضب من الانفعالات النفسية. أو الصور المعنوية التى تجيء فيها الحقيقة، كما يجيء المجاز؟

❖ **والجواب : أن الصور المعنوية عندهم، لا يمكن حملها على المجاز. أما لماذا؟ فلما يلى:-**

أولا: ورود ألفاظ الحزن

❋ **الأسف:**- يقول العهد القديم : « فحزن الرب أنه عمل الإنسان، وتأسف فى قلبه »[2].

❋ **الغيظ** :- يقول العهد القديم: « أيها الإسرائيليون: لقد أخطأتم بعملكم الشر أمام الرب لاغاظته »[3]، ويقول سفر التثنية - « وكذلك أغاظوه بالأوجاس »[4].

❋ **الغيرة** : يقول سفر الخروج: « أما الرب إلهك إله غيور »[5]. ويقول سفر التثنية: « أغاروه بالأجانب وأغاظوه بالأرجاس »[6]. إذن الغيرة من الانفعالات النفسية التى لا تليق بالله، وقد وصفوه بها، وليست الغيرة التى وردت فى الحديث الشريف، الذى يرويه أبو هريرة ﷺ عن النبى ﷺ « إن الله يغار وإن المؤمن يغار

---

(١) يقول العهد القديم : « فغير أنه قد شرب اللبن من يد إبراهيم على ما مر سلفا فهو يقول فى الغد من أسكب سكيب مسكر للرب »(عدد ٢٨ : ٧ .)، فهو يتلذذ بما يسكبه شعبه له فيشرب ويسكر .

(٢) سفر التكوين - ٦ : ٦ .

(٣) سفر التثنية - (الإصحاح ١٨ : ٩).

(٤) سفر التثنية - (الإصحاح ٣٢ : ١٦) .

(٥) سفر الخروج ٢٠ : ٥ .

(٦) سفر التثنية ٥ : ٩ .

وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه»[١].

* **الخوف**:- يقول العهد القديم: « قال الرب في نفسه: أبدوهم لولا إن خفت من إغاظة العدو لهم »[٢].

* **الندم** : يقول العهد القديم:- « قال موسى للرب: لماذا يحمى غضبك. لماذا يتكلم المصريون ارجع يا رب عن حمو غضبك، واندم على الشر، شعبك فندم الرب على الشر الذى قال أنه يفعله بشعبه »[٣].

* **السخط**:- « حتى في حوريب اسخطهم الرب، فغضب الرب عليهم ليبدكم »[٤].

* **الظلم** :يقول سفر العدد« الرب طويل الروح، كثير الإحسان، يغفر الذنب والسيئة. لكنه لا يبرأ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء، ثم الجيل الثالث والرابع »[٥]. ويقول سفر التثنية : « غضب الرب على بسببكم ولم يسمح لى أيضا »[٦]. ويقول سفر العدد : « فيكفر الكاهن عن النفس التى سهت عندما أخطأت بسهم أمام الرب لتكفير عنها فيصفح»[٧].

* **الغضب**: يقول سفر التثنية :- « وعلى أيضا غضب الرب بسببكم »[٨]. ويقول أيضا: « فاشتعل غضب الرب على تلك الأرض، حتى جلب عليها كل اللعنات المكتوبة في هذا السفر، فالآن اتركني ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم»[٩]، غضب

---

(١) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج:٥ ص:٢٠٠٢ – باب الغيرة – الحديث: ٤٩٢٥ ، وأخرجه الإمام مسلم – صحيح مسلم ج:٤ ص:٢١١٤ الحديث: ٢٧٦١ ، وراجع صحيح ابن حبان ج١ ص٥٢٨ ، وسنن الترمذى ج٣ ص٤٧١ ، ومسند الامام أحمد ج٢ ص٥٣٩ ، ومسند أبى يعلى ج١٠ ص٣٩٥، وكشف الخفاء للعجلونى ج١ ص٢٦٠، وراجع فتح البارى بشرح صحيح البخاري ج٩ ص٢٨٥ . والغيرة فى الحديث بفتح الغين وهى فى حقنا الآنفة، أما فى حق الله تعالى، فقد فسرها هذا الحديث. وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم عليه. أى غيرة منعه وتحريمه. (صحيح مسلم بشرح النووى ج١٧ ص٧٧) .

(٢) سفر التثنية ٣٢ : ٢٦.

(٣) العهد القديم – سفر الخروج ٣٢ : ١٢ – ١٣

(٤) العهد القديم – سفر التثنية ٩ : ٨ .

(٥) العهد القديم – سفر العدد ١٤ : ١٨ .

(٦) العهد القديم – سفر التثنية ١ : ٣٧ .

(٧) سفر العدد ١٥ : ٢٨

(٨) العهد القد يم – سفر التثنية ١ : ٣٧

(٩) العهد القد يم – سفر التثنية ٢٩ : ٢٧ .

الرب على بنى إسرائيل مرات كثيرة، وغضب على هارون ومريم أيضا. كما يتضح فى مظاهر الغضب إن شاء الله رب العالمين.

❊ **الجون الفرح:** يقول سفر التثنية: « لأن الرب يرجع ليفرح لك بالخير كما فرح لآبائك »[1] وهو الفرح والسرور – حقيقتان تتناسبان مع النفس الإنسانية. لا مع الذات الإلهية، لكن القدم نسبوا الإنسانيات لله رب العالمين.

❊ **الرضا:** – يقول العهد القديم: « فتنسم الرب رائحة الرضا والتنفس. وهو التنسم، فكأن الرب عندهم تنفس رائحة الرضا »[2].

❊ **السرور:** – يقول العهد القديم: « إن سر بنا الرب يدخلنا إلى هذه الأرض. ويعطينا إياها أرضا تفيض لبنا وعسلا »[3]. ولما كان السرور هو شعور نفسى داخلى. فقد نسبوه للرب عندهم، وأسندوه إليه على سبيل الحقيقة . وغيرها من الألفاظ التى جاءت فى العهد القديم، حملها ممن ينتسبون إليه يصعب التعرف فيها على أية ناحية مجازية.

ثانيا : اللغة المعبرة

إن اللغة المعبرة قد انطلقت مبدية عن مفاهيم تلك الألفاظ الوارد ذكرها. وكلها تحمل على ظاهرها اللغوى من حيث إن اللغة تواضعية، فعلى سبيل المثال الغيظ فى اللغة، « عبارة عن غضب كامن من عاجز عن التصرف بما يرضى نفسه، وهو غضب محيط بالكبد يؤثر فيه، ولا يكون الغيظ قائما إلا إذا وصل مكروه لصاحبه »[4].

ولما كان الغيظ يمثل غضبا كامنا من عاجز عن التنفيس عن نفسه محيط بالكبد على ما سلف ذكره، وقد نسبوه لله، فقد دل الأمر على أنهم يصفون الله بما توصف به الحادثات تماما بتمام، من ثم يثبت عندهم إسناد الانفعالات النفسية إلى الله تعالى، سواء أكان ذلك غضبا أم غيظا أم غيره، وإثبات نسبة العجز للإله باعتبار أن الغضب غيظ كامن فى نفس العاجز، هى إسنادات باطلة وأمور مستحيلة، لا يصح أن ينسب شيء فيها إلى الله تعالى وهو ما عليه نحن المسلمين، كما لا يصح أن ينسب شيء فيها إلى التوراة التى أنزلها الله على كليمه موسى فيها هدى ونور كما قال تعالى:

(١) سفر التثنية ٩ .
(٢) سفر التكوين ٨ : ٢١ .
(٣) سفر العدد ١٤ : ٨ .
(٤) مختار الصحاح – مادة غيظ ص٤٨٧ .

﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾(١).

لأن التوراة كالقرآن أنزلت من قِبل الله؛ هداية للناس إلى طريق العدل. فهي نور يحكم بها النبيون والربانيون العلماء الفقهاء الذين أخذ الله عليهم العهد أن يحفظوا كتاب الله كما هو، وأن يشهدوا على الناس بتطبيقه أو رفضه(٢).

ثالثا : إن ما نسبوه لله تعالى لم يرد مثله فى القرآن الكريم حتى يكون مصدقا عليه

فلم يرد فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية المطهرة الصحيحة نسبة الحزن لله تعالى، كما لم يرد أيضا الندم؛ لأن الندم يكون ناشئا عن حزن، كما ينشأ عن فعل يُكره عليه صاحبه، وذلك كله لم يرد فى القرآن الكريم ولا السنة النبوية المطهرة الصحيحة، وكذلك الإساءة والخوف، وما يتعلق بذلك الجانب.

ولما كان القرآن الكريم(٣) هو المهيمن؛ فإنه يصدق صدق ما ذكره، ويكذب كذب ما ذكره، ويكون المعيار فيما ذكروه عندنا المسلمين هو تصديق القرآن الكريم له. ومادام القرآن لم يصدقه، فقد بان أنه لا يصح إسناده إلى الله تعالى.

---

(١) سور المائدة – الآية ٤٤ . وفى تفسير الآية قالا صاحبا الجلالين: « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى من الضلالة ونور بيان للأحكام يحكم بها النبيون من بني إسرائيل الذين أسلموا انقادوا لله للذين هادوا والربانيون العلماء منه والأحبار الفقهاء بما أي بسبب الذي استحفظوا استودعوه أي استحفظهم الله إياه من كتاب الله أن يبدلوه وكانوا عليه شهداء إنه حق فلا تخشوا الناس أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم والرجم وغيرها واخشون في كتمانه ولا تشتروا تستبدلوا بآياتي ثمنا قليلا من الدنيا تأخذونه على كتمانها ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون به » [راجع تفسير الجلالين ج:١ ص:١٤٤]

(٢) الأستاذ عبدالودود يوسف – تفسير المؤمنين ص٩١ . راجعه الدكتور مصطفى الخن – المؤسسة العلمية ١٣٥٥هـ/١٩٧٥م.

(٣) جاء فى السنة النبوية المطهرة الصحيحة : بسنن الترمذي (وشرح العلل)، – باب ما جاء في فضل القرآن. في الحديث رقم: ٣٠٧٠– عن الحارث الأعور قال:"مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي، فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدي في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا يزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به، من قال به صدق، وم عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم" خذها إليك أعور..

رابعا: أنهم نسبوا لله الظلم[١] والقسوة المروعة

وذلك من صفات المخلوقات الذين يسقطون أمام الأوامر الإلهية ، فإذا نسب ذلك لله جل علاه ؛ فإنه لا يتناسب مع العدل الإلهي ، وكيف لا والله عز وجل قال: ﴿ ولا يظلم ربك أحدا ﴾[٢] ، وقال أيضا : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[٣]. وقال جل شأنه : ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾[٤].

بل إنه جل شأنه لا يؤاخذ على الخطأ، ولكن يؤاخذ على ما كان فيه القصد والنية. قال تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما ﴾[٥].

يقول صاحبا الجلالين : « لكن أدعوهم لآبائهم هو أقسط أعدل عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم بنو عمكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به في ذلك ولكن في ما تعمدت قلوبكم فيه أي بعد النهي وكان الله غفورا لما كان من قولكم قبل النهي رحيما بكم في ذلك »[٦].

ﷻ وقال عز وجل : ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما * وليست التوبة للذين يعملون السيئات

---

(١) والظلم هو « وضع الشيء في غير موضعه، قيل هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد »(العلامة الجرجاني – التعريفات ص١٨٦ ، وراجع الإمام الفخر الرازي – مختار الصحاح – ط دار المنار ص١٩٤) .

(٢) سورة الكهف – الآية ٤٩

(٣) سورة الأنبياء – الآية ٤٧

(٤) سورة النساء – الآية ٤٠ .

(٥) سورة الأحزاب – الآية ٥

(٦) تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٥٤٩ .

حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولـئك أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾[1].

يقول العلامة البيضاوى: « إن قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته، ولا يكون ذلك إلا للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها، فإن ارتكاب الذنب سفه وتجاهل لذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينتزع جهالته، "ثم يتوبون من قريب" من زمان قريب، أى قبل حضور الموت، وسماه قريب؛ لأن أمد الحياة قريباً.

وسوى الحق سبحانه وتعالى بين من سوّف التوبة إلى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة، وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبتة هؤلاء سواء »[2].

خامساً: فى نفس الوقت فإن نسبة الغضب إلى الله تعالى على ما ورد فى العهد القديم، ونصوص مفسريه يؤكدان الغضب عندهم يمثل انفعالا نفسيا يقع صاحبه تحت سيطرته، وكلما ازداد انفعاله اشتد غضبه، وكلما اشتد غضبه فقد السيطرة على تصرفاته الإرادية وأفعاله المتميزة، وذلك مما لا يليق بالخالق أبدا، بل إن بعض الكوامل من الناس يترفع أن ينسب لذاته شيء من ذلك، والله جل شأنه له الكمالات العليا تنزهة ذاته وجلت عن أوجه الحوادث والمخلوقات.

ب- عند مفكرى المسلمين

عرضت لمفهوم الغضب الإلهى فى العهد القديم حسب الروايات التى أمكننى الوقوف عليها، غير أنه لما كان النوع الأول يتعلق بالغضب الإلهى فى العهد القديم، وعند مفكرى المسلمين، فمن المناسب التعرض للنوع الثانى، وهو الغضب الإلهى عند مفكرى المسلمين، فماذا عن تعريفه ؟ موضوعه – وما يتعلق به؟

ذلك ما سوف يعرضه الباحث على النحو التالى :ـ

(١) سورة النساء – الآيتان ١٧/١٨ .

(٢) القاضى ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى ص١١٧/١١٨ – تفسير القرآن الكريم للبيضاوى – مكتبة الجمهورية – القاهرة – طبع بمطبعة دار العهد الجديد ١٣٨٠هـ/١٩٥٧م .

تعريفه

يعرف الغضب الإلهى عند مفكرى المسلمين بتعريفات عدة أهمها:

إرادة الانتقام من العصاة، وإنزال العقوبة بهم، وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده[(١)] ، سواء تحققت إرادة الانتقام فى الدنيا أم علقت للآخرة.

وهذا التعريف قد بنى على أن الإرادة الإلهية تشمل المرادات كلها طالما كانت إلهية ، وأن تعلقها بموضوعاتها ليس إلاً من باب تعلق المعلوم بما هو موضوع علمه ؛ لأن علم الله عندنا نحن المسلمين شامل محيط. قال تعالى: ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾[(٢)].

ويعرف بأنه إرادة الانتقام، سواء أكان ذلك بالحجب للنعم عنهم أم بحجب الأنوار المتعلقة بعالم الأرواح، بحيث لا تصل إليهم[(٣)].

وهو تعريف قريب من مفاهيم أصحاب الاتجاه الروحانى[(٤)] فى الإسلام، سواء أكان فيهم صوفية أم غيرهم، باعتبار أن حجب النعم والأنوار الروحانية من مفرداتهم فى الغالب الأعم، وهى وجهة نظر لها اعتبارها لدى الدارس المعنى بعلم مقارنة الأديان.

ويعرف أيضا بأنه الأعراض عن المغضوب عليه ومعاملته بما يستحقه من عنف وقطع الإحسان والأذى[(٥)].

---

(١) الإمام محمود بن عمر الزمخشرى – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ج١ ص١٠ – طبعة المطبعة البهية – القاهرة ١٣٣٤هـ، وبذيله أربعة كتب الانتصاف للإمام أحمد بن أحمد بن المنير السكندرى، الكافى الشافى فى تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر، حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقى فى تفسير الكشاف – شاهد الأنصاف على شواهد الكشاف محمد عليان المذكور.

(٢) سورة يوسف الآية٧٦ .

(٣) الفخر الرازى – مفاتيح العيب م١ ج١ ص٣٥٠ باعتبار أن حجب الأنوار الإلهية تمثل عقوبة للعاصين .

(٤) الروحانى نسبة إلى الروح، وهذا اللفظ يطلق بإزاء الملقى إلى القلب علم على وجه مخصوص. [العلامة على بن محمد الجرجانى – التعريفات ص٢٧٦].

(٥) الشيخ الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير ج١ ص١٨٣ – طبع بمطابع عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

وربما استشهد لذلك بما يرويه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «(لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي)»[١].

❁ **قال العلماء:** «وإرادته عقاب الناس، وخذلانه تسمى غضبا»[٢].

ومن ثم؛ يكون الإعراض عنه، والغضب عليه داخلين فى عدم وقوع البركة له على الناحية الأخروية، وقد يكون العكس فيزيقه أمر نفسه عدم الخضوع والتسليم وتلك تشعره بأنه مغضوب عليه.

إذن؛ فإن المعنى اللغوى للفظ الغضب على الناحية الحقيقية، لا يمكن إسناده إلى الله تعالى، بل لابد من صرف اللفظ عن معناه الحقيقى إلى معنى مجازى. باعتبار أن اللفظ الحقيقى للغضب سار فى أعراف واضعى اللغة طبقا لمعطياتهم العقلية وقوانينهم العربية[٣].

وهو تغير يحصل عند غليان دم القلب لشهوة الانتقام، هذا بالنسبة للبشر، أما بالنسبة لله تعالى، فيعرف بأنه صرف وجه الله عن العاصين، بحيث لا ينظر إليهم نظرة عطف ورحمة، وإن نظر إليهم نظرة خلق وصنعة[٤].

---

(١) الحديث رواه الإمام البخارى بصحيحه – باب: ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾الصافات: ١٧١ – الحديث رقم: ٧٠١٥، – وباب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ .الروم: ٢٧ . في الحديث رقم: ٣٠٢٢، [٦٩٦٩، ٦٩٨٦، ٧٠١٥، ٧١١٤] . وأخرجه مسلم في التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم: ٢٧٥١.

(٢) العلامة الإمام النووى – صحيح مسلم بشرح النووى م٩ج١٧ص٦٧/٦٨ ط أولى دار الكتب العلمية بيروت ١٣٤٩هـ.

(٣) باعتبار أن اللغة تواضعية – الإمام عبدالقاهر الجرجانى – دلائل الإعجاز ص٥٤ . تعليق وشرح الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجى – مقدمة الكتاب – مكتبة القاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٤) ذلك أن دليل العناية يعرض علينا التمسك بما هو وارد فى النصوص الشرعية من قوله تعالى : ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ سورة لقمان الآية ١١. وقال تعالى: ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون ﴾ سورة النمل – الآية ٨٨ .

ولا يقال: إن غضب الله هو عقابه الذى وقع على المخالفين من تدمير البيوت[١]، وحبس الزروع والضروع[٢]، ووقوع الزلازل[٣]، وانفجار البراكين والكوارث. لأننا نقول إن هناك فرقا كبيرا بين الغضب الإلهى وقضائه سبحانه وتعالى. باعتبار أن الغضب الإلهى معلق بمعاصى القوم، أما قضاؤه جل علاه، فهو ثابت منذ الأزل.

يقول العلامة الجرجانى : « القضاء عبارة عن إحاطة علم الله تعالى بوجود الكائنات وانتقاشها فى اللوح المحفوظ على الوجه الواقع فى قدره الذى هو تابع لسنته جل علاه »[٤].

ومن ثم فإن غضب الله فى الدنيا هو صرف وجهه الكريم ونعمته عن المخالفين، وفى ذلك يقول النبى ﷺ فى الحديث يرويه أبو هريرة ﷺ عنه « إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض »[٥].

وبناء عليه؛ فلا يكون غضب الله تعالى منصرفا إلى معنى إيقاعه عذابا ما على قوم بعينهم فى دار الدنيا؛ لأن ذلك من القضاء والفرق بين القضاء والعقاب أو الغضب الإلهى كبير لمن تأمله.

---

(١) كالحال فى النزاعات التى تنشب بين الأفراد والمجتمعات الصغيرة والدول الكبيرة، فإنها مخالفات للقواعد العامة، وتمثل نوعا من عدوان المخلوقين، بعضهم على بعض، حتى إن انتهى الأمر بتدمير قرى بأكملها، وإبادة جموع على أتمها مثل ما حدث فى نجازاكى وهوروشينى فى اليابان أبان الحرب العالمية الثانية، وما حدث على أرض فلسطين المسلمة بأيدى العصابات اليهودية المجرمة، ومناطق الشيشان المسلمة، وما فعله بها الشيوعيون الملاحدة والبان - كوسوفا والمناطق الأهلة التى أزالها من الوجود عصابات الصرب الإجرامية، فهو نوع من العدوان .

(٢) كالحال مع البلاد الأفريقية التى يندر سقوط المطر والاحتفاظ به، فلا تنبت الأرض، وبالتالى، لا تأكل الحيوانات، فيجف الضرع وتقع المجاعات مثل ما حدث فى السودان ٤ الصومال وغيرها من البلاد الأفريقية التى تعانى من المجاعات القاتلة.

(٣) كالزلزال الذى يضرب أجزاء من الكرة الأرضية حينا بعد آخر، ويزعم الجزء الذى تعرض له أو يصيبه بنوع من التدمير الذى يصعب معالجة آثاره إلا بعد فترة طويلة مثل زلزال تركيا، الذى وقع فى نهاية القرن العشرين. والذى وقع هذا العام فى الهند، وغير ذلك من أنواع الزلازل التى يكون تأثيرها مدمر .

(٤) السيد الشريف الجرجانى - حاشية الجرجانى على مطالع الأنظار للأصفهانى على طوالع الأنوار للبيضاوى ص٩ ١٣٠٥هـ مطبعة حيد أبادى الدكن.

(٥) صحيح البخاري - باب: ذكر الملائكة. الحديث رقم: ٣٠٣٧، و باب: المقة من الله تعالى حديث رقم: [٥٦٩٣، ٧٠٤٧]، أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب: إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده، رقم: ٢٦٣٧. وراجع فتح البارى ج٦ ص١٩٤ ، وموطأ مالك ج٢ ص٣٤٤ (مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٣٩هـ).

وقد أنبأنا القرآن الكريم أن رب العالمين غضب على كثيرين. فقطع عنهم الحجب، وجعل بينهم العداوة والبغضاء، وضرب فيهم الذلة والمسكنة.

قال تعالى : ﴿ " وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها(1) وقثائها(2) وفومها(3) وعدسها(4) وبصلها قال أتستبدلون الذي هو

(١) البقل الواحدة بقلة، والبقلة الرجلة -بكسر الراء -، وهى البقلة الحمقاء، والمبقلة موضع البقل. وكل نبات اخضرت له الأرض فهو بقل. وبقل وجه الغلام : خرجت لحيته »(مختار الصحاح -ص٢٠) . وقال الإمام القرطبى : « البقل كل نبات ليس له ساق »(تفسير القرطبى - جـ١ ،ص٤٦٢)،وقال الإمام النسفى :« بقلها،ما أنبتته الأرض من الخضر والمراد أطايب البقول، كالنعناع والكرفث،والكرات،ونحوها مما يأكل الناس »(تفسير النسفى الموجود على هامش تفسير الخازن - جـ١ ص٥٣) . « والبقل فى القرآن هو ما اخضرت به الأرض، أما ما هو متعارف عليه الآن، فهو كل مأكول من نباتات الفصيلة القرنية، ولم يذكر القرآن من البقول صراحة إلا العدس، وتعتبر البقول غنية نسبيا بالمواد البروتينية »(الجديد في الغذاء الشافى من القرآن الكريم - د/ موسى الخطيب، ص٦٠، مكتبة المقدس.) . راجع الطعام فى القرآن الكريم - رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بالزقازيق ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م للباحث إبراهيم على عطية ص٨٥/٨٩ .

(٢) يقول الإمام النسفى : « القثاء : الخيار» (راجع تفسير النسفى، جـ١، ص٥٣/هامش الخازن.)، وفي السنة الصحيحة،« عن عبدالله بن جعفر قال :" وأيت رسول الله - ﷺ - يأكل القثاء بالرطب »(أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب أكل القثاء بالرطب، حديث رقم ٢٠٤٣، المجلد الخامس، جـ١٣ ص٢٢٦. وانظر سنن الترمذى، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في أكل القثاء والرطب، حديث رقم ١٨٤٤، جـ٤، ص٢٤٧.)، فالقثاء على ما ذهب إليه النسفى، وكذلك بعض العلماء أنها الخيار، أو ما يشبه الخيار من القثاء أو ما شابه ذلك فهو رطب . قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- :« بارد رطب، مطفئ لحرارة المعدة الملتهبة، بطئ الفساد فيها. نافع من وجع المثانة، ورائحته تنفع من الغشى، وبذرة يدر البول، وورقه إذا اتخذ ضمادا، نفع من عضة الكلب »(الطب النبوى - ابن القيم ص ٣٩٩، ط التراث.) . راجع الطعام فى القرآن الكريم - رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بالزقازيق ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م للباحث إبراهيم على عطية ص٨٥/٨٩ .

(٣) الفوم : الثوم الحنطة، والحمص وسائر الحبوب التىتخبز، وكل عقدة من بصلة أو ثومة، وبائعه : فامى، مغير من فومى. (مختار القاموس ص٤٨٦) . قال الخازن :« الفوم هو الخبز، وقيل هو الحنطة، وقيل هو الثوم »(الخازن في تفسيره،جـ١، ص ٩٣) . وقال القرطبى : « اختلف فى الفوم، فقيل هو الثوم، لأنه المشاكل للبصل؛ كما قالوا : مغافير ومغاثير،وجدث وجدف للقبر، ولقراءة ابن مسعود "ثومها "،وقيل الحنطة، وقيل السنبلة، وقيل الحمص، وقيل كل حب يختبز »(تفسير القرطبى، جـ١ ص ٤٦٢) . والأقوال في تعريف الفوم مختلفة، ولكنها متفقة على أنه مما يؤكل، وإن كان البعض يرجح أنه الثوم، وأما ما ذهب إليه البعض من أنه الخبز، فهذا قول يفيد أن الفوم يطلق على كثير من الحبوب، التى تنبتها الأرض، وهذا يؤكد استيعاب الألفاظ القرآنية لجميع ما يأكل الناس والدواب والأنعام، فقد جاءت التعريفات اللغوية والاصطلاحية شاملة الثوم، والحنطة والحمص والسنبلة، وكل حب يختبز، كالقمح والشعير والذرة،وكل ما يتأتى منه الاقتيات . وعلى هذا لا يمكن أن نخصص الفوم، بالثوم فقط،وإن كان البعض أيضا قال :« إن الثوم في لغتنا العربية - لغة القرآن -، يسمى بالفوم، وهو الأصح لغة، لأن الثوم لفظة هيروغليفية فرعونية، واستشهد بالآية القرآنية " ..وفومها »(من أجل طب إسلامى، أبو الفداء محمد عزت محمد عارف، ط مؤسسة بدران،ص٣٦.) . راجع الطعام فى القرآن الكريم - رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بالزقازيق ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م للباحث إبراهيم على عطية ص٨٥/٨٩ .

(٤) ورد ذكره فى القرآن الكريم مرة واحدة، وفى القرطبى : « كان عمر بن عبد العزيز يأكل يوما خبزا بزيت، ويوما بلحم، ويوما بعدس . قال الحليمى : وهو طعام الصالحين، وهو مما يخف البدن، فيخف للعبادة،ولا تثور منه الشهوات، كما تثور من اللحم »(تفسير القرطبى -جـ١ ص ٤٦٥) . وقال محقق كتاب الطب النبوى للسيوطى: « غذاء الشعوب منذ أقدم الأزمان، غنى بالأملاح المعدنية، وله قدرة غذائية عالية، ويوصف للأطفال، ليعالج فقر الدم والضعف والهزال »(مختصر الطب النبوى للإمام الحافظ السيوطى - تحقيق إبراهيم محمد الجمل - نشأت المصرى ص١٩ مختصرا.) . راجع الطعام فى القرآن الكريم - رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بالزقازيق ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م للباحث إبراهيم على عطية ص٨٥/٨٩ .

أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون" ﴾(١) .

يقول العلامة الطاهر بن عاشور : « إن المولى ﷻ عبر عن ملازمة الذل والهوان والصغار والفقر لهؤلاء بالبيت يضربها الساكن ليلزمها، والسبب فى هذه العقوبات التى تلت غضب الله أنهم كفروا بالله وقتلوا الأنبياء بغير حق، وهذا خاص بأجيال اليهود الذين اجترموا هذه الجريمة العظيمة، سواء من باشر القتل وأمر به، وسكت عنه، ولم ينصر الأنبياء، وقد قتل اليهود من الأنبياء أشعياء بن أموص الذى كان حيا فى منتصف القرن الثامن قبل ميلاد المسيح عليه السلام قتله الملك منسى ملك اليهود سنة ٧٠٠ ق.م وكان هذا القتل بغير وجه حق، وذلك لأن شريعتهم كانت قائمة على أنه ﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾(٢). ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾(٣). ويكون العصيان والاعتداء سببين آخرين لضرب الذلة والمسكنة ولغضب الله تعالى عليهم »(٤).

۞ وحدث القرآن الكريم عنه مع قوم هود . قال تعالى ﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دآبة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم * فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ﴾(٥).

(١) سورة البقرة -آية ٦١ .

(٢) سورة المائدة - الآية ٣٢ .

(٣) سورة المائدة - من الآية ٧٨ .

(٤) الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير ص٥٠٥ / ٥٠٨ بتصرف يسير .

(٥) سورة هود - الآيات ٥٣/٥٧ .

قالوا : يا هود ما جئتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه . وما نحن تاركى عبادة آلهتنا لمجرد قولك ، أنتركها وما نحن لك بمصدقين ما تقول من موقفك منا ، إلا إن بعض آلهتنا مسك بشر فصرت تهذى بهذا الكلام.

قال مصرا على إيمانه متحديا ، أقول: وأشهد الله على ما أقول وأشهدكم عليه . وإنى بريء من داء الشرك الذى أنتم فيه ، فأنتم المرضى، ولا أبالى بكم، ولا بآلهتكم التى تدعون أنها مستنى بسوء فتعاونوا أنتم وآلهتكم على الكيد لى ثم لا تؤخرون عقابى لحظة ، إن استطعتم إننى المتحدث على الله ، وهو مالك أمرى وأمركم ، لا يعجزه شيء عن رد كيدكم ، وهو القادر على كل شيء ، فما من دابة إلا هو مالك أمرها ومتصرف فيها ، فلا يعجزه حفظى من آذاكم ولا إهلاككم. إن أفعال ربى تجرى على طريق الحق والعدل فى ملكه ، فينصر المؤمنين المصلحين ، ويخذل الكافرين.

فإن تعرضوا عن دعوتى لم يضرنى إعراضكم ، والعاقبة السيئة عليكم . فقد أبلغتكم ما أرسلنى الله به اليكم ، وليس على إلا البلاغ والله يهلكم ، ويجيء بقوم آخرين يخلفوكم فى دياركم وأموالكم ، ولا تضرونه بإعراضكم عن عبادته. إن ربى مهيمن على كل شيء مطلع عليه ، فما تخفى عليه أعمالكم ، ولا يغفل عن مؤاخذتكم »[1].

ﷺ ونفذ فى عاد قوم هود قضاء الله الذى لا راد له . قال تعالى : ﴿فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون﴾[2]. كما قال تعالى : ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية﴾[3].

أرسل الحق سبحانه وتعالى عليهم ريحا شديدة الصوت مزعجة ، وظلت هذه الريح ثمانية أيام بنص القرآن الكريم ، وصف الحق سبحانه وتعالى هذه الأيام بأنها

(١) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ج١ ص٣١٦/٣١٧ – مؤسسة الأهرام – قليوب ج.م.ع ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

(٢) سورة فصلت – الآية ١٦.

(٣) سورة الحاقة – الآيات ٦/ ٨ .

نحسات أى مشئومة، وصفها أيضا بأنها حسوما أى قاطعا لدابرهم. وكانت نتيجة هذه الريح أنهم هلكوا مثل جذوع النخل الخاوية التى تناثر كل ما فى داخلها(١).

كما أخبر القرآن الكريم عن كثير من الأقوام المخالفين شرع الله تعالى. والذين وقع عليهم غضب الله على معنى صرف وجهه عنهم وعدم محبته لهم فى الدنيا ووعيده بإنزال العقاب عليهم فى الآخرة، باعتبار أن الآخرة دار الجزاء، وأن الدنيا دار العمل.

وأن ما يقع من دار العمل مما يظنه الناس عقوبات، إنما هو داخل فى مفهوم القضاء الإلهى، ولا يعارض أو يعاند القضاء الإلهى الغضب الإلهى. باعتبار أن كلاً منهما صفة مستقلة عن الأخرى، لا تعمل بعملها، ولا تغنى عنها.

بل إن الغضب الإلهى يظل قائما على المخالفين فى دار الدنيا، حتى وإن عاشوا بين أظهرنا، باعتبار أن فضل الله لا ينقطع وصفاته العظمى عملها لا ينتهى .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزآؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾(٢).

يقول صاحبا الجلالين : « إن من يقصد قتل المؤمن يقتل غالبا طالما علم بإيمانه، فجزاؤه جهنم خالدا فيها، وغضب الله عليه، ولعنه أى أبعده من رحمته وأعد له عذابا عظيما فى النار، وهذا مؤول بمن يستحله »(٣). ويظل الغضب صفة من صفات الله التى لا تنقطع على المعنى الذى سلف ذكره.

---

(١) فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى – المصحف الميسر ص٧٦١/٧٦٢ . ط دار الكفر بيروت ١٣٣٧هـ.

(٢) سورة النساء – الآية ٩٣ .

(٣) الإمامين جلال الدين المحلى، وجلال الدين السيوطى – تفسير الجلالين. تحقيق وتعليق الدكتور شعبان محمد إسماعيل – طبعة الشمرى ١٩٧٩م ص ٨٧

ثانيا : موضوع الغضب الإلهى

◈ عرضت تعريف الغضب الإلهى عند مفكرى المسلمين على النحو الذى سلف بيانه. لكن يبقى أمرمهم وهو موضوع ذلك الغضب الإلهى، أو بعبارة أخرى، كيف يصل الباحث إلى أن ذلك واقع فى موضوع (الغضب الإلهى) ؟

والجواب: إن الغضب الإلهى يجيء موضوعه فى عدة نقاط:-

الأولى : حجب[1] النعم

من شأن المولى الكريم أن يفيض الكثير من نعمه على عباده، وهى تتنوع لقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾[3].

يقول الإمام البيضاوى : ‹‹وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها. فضلا عن أن تطيقوا القيام بشكرها، اتبع ذلك تعداد النعم وإلزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على أن وراء ما عدد نعما لا تنحصر، وأن حق عبادته تعالى غير مقدور، إن الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصير من أداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها ››[4].

وقديما قال الحكيم:

نعم الإله على العباد جليلة ∴ وأجلها حقا نجابة الأبناء

ومن نعم الله كل مظاهر الحياة، التى فيها تقدم ورقى، فإذا غضب الله على قوم حجب عنهم بعض تلك النعم لقوله تعالى: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون * فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون * وقالوا مهما تأتنا به من آية

---

(١) حجب النعم سترها عنهم – تقول العرب حجب الشيء ستره . (المعجم الوجيز باب الحاء مادة حجب) .

(٢) سورة إبراهيم – الآية ٣٤ .

(٣) سورة النحل – الآية ١٨ .

(٤) القاضى ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر الشيرازى البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٢٩٥ .

لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين * فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ﴾[١].

بعدما عصى فرعون وآله نبي الله موسى عليه السلام، شرع الحق سبحانه وتعالى في إنزال العقوبة عليهم، فحل عليهم الهلاك الموعود به وإيذان بأنهم لم يمهلوا، حتى تحولوا من حال إلى حال، إلى أن حل بهم عذاب الاستئصال بالقحط. وبكثرة عاهات الثمار، وخروج اليسير منها، حتى لا تحمل النخلة لعلهم بذلك يتعظون. فيتركوا ما هم عليه ويتضرعوا له ويلتجئوا إليه رغبة فيما عنده[٢].

ولكن مضى فرعون وآله يعللون الأحداث الحسنة التي تصيبهم هي من حسن حظهم، وهم يستحقونها، والسيئة التي تصيبهم هي بشؤم موسى ومن معه. بل ما يقع لهم مصدره كله واحد، إنه من أمر الله[٣]، ولكن أكثرهم لا يعلمون[٤].

فهؤلاء القوم أصروا على الكفر ولجوا في المكابرة والعناد، حتى قالوا لموسى مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين[٥].

بعد هذا الإصرار والعناد والمكابرة رفع يديه إلى ربه يدعوه، فقال: يارب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغا وعتا، وإن قومه نقضوا العهد، فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم آية فاستجاب الله دعاءه[٦]، وأنزل عليهم العذاب أنواعا.

---

(١) سورة الأعراف – الآيات ١٣٠/١٣٣ .

(٢) العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٩ ص٣١ (بتصرف يسير).

(٣) سيد قطب – في ظلال القرآن ج٩ ص١٣٥٧/١٣٥٨ .

(٤) سورة الأعراف – الآية ١٣ : ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾.

(٥) سورة الأعراف – الآية ١٣٢ . ﴿ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ﴾ .

(٦) الشيخ أبو بكر الجزائري – أيسر التفاسير وبهامشه نهر الخير مع أيسر التفاسير – مكتبة العلوم والحكم – طبعة أولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م . ج ١ – ص ٢٢٦ – ٢٢٧

وأنواع العذاب هي :-

[١] الجدب والقحط – بسبب نقص شديد في ماء النيل.

[٢] نقص الثمرات : بنزول الآفات الزراعية .

[٣] الطوفان : زيادة فيضان النيل على عادته، فأغرق الزرع والضرع، وهدم المنازل.

[٤] الجراد : وقد أغارت البلاد فلم تبق زرعا ولا ثمرا.

[٥] القمل : هو كبار القراد ونحوه، فأضر بزرعهم وثمارهم وأقلق راحتهم ونشر الأمراض بينهم .

[٦] الضفادع : فكدرت صفوهم بنقيقها وسقوطها فيما يأكلون ويشربون.

[٧] الدم : فكان يسير من أفواهم وأنوفهم.

[٨] الطمس : بمحو الأموال والثمرات وأهلاكها .

[٩] نقص الأنفس بتفشى الأوبئة(١).

وكذا فعل الله بالمصريين القدماء، حتى عرف المصريون السبع العجاف، وكان رسول الله قد دعا على قريش حينما استعصت على النبى ﷺ .

فعن مسروق(٢) قال: « قال عبد الله : إنما كان هذا، لأن قريشا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين. يغشى الناس هذا

---

(١) الشيخ محمود محمد حمزة – تفسير القرآن الكريم ج٩ ص١٩/٢٠ مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٨٢م .

(٢) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبدالله الهمداني ثم الوادعي أبو عائشة له إدراك وقدم من اليمن بعد النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وعائشة وأمها أم رومان وجماعة وروى عنه بن أخيه محمد بن المنتشر بن الأجدع وأبو الضحى والشعبي والنخعي والسبيعي وعبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود وعبدالله بن مرة وآخرون. صلى خلف أبي بكر وحدث عن عمر وعلي ولم يحدث عن عثمان، وهو كوفي تابعي ثقة أحد أصحاب عبدالله الذين كانوا يقرءون عليه ويفتون. ومات رحمه الله سنة اثنتين وستين وأرخه غيره سنة ثلاث وستين. (راجع الإصابة لابن حجر – الميم بعدها الزاي والسين. في الفصل: ٨٤١٢ [ص: ٢٩١/٢٩٢]).

عذاب أليم ﴾(١). قال: فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل: يا رسول الله. استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت. قال: (لمضر؟ إنك لجريء). فاستسقى فسقوا. فنزلت: ﴿ إنكم عائدون ﴾(٢). فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾(٣). قال: يعني يوم بدر »(٤).

إذن؛ حجب بعض النعم على المغضوب عليهم يمثل موضوعا من موضوعات غضب الله، باعتبار أن ما قدره الله كان وقد يورث هذه النعم غيرهم، كما قد يورثهم نقم غيرهم.

۞ يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوما آخرين * فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾(٥).

يقول الإمام الحافظ بن كثير – رحمه الله – : « كم تركوا من بساتين وأنهار وآبار ومساكن أنيقة وعيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاء، ويلبسون ما أحبوا من الأموال والجاهات والحكم فى البلاد، فسلبوا ذلك جميعا فى صبيحة واحدة، وفارقوا الدنيا، وصاروا إلى جهنم وبئس المصير، واستولى على البلاد العربية، وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية، فبنو إسرائيل كما حكى القرآن الكريم(٦) ... ولم تكن لهم أعمال صالحة تصعد فى أبواب السماء فتبكى على فقدهم أمولهم ولا لهم فى الأرض

---

(١) سورة الدخان – الآية ١١ .

(٢) سورة الدخان – الآية ١٥ .

(٣) سورة الدخان – الآية ١٦ .

(٤) صحيح البخاري جـ٤ ص١٨٢٣ – باب: ﴿ يغشى الناس هذا عذاب أليم ﴾ – الحديث رقم: ٤٥٤٤، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب: الدخان، رقم: ٢٧٩٨. وذكره ابن حجر فى فتح البارى ج٨ ص٤٠٤ فى الحديث رقم: ٩٦٢. والمراد بـ : [(لمضر..) أتأمرني أن استسقي لهم، مع ماهم عليه من المعصية لله تعالى والشرك به، وعدم الاستجابة لنبيه؟. (إنك لجريء) ذو جرأة، حيث إنك تشرك بالله تعالى وتطلب الرحمة منه لك ولمن على شاكلتك. (الرفاهية) التوسع والراحة].

(٥) سورة الدخان – الآيات ٢٥/٢٩ .

(٦) سورة الشعراء – الآية ٥٩. قال تعالى: ﴿ كذلك وأورثناها بني إسرائيل ﴾

بقاع عبدوا الله تعالى فيها وفقدانهم، فلهذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم »[1].

ومن ملازمات حجب النعم سوق الأوبئة والأمراض. فإن الصحة نعمة ووجود الأوبئة مع عدم القدرة على مقاومتها يمثل حجبا لإحدى النعم. كما أن الزلازل والبراكين قد تمثل هى الأخرى نوعا من حجب النعم. وقس على ذلك فإنه متى نظر المرء إلى النعم الإلهية التى كانت غامرة ثم حجبها الله عن هؤلاء القوم. بحجب أصولها أو ثمارها أو كليهما معا.

فما ذلك إلا يمثل موضوعاً من موضوعات الغضب الإلهى على ما يغلب عندى أدلته .

الثانية : صرف وجهه الكريم

نحن المسلمين نعتقد أن عناية الله بنا لا تنقطع، وأن رحماته متواصلة. وأن عطاياه جمة، وفى الآخرة ينظر إلينا بوجهه الكريم، كما ننظر نحن إلى وجهه الكريم. قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾[2].

يقول الشيخ عبدالكريم الخطيب[3]: « من أن المراد بالنظر إلى الله هو النظر إلى رحمة الله، والطمع فى رضوانه والتعلق بالرجاء فيه، وفى ذلك اليوم الذى ينقطع فيه كل رجاء إلا منه جل علاه »[4].

---

(١) الإمام الحافظ بن كثير – تفسير القرآن العظيم م٤ ج٧ ص١٦٣/١٦٤ بتصرف

(٢) سورة القيامة – الآيتان ٢٢/٢٣ .

(٣) عبدالكريم محمود يونس أحمد حسن الخطيب، ولد بقرية الصوامعة غرب التابعة لمركز طهطا بمدينة جرجا بمحافظة سوهاج فى مايو ١٩١٠م وعمل مدرسا بوزارة المعارف العمومية ثم سكرتير لوزير وزير الأوقاف على عبدالرازق، ثم أستاذا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وبلغت مؤلفاته ٤٣ مؤلف منها التفسير القرآنى للقرآن، القصص القرآنى من العالم المنظور وغير المنظور، المرأة فى الإسلام، اليهود فى القرآن، المهدى المنتظر ومن ينتظرونه ...الخ . توفى رحمه الله فى نوفمبر ١٩٨٦م . راجع عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية – الدكتور محمد حسينى موسى محمد الغزالى (رسالة ماجستير بجامعة عين شمس) ص١٠/٣١ باختصار شديد. وعزاه إلى كتاب (عبدالكريم الخطيب والثقافة الإسلامية – الأستاذ السيد أبو ضيف المدنى ص١٢/١٤ طبعة دار الفكر العربى بمصر، ومجلة الدعوة ١١ نوفمبر ١٩٨٦م) .

(٤) الشيخ عبدالكريم الخطيب – التفسير القرآنى للقرآن ج٢٩ ص١٣٣٩/١٣٣٨ – الكتاب الخامس عشر – دار الفكر العربى ١٩٧٠

وعن جرير بن عبد الله[1] قال: « كنا جلوساً ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا. ثمَّ قرأ: ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ »[2].

(١) جرير بن عبدالله بن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن حزيمة بن حرب بن علي البجلي الصحابي الشهير يكنى أبا عمرو وقيل يكنى أبا عبدالله اختلف في وقت إسلامه، فمنها أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة عشر وأن بعثه إلى ذي الخلصة كان بعد ذلك وأنه وافى مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع من عامه وفيه عندي نظر لأن شريكا حدث عن الشيباني عن الشعبي عن جرير قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أخاكم النجاشي قد مات الحديث أخرجه الطبراني فهذا يدل على أن إسلام جرير كان قبل سنة عشر لأن النجاشي مات قبل ذلك وكان جرير جميلا قال عمر هو يوسف هذه الأمة وقدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيلة وكان لهم أثر عظيم في فتح القادسية ثم سكن جرير الكوفة وأرسله علي رسولا إلى معاوية ثم اعتزل الفريقين وسكن قرقيسيا حتى مات سنة إحدى وقيل أربع وخمسين وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم بعثه إلى ذي الخلصة فهدمها وفيه عنه قال ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم وروى البغوي من طريق قيس عن جرير قال رآني عمر متجردا فقال ما أرى أحدا من الناس صور صورة هذا إلا ما ذكر من يوسف ومن طريق إبراهيم بن إسماعيل الكهيلي قال كان طول جرير ستة أذرع وروى الطبراني من حديث علي مرفوعا جرير منا أهل البيت وروى عنه من الصحابة أنس بن مالك قال كان جرير يخدمني وهو أكبر مني أخرجه الشيخان. راجع الإصابة لابن حجر – الجيم بعدها الراء. في الفصل: ١١٣٨ – ص: ٤٧٥.

(٢) الإمام البخاري – باب: ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾. الحديث رقم: ٤٥٧٠، ٥٢٩، ٥٤٧، ٦٩٩٧ . وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر، رقم: ٦٣٣. وذكره ابن حجر في الفتح في الحديث ج٨ ص٤٢٢ . والمراد بـ : [(لا تضامون) لا ينالكم ضيم، أي تعب أو ظلم. (لا تغلبوا) بأن تستعدوا لقطع أسباب الغلبة المنافية للاستطاعة، من نوم أو شغل. (قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) أي صلاتي الفجر والعصر. (وسبح بحمد ربك) نزهه عن كل نقص وعظمه بالعبادة /ق: ٣٩/] وروى الإمام البخاري بصحيحه أيضا – باب: يبدي ضبعيه ويجافي في السجود.. الحديث رقم: ٧٧٣، ٦١٣٠، ٦٩١٥، ٦٢٠٤ – عن أبي هريرة قال: « إن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: (هل تمارون في القمر ليلة بدر، ليس دونه حجاب). قالوا: لا يا رسول الله، قال: (فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب). قالوا: لا، قال: (فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا، فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته. ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم... إلى آخر الحديث » وأخرجه مسلم في الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، رقم: ١٨٢. وذكر العلامة الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – باب ما جاء في الميزان والصراط والورود.. في الحديث رقم: ١٨٤٤٤.

وعن أبي سعيد الخدري(1) ﷺ قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا) »(2).

أما الكافرون وأهل المعاصي فهم من رحمة الله مطردون، وفي عذابه واقعون. قال تعالى: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾(3).

إن الأشقياء سوف يلقون في النار يبكون، ويشهقون خالدين فيها لا خروج ولا موت(4).

◈ **ربما يقال:** إن صرف وجه الله الذى ذكرت في الآخرة، فهل هناك صرف وجه الله عن أحد من أهل الدنيا، رغم أن حديثنا عنهم؟

---

(1) أبو سعيد الخدرى: هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري مشهور بكنيته استصغر بأحد واستشهد أبوه بها وغزا هو ما بعدها روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وغيرهم روى عنه من الصحابة بن عباس وابن عمر وجابر ومحمود بن لبيد وأبو أمامة بن سهل وأبو الطفيل ومن كبار التابعين بن المسيب وأبو عثمان النهدي وطارق بن شهاب وعبيد بن عمير وممن بعدهم عطاء وعياض بن عبدالله بن أبي سرح وبشر بن سعيد ومجاهد وأبو المتوكل الناجي وأبو نضرة ومعبد بن سيرين وعبدالله بن محيريز وآخرون وهو مكثر من الحديث. قال حنظلة بن أبي سفيان عن أشياخه كان من أفقه أحداث الصحابة وقال الخطيب كان من أفاضل الصحابة وحفظ حديثا كثيرا وروى الهيثم بن كليب في مسنده من طريق عبدالمهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم أنا وأبو ذر وعبادة بن الصامت ومحمد بن مسلمة وأبو سعيد الخدري وسادس على ألا تأخذنا في الله لومة لائم فاستقال السادس وقيل مات سنة أربع وسبعين وقيل أربع وستين، وقيل مات سنة ثلاث وستين وقال العسكري مات سنة خمس وستين. راجع الإصابة لابن حجر – في: ذكر من اسمه سعد ساكن العين. في الفصل: ٣١٩٨[ص:٧٨]

(2) الإمام البخاري – باب: صفة الجنة والنار. في الحديث رقم: ٦١٨٣، ٧٠٨٠، وأخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة، رقم: ٢٨٢٩. وذكره ابن حجر في الفتح ج١٣ ص٣٧٦ .

(3) سورة هود – الآيتان ١٠٦/١٠٧ .

(4) عبدالودود يوسف – تفسير المؤمنين ص١٨٦ .

❖ **والجواب** : إن الله تعالى إذا صرف وجهه عن أحد من أهل الدنيا، فانما هو صرف رحمة، ومادام قد انصرفت عنه رحمة الله، فقد وقع فى عذابه، ومن ثم؛ قال: المطرودين من رحمة الله فى دار دانيا هم الذين لا يألفون ولا يؤلفون.

ويدل على ذلك الحديث الذى يرويه جابر(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفيهقون قال: المتكبرون) ››(٢).

وقس على ذلك الودعاء والمتراحمين والمتحابين فى الله، وأهل الحج والزكاة، وأهل الجهاد والأعمال الصالحة الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فهم الذين ينظر الله لهم برحماته، أما أكلوا أموال الناس بالباطل وشهود الزور. وأصحاب النميمة، ومن عرفت عنهم القسوة، فإن الله لا ينظر إليهم فى دار الدنيا .

---

(١) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي يكنى أبا عبدالله وأبا عبدالرحمن وأبا محمد أقوال أحد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة وفي الصحيح عنه أنه كان مع من شهد العقبة وروى البخاري في تاريخه بإسناد صحيح عن أبي سفيان عن جابر قال كنت اميح أصحابي الماء يوم بدر ، وعن جابر أنه قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين غزوة بنفسه شهدت منها تسع عشرة غزوة. وروى مسلم عن جابرا قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة قال جابر لم أشهد بدرا ولا أحدا منعني أبي فلما قتل لم أتخلف وعن جابر قال استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمل خمسا وعشرين مرة أخرجه أحمد وغيره، مات جابر ﷺ سنة أربع وسبعين. راجع الإصابة لابن حجر – وجدت في: الجيم بعدها الألف.. فى الفصل: ١٠٢٧[ص:٤٣٤]

(٢) الإمام الترمذى – سنن الترمذي ج:٤ ص:٣٧٠ – باب ما جاء في معالي الأخلاق – الحديث: ٢٠١٨ ، ورواه الإمام الطبرانى ـ المعجم الكبير ج:١٠ ص:١٩٠ – الحديث:١٠٤٢٤ ، وراجع سنن الترمذي (وشرح العلل) [ص٢٥٠]. – باب ما جاء في معالي الأخلاق. . في الحديث رقم: ٢٠٨٧. وقال : وفي الباب عن أبي هريرة هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. والمراد بـ[الثرثار: هو كثير الكلام، والمتشدق: هو الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم. وروى بعضهم هذا الحديث عن المبارك بن فضالة عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه عن عبد ربه بن سعيد. وهذا أصح]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: « سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تنزع الرحمة إلا من شقي) »(١).

ثالثا: إنزال القضاء الإلهي عليهم

المؤمن متمسك بعقيدته التي جاء بها القرآن الكريم، والحديث الشريف، وبالتالي فهي عقيدة دينية صحيحة تقوم على أجزاء ستة.

عن عمر بن الخطاب قال: « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا نعرفه، حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه فقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره" قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل" قال: فأخبرني عن أمارتها قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان" قال: ثم انطلق فلبثت ثلاثا، ثم قال: "يا عمر، هل تدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »(٢).

---

(١) سنن الترمذي (وشرح العلل) – باب ما جاء في رحمة الناس. . في الحديث رقم: ١٩٨٨ [ص ٢١٧]. وقال هذا حديث حسن.

(٢) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ١ ص: ٣٦ – كتاب الإيمان – باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى – الحديث رقم: ٨. وأخرجه ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ١ ص: ٣٨٩– ذكر الإخبار عن وصف الإسلام والإيمان بذكر جوامع شعبهما– الحديث: ١٦٨. وأخرجه الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ – سنن أبي داود – باب في القدر. في الحديث رقم: ٤٦٩٥. وراجع عون المعبود شرح سنن أبي داود – الإمام محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ج١٢ ص٣٠٣ – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ – الطبعة الثانية –.

والمعلوم أن قضاء الله لا راد له متى كان مبرما، أما إذا كان معلقا؛ فإن الأمر فيه يختلف لقوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾[١]. وقال أيضا: ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾[٢].

يقول الإمام البيضاوى : « أم المراد بأم الكتاب أهل الكتاب. وهو اللوح المحفوظ، إذ ما من كائن إلا هو مكتوب فيه »[٣].

فإذا غضب الله على قوم؛ صير المعلق مبرما؛ لأن المعلق ما علقه إلا الدعاء، فعن ثوبان[٤] قال: قال رسول الله ﷺ : « ولا يزيد فى العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها »[٥].

فإذا كان الدعاء من مؤمن، ووقع خالصا لله؛ فإن القضاء المعلق يظل فى تدافع مستمر مع الدعاء، حسب ما جاء به فى الحديث الشريف، أما الكافر فإنه لا دعاء له مقبول، وبالتالى؛ فكل قضاء معلق يصير كالمبرم، لا راد له ولا دافع.

رابعا: تركهم وما يبتلون به

المؤمن إذا ابتلى صبر، وإذا أنعم عليه شكر، فعن صهيب قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عجبا لأمر المؤمن. إن أمره كله خير. وليس ذاك لأحد إلا

(١) سورة الرعد – الآية ٣٩ .

(٢) سورة الرعد – الآية ٤٣ .

(٣) القاضى ناصر الدين البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٢٨٠.

(٤) ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابي مشهور يقال إنه من العرب حكمي من حكم بن سعد حمير وقيل من السراه اشتراه ثم أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمه إلى أن مات ثم تحول إلى الرملة ثم حمص ومات بها سنة أربع وخمسين قاله بن سعد وغيره وروى بن السكن من طريق يوسف بن عبدالحميد قال لقيت ثوبان فحدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لأهله فقلت أنا من أهل البيت فقال في الثالثة نعم ما لم تقم على باب سده أو تأتي أميرا تسأله وروى أبو داود من طريق عاصم عن أبي العالية عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي الا يسأل الناس واتكفل له بالجنة فقال ثوبان أنا فكان لا يسأل أحدا شيئا. (الإصابة لابن حجر – الثاء بعدها الواو ص: [٤١٣]. في الفصل: ٩٦٨

(٥) الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى ص٢٧٥، سنن ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى . ج١ ص٣٥– المكتبة العلمية – بيروت لبنان ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

للمؤمن. إن أصابته سراء شكر. فكان خيرا له. وإن أصابته ضراء صبر. فكان خيرا له".»[1]. وهو في سره ونجواه ودائما يقول: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾[2].

يقول الشيخ الشعراوي: « المصيبة هي الأمر الذي ينال الإنسان منه المشقة، والألم. حينما نصاب بأي مصيبة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. أي نحن مملوكون لله، ونحن راجعون إليه، ومتى كان في مصائب الدنيا ظلم؛ وقع لنا أوقع علينا من إنسان، فسوف نأخذ ثواب ما ظلمنا فيه عند الرجوع إلى الله، فنحن لله ابتداء بالملكية ونحن لله نهاية، والمرجع، وهو ﷻ على الوجهين الابتداء والانتهاء »[3].

ولا يجيء الأمر له إلا لأنه ما ابتلاه الله به إيمانا على تحمله، فعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن سعد قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له) »[4].

---

(١) صحيح مسلم – باب المؤمن أمره كله خير. في الحديث رقم: ٦٤ – (٢٩٩٩) وذكره الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم ج١٨ ص١٢٥ حديث رقم: ٦٤ . وصهيب هو: صهيب بن سنان بن مالك ويقال خالد بن عبد عمرو بن عقيل ويقال طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس بن زيد مناة بن النمر بن قاسط النمري أبو يحيى وأمه من بني مالك بن عمرو بن تميم وهو الرومي قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيرا ، قيل: إنه هرب من الروم فقدم مكة فحالف بن جدعان، وأسلم هو وعمار ورسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم، وهاجر إلى المدينة مع علي بن أبي طالب في آخر من هاجر في تلك السنة فقدما في نصف ربيع الأول وشهد بدرا والمشاهد بعدها، وعن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السباق أربعة أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة وسليمان سابق الفرس وروى بن عيينة في تفسيره وابن سعد من طريق منصور عن مجاهد أول من أظهر إسلامه سبعة فذكره فيهم. وروى عنه أولاده حبيب وحمزة وسعد وصالح وصيفي وعباد وعثمان ومحمد وحفيده زياد بن صيفي وروى عنه أيضا جابر الصحابي وسعيد بن المسيب وعبدالرحمن بن أبي ليلى وآخرون، ومات صهيب في شوال سنة ثمان وثلاثين وهو بن سبعين. (راجع الإصابة لابن حجر – الصاد بعدها الهاء [ص:٤٤٨]. في الفصل: ٤١٠٨

(٢) سورة البقرة – الآية ١٥٦ .

(٣) الشيخ محمد متولى الشعراوى – تفسير الشعراوى ج١ ص٦٦٣/٦٦٤ – أخبار اليوم – قطاع الثقافة .

(٤) سنن الترمذي (وشرح العلل) – بَابُ مَا جَاءَ في الرِّضا بالقضاءِ . [ص ٣١٠] في الحديث رقم: ٢٢٤٢ – وقال الترمذى: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لا نعرفهُ إلاَّ من حديثِ مُحَمَّدِ بن أبي حُمَيدٍ ويقال لهُ أيضاً حمَّادُ بنُ أبـي حُمَيدٍ وهو أبو إبْراهيمَ المدينيِّ فليسَ هو بالقويِّ عندَ أهلِ الحديثِ. وراجع أيضا الجامع الصحيح للإمام الترمذى ج٣ ص٣٠٩ .

قد يصاب بالمرض ابتلاءً فيعتبر تلك الإصابة ميزة بالنسبة له، لقوله ﷺ فى الحديث الذى يرويه أبو هريرة وأبى سعد رضى الله عنهما: « مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلاَ نَصَبٍ، وَلاَ سَقَمٍ، وَلاَ حَزَنٍ، حَتَّىَ الْهَمّ يُهَمّهُ إلاّ كُفّرَ بِهِ عنْ سَيّئَاتِهِ »[١].

إذن؛ فرحه بما ابتلى به إنما هو ناشئ عن عقيدة سليمة، وإيمان مستقر بأن ما أجراه الله عليه هو الخير كله الذى خبأه الله له، وهو حين يصبر على ما ابتلاه الله يكون ممن يضع فى اعتباره قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[٢].

إنكم أيها المؤمنون واقعون لا محالة فى مواقع الابتلاء، وإنكم لن تتركوا حتى تدخلوا فى هذا الابتلاء، وتتجرعوا كؤوسه المرة، فإن [illegible]تم فى هذا الابتلاء وصبرتم على ما تلقون من بأساء وضراء قد أثبتم إنكم مؤمنون[٣].

ففى كل الحالات ميزه له، يجد لطف فى قلبه فيرضى بما قسم الله به، فإذا عاش؛ عاش سعيدا، وإن مات؛ مات راضيا شهيداً، لقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٤].

---

(١) صحيح مسلم – باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها – الحديث رقم: ٥٢ – (٢٥٧٣) . وذكره الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم فى الحديث رقم: ٥٢ ج٦ ص١٣٠، والمراد بـ: [(وصب) الوصب الوجع اللازم. ومنه قوله تعالى: ولهم عذاب واصب. أي لازم ثابت. (ولا نصب) النصب التعب. وقد نصب ينصب نصبا كفرح يفرح فرحا – ونصبه غيره وأنصبه، لغتان. (يهمه) قال القاضي: بضم الياء وفتح الهاء، على ما لم يسم فاعله. وضبطه غيره يهمه بفتح الياء وضم الهاء، أي يغمه. وكلاهما صحيح].

(٢) سورة محمد – الآية ٣١ .

(٣) الشيخ عبدالكريم الخطيب – التفسير القرآنى للقرآن ج٢٦ ص٣٧١ – الكتاب ١٣ .

(٤) سورة العنكبوت – الآية ٢ . وفى تفسير الآية قال الحافظ ابن كثير : « (أخرج ابن أبي حاتم: أن ﴿ آلم أحسب ... ﴾ نزلت في أناس كانوا بمكة، أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب الرسول عليه السلام بالمدينة أن لا يقبل منهم حتى يهاجروا، فخرجوا إلى المدينة فردهم المشركون، وأخرج ابن سعد: أنها نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذب في اللّه، كما في اللباب) استفهام إنكار، ومعناه أن اللّه سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين، بحسب ما عندهم من الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح، "أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء" وهذه الآية كقوله: ﴿ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم اللّه الذين منكم ويعلم الصابرين ﴾، وقال في البقرة: ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر اللّه ألا إن نصر اللّه قريب ﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن اللّه الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان، ممن هو كاذب في قوله ودعواه، واللّه سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن كيف يكون وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة، وبهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل قوله: ﴿ إلا لنعلم ﴾ إلا لنرى، وذلك لأن الرؤية إنما تتعلق بالموجود والعلم أعم من الرؤية فإنه يتعلق بالمعدوم والموجود »

هل يظن الناس أن يهملوا بلا اختبار بالتكاليف، ولا جزاء فى الآخرة. والكلام وحده لا يكفى لمقياس درجة الإيمان، بل لابد من الاختبار والامتحان بالتكاليف والمشاق[1].

أما الكافر فإن عون الله لا يمتد إليه، بل يتركه لهواه، فإذا ابتلى بالمرض جذع، وربما أقدم على الانتحار؛ لأنه ينظر إلى أن الدنيا هى المتاع الأوحد. والفرصة الأخيرة له.

ﷻ قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[2].

يقول الإمام البيضاوى : « إن من يطيع هواه، ويبنى عليه دينه. لا يسمع ولا يبصر دليلا. فهل تكون عليهم حفيظا عن الشرك والمعاصى؟ هل تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون فتجرى لهم الآيات والحجج، فتهتم بشأنهم وتطمع فى إيمانهم. فهؤلاء كالأنعام فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات فى آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات، بل هم أضل سبيلا من الأنعام؛ لأنها تنقاد لمن يتعهدها، وتميز من يحسن إليها أمن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه سبحانه وتعالى »[3].

فإذا ابتلاه الله بالمرض جزع، وأقبل على الهلاك، وإذا ابتلاه بالفقر فزع، ومد يده للحرام، ولا يبالى، وإذا ابتلاه الله بما يبتلى به أهل الصلاح كفر . وما ذلك إلاّ لأن

---

(١) الشيخ عبدالجليل عيسى – المصحف الميسر ص٥٢٠ .

(٢) سورة الفرقان – الآيتان ٤٣/٤٤ . وفى التفسير قال العلامة الحافظ ابن كثير فى تفسيره : « ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ أي مهما استحسن من شيء ورآه حسناً في هوى نفسه كان دينه ومذهبه. كما قال تعالى: ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ﴾ الآية، ولهذا قال ههنا: ﴿ أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾؟ قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول، ثم قال تعالى: ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ﴾؟ الآية، أي هم أسوأ حالاً من الأنعام السارحة، فإن تلك تفعل ما خلقت له، وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده، وهم يعبدون غيره ويشركون به، مع قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم. » راجع تفسير ابن كثير – ج٢ ص٣٢١ – طبعة دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ

(٣) الإمام البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٣٩٣ .

الله غضب عليه، وابعد عونه عنه، وحجب أنوار الهداية الربانية، فلا تصل إليه، وفي الآخرة يتلاومون.

ﷻ قال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾(١).

قالت آخر أمة ضالة مشيرة إلى الرعيل الأول من المجرمين، الذين أبعدوا النـاس عن الإسلام: يا رب هؤلاء هم الذين أضلونا عن دينك، عذبـهم عذابـا شـديدا مضاعفـا، فيجيبهم الله: سأضاعف العذاب لكم جميعا، لماذا اتبعتموهم؟ وتقول طليعة الكفر لأخـر أمه كافرة وهي شامتة لن يقل عذابكم عن عذابنا، فكلنا فيه متساوون(٢).

(١) سورة الأعراف – الآيتان ٣٨/٣٩ . وفي التفسير قال ابن كثير – رحمه الله – : « يقول تعالى مخـبراً عما يقولـه لهؤلاء المشركين به المفترين عليه المكذبين بآياته ﴿ ادخلوا في أمم ﴾ أي من أمثالكم وعلى صفاتكم. ﴿ قد خلـت مـن قبلكم ﴾ أي من الأمم السالفة الكافره، ﴿ من الجن والإنس في النـار ﴾ ويحتمـل أن يكـون ﴿ في أمـم ﴾ أي مـع أمـم. وقوله: ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ كما قال الخليل عليه السلام، ﴿ ثم يوم القيامة يكفـر بعضكـم ببعـض ﴾ الآية. وقوله تعالى: ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا مـن الذيـن اتبعـوا ورأوا العـذاب وتقطعـت بـهم الأسـباب ﴾، وقولـه: ﴿ حتى إذا اداركوا فيها جميعا ﴾ أي اجتمعـوا فيـها كلـهم ﴿ قالت أخراهـم لأولاهـم ﴾ أي أخراهـم دخـولاً وهـم (الأتباع) لأولاهم وهم (المتبوعون) لأنهم أشد جرماً مـن أتباعـهم فدخلـوا قبلـهم فيشـكوهم الأتبـاع إلى اللّـه يـوم القيامة لأنهم هم الذين أضلوهم عن سواء السبيل، فيقولون: ﴿ ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ﴾ أي أضعف عليهم، كما قال تعالى: ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السـبيلا ﴿ ربنـا آتـهم ضعفـين مـن العذاب ﴾ الآية. وقوله: ﴿ قال لكل ضعف ﴾ أي قد فعلنا ذلك وجازينا كلاً بحسبه. كقوله: ﴿ الذين كفروا وصـدوا عن سبيل اللّه زدناهم عذابا ﴾ الآية، وقوله: ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ﴾، وقوله: ﴿ ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴾ الآية، ﴿ وقالت أولاهم لأخراهـم ﴾ أي قـال المتبوعـون للأتبـاع: ﴿ فما كـان لكـم علينـا مـن فضل ﴾، قال السدي: لقد ضللتم كما ضللنا، ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾، وهـذه الحـال كما أخـبر اللّـه تعالى عنهم في حال محشرهم في قوله تعالى: ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عنـد ربـهم يرجـع بعضهـم إلى بعـض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنـا مؤمنـين ﴾ الآيـات » راجـع تفسـير القـرآن العظيـم – العلامة الحافظ ابن كثير ج٢ ص٢٨١ – طبعة دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ.

(٢) عبدالودود يوسف – تفسير المؤمنين – راجعه الدكتور مصطفى الخن ص١٣٢ .

كما أن المنصرف عن الله يتوجه إلى كبرائه وساداته. بينما يتولاهم هؤلاء الكبراء والسادة بالعسف والذل والقصف، حتى ربما أذاقوهم سوء العذاب. وما ذلك إلاَّ لأن الله ابتلاهم وتركهم، وما ابتلوا به.

ﷻ نلمح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾(١).

أي ربنا؛ إننا أطعنا الأمراء والكبراء من المشيخة، وخالفنا الرسل. واعتقدنا أن عندهم شيئا، وأنهم على شيء، فإذا هم ليسوا على شيء، ربنا آتهم ضعفين من العذاب أى بكفرهم وإغوائهم إيانا والعنهم لعنا كبيرا(٢).

وقد يبتليهم الله بأصحاب القالة السوء، ولا يعينهم عليهم، حتى إنه نرى الواحد منهم يطيعهم وينصرف عن الله ولا يعينهم، بينما يصم أذنيه عن شرع الله. يتراقصون مع الشيطان، ويحاولون اللغو بالقرآن.

ﷻ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ * فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣).

قال الكافرون عند قراءة النبى ﷺ: لا تسمعوا لهذا القرآن، والغوا فيه، ائتوا باللغط ونحوه وصيحوا في زمن قراءته (لعلكم تغلبون) فيسكت عن القراءة. قال تعالى:

---

(١) سورة الأحزاب – الآيتان ٦٧/٦٨.

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم م٣ ج٦ ص٣٠١.

(٣) سورة فصلت – الآيتان ٢٦/٢٧. وذكر الإمام جلال الدين السيوطي فى الدر المنثور في التفسير بالمأثور: «أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته، فكان المشركون يطردون الناس عنه ويقولون ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخفى قراءته لم يسمع من يحب أن يسمع القرآن، فأنزل الله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (الإسراء ١١٠). وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿والغوا فيه﴾ قال: بالتصفير والتخليط في المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن قريش تفعله. وأخرج عبد بن حميد عن قتادة رضي الله عنه ﴿والغوا فيه﴾ قال: يقولون اجحدوا به وأنكروه وعادوه. والله أعلم» ...

﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾. أى أقبح جزاء لهم(١).

إذن؛ إطاعتهم لأولى الفاسقين، إنما تمثل لونا من غضب الله عليهم، لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾(٢).

يقول صاحبا الجلالين: « "وإن تطع أكثر من في الأرض" أي الكفار يضلوك عن سبيل الله دينه إن ما يتبعون إلا الظن في مجادلتهم لك في أمر الميتة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم وإن ما هم إلا يخرصون يكذبون في ذلك »(٣).

ﷻ وقوله عز وجل: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾(٤).

يقول الإمام البيضاوى: « يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات، وإنهماكه فى الشهوات ﴿ نقيض له شيطان فهو له قرين ﴾ يوسوسه ويغويه دائما، ﴿ وإنهم يصدونهم عن السبيل ﴾ عن الطريق الذى من حقه أن يسبل. ﴿ ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا ﴾ أى الحاشى وقيل العاشى والشيطان. ﴿ قال ﴾ أى العاشى للشيطان. ﴿ يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين ﴾ أى بعد المشرق من المغرب. ﴿ فبئس القرين ﴾ أنت أيها الشيطان »(٥).

وقال العلامة القرطبى: « قوله تعالى: "ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين" فمن يعش عن ذلك الذكر بالإعراض عنه إلى أقاويل المضلين

---

(١) العلامة جلال الدين المحلى، والعلامة جلال الدين السيوطى – تفسير الجلالين – ص٤٠٢– تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل – طبعة الشمرلى.

(٢) سورة الأنعام – الآية ١١٦.

(٣) تفسير الجلالين ج: ١ ص: ١٨٢.

(٤) سورة الزخرف – الآيات ٣٦/٣٨.

(٥) العلامة البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٥١٩.

وأباطيلهم "نقيض له شيطانا" أي نسبب له شيطانا جزاء له على كفره "فهو له قرين" قيل في الدنيا، -.- يمنعه من الحلال، ويبعثه على الحرام، وينهاه عن الطاعة، ويأمره بالمعصية؛ وهو معنى قول ابن عباس. وقيل في الآخرة إذا قام من قبره؛ وفي الخبر: أن الكافر إذا خرج من قبره يشفع بشيطان لا يزال معه حتى يدخل النار. وأن المؤمن يشفع بملك حتى يقضي الله بين خلقه.

وقال القشيري[١]: والصحيح فهو له قرين في الدنيا والآخرة.. وعن ابن عباس "يقيض له شيطان فهو له قرين" أي ملازم ومصاحب. قيل: "فهو" كناية عن الشيطان؛ على ما تقدم. وقيل عن الإعراض عن القرآن؛ أي هو قرين للشيطان. "وإنهم ليصدونهم عن السبيل" أي وإن الشياطين ليصدونهم عن سبيل الهدى؛ وذكر بلفظ الجمع؛ لأن "من" في قوله: "ومن يعش" في معنى الجمع. "ويحسبون" أي ويحسب الكفار "أنهم مهتدون" وقيل: ويحسب الكفار إن الشياطين مهتدون فيطيعونهم »[٢].

بهذا يتبين لنا أن غضب الله تعالى له موضوعات يمكن الوصول إليها، والتعرف عليها، كما أن رحماته تعالى لها تنزلات، وعليها علامات، والدارس لمقارنة الأديان يستطيع التفرقة الدقيقة بين الغضب الإلهي وموضوعه، وتلك مهمة قد حاولت الوقوف عليها، حسب ما سبق ذكره.

---

(١) القشيرى : هو الإمام الزاهد القدوة الأستاذ أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة القشيرى الخرسانى النيسابورى الشافعى الصوفى المفسر صاحب الرسالة . ولد سنة ٣٧٥هـ. كان علامة فى الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة . صنف: (التفسير الكبير)، وهو من أجود التفاسير ، وصنف (الرسالة) فى رجال الطريقة . توفى سنة ٤٦٥هـ. (سير أعلام النبلاء ج١٣ ص٥٦٤) .

(٢) العلامة أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – الجامع لأحكام القرآن، المشهور بـ"تفسير القرطبي"، تفسير الآيات – ج١٦ ص٨٩/٩٠ . (ط٢ – دار الشعب القاهرة ١٣٧٣هـ).

الفصل الثانى

غضب اللّه
على الأقوام السابقين

تمهيد

تحدث العهد القديم عن غضب الرب على الأقوام السابقين فى الوجود على بنى إسرائيل فى صور عديدة، واضعا مظاهر متكاثرة، سواء أكان ذلك الغضب من الرب على سابقى شعب إسرائيل فى الوجود، أم الموجودين معهم فى فترة زمنية واحدة، أم اللاحقين لهم، سواء أمتدوا معهم فى نفس الفترات الزمنية، أم انفصلوا عنهم.

وسأحاول عرض بعض نماذج لذلك اللون من الغضب الإلهى على غير بنى إسرائيل. ذاكرا الأسباب والنتائج التى انتهى إليها على سبيل العرض لها. طبقا لما هو وارد فى العهد القديم، وجال فى رؤوس مؤلفيه. ثم أناقش تلك الأفكار على ما هو موضوع فى منهج تلك الدراسة.

وسيكون ذلك على النحو التالى:

الطوفان[١]

يذكر مؤلفو العهد القديم وشراحه أن :

الطوفان فى العهد القديم يعيد إلى الأذهان ذكرى فيضان مدمر يعود إلى ماضٍ سحيق، وقد حفظت مع التضخيم تلك الذكرى فى أساطير سومرية بابلية ترجعه إلى أزمنة مختلفة، وعلى ضوء الإيمان بالتوحيد قام التقليد الكتابى[٢]، بالتمييز بين عناصر هذا التراث الذى تتضمنها تعليما خلقيا ودينيا[٣].

ومن ثم؛ فإن الطوفان الذى يمثل عند هؤلاء القوم لونا من ألوان التراث الشعبى، وخلت إليه عناصر فيها الكثير من المظاهر العرضية التى رفضها أصحاب التقليد

---

(١) الطوفان فى اللغة : « يطلق على الماء يغش كل شيء » (راجع المصباح المنير - العلامة الفيومى - ج٢ ص٣٨١) وقال ابن منظور: « والطُّوفانُ: الماء الذي يَغْشى كل مكان، وقيل: المطر الغالب الذي يُغْرِقُ من كثرته. وقيل: الطوفان الموت العظيم. وفي الحديث عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: الطوفان الموت، وقيل الطوفان من كل شيء ما كان كثيراً مُحِيطاً مُطيفاً بالجماعة كلها كالغَرَق الذي يشتمل على المدن الكثيرة. والقتلُ الذريع والموتُ الجارفُ يقال له طُوفان، وبذلك كله فسر قوله تعالى: فأخذهم الطُّوفان وهم ظالمون؛ وفي حديث عمرو بن العاص: وذُكر الطاعونُ فقال لا أراه إلا رجْزاً أو طوفاناً؛ أراد بالطوفان البَلاء، وقيل الموت. قال ابن سيده: وقال الأخفش الطُّوفان جمع طُوفانةٍ، والأخفش ثِقة؛ قال: وإذا حكى الثقة شيئاً لزم قبوله. قال أبو العباس: وهو من طاف يطوف، قال: والطُّوفان مصدر مثل الرُّجْحان والنُّقْصان ولا حاجة به إلى أن يطلب له واحداً. ويقال لشدَّة سواد الليل: طُوفان. والطُّوفانُ: ظَلام الليل » (راجع لسان العرب للعلامة ابن منظور - باب الطاء مادة ط أ ف ج٢ص٣٩٠). وفى اصطلاح العهد القديم : هو الذى أرسله الله فى أيام نوح. كحكم الهى على الناس، لفسادهم، حيث انفجرت كل ينابيع الغمر العظمى، وانفتحت طاقات السماء. فكان قسم الماء من ماء البحر، والقسم الآخر من المطر الذى سقط على الأرض أربعين يوما، وأربعين ليلة، حيث غطت جميع الجبال الشامخة التى تحت كل السماء خمسة عشرة ذراعاً فى الارتفاع، وقد تعاظمت المياه فمات كل جسد يدب على الأرض من الناس والطيور والبهائم والوحوش، وكل الزحافات، وبقى نوح والذين معه فى الفلك وحدهم. (قاموس الكتاب المقدس ص٥٨١/٥٨٤) .

(٢) التقليد هو ما ليس فى الكتاب المقدس من فرائض وأحكام وعوائد اليهود وإنما تداولوه من جيل إلى جيل، وقد سموا التقليد بالتوراة الشفوية أو الشريعة المنقولة بالفم تمييزاً له عن التوراة - أى الشريعة المكتوبة - والتقليد يرجع إلى الأسر البابلى على الوجه الأرجح.هذا العصر الذى انشأوا فيه المجامع، وأخذوا يدرسون الشريعة ويفسرونها ويترجمونها للسامعين بلغة يفهمونها. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٧١٤،٧٤٢).

(٣) معجم اللاهوت الكتاب ص٥٠٥ .

الكتابى، بغض النظر عن النتائج التى جاءت بعده، بل إنهم يعتبرونه نوعا من الكارثة التى جعلها الإله لتطهير الخطأه، وعلى الأقل تعينهم على الخلاص من طبيعتهم البشرية الغاشمة.

بيد أن الدارس يهمه من الدرجة الأولى أن يعرض الآراء من خلال نصوصهم، ثم يعقب عليها.

أ- عرض الفكرة

يذكر العهد القديم؛ أن الناس تكاثروا على سطح الأرض، وقد ولدت لهم بنات جميلات، انجذبت إليهنّ أنظار أبناء الرب فاتخذوا لأنفسهم من بنات البشر زوجات حسب ما طاب لهم، وقد أغضب ذلك الفعل الرب؛ لأنه لم يستشر فى المسألة. فحكم على الإنسان بأنه بشر زائغ وقرر عقابه[1]؛ لأنه يجرى خلف شهواته. وإن كانت معاكسة لإرادة الرب.

أجل؛ أغضب ذلك الفعل الرب، فحزن وتأسف؛ لأنه خلق الإنسان الشرير. وقال فى نفسه: لابد أن أمحو هذا الإنسان الذى خلقته من على وجه الأرض. حتى أمحو أيضا معه سائر الناس والحيوانات والزواحف وطيور السماء؛ لأنى حزنت أنى خلقته، ولو كنت عالما بأنه سيقع فى الشرور التى تغيظنى؛ لما هممت بخلقه[2].

وعليه؛ فإن هذا السلوك قد أغضب الرب غضبا شديدا، حتى إنه تأسف فى قلبه وحزن، غير أن ذلك الحزن لم يؤد إلى نتيجة، على أساس أن الشر كان هو السائد، ولم يكن خيرا إلا نوح وحده هو الذى كان « صالحا فى زمانه، وكان يسير مع الله »[3].

من ثم؛ فإن الرب استثنى نوحًا وحده من أن يقع عليه الشر؛ لأنه لم يصنع شرا مثل البشر الذين عاشوا معه وملأوا الأرض ظلما، وقد حرص الرب على معاقبة هؤلاء، بأن نهاية البشر صارت فى عداد التنفيذ؛ لأنهم ملأوا الأرض ظلما أمام الرب، وأن

(١) العهد القديم – سفر التكوين الإصحاح ٦ – ١ : ٤ قد عرض لذلك بتفسير شديد .

(٢) هذا بناءا على فكرة اليهود الساذجة، وهى نسبة البداء والمهل إلى الرب عندهم، وهى فكرة لا تقوم إلا على الوثنيات، ولا يصدق بها عاقل أبدا .

(٣) العهد القديم – سفر التكوين ٦ : ٩ .

نهايتهم ستكون بالإبادة، ولذا؛ كلف الله نوحاً أن يبنى فلكـا[١] مـن خشـب السـرو[٢]. وأن يجعل منه غرفا مطلية بالزفت من الداخل والخارج، ووصف له طول الفلك. بأنه لا يزيد عن ثلاثة مائة ذراع، نحو خمسة وثلاثيين ومائة متر. وأن عرضه لا يزيد عن خمسين ذراعا نحو اثنين وعشرين متراًونصف المتر، وكذلك ارتفاعه لا يزيد على ثلاثين ذراعاً نحو ثلاثة عشر متراونصف.

وكذلك أمره الرب أن يجعل للفلك نافذة على انخفاض ذراع نحو خمسة وأربعن سنتيمتر من السقف، وأن يكون له باب في جانبه، وكذلك يكن للفلك طوابق ثلاثة سفلية ومتوسطة وعلوية[٣].

أجل؛ بنى نوح الفلك ولم يكن مجرد زورق صغير، وإنما كان كبيراً. والأرجح أن نوحا بناه على بعد أميال كثيرة من أقرب تجمع للمياه « وكان يعينه في ذلك العمل رجال قليلون وثقوا بالله وآمنوا بمواعيده »[٤].

وهم في ذلك العمل كانوا يحذرون الناس من الكارثة القادمة. ولم يكن الناس يعبئون بتلك التحذيرات، وبالتالي؛ لم تستقر أحوالهم، بل ظلوا على خلافهم مع نوح أبدا. وربما زادوا من ذكر الخلاف.

دخل نوح الفلك وأخذ معه زوجا من كل الحيوانات. وسبعة أزواج من الحيوانات التي كانت تقدم ذبائح للرب[٥]؛ لأن الرب قد أقام عهداً مع نوح، يتم بمقتضاه أن يبيد الرب كل كائن حي على الأرض.

---

(١) الفلك بضم الفاء وسكون اللام: لفظ يطلق على السفينة. (راجع في هذا الشأن: العلامة الفيروز آبادي – القاموس المحيط ج٣ ص٣١٦).

(٢) خشب السرو : شجرة كبيرة توجد بكثرة في حسورت فلسطين وتنموا مع الأرز في لبنان. ويبلغ طولها من عشرة إلى خمسة وعشرين قدما، ولونها أصفر ولها رائحة جميلة دائما، ولخشب السرو استعمالات عديدة منها : بناء السفن ولعمل الآلات ويستخدم أيضا لبناء وتشييد البيوت مع خشب الآرزولعمل الرماح. (راجع معجم اللاهوت الكتابي ص...).

(٣) العهد القديم – سفر التكوين ٦ : ١٤ – ١٧ .

(٤) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص٢٤ .

(٥) ذبائح للرب : الذبائح هي الطريقة التي تعد كتقدمه للرب، وقد وجدت طقوس متنوعة بخصوص الذبائح في بابل ومصر وغيرهما قبل أيام موسى بكثير . (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٣٨٤) .

أما نوح فيدخل هو وبنوه وامرأته ونساء بنيه إلى الفلك. ويأخذ معه في الفلك زوجين ذكراً وأنثى من كل كائن حي ذي جسد. حيث يمثلون في المستقبل نواة العالم الجديد، وكذلك يدخل معه اثنان من كل صنف من أصناف الطيور والبهائم والزواحف التي على الأرض؛ حفاظا على استمرارها وبقائها.

وأمر الرب نوحاً أن يدخر لنفسه من كل طعام يؤكل ويخزنه، ليكون غذاءً لنوح وللحيوانات، وكان من حرص نوح أنه أدخل معه سبعة أزواج من الحيوانات. ويقدر كثير من العلماء عدد الحيوانات التي دخلت إلى الفلك بنحو خمسة وأربعين ألف[1] حيوان[2]. .

وقال الرب لنوح: هيا أدخل أنت وأهل بيتك جميعا إلى الفلك الذي بنيته. لأني إياك رأيت باراً لديّ في هذا الجيل، فإني بعد سبعة أيام أمطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة، كما أمحو عن وجه الأرض كل مخلوق حي. وفعل نوح ذلك بموجب ما أمره الرب[3]؛ حتى يكون ذلك مرضيا.

وما أن انتهت الأيام السبعة، حتى فاضت المياه على الأرض، تفجرت المياه من اللجج العميق في باطن الأرض، وهطلت أمطار السماء الغزيرة، واستمر الطوفان ليلا ونهاراً مدة أربعين يوما، وكان نوح وزوجته وأبناؤه؛ سام وحام ويافث، وزوجاتهم الثلاث في الفلك، ومعهم الوحوش والبهائم والزواحف والطيور ذواتي الأجنحة. كل حسب أصنافها، كما دخل من كل ذي جسد زوجان، ثم أغلق الرب عليهم باب الفلك[4].

---

(١) وهذا الرقم لست أدري وجه الصحة فيه؛ لأن هذا من الأخبار التي يجب أن يكون الدليل منها يقينا مقطوعا بصحته، بينما القرآن الكريم قد نص على أن الله تعالى أمر نوحا بأن يحمل معه من كل زوجين اثنين. قال تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ ﴾ سورة هود - الآيات ٣٨/٤٠ .

(٢) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص٢٤ .

(٣) سفر التكوين ٧ : ١ - ٥ .

(٤) سفر التكوين ٧ : ١٢ - ١٦ .

أجل دام الطوفان عندهم أربعين يوما، وكانت المياه عالية عل وجه الأرض، استطاعت أن تجعل الفلك يطفو ويسير على الأرض بسهولة. فى نفس الوقت، فإن المياه أغرقت جميع الجبال العالية، التى تحت السماء، وبلغ ارتفاعها خمسة عشر ذراعاً، نحو سبعة أمتار على أعلى قمم الجبال، فمات كل كائن حى يتحرك على الأرض، من طيور وبهائم ووحوش وزواحف، وكل بشر مات، بل كل ما يحى أو ليتنفس على اليابسة ولم يعيش سوى نوح ومن معه فى الفلك. وظلت المياه طافية على الأرض مدة مائة وخمسين يوما[١].

ويبدو أن نوحا وفلكه ومن معه، قد أثروا الحياة داخل الفلك. تلك المدة الطويلة، حتى ظنوا أنفسهم فى عالم آخر، فأهملوا ما كانوا يقومون به نحو الرب، حتى إنه أفتقدهم، وبالتالى؛ راح الرب يبحث عنهم، فأرسل ريحا وهدأت المياه من شدة الريح، وانسدت ينابيع اللجج ومياذيب[٢] السماء وأحبس المطر، وتراجعت المياه تدريجيا. وبعد مائة وخمسين يوما نقصت المياه واستقر الفلك على جبال أراراط[٣] فى اليوم السابع عشر للشهر السابع للطوفان، وظلت المياه تتناقص تدريجيا حتى الشهر العاشر، ومن اليوم الأول من الشهر العاشر بدت قمم الجبال[٤].

ويبدو أن نوحا وهو فى الفلك قد طالت لمدة مائة وخمسين يوما محبوسا. فقرر الصبر حتى مر أيام أربعون، وبعده فتح نوح النافذة وقام بإجراء بعض التجارب حتى يستبين له الموقف، ويعرف هل جفت الأرض أم لم تجف.

فأخرج غرابا من حوزته وأطلقه فظل الغراب يحوم ويرجع إلى الفلك. فلما لم يتبين له الموقف من جفاف الماء على الأرض انتزع حمامة من الفلك فأطلقها هى الأخرى ليعرف ما إذا كانت المياه قد نقصت أم لا.

---

(١) العهد القديم – سفر التكوين ٧ : ٢٧ – ٢٤ .

(٢) مياذيب جمع مفردها ذاب، وذاب بمعنى سال. تقول العرب : ذاب الثلج ذوبانا سال عن جموده ويقصد من نص العهد القديم مياذيب السماء السيول التى من السماء، أثناء الطوفان. (المعجم الوجيز ص٢٤٧).

(٣) اراراط : هذا اللفظ العبرى مأخوذ من الأصل الأكادى (أورارطو) وقد أطلق هذا الاسم على بلاد جبلية تقع شمال أشور التى على أحد جبالها، استقر فلك نوح . (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٤٢) .

(٤) سفر التكوين ٨ : ١٥ .

ويبدو أنها كانت حمامة رقيقة الحال، فعادت إلى نوح بسرعة؛ لأنها لم تجد موضعا تستقر عليه رجلها، بل إنها لم تتمكن من دخول الفلك، وأنها وقفت قريبا منه باكية حالها، فمد نوح يده إليها وأخذها، ثم أدخلها إلى الفلك وتأكد أن المياه لم تجف، ولو أن الغراب المتمرد رجع إليه؛ لأراح الحمامة الضعيفة من ذلك المجهود المضنى.

وبعد سبعة أيام أخرى أعاد نوح إطلاق الحمامة، ليختبر جفاف الأرض بها. فسرحت الحمامة تلك المرة، ولم تعد إليه إلاّ عند المساء وفى فمها ورقة زيتون خضراء، فأدرك نوح أن المياه تتناقص للمرة الثالثة، يبدو أنها استنكفت الرجوع إليه، وفضلت العيش بعيدا عنه فلم ترجع إليه هذه المرة[(١)].

ويعلل أصحاب التفسير التطبيقى ما قام به نوح حتى يتعرف ما إذا كانت الأرض قد يبست أم لا، وأنه قد أدرك أن المياه وإن كانت قد جفت، إلاّ أن الأرض لم تكن قد يبست تماما ليخرج إليها ومعه عائلته، وما أعظم ما أبداه نوح من صبر. خاصة أنه قضى عاما[(٢)] كاملاً فى الفلك[(٣)].

ثم أن نوحا لما ضاق به ذرعا من ذلك الحبس الطويل، وأدرك أن المياه قد تناقصت، دفع سقف الفلك وتطلع حوله ليتأكد بنفسه، فرأى أن سطح الأرض قد أخذ فى الجفاف، وإن لم تكن الأرض جفت تماما، حينئذ أمره الرب أن يخرج من الفلك ومعه امرأته وسائر بنيه، ومن دخل معهم فى الفلك من الكائنات الحية، فخرجوا جميعا، وبنى نوح مذبحا للرب، ثم اختار بعضا من جميع البهائم والطيور الطاهرة وقربها محُرقات[(٤)] على المذبح، فتقبلها الرب برضاه، وقال فى نفسه: لن أعود العن الأرض مرة أخرى بسبب أخطاء الإنسان؛ لأن قلب الإنسان شرير منذ حداثته، ولن أقوم على إهلاك كل كائن كما فعلت، بل ستكون كل أيام الأرض ذرع وحصاد وبرد وحر، وصيف وشتاء، ونهار وليل. وسوف يستمر أمرها هكذا لم تبطل أبدا[(٥)].

---

(١) سفر التكوين ٨ : ٦ – ١٢ .

(٢) هذا بحسب ما انتهى إليه أمرهم، وإن كنت لم أوافقهم عليه .

(٣) التفسير التطبيقى ص٢٧ .

(٤) محرقات : جمع مفردها حراقة، وتطلق على ما تقع فيه النار عند القدح. (المعجم الوجيز ص١٤٦)

(٥) سفر التكوين – الإصحاح ٨ .

مناقشة الفكرة

◈ الدارس للعهد القديم يدرك من أول وهلة سذاجة الفكرة التى قامت عليها مسألة الغضب ، **أما لماذا؟**

❖ فلأن أساس هذا الغضب هو وقوع أبناء الرب على جميلات بنى البشر. وتماديهم فى هذا الأمر، مع عدم اعتذارهم عنه ، بل واستمالتهم إياه.

١) أنها فكرة ساذجة

ووجه السذاجة نسبة البنوة لله ، فلو كان لله تعالى أبناء؛ لكان للأبناء أمهات – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾(١).

قال الحافظ ابن كثير : « قوله تعالى: ﴿ وأنه تعالى جد ربنا ﴾ قال ابن عباس ﴿ جد ربنا ﴾ آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه ، وقال مجاهد: جلال ربنا ، وقال قتادة: تعالى جلاله وعظمته وأمره ، وقال السدي: تعالى أمر ربنا ، وقال سعيد بن جبير: ﴿ تعالى جد ربنا ﴾ أي تعالى ربنا ، وقوله تعالى: ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ﴾ أي تعالى عن اتخاذ الصاحبة و الأولاد ، أي قالت الجن: تنزه الرب جلّ جلاله عن اتخاذ الصاحبة والولد »(٢).

يقول صاحب تفسير المؤمنين: « حكى القرآن على لسان الجن بأنهم قالوا: إن هذا القرآن يبين أن الله ﷻ ليس له زوجة ولا ولد »(٣).

ومادام الله ليست له صاحبة ولا ولد؛ فإن نسبة أيهما لله تعالى باطلة ، والاعتقاد بها فساد ظاهر ، وما يقوم على الفاسد هو أيضا فاسد ، وبالتالى؛ فالفكرة خيال مريض وسذاجة لعقلية طفولية ، يتبناها من تجاوزوا من السنية الكثير ، ويؤازرهم من بلغوا من الكبر عتيا.

---

(١) سورة الجن – الآية ٣ .

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – راجع تفسير الآية ج٣٩١/٣ .

(٣) الشيخ عبدالودود يوسف – تفسير المؤمنين ص٤٥٧ .

٢- نسبة الجهل والظلم لله تعالى

ذلك أن الله هو الذى صنع الإنسان، فإذا كان الأبناء هم الذين قد تعدوا على البنات، فإن العدل يقتضى مؤاخذة المعتدى بجريمته، أما أن يؤاخذ الجميع بجريمة الجانى الواحد، فهذا مما يقع فيه أصحاب النفوس الضعيفة، والضمائر الخربة. والقيم المحطمة، وينسب أصحابها إليه الظلم، وذلك كله من صفات النقص - تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا - .

بينما العدل الإلهى يقرره قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(١). ويقول العلامة الفخر الرازى: « معناها: إنه لا يكتب عليه ما لم يفعل، ولا يزيد فى عقابه المستحق، ولا يعذب بجرم غيره »(٢).

قال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾(٣). وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(٤). وقال أيضا: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾(٥).

فلو أن القصة على ما حكيت عندهم للزم عنها نسبة الجهل إلى الله - تعالى عن قولهم علواً كبيراً -؛ لأنه على قولهم لم يعلم الجانى من المجنى عليه، ولا المتهم من البريء، فأنزل عليهم غضبا عشوائيا، وذلك أسلوب من الأساليب التى تنسب إلى بعض الناس، ولا تنسب إلى الكبير المتعال.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾(٦).

يقول الإمام الزمخشرى: « إنه يعلم ما تحمله من ولد على أى حال هو ذكرا كان أم أنثى، حسن أم قبيح، طويل أم قصير، وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمرتقبة ويعلم ما تنقصه الأرحام، وتزيده كأن يكون الولد تاماً أم ناقصاً، كاكتمال الحمل أو

(١) سورة الكهف - الآية ٤٩ .

(٢) العلامة الفخر الرازى - مفاتيح الغيب - جـ٥ ص٤٩٢/٤٩٣ - ط٢ /١٤٠٢هـ - المطبعة العامرة الشرعية .

(٣) سورة النجم - الآيتان ٣٨/٣٩ .

(٤) سورة المدثر - الآية ٣٨ .

(٥) سورة الطور - الآية ٢١ .

(٦) سورة الرعد - الآيتان ٨/٩ .

نقصانه، أو يزيد على تسعة أشهر إلى سنتين[١]. وكل شيء عند الحق سبحانه وتعالى بمقدار، قدرحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه عالم الغيب والشهادة – الكبير – عظيم الشأن. الذى كل شيء دونه – المتعال – المستعلى على كل شيء بقدرته[٢].

إذن؛ يثبت للباحث أن قصة غضب الرب على القوم من هذه الناحية غير صحيحة، ولو عثروا عن سبب أخر مقبول، ربما كان جانب القبول للقصة راجحاً. أما وأنهم قد أقاموها على مجرد الفكرة الساذجة، وهى تزويج أبناء الرب من بنات البشر، فإنا نحكم عليهم بالسطحية والوقوع فريسة للنقول الوثنية التى ألفها أصحابها، وما صاروا قادرين على التراجع عنها أو الخروج منها.

٢) إن قصة الطوفان عندهم ضاربة فى الغيب

وكان من الأولى التسليم بها دون الدخول فى تفاصيل غيبية، لا دليل عندهم عليها. **ولذا؛ فنحن سنناقشها على النحو التالى:-**

---

(١) ينسب هذا الرأى عند الإمام الزمخشرى إلى الإمام أبى حنيفة النعمان صاحب المذهب المعروف رحمه الله: هو الإمام أبو حنيفة وأسمه النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي فقيه العراق وأحد أئمة الإسلام والسادة الأعلام وأحد أركان العلماء وأحد الأئمة أصحاب المذاهب الأربعة وهو أقدمهم وفاة لأنه أدرك عصر الصحابة ورأى أنس بن مالك قيل وغيره وذكر بعضهم أنه روى عن سبعة من الصحابة فالله أعلم . وروى عن جماعة من التابعين منهم الحكم وحماد بن أبي سليمان وسلمه بن كهل وعامر الشعبي وعكرمة وعطاء وقتادة والزهرى ونافع مولى ابن عمر ويحيى ين سعيد الانصاري وأبو اسحاق السبيعي وروى عنه جماعة منهم ابنه حماد وإبراهيم بن طهمان واسحاق بن يوسف الازرق وأسد بن عمر والقاضي والحسن بن زياد اللؤلؤي وحمزة الزيات وداود الطائي وزفر وعبدالرزاق وأبو نعيم ومحمد بن الحسن الشيباني وهشيم ووكيع وأبو يوسف القاضي . وقال فيه الشافعي: من أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة . وقال فيه سفيان الثوري وابن المبارك: كان أبو حنيفة أفقه أهل الأرض في زمانه وقال أبو نعيم كان صاحب غوص في المسائل وقال مكي بن إبراهيم كان أعلم أهل الارض وروى الخطيب بسنده عن أحمد بن عمرو أن أبا حنيفة كان يصلي بالليل ويقرأ القرآن كل ليلة ويبكي حتى يرجمه جيرانه ومكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء وختم القرآن في الموضع الذي توفى فيه سبعين الف مرة وكانت وفاته في رجب من هذه السنة أعني سنة خمسين ومائة وعن ابن معين سنة إحدى وخمسين وقال غيره سنة ثلاث وخمسين والصحيح الأول وكان مولده في سنة ثمانين فتم له من العمر سبعون سنه وصلى عليه ببغداد ست مرات لكثرة الزحام وقبره هناك رحمه الله. (راجع البداية والنهاية، للإمام ابن كثير – ذكر ترجمته . ، وراجع (معجم المؤلفين ١٠٤/١٣ ، الجواهر المضيئة ص٣٠/٢٦).

(٢) الإمام محمود بن عمر الزمخشرى – الكشاف – ص١٥٦/١٥٥ ج٢ – مطبعة دار الكتاب العربى بيروت – لبنان ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

أ- فكرة بناء الفلك

يصف العهد القديم ومفسروه بناء الفلك، كما توصف السفن العملاقة التى يتم بناءوها فى الترسانات البحرية الكبيرة طولا وعرضا وارتفاعا بجانب تكرار الأدوار - سفلى، متوسط، علوى - ولكن هؤلاء تناسوا أن كل سفينة يتم تزويدها بالمنافع التى تكفى للقيام بأداء الخدمات المطلوبة للمنقولين بها وتعاب ذات السفينة إن خلت منها كأماكن الخلاء مثلا.

كما إنه لم يعرف سكان الطوابق الثلاثة سكن نوح، ومن معه فى الطابق السفلى أم العلوى أم الوسط، وهل فصل نوح بين الحيوان المستأنس والضمارى، فجعل الضمارى فى طابق وللمستأنس الآخر، وسكن هو فى الثالث.

◈ **ثم إن الفلك به طيور ودبابات[(١)]، فهل كان به أسماك وكائنات حية مائية الفصيلة. أم لا؟**

❖ نحن المسلمون نؤمن بما ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[(٢)]. نؤمن بأن نوحا حمل ما أمره الله بحمله من الإنسان والحيوان والنبات[(٣)].

ولكن نفوض الأمر فى حقيقة الزوجين الاثنين إلى الله؛ لأن ذلك من الغيب الذى لا يعلمه إلاّ الله، وما لم يرد به نص صحيح قطعى الدلالة، فإنه يصير من الغيبيات فى تفاصيله، ويكون الإيمان به واجبا التفويض فيه إلى الله هو القاعدة الأصلية[(٤)].

---

(١) الدبابات: جمع مفردها دابة، وهذا اللفظ يطلق على كل ما يدب فى الأرض. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢١٩، المعجم الوجيز ص٢١٩).

(٢) سورة هود - الآية ٤٠. وفى التفسير قال العلامة السيوطى: «وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ وفار التنور ﴾ قال: إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فإنه هلاك قومك. وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: التنور وجه الأرض قيل له: إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك، والعرب تسمي وجه الأرض تنور الأرض.»

(٣) الدكتور محمد بكر إسماعيل - قصص القرآن ص٥١ - مكتبة فياض.

(٤) الدكتور محمد حسينى موسى محمد الغزالى - الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى ص١٨١ ط٦ - طبعة آل مخزنجى بالزقازيق ١٣١٩هـ.

ب- أيهما أصح: هل من قال بأنه نوح بنى الفلك وحده، أم من قال إنه بناه ومعه رجال أتقياء ؟

إن مفسرى العهد القديم، قرروا أن نوحا لم يكن وحده هو الذى صنع الفلك. وإنما صنعه معه رجال أتقياء فيهم صلاح، ويقولون الأرجح أن نوحا بنى هذا الفلك على بعد أميال كثيرة من أقرب تجمع للمياه، وكذلك بواسطة رجال قليلون وثقوا بالله وآمنوا بمواعيده[١].

فى نفس الوقت؛ فإن العهد القديم يؤكد على أن الرب أمر نوحا وحده أن يبنى لنفسه فلكا من الخشب السرو، وأنه كذلك أمره وحده أن يطليه من الداخل والخارج بالزفت[٢].

ولم يشر العهد القديم من قريب أو بعيد إلى وجود تعاون بين نوح وأحد فى بناء الفلك. فإذا افترضنا أن كتاب العهد القديم يعيشون بالروح القدس، وأن مفسريه كذلك، اتضح لنا أن كليهما يضرب الآخر، والمعروف أن الرأيين إذا تضاربا ولم يمكن الجمع بينهما تساقطا، وإذا تم تساقطهما، فإن الفكرة التى نمت بينهما تكون هى الأخرى ساقطة لا محالة بناء على سقوط الدليل الذى عليه يعتمدون.

ثم لو كان هناك رجال أتقياء، عاونوا نوحا فى بناء الفلك. فمن الذى قام بدور القائد من الجميع، وإن كان نوح هو الذى فعل ذلك وتسلم أمر القيادة عندئذ، إلى الأول، ولا تكون هناك حاجة لمعاونة رجال أتقياء، وبخاصة أن قوم نوح لم يكن فيهم تقى غير من آمن بالله معه.

ولو كانوا أتقياء وقد عاونوا نوحا فى البناء وتشييد ذلك الفلك. فما هى السمات التى يمكن لنوح أن يعرفهم من خلالها، بحيث يميز الأتقياء من الأشقياء، أو الأبرار من الفجار، وهى كلها مناط أسئلة لم يتمكن العهد القديم أو مفكروه أو هما معاً من تقديم إجابة عليها، فدل الأمر على أن تلك الأوصاف محض خيال. والأولى الإيمان بأن الله تعالى أمر نوحاً ببناء فلك بتوجيه من الله وعون منه وحده، من غير حاجة إلى معاونة آخرين.

---

(١) التفسير التطبيقى ص٢٤ .

(٢) العهد القديم – سفر التكوين ٦ – ١٥ .

جـ- مدة بناء الفلك:

لم يشر العهد القديم إلى المدة التى استغرقها نوح ومن معه – على القول بالمعاونة –فى بناء الفلك، وكان عليهم أن يحددوها طالما أنهم قد فرضوا ضمائرهم على الغيب، ووصفوا الفلك من نواحٍ عديدة، وحددوا أيضا بعض الملامح، مع أن المسألة غيبية، والغريب أنهم فى الأمور القريبة يقفون عندها موقف المتفرج، بينما فى الأمور البعيدة يندفعون فيها اندفاع الأرعن الذى لا يدرك عواقب الأمور. أو الأحمق الذى لا يستطيع الفصل بين ما هو عليه، وما يجب أن يكون.

- **الباحث يرى من جانبه**: تفويض الأمر فى المدة إلى علم الله تعالى، ونؤكد أن ذلك من الغيبيات التى أخفاها الله عنا رحمة بنا، ففى الحديث الشريف « عن أبى الدرداء[1] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها. وحد حدودا فلا تقربوها (تتعدوها) وحرم محارم فلا تنهكوها، وسكت عن كثير من غير نسيان فلا تكلفوها، رحمة من الله فاقبلوها، ألا إن القدر خيره وشره، ضره ونفعه إلى الله، ليس إلى العبد تفويض ولا مشيئة »[2].

ومن المسكوت عنه رحمة بنا، أو رخصة لنا، والدخول إلى ميادين الغيب أو محاولة طرق أبوابه مع عدم قدرتنا على احتمال النتائج أو الوصول فيها إلى آراء قاطعة. ولما لم يرد نص صحيح صريح فى المسألة فإنا نترك الأمر لله جلا علاه. فذلك أولى للمؤمن وأيسر، بل هو من وجهة نظر الباحث أعلى وأحكم.

---

(١) هو الصحابى الجليل؛ عويمر أبو الدرداء مشهور بكنيته وباسمه جميعا واختلف في اسمه فقيل هو عامر وعويمر . أسلم يوم بدر وشهد أحدا وأبلى فيها قال صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد نعم الفارس عويمر وقال هو حكيم أمتي . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن زيد بن ثابت وعائشة وأبي أمامة وفضالة بن عبيد روى عنه ابنه بلال وزوجته أم الدرداء وأبو إدريس الخولاني وسويد بن غفلة وجبير بن نفير وزيد بن وهب وعلقمة بن قيس وآخرون. قال أبو شهر عن سعيد بن عبدالعزيز مات أبو الدرداء وكعب الأحبار لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وقال الواقدي وجماعة مات سنة اثنتين وثلاثين وقال بن عبدالبر إنه مات بعد صفين والأصح عند أصحاب الحديث أنه مات في خلافة عثمان. راجع الإصابة لابن حجر – العين بعدها الواو. رقم : ٦١٢١

(٢) العلامة علاء الدين المتقى الهندى – كنز العمال (مطبعة الرسالة ١٩٨٩) – الباب الثاني في الاعتصام بالكتاب والسنة – الحديث رقم: ١٦٥٦ ، وراجع للإمام البيهقى: السنن الكبرى ج١٠ ص١٢ ، والإمام الشوكانى: فتح القدير ج٢ص١٢٠.

وآية ذلك أن مفسرى العهد القديم لما أدخلوا عقولهم فى ميدان الغيبيات بهذا الشكل، غرقوا حتى الأنوف، إذ يذهبون إلى أن الله منح العالم فرصة مائة وعشرين سنة، بنى فى أثنائها نوح الفلك – صورة توضيحية لرسالة حياته، تختلف مع بناء هذا الفلك الضخم على الأرض اليابسة، وقد استغرق نوح فى هذا الزمن الطويل لبناء هذا المشروع العظيم[1]، وهى مدة طويلة جداً، يعاب بها أبطأ الصناع وأقل المهرة، فما بالك إذا كان هذا البانى الصانع هو نبى كريم من أنبياء رب العالمين، كما أن الفلك فى بناءه وما يستتبعه كان معجزة، وهى لا تثبت إلى على المتحدين الذين ماتوا قبل أن يتم نوح بناءه للسفينة على هذا الرأى، وهل هم ضمن أهل الفطرة؟ فيكونون ناجين، مع أنهم لم يؤمنوا بنوح، والمعروف أن أهل الفطرة الذى لم يأتيهم أمرهم من المكذبين لنوح مع أن المعجزة لم تثبت أمامهم ولم تثبت أيضا نبوته فيهم.

أم أنهم يريدون أن يقولوا إن الله حبس أعمار الناس عن الحركة، وظلت باقية، فلم يحدث لواحد منهم موت من بداية إعلان نوح نبوته حتى انتهاء بناء السفينة؟

وهذا ما لم يقم عليه دليل عندهم، كما أن الأعمار مقدرة محددة، وقد اقتضت حكمة الله أنه ما يمر يوم إلاّ ويولد لبنى آدم، وأيضا يموت منهم، وذلك مما جاءت به الأخبار، وقامت عليه الدلائل، وصح فى الآثار، بل إن بناء السفينة على السرعة المذهلة مما يعين نوحا على أنه نبى، وكيف لا والله عز وجل يقول: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[2]. وما دامت عناية الله هى الهادى والمرشد، ووحى الإله هو المعلم والمنقذ، فلن تستغرق تلك المدة الطويلة جدا فى بناء سفينة صغيرة جدا إذا قورنت بالمدة.

بينما ظاهر الآيات القرآنية تتحدث عن أنها قليلة مواد البناء، قوية المتانة، قادرة على أن تسير بأصحابها وسط تلك الموجات العاتية، وهو ابلغ.وذلك لا يحتاج مدة

(١) التفسير التطبيقى ص٢٣ .

(٢) سورة هود – من الآية ٣٧ .

طويلة. قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[1].

يقول القاضى ناصر الدين البيضاوى: «﴿ وحملناه علـى ذات ألـواح ودسـر ﴾ ذات أخشاب عريضة، ودسر[2] ومسامير[3] جمع دسار من الدسر، وهو الدفـع الشـديد. وهى صفة للسفينة، أقيمت مقامها من حيث إنها كالشرح لها تؤدى مؤداها. ﴿ تجـرى بأعيننا ﴾ بمرأى منها أى محفوظة بحفظنا، ﴿ جزاء لمن كان كفر ﴾ أفعلنا ذلك جـزاء لنوح؛ لأنه نعمة كفروها، فإن كلن نبى نعمة من الله تعالى ورحمة من الله تعالى»[4].

وهم يذكرون أن الطوفان مع نوح لم يكن طوفانا واحداً، بل اشتمل على طوفانين عظيمين مأساويين.

* **الأول**: حين غرق العالم أيام نوح فى طوفان الشر وتضاءل عدد من ذكروا إله الخليقـة والكمال والمحبة، إلى واحد فقط، فلم يبقى من شعب الله سوى نوح.
* **الثانى**: وقوع غضب الرب عليهم بالماء الذى تفجر من الأرض. وهبط من السماء حتى أبادها جميعا.

ونحن بدورنا نرى أن انتشار الشر يمثل طوفانا بقدر ما هو مظهر لمظاهر الخـروج على الشرع الإلهى، وإذا اعتبر طوفانا، فعلى سبيل المجاز، وهو ليس مراداً هنـا. ومـن ثم؛ فإن مفسرى العهد القديم لم يستطيعوا تقديـم إجابـة كافيـة حينمـا فصلـوا الطوفـان المائى عن الطوفان العدائى للشرع.

---

(١) سورة القمر – الآيتان ١٤/١٣ .

(٢) يقول أهل اللغة الدسر جمعها الدسار والدسار حبل من ليف تشد به ألـواح السـفينة – (المعجـم الوجـيز – مـادة دسر ص٢٢٧)

(٣) قال بذلك أيضا عبدالله بن عباس، سعيد بن جبير، القرطبى، قتادة، ابن جريـر الطـبرى. راجـع فـى هـذا الشـأن للعلامة الحافظ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم م٤ ج٧ ص٣٠٤ .

(٤) العلامة البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٥٤٦ .

وقد قال بعض علماء السلف: لما استجاب الله له، أمره أن يغرس شجراً ليعمل منه السفينة، فغرسه وانتظره مائة سنة، ثم نجره فى مائة أخرى. وقيل فى أربعين سنة. والله أعلم »[١].

رابعاً: الخطأ الفنى

يذكر مؤلفو العهد القديم أن الرب كلف نوحاً ببناء فلك. ويدخل فيه أهله وامرأته وأبنائه ونسائهم، والطيور والدبابات والزحافات، والمخزون السلعى من الطعام، ثم يعود من تلك الفكرة للوراء ذاكراً أن الرب قال له: فإنى بعد سبعة أيام أمطر على الأرض أربعين يوما[٢]، وكان هذا فى الإصحاح السادس.

ثم يأتى فى الإصحاح السابع فيراجع، حتى إنه ليذكر مرة أخرى سبب غضب الرب على الشعب، والعهد الذى قطعه، وعمر نوح عندما يأتى الطوفان[٣]. وكان المناسب أن يجعل الحديث يتطور للأمام، وليس يتقهقر للخلف. ثم يأتى فى نهاية الإصحاح السابع من السفر نفسه، ليعيد ما ذكره من أن نوحا أدخل فى الفلك زوجين، وأبناؤه سام – حام – ياقث وأزواجهم، وكذلك سائر الحيوانات.

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – البداية والنهاية – م١ ج١ ص١١٠ (ط دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) وفى ذلك يقول أيضا فى تفسيره: « ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان طول سفينة نوح ثلثمائة ذراع، وطولها في السماء ثلاثون ذراعا.وأخرج إسحق بن بشر وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما. أن نوحا لما أمر أن يصنع الفلك قال: يا رب وأين الخشب؟ قال: اغرس الشجر فغرس الساج عشرين سنة، وكف عن الدعاء وكفوا عن الاستهزاء، فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها فقال: يا رب كيف اتخذ هذا البيت؟ قال: اجعله على ثلاثة صور. رأسه كرأس الديك، وجؤجؤه كجؤجؤ الطير، وذنبه كذنب الديك، واجعلها مطبقة واجعل لها أبوابا في جنبها وشدها بدسر – يعني مسامير الحديد – وبعث الله جبريل عليه السلام يعلمه صنعة السفينة، فكانوا يمرون به ويسخرون منه ويقولون: ألا ترون إلى هذا المجنون يتخذ بيتا ليسير به على الماء؟ وأين الماء ويضحكون. وذلك قوله ﴿ وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ﴾ فجعل السفينة ستمائة ذراع طولها، وستين ذراعا في الأرض، وعرضها ثلثمائة ذراع وثلاثة وثلاثون، وأمر أن يطليها بالقار ولم يكن في الأرض قار ففجر الله له عين القار حيث تنحت السفينة تغلي غليانا حتى طلاها، فلما فرغ منها جعل لها ثلاثة أبواب وأطبقها » راجع تفسير القرآن العظيم للعلامة الحافظ بن كثير ٢١٧/٢ .

(٢) العهد القديم – سفر التكوين ٦ : ٩ .

(٣) العهد القديم – سفر التكوين ٧ : ١٣ .

وذلك يجعل القارئ كلما تقدم بالفكرة خطوة تقهقر للوراء كثيرا. وذلك أيضا ما تعاب الأعمال الروائية، باعتبار أن تطور الحدث أمر مهم فى العمل الفنى. فإذا ثبت الحدث على حاله، ولم يتطور روائيا، ماتت الفكرة، واتهم صاحبها بأنه غير ملم بالقواعد العامة التى يعتد بها فى ذلك الجانب الأدبى.

وقس على ذلك الحال فى كل من الإصحاح الثامن والتاسع من ذات السفر نفسه، فإن القارئ يرى كتاب ذلك العهد، كلما تقدموا بالفكرة خطوة، تراجعوا خطوات، حتى إنهم ليحيلون بين القارئ والفكرة، وربما انتزعوها انتزاعا كما يعتبر مظهراً من مظاهر العدوانية على الفكرة المطروحة، وهو ما يعرف بلغة العنف الأدبى.

خامساً: القفز خلف الأفكار

المعروف أن كل فكرة تأخذ بعناق أختها كموجات الماء المتتالية، أما فى العهد القديم؛ فإن الأمر يختلف، حتى إن القارئ ليرى الفكرة تقفز من مكانها قفزا.

وآية ذلك أن العهد القديم حدثنا عن فساد فى الأرض جميعاً، وإنه لم يبق أحد صالح إلاَّ رجلاً واحد هو نوح[1]، مع ذلك نرى العهد القديم يدخل فى الفلك ونوح وزوجته وأبناءه الثلاثة وزوجاتهم[2]، من غير أن يعرفنا ما إذا كان القوم الذين تسللوا الفلك مع نوح قد كانوا هم الآخرون من الأتقياء، أم من غيرهم؟

وهل تسللوا بإذن منه، أم كانوا لديهم إلمام بمداخل الفلك ومخارجه، فاستغلوا تلك المعارف، ودخلوا السفينة متى شاءوا من غير استئذان، وهل كان هؤلاء الرجال الأتقياء قد صحبوا معهم زوجاتهم وأولادهم وبناتهم، أم تخلصوا من ذلك كله، رغم أن القدر فكرة موهومة لم يتحدثوا عنها، على سبيل التحديد الدقيق، وغفل عن ذكرهم العهد القديم ما فى عداد الصالحين، ثم تذكرهم حين وصولهم إلى شاطئ النجاة أجمعين، أم أنهم كانوا من العصاة المذنبين، ولكن تشفع لهم نوح، وقبل الرب شفاعته فيهم، أم أن المسألة سقطت سهوا؟

ذلك وأمثاله مما يتبين عن خلل واضح، فى نفس الوقت؛ فإن العهد القديم لم يشر من قريب أو بعيد إلى مصير الرجال الصالحين، الذين ساهموا مع نوح فى بناء

(١) العهد القديم – سفر التكوين ٧ : ١ .

(٢) العهد القديم – سفر التكوين ٧ : ٧ .

الفلك على القول به، مع أن أصحاب التفسير التطبيقى قد أشاروا إليهم دون أن يعرفوا بهم، وكأنى بمؤلفى العهد القديم ومفسريه يعيشون كل فى واد ناء عن طريق آخر، والمعروف أنهما معا يستخدمان هدفا واحدا، فدل ذلك على أن الأفكار التى يتناقلونها تقفز قفزا ولا تنطلق انطلاقا طبيعيا.

سادسا : اعتراف علماء اللاهوت

يعترف علماء اللاهوت أن فكرة الطوفان التى يعرضها العهد القديم، تعود إلى ماض سحيق، قد حفظت نصوصه فى أساطير سومرية[١] بابلية[٢]، فيها الكثير من التضخم، وترجع إلى أزمنة مختلفة[٣].

ويقرر ذلك أحد مؤلفى الغرب قائلا : « صرنا الآن متأكدين من أن قصة الطوفان، التى وردت فى العهد القديم لم تكن فى الأصل من وضع مدونى أسفاره، وإنما هى نسيج من الفكر البابلى، فهى قصة طوفان بابلية الأصل، ويؤكد ذلك جورج سميث، الذى اكتشفت ملحمة جلجامش وحل الرمز الحادى عشر منها، وأن قصة الطوفان تلك تمثل أحد أجزاء تلك الملحمة التى كانت محتوياتها فى الأغلب الأعم، تتعلق بقصة الطوفان على ما ورد ذكرها فى العهد القديم »[٤].

---

(١) السومريون : هم قوم سكنوا فى وادى الرافدين القديمة، هؤلاء كانوا أقواما ليسوا من الأقوام السامية، والسامية كلمة تطلق على إحدى عائلات اللغة السامية - الأكدية - الأشورية فى العراق، وهؤلاء كانوا موطنهم الجزيرة العربية، ولغتهم غريبة لا تشبه اللغة السامية، بل هى من غير اللغات السامية، ولا يعلم زمن مجيئهم إلى وادى الرافدين، وإنما الذى نعرفه أنهم ازدهروا بثقافتهم فى القسم الجنوبى من العراق منذ حدود منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، ولا يعرف من أين أتوا، ولكنهم عاشوا مع الساميين، وأجمع المؤرخون على أنهم المؤسسين الأوائل لمقومات الحضارة والعمران. (راجع فى هذا الشأن: صموئيل كريمر من ألواح سومرة - ترجمت الأستاذ طه باقر - تقديم أحمد فخرى - مكتبة المتنبى ببغداد ومؤسسة الخانجى بالقاهرة ص٨/١٩٥٦م).

(٢) بابل : هى إقليم من العراق تقع ما بين سبعون درجة طولا وعرضا، وبالنسبة لموقعها تحت خط الأستواء، تقع تحت اثنين وثلاثون درجة، ويذكر أهل التوراة أن مقام آدم عليه السلام كان ببابل، فلما قتل قابيل هابيل؛ مقت آدم قابيل، فهرب قابيل بأهله إلى الجبال (أرض بابل) فسميت ببال يعنى التفرقة. (راجع فى هذا الشأن الشيخ الإمام فهد الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الراوى البغدادى (ت: ٦٢٦هـ) معجم البلدان ج٢ ص٣٦٧/٣٧٠ - تحقيق دكتور فريد عبدالعزيز الجندى - دار الكتب العلمية بيروت لبنان ج١ أولى ١٤١٠هـ/١٩٨٠م.

(٣) معجم اللاهوت الكتابى ص٥٠٥ .

(٤) صمويل كريمر - من ألواح سومر ص٢٥١ - ترجمة دكتور طه باقر .

وإذا كان ذلك هو اعترافهم بأنها أساطير من المؤكد تطبيق المثل عليهم القائل: أهل مكة أدرى بشعابها[1]، وبالتالي؛ فهم الذين حكموا على تلك الأحداث بأنها وقعت ضمن الأساطير البابلية والسومارية.

رابعاً الإغراق في الخيال

كُتَّاب العهد القديم يذكرون قضايا دون أن يقيموا عليها أدلة، وكأنهم يريدون إجبار الناس على اعتناق ما يقال، بغض النظر عن نصيبه من الصحة أو الخطأ، وآية ذلك أنهم تحدثوا عن الطوفان في شيء من الاستفاضة، في حين يتعلق الأمر بالفرعيات، وفيما يتعلق بالأصول فقد اختفوا تماماً فيه، إذ لم يذكروا متى ابتدأ الطوفان في الليل أم النهار؟ في الصباح أم في المساء؟ فذلك أمر مهم، طالما أدخلوا أنفسهم في مجال الغيبيات.

ثم أنهم تحدثوا عن الطوفان، وكأنه معركة حربية يحفظ فيها القائد محاطا بالكثير من أفانين السرية، ومع ذلك تغرق رواياتهم في الخيال. إذ أن نوحا استعد للطوفان سبعة أيام قبل وقوعه، حيث قال له الرب: فإني بعد سبعة أيام أمطر على الأرض أربعين يوما ليلا ونهاراً[2].

والمعروف أن عقاب الله إذا حل بقوم؛ فإنما يأتيهم على غير توقع، حتى يكون الألم أشد، والعقوبة أنكى. قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ * فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[3].

يقول القاضي البيضاوي: « وكثيرا من القرى حينما نريد إهلاك أهلها جاءهم عذابنا وهم بائتون كقوم لوط، أو يأتيهم العذاب وهم قائلون؛ أي مستريحون في نصف النهار، كقوم شعيب، وفي التعبيرين المبيت والقيلولة مبالغة في غفلتهم وأمنهم من العذاب، ولذلك خص الوقتين؛ لأنهما وقت دعة واستراحة، فيكون مجيء العذاب فيهما أفظع، ﴿ فما كان دعواهم ﴾ أي دعاؤهم واستغاثتهم، ﴿ إذ جاءوهم بأسنا إلاَّ أن

(١) مثل عربي يضرب على كل من يخبر بأمر دقيق، ويعرفه جداً.

(٢) العهد القديم – سفر التكوين ٧ : ٤ .

(٣) سورة الأعراف – الآيتان ٤/٥ .

قالوا إنا كنا ظالمين ﴾ إلاّ اعترافهم بظلمهم، فيما كانوا عليه، وبطلانه تحسرا عليهم »[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢].

---

(١) العلامة البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص١٨٤ .

(٢) سورة الأنعام – الآيات ٤٢/٤٥. وفى التفسير يقول العلامة الحافظ ابن كثير : « قوله: ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء ﴾ يعني الفقر والضيق في العيش، ﴿ والضراء ﴾ وهي الأمراض والأسقام والآلام. ﴿ لعلهم يتضرعون ﴾ أي يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون. قال الله تعالى: ﴿ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ﴾ أي فهلا إذ ابتليناهم بذلك تضرعوا إلينا وتمسكوا لدينا، ﴿ ولكن قست قلوبهم ﴾ أي ما رقت ولا خشعت، ﴿ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ أي من الشرك والمعاندة والمعاصي، ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ أي أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم، ﴿ فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ أي فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم، عياذاً بالله من مكره، ولهذا قال: ?حتى فرحوا بما أوتوا? أي من الأموال والأولاد والأرزاق ﴿ أخذناهم بغتة ﴾ أي على غفلة ﴿ فإذا هم مبلسون ﴾ أي آيسون من كل خير. قال ابن عباس المبلس: الآيس، وقال الحسن البصري: من وسّع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له. ومن قتّر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأي له، ثم قرأ: ﴿ فلما نسوا من ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ قال: مكر بالقوم ورب الكعبة، أعطوا حاجتهم ثم أخذوا وقال قتادة: بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله، فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون. وقال مالك عن الزهري ﴿ فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾قال: رخاء الدنيا ويسرها. وقد قال الإمام أحمد عن عقبة بن عامر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج"، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ?فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون? (رواه أحمد وابن جرير وابن ابي حاتم) وعن عباده بن الصامت أن رسول الله كان يقول: إذا أراد الله بقوم بقاء أو نماء رزقهم القصد والعفاف وإذا اراد الله بقوم اقتطاعاً فتح لهم – أو فتح عليهم – باب خيانة ﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾، كما قال: ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ (رواه ابن ابي حاتم وأحمد في مسنده) » راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص١٩٨ (طبعة دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ).

وبالتالى؛ فإن عقاب الله إذا أتى بعد السبعة أيام؛ فإن رهبته سوف تتلاشى،
ثم إن الطوفان قد استغرق فى العهد القديم مدداً متطاولة يمكن حصرها فيما يلى:-

☆ **المدة الأولى** : الاستعداد للطوفان :- ٧ أيام .

☆ **المدة الثانية** : هطول المطر وفيضان الماء :- ٤٠ يوماً .

☆ **المدة الثالثة** : ارتفاع الماء :- ١٥٠ يوماً.

☆ **المدة الرابعة** : تقلص المياه :- ١٥٠ يوماً.

☆ **المدة الخامسة** : فترة الترقب :- ٤٠ يوما . وبعدها استقر على الفلك على جبل أراراط .

☆ **المدة السادسة** : إطلاق الحيوانات للتعرف على انتهاء الطوفان : الغراب - الحمامة (٧ أيام) .

☆ **المدة السابعة** : استكشاف الأرض مرة أخرى عن طريق الحمامة (٧ أيام).

☆ **المدة الثامنة** : إعادة إطلاق الحمامة فلم ترجع (٧ أيام)

☆ **المجموع** : (٤٠٨ يوم)

ومجموع تلك الأيام ثمانية وأربعمائة يومٍ، وهى فترة تزيد على العام كثيرا، مع أن مفسرو العهد القديم ينتهون إلى أن الطوفان استغرق عاما كاملا، وهو ليس عاما، بل هو عام وثمانية وأربعون يوما بالحساب الفلكى[1]، فأى الإحصائيين هو الذى يمكن قبوله؟ لا شك أن كلا منهما ينتهى إلى إبطال الآخر.

ويقول بعض مفسرى المسلمين أنهم ركبوا فى السفينة فى اليوم العاشر من شهر رجب، فساروا مائة وخمسين يوماً، واستقرت بهم على الجورى، وكان خروجهم من السفينة فى يوم عاشوراء من المحرم[2].

أضف إلى ما سبق؛ أن مفسرى العهد القديم حددوا عدد الحيوانات التى دخلت إلى الفلك بنحو ٤٥ ألف حيوان خمسة وأربعون ألف حيوان، مع أن هذا الرقم كبير جداً، إذ قورن بظروف عصره، وقورن أيضا بأحجام الحيوانات وحجم السفينة، بل إن الفلك لا يستوعبه

(١) هذا باعتبار أن السنة الفلكية الطبيعية ٣٦٠ يوم .

(٢) العلامة ابن كثير - البداية والنهاية م١ ج١ ص١١٦/١١٧ دار الفكر ببيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

في نفس الوقت؛ فإن عملية الإحصاء تحتاج جهوداً كبيرة، ولم يقل الكتاب المقدس ذلك، ولكن شارحيه هم الذين قاموا بذلك الدور، حتى يتأكد أن العدد مطابق للمعدود، وبخاصة أن الرقم كبير جداً، ثم إنه فوق ذلك لم يعرف نوعيات الحيوانات المحمولة.

هل يدخل فيها الزواحف[١]، والماش على اثنين[٢]، والذى يمشى على أربع[٣]، أم يدخل تحت ذوات الأربع فقط، إن الأمر يتعلق بمسألة غيبية، والقافز فوقها يمثل خطورة دينية.

أما نحن المسلمين نؤمن بما ورد فى القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[٤].

وحيث لم نقف على دليل موثق ينتهى به أمر المسالة؛ فإن التسليم بما قضاه الله فى كتاب، وأنزله على ألسنة رسله، يكون هو القاعدة العامة.

ثامنا تكذيب القرآن لحكايتهم

قص القرآن الكريم أن امرأة نوح وامرأة لوط، قد وقفتا ضد أنبياء الله، مع الكافرين، فصارتا مثلا يضرب به لكل كافر. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ

(١) التى يطلق عليها علم الحيوان الحبليات؛ نظراً لشكلها، أو الفكيات، التى تندرج تحت شعبة الفقاريات، وسيلة الحركة التى تقوم بها هذه الفقاريات هى الأطراف، حيث يوجد زوجان من الأطراف التى تحمل الجسم، كما تقوم بوظيفة الحركة، وهى تشتمل على طرفين صدريين يتمثلان فى الزعنفتين الصدريتين. (راجع دكتور محمود أحمد بنهاوى – علم الحيوان ص٤٧٦/٤٧٧ – ط١/١٩٨٠م)

(٢) الماشى على اثنين التى يحمل جذعها زوجاً من الأطراف الأمامية هما الجناحان، وزوجا من الأطراف الخلفية أو الأرجل، وتغطى الأطراف الأمامية هما الجناحان قرنية، وتنتهى بالأصابع التى تحمل مخالب قرنية. (راجع أعضاء هيئة التدريس علم الحيوان فى الجامعات المصرية – الدراسة العلمية فى علم الحيوان ط٢/١٩٨٣م) ص ٤٦٧

(٣) ذوات الأربع : هى الفقاريات ذوات الأربعة أقدام ولها زوجين من الأطراف، هياكلها مبنية أيضا بنظام واحد. (راجع محمود أحمد النبهاوى – علم الحيوان ص٤٦٧)

(٤) سورة هود – من الآية ٤٠ .

وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[1].

يقول الإمام ابن جرير الطبرى : « إن سبب المزية والرجحان عند الله ليست إلاّ الصلاح كائن من كان، وخيانة المرأتين ليست هى الفجور، وإنما هما نافقتا وأبطنتا الكفر، وتظاهرتا على الرسولين، فامرأة نوح قالت لقومه إنه لمجنون»[2].

ﷺ وما دامت امرأة نوح من الكافرين، فهى داخلة فى عموم قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[3].

أى احمل فيها أهل بيتك ذكورا وإناثا، وأهل بيت الرجل عند الإطلاق نساؤه وأولاده، وأزواجهم، والظاهر ان المستثنى منهم كفارهم[4]، فلما قد سبق عليها القول بأنها من الكافرين، فقد وقعت فى الهلاك، مثل باقى الخاسرين. قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾[5].

قال صاحب الأساس : « ﴿ فكذبوه فنجيناه ومن معه ﴾ أى على دين. ﴿ فى الفلك ﴾ أى السفينة. ﴿ وجعلناهم ﴾ أى هو ومن معه. ﴿ خلائف ﴾ أى فى الأرض. ﴿ وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ﴾ الطوفان. ﴿ فانظر ﴾ أى يا محمد وكذلك أيها المخاطب. ﴿ كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ أى كيف كانت نهايتهم من الهلاك »[6].

(١) سورة التحريم – الآية ١٠ .

(٢) العلامة الطبرى – جامع البيان فى تفسير آى القرآن (ت: ٣١٠) – م١٢ ج٢٨ ص١٠٩، وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن النيسابورى – ١٣٣٠هـ – دار الجيل – بيروت – لبنان.

(٣) سورة هود – الآية ٤٠ .

(٤) الإمام محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا – تفسير المنار ج١٢ ص٦٤ الهيئة المصرية للكتاب ١٣٨٩هـ/١٩٧٨م

(٥) سورة يونس – الآية ٧٣ .

(٦) الأستاذ سعيد حوى – الأساس فى التفسير – ج٥ ص٢٤٩٣ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ط٢/القاهرة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

ﷺ ومن ثم؛ فقد كان دعاء نوح عليها ضمن الكافرين. قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾(١).

يقول العلامة ابن كثير: « لا تترك على الأرض منهم أحدا. ولا ديار أن يسكن الدار، إنك إن أبقيت منهم أحداً أضلوا عبادك الذين تخلقهم بعدهم. هؤلاء لا يلدون إلاّ فاجراً فى الأعمال، كافر القلب »(٢).

إذن امرأة نوح كانت كافرة، فدل الأمر على أن النصوص التى يزعم كتاب العهد القديم ومفسروه صحتها، إنما هى مما حرفوا وبدلوا، بل مما كتبوه بأيديهم. ثم إن نصوص العهد القديم طبقا لما فى أيديهم، قد عرفت أن أولاد نوح سام، وحام، ويافث؛ ذكرت أنهم جميعا مع نساؤهم قد عاشوا رحلة الفلك. مع أن القرآن الكريم أثبت مخالفة ابن نوح لشرع الله؛ لأنه غرق عند الطوفان. قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾(٣).

يقول القاضى البيضاوى: « ونادى نوح ابنه كنعان، وكان فى معزل عزل فيه نفسه عن ابنه، وكان الولد فى معزل عن دين أبيه، ويقصد بالعزل البعد. يا بنى اركب معنا فى السفينة، ولا تكن مع الكافرين فى الدين والانعزال. ﴿ قال سأوى إلى جبل يعصمنى من الماء ﴾ أن يغرقنى. ﴿ قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحم ﴾ إلاّ الراحم وهو الله تعالى. ﴿ وحال بينهما الموج ﴾ بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل. ﴿ فكانا من المغرقين ﴾ فصار من المهلكين بالماء »(٤).

---

(١) سورة نوح – الآيتان ٢٦/٢٧ .

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – م٤ ج٨ ص١٣٠ .

(٣) سورة هود – الآيتان ٤٢/٤٣ .

(٤) العلامة البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٢٥١ .

تاسعاً: شيوع العنصرية

حرص مؤلفوا العهد القديم ومفسروه على إبراز الشعوبية فيه أينما كانت. وبيان المواقف الداعية إليها، وذلك حينما حدث العهد القديم عن أبناء نوح ونسائهم واعتبرهم وحدهم الناجين، وكأنه لم يؤمن بالله مع نوح إلاّ هؤلاء، مع أن السياق القرآني حدثنا عن نوح ومن آمن معه من قومه، فلو كان المؤمنون به أبناءه وزوجاتهم، لكان المناسب أن يقول القرآن الكريم احمل فيها أهلك، ولم تكن هناك حاجة إلى ذكر قيد من آمن، إذ أن لفظ أهلك ينصرف إلى أبناء نوح ونسائهم، فما فائدة لفظ الإيمان إذن.

وبالتالي؛ فقد دل لفظ آمن الوارد في الآيات القرآنية على أن المؤمنين بالله مع نوح لا يمكن حصرهم في أولاده وزوجاتهم، بجانب ذكر زوجة نوح الكافرة.

عاشراً: عجزهم عن الإجابة على التساؤلات الواردة

يقول الشيخ رشيد رضا: « إن قصة الطوفان في العهد القديم. ليست فيها بيان ما إذا كان نوح رسولاً، أو أنه دعا قومه إلى الله، ولا أنه أمن أحد كما ليس فيها أنه كان له ولد كافر غرق مع قومه، ولا امرأة كافرة تبرأ منها »[1].

وإذا كان العهد القديم لم يتمكن من تقديم إجابات حول تلك النقاط؛ فإن الأقرب هو القول بأن مؤلفي العهد القديم قد استقوا معلوماتهم عن الطوفان من ثقافات متباينة، وأنهم حاولوا هضم تلك الثقافات وصياغتها في قالب روائي؛ حتى يضيفوه إلى أرصدتهم الثقافية أو الدينية، وليتهم ما فعلوا، فهم أغرقوا أنفسهم في غيبيات حاولوا السباحة الجادة في محيطاتها، من غير أن تكون لهم وسائل كافية. فغرقوا في أعماقها.

والباحث يلمح أن مؤلفي العهد القديم لم يحددوا التوقيت الحقيقي على وجه الدقة لبداية الطوفان، كما لم يرتبوا الأحداث طبقا لتسلسل منضبط ينتهي إلى نتيجة فيها شيء من الطمأنينة، وإنما كل ما في المسألة أنهم يذكرون القصة مرسلة فيها الكثير من السقطات الفنية التي نسبوها لخبر السماء.

كما أن الباحث لا يجد سببا واضحاً، يعلل أمر الطوفان عندهما. بينما قص القرآن الكريم وهو الصدق كله، اليقين المطلق؛ أن نوحا عليه السلام دعا القوم لعبادة الله،

---

(١) الإمام محمد عبده، الشيخ محمد رشيد رضا – تفسير المنار م٨ج١٢ص٦٩.

واستمر بينهم مدة طويلة[1]، فلم يستجيبوا له، بل أصروا على العصيان والمخالفة. وكلما دعاهم نبى الله إلى حكم الله؛ ركبوا متن اللجيج وظهر المخالفه

ﷻ قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾[2].

قال صاحب التفسير الواضح: « ناجى نوح ربه، وقال له أسفا: رب إنى دعوت قومى كما تعلم، إلى الإيمان والطاعة ليلا ونهارا، سرا وإعلانا، فلم أر فيهم إلاّ عناداً واستكبارا عن الحق وعن الصراط المستقيم، وإنى كلما دعوتهم إلى الإيمان لتغفر لهم أصموا آذانهم عن سماع تلك الدعوة، وحجبوا عيونهم عنها، واصروا واستكبروا استكبارا.

وهاهو القرآن الكريم يصور حالتهم العجيبة، حيث يعبر عن عدم سماعهم بأنهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم والجعل يقتضى دوام الوضع، والأصابع يفهم منها المبالغة فى السد، فإن الذى يوضع طرف الإصبع لا الإصبع كله.

والقرآن الكريم؛ يصور المبالغة فى التغطى، كأنهم طلبوا من ثيابهم أن تغشى الجسم كله لا عيونهم فقط، ثم إنى دعوتهم جهارا، ثم إنى أعلنت لهم الحال وبينته لهم على وضع بحيث جمعت بين الإعلان والإسرار »[3].

فى نفس الوقت؛ فإن القوم يعاندون نوحاً بالعنف، ويهددونه بكل ما معهم من وسائل ويتهمونه علوا لنفوسهم الخبيثة، حتى إنه وصل بهم الأمر إلى التهديد بالقتل رجما. قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾[4].

---

(١) فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عام. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ سورة العنكبوت – الآية ١٤ .

(٢) سورة نوح – الآيات ٩/٥ .

(٣) دكتور محمد محمود حجازى – التفسير الواضح ج٢ ص٥٤ ط ١٠ – دار التفسير للنشر والتوزيع ١٤١٢هـ/١٩٩٢م (ج.م.ع) .

(٤) سورة الشعراء – الآية ١١٦ .

قال العلامة جلال الدين السيوطى : « قالوا لئن لم تنتـه يا نـوح عـن مقـالتك لتكونن من المرجومين من المقتولين كما قتلنا من آمن بك من الغرباء »(١).

وفوق ذلك أبانوا عن نوايـاهم الإجرامية ، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(٢).

يقول الإمام الحافظ ابن كثير : « يقول تعالى مخبرا عن استعجال قوم نوح نقمة الله وعذابه وسخطه ، والبلاء موكل بالمنطق. ﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا ﴾ أى حاججتنا فأكثرت من ذلك ، ونحن لا نتبعك ، فأتنا بما تعدنا من النقمة والعذاب ، أدع علينـا بمـا شئت ، فليأتنا بما تدعوا به إن كنت من الصادقين »(٣).

ولم يكن نوح عليه السلام ساحراً ، تمكن مـن غلبـه عقـول غافلـة أو اللعـب بعواطـف عيون غانية ، وضرب على أوتار مشحونة بالأمل مفعمة بإفانين الخفـة والحركـة ، وإنمـا صنع السفينة بأمر الله ، وركب فيها ومن آمن معه بأمر الله ، فلما تحركوا داخلـها كـان الفلك أيضا يتحرك فى أعماقهم المؤمنة ، نلمح ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٤).

قال الضحاك(٥): « إذا أراد جرى السفينة قال: بسم الله مجراها فتجـرى ، وإذا أراد وقوفها قال بسم الله مرساها فتقف »(٦).

---

(١) الإمام جلال الدين السيوطى – الدر المأثور فى التفسـير بالمـأثور ج٤ ص٨٧/٨٨ – وبهامشـه القـرآن الشـريف مـع كتاب تنوير المقياس وتفسير عبدالله بن عباس – المطبعة اليمينة بمصر ١٣١٤هـ.

(٢) سورة هود – الآية ٣٢ .

(٣) الإمام الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم م٢ ج٤ ص١٣٠ .

(٤) سورة هود – الآية ٤٢ .

(٥) الضحاك : هو الضحاك بن مزاحم الهلالى الخرسانى أبو محمـد ، وقيـل: أبـو القاسـم صـاحب التفسـير وكـان مـن أوعية العلم وهو صدوق فى نفسه وثقه أحمد بـن حنبـل ويحيـى بـن معـين. توفـى سـنة ١٠٢هـ. وقيـل ١٠٥هـ. وقيل : ١٠٨هـ. (سير أعلام النبلاء ج٥ ص٤٨١) .

(٦) العلامة أثير الدين عبدالله محمد بن يوسف البرهان الأندلسى الغرناطى – روح المعانى فى تفسير القـرآن والسـبع المثانى – ج٥ ص٧٥٤ – ط٢ دار إحياء التراث العربى ١٤١٩هـ/١٩٩٠م.

وكان الفلك يجرى فى وسط موج جارف كصخرات الجبل المنهارة. إذا اقتربت من شيء أبدته، ومع ذلك لم يتأثر سفين نوح، وإنما عناية الله تجريها وقدرته فوق الشوامخ ترسيها، وأمره جل علاه يصونها ويبقيها.

ﷻ قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾(١).

قال صاحب تفسير الأساس: « الموج: هو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بسبب الرياح الشديدة، شبه كل موجه منه بالجبل فى تراكمها وارتفاعها »(٢).

ومن ثم، فإن غضب الله كانت له أسبابه القائمة فى كفرهم بالله، ومحاربتهم لرسولهم نوح عليه السلام وعداوتهم المتكررة عليه، سواء أكان بالإيذاء له بصد الناس عنه، أم بالخروج عن تلك الدوائر كلها هاذئين به، ناظرين إليه نظرة الضعيف العاجز، فلما حق عليهم أمر الله، ونجا الله نبيه نوحا وأهل الحق الذين آمنوا بالله معه، نص القرآن الكريم بأن الهلاك نصيب الكافرين، والنجاة خصيمهم.

ﷻ قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٣).

ويقول أحد الباحثين: « ﴿ وقيل يا أرض إبلعى ماءك ﴾ أى اشربيه وابتلعيه. ﴿ ويا سماء أقلعى ﴾ أى من الصب والأمطار، والآمر للأرض والسماء هو الله تعالى. ﴿ وغيض الماء ﴾ أى نقص ونضب. ﴿ واستوت على الجودي ﴾ أى ورست السفينة بركابها على الجودي، وهو جبل بالجزيرة قرب الموصل. وقيل بعدا للقوم الظالمين ﴾ أى هلاكا لهم، فلم يبق منهم أحداً إذ أخذهم الطوفان وهم ظالمون »(٤).

(١) سورة هود – الآية ٤٢ .

(٢) الأستاذ سعيد حوى – الأساس فى التفسير – ج٥ ص... ط٢ ١٤٠٩هـ/١٩٨٦م دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) سورة هود – الآية ٢٤ .

(٤) الشيخ أبو بكر الجزائرى – أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير وبهامشه نهر الخير – ج٢ ص٥٤٧ – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

وبهذا أرى أن القصة لا يمكن تصديقها أو التعرف على أنماطها والأحداث التى نمت فيها إلاَّ من القرآن الكريم، إذا لم يتحقق ذلك على وجه يقينى إلاَّ فيه. قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾(١).

وهو الذى اعتمده وعليه أعدل.

---

(١) سورة النساء – الآية ٨٧ . وفى التفسير قال الإمام القرطبى : «قوله تعالى: ﴿ الله لا إله إلا هو ﴾ ابتداء وخبر. واللام في قول "ليجمعنكم "لام القسم؛ نزلت في الذين شكوا في البعث فأقسم الله تعالى بنفسه. وكل لام بعدها نون مشددة فهو لام القسم. ومعناه في الموت وتحت الأرض "إلى يوم القيامة لا ريب فيه" وقال بعضهم: "إلى" صلة في الكلام، معناه ليجمعنكم يوم القيامة. وسميت القيامة قيامة لأن الناس يقومون فيه لرب العالمين جل وعز؛ قال الله تعالى: "ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين" [المطففين: ٤ – ٦]. وقيل: سمي يوم القيامة لأن الناس يقومون من قبورهم إليها؛ قال الله تعالى: "يوم يخرجون من الأجداث سراعا "[المعارج: ٤٣] وأصل القيامة الواو. "ومن أصدق من الله حديثا" نصب على البيان، والمعنى لا أحد أصدق من الله. وقرأ حمزة والكسائي "ومن أزدق" بالزاي. الباقون: بالصاد، وأصله الصاد إلا أن لقرب مخرجها جعل مكانها زاي» راجع الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى حول تفسير الآية – ج٥-ص٣٠١ (ط٢ – دار الشعب ١٣٧٢هـ).

الفصل الثالث

غضب الله لبنى إسرائيل

تمهيد

عرضت فيما سبق لتعريف الغضب الإلهى وموضوعه، فى العهد القديم، وبينت المعنى المراد عندهم، ورأيت أن ذلك المعنى يمكن أن يوصف به الإنسان، وليس يوصف به الرحمن، وأكدت أن وجهة النظر الإسلامية لا توافق وجهة النظر التى جاء بها العهد القديم؛ لأن الفكر الإسلامى يقوم على تنزيه الإله، أما الفكر اليهودى فإنه يتبنى، بل ويعتقد أصحابه بتجسيد الإله، وذلك مما يمثل فارقا كبيرا فى وجهات النظر بين الفريقين – بين فريق التجسيد الذى يعتنقه اليهود، وفريق التنزيه الذى جاء به القرآن الكريم، ونبه إليه الحديث الشريف، ونعتقده نحن المسلمين –.

ومن المؤكد؛ أن صفة الغضب بالنسبة لله تعالى عند اليهود صفة ذات، أما عندنا نحن المسلمين فهى صفة فعل[1]، يشترك فى اسمها الخالق مع المخلوق، لكن مع وجود الفوارق الكبيرة، فيما يخص الله جل علاه، وما يخص غيره من المخلوقات.

يقول العلامة الجرجانى: « اعلم أن الصفات على ضربين: صفات الذات، وصفات الأفعال.

والفرق بينهما: أن كل ما يوصف به الله، ولا يجوز أن يوصف بضده، فهو من صفات ذاته نحو الوجود والقدم، وكل ما يجوز أن يوصف به وبضده فهو من صفات الأفعال نحو الرحمة والشفاعة والغضب، ويستدل بصفات الأفعال على صفات الذات، فنستدل بخلق العالم مثلا وهو صفة فعل على العلم والقدرة والحياة، وسائر الصفات الذاتية »[2].

وهاأنذا أعرض نوعا من أنواع الغضب، التى جاء بها العهد القديم كمظهر من مظاهر الغضب الإلهى، وهذا النوع من الغضب الإلهى على المصريين؛ لأنهم لم يقوموا بالواجب على الوجه الأكمل، بالنسبة للإسرائيليين.

---

(١) صفة الذات : هى التى تخص الذات الإلهى جل علاه، ولا يقع الاشتراك فيها بين الله تعالى، وأحد من خلقه إطلاقا، أما صفة الفعل فإنها مما يطلق على الله وغيره فى اللغة.

(٢) العلامة السيد الشريف الجرجانى – حاشية الجرجانى على مطالع الأنظار للأصفهانى على طوالع الأنوار للقاضى البيضاوى ص٩ – المطبعة الوهبية.

أولا غضب الله على المصريين

أ- عرض الفكرة

مفسرو العهد القديم كمؤلفيه يحاولون الضغط على مشاعر القارئ بما يعرضون مع أن مظاهر ذلك الضغط لا تختلف وإن تعددت صوره فهم من وجهة نظرهم شعب الله المختار(١).

وهما أيضا يجب أن يتعاملوا مع كافة الشعوب الأخرى بمنطق التعالى. ولغة الإرهاب، ولذا؛ فإنهم يذكرون أنواعا شتى من غضب الله على المصريين. باعتبار أن المصريين لم يقوموا بالواجب على الوجه الأكمل بالنسبة للإسرائيليين. حيث يذكر العهد القديم: أن يعقوب وعائلته قد هبطوا إلى مصر أيام حكم الفراعين(٢). وأن هذه العائلة كبرت مع الأيام، حتى بلغ بهم التكاثر حدا كبيرا. ومع هذا استعبدهم المصريون، باعتبارهم أجانب قدموا للبلاد.

وفى نفس الوقت كان هؤلاء النازحون يعيشون كأجانب، لهم أنماط حياتية تختلف عن حياة المصريين فى العبادات والمعاملات، وغيرها من الأمور المتعلقة بأنظمة الحياة.

وكان هذا الاختلاف يقوم على أن الإسرائيليين يمثلون الشعب العبرانى. وهم رحل، بينما المصريون أصحاب الحضارة الراسخة، وعلى أن العبرانيون رعاة، إلا أن المصريين كانوا بناة، ولم تكن شئون النساء تختلف عن شئون الرجال فى هذه المسألة، والأغرب من ذلك أن العبرانيين كانوا يعيشون فى مصر جهة الشمال. تاركين الأماكن الأخرى للمصريين(٣).

---

(١) هى إحدى العقائد الثابتة فى الفكر اليهودى، يعلن عنها دعاته، ويتمسكون بها. (راجع فى هذا الشأن: الأديان فى تاريخ شعوب العالم – لتوكاريف ص٤١٦ وما بعدها)

(٢) العهد القديم – سفر التكوين ٤٧ : ١١ .

(٣) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص١٣٠ .

بيد أن المصريين لم يرحموا العبرانيين، وإنما أوسعوهم تعذيبا[١] وقتلا وتنكيلا[٢]. فلما أرسل الرب موسى ليخلص شعب إسرائيل من فرعون وقومه، رفض فرعون وأصر على أن يعذب هؤلاء، وقد جعل الله مع موسى عجائب. بعد أن أمر بالرجوع إلى مصر، لإنقاذ شعب إسرائيل مما هم فيه، وكانت تلك العجائب تتمثل فى قوة يمنحها الرب، حتى يقتنع بها فرعون[٣]. وهذه العجائب تكمن فيما يلى :-

يذكر العهد القديم أن : « فرعون موسى كاد للعبرانيين كيدا شديدا، لأنه كلفهم أعمالا قاسية، فقال الرب لموسى وأخيه هارون: اذهبا لإنقاذ شعب الرب من هذا العمل الشاق، وطلب إليهما أن يكونا على ثقة من نجاح مهمتهما. وأن يحملا عصاه. فإذا طلب فرعون عجيبة دالة على أنهما سفيرين من صنع الرب، أرياه العجيبة، حيث يقوم هارون بإلقاء تلك العصاة أمام فرعون تتحول إلى حية، وقد صنع هارون ذلك[٤] »[٥].

(١) العهد القديم – سفر الخروج ١ – ١٣ – ١٤ . راجع فى هذا السفر الذى يصف رحلات بنى إسرائيل حتى النهاية. ،

(٢) يذهب المؤرخون إلى أن المصريين أشفقوا على اليهود، وتعاملوا معهم بلطف، وبذلوا لهم أوجه الخير فترة من الزمان، لكن اليهود لم يقابلوا ذلك إلا بالخديعة والكيد، ومحاولة قلب الأوضاع عند المصريين. بل بلغت لهم الطموحات أن يديروا الشئون المصرية، فأفرغ ذلك الأمر القائمون على الحكم من الفراعين، ثم بحثوا الأمور فوجدوا أن اليهود يمثلون أمامهم دور الحملان الوديعة، بينما هم ينفخون كير الحقد فى النار الكامنة، ومن هنا سامهم المصريين سوء العذاب جزءا بما اقترفت أيديهم، مع من أكرموهم. (راجع فى هذا الشأن اليهود فى مصر الفرعونية للأستاذ صفوت محمد الطويل ص٣٧ وما بعدها – ط١ الموصل ١٩٢٧م.

(٣) العهد القديم – سفر الخروج ٣ : ١٩ – ٢٣ .

(٤) الكتاب المقدس يناقض نفسه، فمرة يذكر أن هارون قد دبر مؤامرة هو ومريم على أخيها موسى. وأن الرب غضب عليهما. (راجع سفر القضاة ١٢ : ٢٣ وما بعدها) ثم يجيء هنا ليجعل هارون تجرى على يديه العجائب جريانها على الأنبياء، مما يجعل القارئ يتحير فى أمر هؤلاء القوم، ويتساءل: أهما هارونان. أحدهما كان متآمرا على موسى، والثانى كان متعاونا معه، رغم أنه لا يوجد إلا هارون واحد. فمن أين هارون الثانى، حيث يجازيه، أم إنه هارون واحد، ولعب دورى البطولة الهزيلة فى عمل مسرحى يفتقد أبسط الأسس، إن ذلك من خيال مؤلفى الكتاب المقدس – العهد القديم – الذى جمعوه من ثقافات وثنية وديانات خيالية.

(٥) العهد القديم – سفر الخروج ٧ : ٨ – ١٠ .

غير أن فرعون لم يثق فى أن ما فعله هارون من إلقاء العصا وتحولهــا إلى حيــة، أنه عجيبة أو معجزة، وإنما تصور أنه سـحر فاستدعى فرعـون حكمـاءه وسـحرته، وطلب منهم القيام بمثل ما قام به هارون، فطرح كل واحد عصاه فتحولت أمـام فرعـون والحاشية إلى حية تزحف بسرعة، وتجـرى فـى كـل اتجـاه، فحـاول هـارون أن يلقـى عصاه على خوف، فلما ألقاها أمام فرعون وحاشيته تحولت إلى حيــة أكـبر مـن حيـات سحرة فرعون، حتى إنها ابتلعتهم جميعا، ومع هذا لم يزد فرعون إلا عنادا وقسوة على المصريين[1].

ثم قال الرب لموسى: قلب فرعـون غليـظ قـد أبـى أن يطلـق الشـعب اذهـب إلى فرعون فى الصباح، واطلب من فرعون أن يطلق سـراح شـعبى، وإن يكـون ذلـك مثلـها أثناء وقوفك على ضفة النهر، وفعل العصا التى تحولت إلى حية، حتى تخيفه، وهـدده بأنه إذا لم يستجيب فإنك ستضرب بالعصا على ماء النهر، فيتحول إلى دم بدلا مـن أن كان ماءا، وحينئذ يموت السمك الذى فى النهر فينتن، فلا يستطيع المصريـون الشـرب من ماءه، وحينئذ يهلكون[2].

غير أن فرعون لم يعبأ بتهديد هارون، باعتبار أن ماء النهر يصعـب تحويلـه إلى دم، فلئن كان هارون من وجهة نظر العهد القديم، قد نجح فى محاولته الأولى بتحويـل العصا حية، فإن لم ينجح فى تلك المرة فى تحويل النهر إلى ماء منتن من خلال القضـاء على أسماكه، فلم يلتفت إلى هارون، كما لم يخف من عقابه وتسخيره للعبرانيين.

---

(١) هذا من خيال مؤلفيهم؛ لأن العصا كانت خاصة لنبى الله موسى . قال تعالى: ﴿ وما تلك بيمينك يـا موسـى ۞ قـال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ﴾ سورة طـه – الآيتـان ١٨/١٧ . أمـا فصاحـة اللسان هذه كانت من نصيب هارون المؤازر لموسى، فهو نبى يؤازر نبى. قال تعالى: ﴿ واجعل لي وزيرا مـن أهلـي هارون أخي ۞ اشدد به أزري ﴾ سورة طه – الآيات ٣١/٢٩ . وقال أيضا: ﴿ وأخي هـارون هـو أفصح مني لسـانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون ﴾ سورة القصص الآية ٣٤ .

(٢) العهد القديم – سفر الخروج ٧ : ١٤ – ١٨ .

١ـ ضربتا الدم والضفادع(١)

أمر الرب موسى أن يكلف هارون يبتدئ المهمة، وهى أن يأخذ عصاه ويبسط يده على المصريين، ويكون دم فى كل أرض مصر، حتى فى الأوانى الخشبية والحجرية(٢).

وقد حدث بالفعل ما توعده به الرب المصريين، فصارت كل أسباب الحياة عندهم دما، بل أنهم ما لمسوا ماءا أو غمسوا أيديهم فيه يطلبونه، إلا تحول معهم دما(٣).

ويبدو لدى مؤلفو العهد القديم؛ أن موسى وهارون كان يتعطشان إلى العقاب الذى ينتظرانه تضررا بالمصريين، فأسرعا معا(٤)، إلى تنفيذ المهمة. حين رفع هارون العصا وضرب ماء النهر أمام فرعون وحاشيته. فتحول ماء النهر إلى دم، ونفذ التهديد والوعيد الذى توعدا هارون بهما فرعون، فمات كل السمك وانتن النهر، وانصرف المصريون عن الشرب من ماءه(٥).

وقد حاول سحرة فرعون معالجة الموقف، ومواجهة هارون بما فعلته عصاه على سبيل رفعها وإصلاح سمك النهر ومائه، ولكنهم فشلوا، فقد كانت عصا هارون هى الغالبة، ولما كان غالبية سكان مصر فى الماضى يتجمعون على ضفتى نهر النيل، فقد كان هو الحياة بالنسبة لهم، وبالتالى؛ فإن إنتانه يمثل الموت الحتمى لهم؛ لأنه مصدر الحياة الوحيد(٦)، ومع هذا لم يستمع فرعون إلى رجاءات هارون وموسى، ولم يطلق سراح بنى إسرائيل.

---

(١) هذا ترتيب العهد القديم، وهو مخالف للترتيب الوارد فى سياق القرآن الكريم. ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ﴾ سورة الأعراف – الآية ١٣٣ .

(٢) العهد القديم – سفر الخروج ٧ : ١٩ .

(٣) العهد القديم – سفر الخروج ٧ : ١٤ – ١٨ .

(٤) مع أن الأمر لموسى أن يكلف هارون للقيام بالمهمة، إلا أن موسى هنا أسرع معه فى تنفيذها فهل يكون موسى بذلك قد نفذ تعاليم الرب رغم أنها لم توجه إليه أم أنه خالف تعاليم الرب، ومع هذا ظل نبيا. إن هذا ليلقى بظلال الشكوك على نصوص العهد القديم كله.

(٥) العهد القديم – سفر الخروج ٧ : ٢٠، ٢١ .

(٦) التفسير التطبيقى ص١٤٤ .

ولما لم يستجب فرعون، قال الرب لموسى: ادخل إلى فرعون. وقل له هكذا يقول الرب أطلق شعبى ليعبدونى، وإن كنت تأبى أن تطلقهم هاأنذا أضرب جميع تخومك(١) بالضفادع، فيفيض النهر ضفادع فتصعد، وتدخل إلى بيتك.

ويستطرد العهد القديم قائلا: « فقال الرب لموسى: قل لهارون مد يدك بعصاك على الأنهار والسواقى والأجسام، وأصعد الضفادع على أرض مصر. فمد هارون يده على مياه مصر فصعدت الضفادع وغطت أرض مصر »(٢).

❁ **وفى تقدير الباحث:** أن الدم الذى أصاب المياه للمصريين كان إحدى العقوبات التى جعلها الله على الفراعين، وإنها لم تكن بحاجة إلى عصا يحملها هارون. أو يهدد بها فرعون، وإنما استيقظ الناس صباحا فوجدوا مياه الاستخدام تتحول بين أيديهم إلى دم فهى أمامهم مياه طبيعية، وإذا حاول أحدهم استخدمها. فإنها تتحول بين يديه هو إلى دم، أم لماذا ؟

فلما يلى:ـ

✲ **أولا:** أن الماء لو تحول إلى دم لعامة العبرانيين والمصريين. فإن العقوبة على الجميع. لا على المصريين وحدهم، وحينئذ يكون أمر هارون وفرعون قائما على إهلاك بنى إسرائيل، لا إنجائهم.

✲ **الثانى:** لو أن النهر كله تحول إلى دم لهلكت الدواب، وماتت الزروع، وفسدت الحياة، وهذا عما توصف به أفعال العباد لما فيهم من نقص وجهل. أما الحكيم المتعال رب العالمين، فإن حكمته البالغة لا تسمح بهذا العبث أبدا.

✲ **الثالث:** لو كان كل ماء النهر قد تحول دما؛ لكانت العقوبة عشوائية، لأنها ستشمل الطائع والعاصى، لما هو معروف، فإن بعض المصريين قد تعاطفوا مع العبرانيين، بل وتعايشوا معهم وعاونوهم، ويعترف العهد القديم بأن المصريين قد أعطى بعضهم حليه وما يتزين به لبعض النساء العبرانيات من باب المجاملة. وأعطى الرجال

---

(١) التخوم : كان بنو إسرائيل إذا تغلبوا على ارض يقتسمونها بالقرعة جرياعلى الشريعة الموسوية لكل سبط أو بيت أو فرد حسب نصيبه، وكان يفصل بين الحقل الواحد والآخر صف من الأشجار أو كومة من الحجارة توضح زوايا الحقل، وعليه نقل هذه التخوم أو نزعها سهلا للغاية، ولهذا السبب كان القصاص صارما على كل من كان يتصدى تخم صاحبه. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢١٣)

(٢) الخروج ٨ : ١ - ٧ .

المصريين لبعض الرجال من باب الإعارة، غير أن اليهود اعتبروا ذلك المعار لهم حقا من حقوقهم، فهموا به فى غسق الليل هاربين مستبيحين له، وكانوا من السارقين(١).

* **الرابع**: أن العقل السليم يؤكد ما نص عليه القرآن الكريم، وقال إليه من حيث فهم المفكرون المسلمون. قال تعالى: ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ﴾(٢).

ذكر العلامة البروسوى فى معنى الآية : « إن الله تعالى أرسل عليهم الضفادع، بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه، وكانت تمتلئ منها مضاجعهم. وتسير إلى قدورهم، وهى تغلى، والى أفواههم عند التكلم، وكان بعضهم لا يسمع كلام بعض من كثرة نقيق الضفادع، وكانوا إذا قتلوا واحدا منها خافوا ما حول محله. بحيث لا يستطيعون الجلوس فيه، ففزعوا إلى موسى وتضرعوا فأخذ عليهم العهود. ثم دعى الله فكشف الله عنهم بذلك بريح عظيمة نبذت الضفادع فى البحر فنقضوا العهد.

فأرسل الله عليهم الدم فصارت ديارهم وأبارهم وأنهارهم فى أيديهم كأنه الدم الأحمر الغليظ، حتى كان يجتمع القبطى والمصرى على إناء واحد، فيكون ما يلى المصرى من الإناءات دما وما يلى الإسرائيليين ماءا على حاله، وظلوا على ذلك سبعة أيام، فقال فرعون لموسى أقسم بإلهك لئن كشفت عنا هذا الدم لنؤمن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل، فدعا الله فعذب الماء، إلا أن المصريين عادوا لكفرهم(٣).

ويقول العلامة الجمل : « إن موسى عليه السلام دعا الله على الظالمين. فأرسل الله عليهم الدم، فصارت مياههم عند الاستعمال كلها دما، فما يسقون من بئر ولا نهر إلا وجدوه دما غليظا(٤). فشكوا إلى فرعون، وقالوا له: ليس لنا شراب، فقال فرعون: سحركم موسى، فقالوا له: من أين سحرنا، ونحن لا نجد فى أوعيتنا شيئا من الماء إلا جاء دما غليظا.

---

(١) الخروج ١٢ : ٣٤ - ٣٦ .

(٢) سورة الأعراف - الآية ١٣٣ .

(٣) العلامة الشيخ إسماعيل حقى البروسوى - تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ص٥٦٥/٥٦٤ تحقيق الشيخ محمد على الصابونى - طبعة دار الصابونى بالقاهرة ط١/١٩٨٩م .

(٤) الغلظة خلاف الرق، تقول العرب: غلظ غلظا وغلظة : خلاف رق وأطلق هذا الوصف على الدم على شدته عليهم يطلقوا سراح بنى إسرائيل. (راجع المعجم الوجيز ص٤٥٣)

حاول فرعون التغلب على المسألة فأجبر الإسرائيليين أن يجتمعوا مع الأقباط على الإناء الواحد فيكون الإناء بين قبطى وإسرائيلى، حتى إذا شرب الإسرئيلى شرب المصرى أيضا، غير أنه حيلة فرعون ارتدت عليه، فكان الإناء الواحد يجتمع عليه الإسرائيلى والمصرى أيضا، فيكون من ناحية المصرى دما، ومن ناحية الإسرائيلى ماء .. ولم تفلح حيلة فرعون.

بل كانت المرأة من آل فرعون تأتى المرأة من بنى إسرائيل حين جهدهم العطش، فتقول لها: اسقنى من ماءك، فتصب لها من قربتها فيعود الماء فى إناء القبطية دما، فتعود القبطية وتقول للإسرائيلية اجعليه فى فيك ثم مجيه فى في فتأخذه الإسرائيلية فى فيها ماء، وإذا مجته فى فى القبطية صار دما.

وفزع فرعون من ذلك فراح يمضغ الأشجار حتى يرد العطش عن نفسه. فإذا مضغ أوراق الأشجار الرطبة لإرواء نفسه، صار ماؤها فى فيه دما. فمكثوا على ذلك سبعة أيام، حتى كادوا أن يهلكوا، فأتوا موسى وشكوا إليه فنؤمن بك، ونرسل معك بنى إسرائيل، وشكوا إليه ولم يشتكوا إلى فرعون، وقالوا له: أدع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم، فدعا موسى عليه السلام ربه فكشفه عنهم »[1].

* **رابعا: مفكرى العهد القديم أعطوا لهارون دورا فى المسألة** – وهو مجرد وزير ومعاونا – أكبر من دور موسى النبى، وهذا يدل على أن القوم يعتسفون الحقوق. ويحاولون القفز فوق الواقع، حتى ولو كان ذلك متعلقا بنى من أنبياء الله جلا علاه.

وهكذا يصورون غضب الله عندهم بغضب البشر، لا يفرقون بين العليم الحكيم العادل – بل هو العدل نفسه – وبين صاحب القوة الأرعن الذى يستخدم قوته فى إلحاق الأذى بالجميع، دون التفرقة بين المطيع والعاصى، بين المكلف وغير المكلف، بين من يعاند ويعارض، وبين من يسلم وللقضاء يستسلم[2].

---

(١) العلامة سليمان بن عمر العجيلى الشافعى المشهور بالجمل- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ج٢ ص١٨٢ ط الحلبى.

(٢) واليهود الآن وفى كل عصورهم يحاولون إنزال العقوبات الجماعية بمخالفيهم، دون تمييز بين متهم وبريء، زاعمين أن الرب صنع ذلك حين غضب، محملين العهد القديم جرائمهم كلها، ناسبين سلوكياتهم الشاذة إلى ما ذكره العهد القديم واهمين أن العهد القديم كتاب مقدس، وما هو من المقدس فى شيء.

٢- ضربتا البعوض[1] والذباب[2]

يذكر العهد القديم : أن فرعون لم يستسلم للعجائب التى أتاه بها هارون، واستمر على ذلك الحال من العصيان واللجج، مما ضاقت به صدور الإسرائيليين ضيقا شديدا، بل واستمر فرعون فى الأذى، بالغ فيه، وهنا يأمر الرب موسى أن يطلب من هارون أن يمد يده بعصاه ويضرب تراب الأرض. وقد استجاب هارون لما أمره به موسى فتحول تراب مصر إلى بعوض شمل كل الأرجاء، بل انتشر البعوض على الناس والبهائم، مما ألحق الأذى البالغ والضرر الأكيد، وظهرت علامات الشكوى من كل ناحية[3].

حاول فرعون أن يصرف البعوض عن المصريين من خلال السحرة، ولكن السحرة لم يوقفوه، بل ازداد انتشاره على الناس والبهائم، ولما رأى السحرة أن ذلك الدفع ليس ممكنا لهم؛ أعلنوا لفرعون أن البعوض المتكاثر من فعل الله، ولكن قلب فرعون لم يستجيب لهم، بل ظل متصلبا وكأنه يريد أن يساوم فى المسألة. وفى داخله رفض تام للإيمان[4].

بيد أن فرعون رأى البعوض يتحرك فى أسراب متكاثرة، وهو فى ذات الوقت يعلن على الملأ أنه ربهم الأعلى، فعليه أن يزيح ذلك الأذى عن قومه. فدله عقله على القيام بدور المفاوض المخادع الذى يتغيب عن مواعيد التفاوض، بغية إفساد حماس الطرف الآخر، وحتى يتيح لنفسه فرصة التقاط الأنفاس، أو البحث عن حيلة جديدة، وبخاصة أنه كلما تم نصر لموسى وهارون قابله غيظ داخل قلب فرعون.

---

(١) البعوض جنس حشرات مضرة من ذوات الجناحين، وهو الناموس. (راجع المعجم الوجيز ص٥٦ مادة بعض باب الباء).

(٢) الذباب : هو حشرة صغيرة طائرة تعيش فى بلدان الشرق، وفى البلاد الحارة بكثرة، وتوجد أنواع كثيرة منها تنسب إلى الجنس الذى يسمى بالدبيتير Diptere وقد كان الذباب الضربة الرابعة على أيام مصر. (قاموس الكتاب المقدس ص٣٨٤)

(٣) العهد القديم – سفر الخروج ٨ : ١٦ – ١٩ .

(٤) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص١٤٠ .

إذن؛ لم ينتصر موسى فى كل المواقف على فرعون وحده. وإنما كان نصره على فرعون وحاشيته، وامتد ذلك حتى فتن الناس بقدرة موسى المستمدة من القدرة الكبرى. وهى القدرة الإلهية(١).

غير أن فرعون لم يستجب ولم يبلغ الوازع الدينى فى نفسه منزلا. فيذكر العهد القديم: أن الرب لجأ مرة أخرى إلى تهديده بإرسال أسراب متكاثرة من الذباب لا على المصريين وحدهم – كما كان الحال فى الماضى – وإنما هذه المرة على فرعون وحاشيته وشعبه وبيوته، بحيث تملئ الأرض كلها بالذباب، فيوقع بهم ضررا كبيرا(٢).

وقد حدث أن موسى لم يقف الأمر معه وهارون عند حد تهديد فرعون. وإنما امتد ليشمل التنفيذ، فامتلأت الأرض كلها بالذباب الذى غطى الأرض جميعا. وأوقع بها الخراب على كل ناحية، يستوى فى ذلك بيت فرعون وبيوت حاشيته. وكل أرض مصر. فأصاب الأرض جميعا بالخراب(٣).

ولما رأى فرعون تلك الكثافة العددية من أسراب الذباب. وأنه ليس بإمكانه دفعها؛ لجأ إلى المخادعة، فاستدعى موسى وهارون، وطلب منهما تقديم ذبيحة لإلاههما، حتى يكون قربانا يعينهما على إرضائه، حتى يدفع أسراب الذباب. وكأنه قصد التعرف على إله موسى وفرعون من حيث قبوله الهدايا من عدمه. لكن موسى قطع عليه تلك الحيلة مبينا له أن تقديم الذبائح أمر مستحسن لدى الإسرائيليين. لكنه مستقبح لدى المصريين، ويخشى موسى إن فعل ذلك هو وأهله الإسرائيليون فيقع غضب وغيظ ربما انتهى بهم إلى رجم المصريين لليهود، وهم لا يريدون ذلك(٤).

غير أن فرعون طلب منهما أن يفعلوا هم وقومهم ذلك فى الصحراء الغربية، بحيث يكونون فى متناول يده، ولا يكون الفعل منهم أمام المصريين، فكأنه أراد أن يحقق الأمرين معا.

---

(١) الأستاذة سنية قراعة – الرسالات الكبرى ص٢٠٤ طبعة مكتب الصحاف الدولى للصحافة والنشر ١٣٨٥هـ/١٩٩٥م.

(٢) العهد القديم – سفر الخروج ٨ : ٢٠ – ٢٢ .

(٣) العهد القديم – سفر الخروج ٢٠ : ٨ – ٢٢ .

(٤) العهد القديم – سفر الخروج ٨ : ٢٦ – ٣٠ .

☆ **الأمر الأول** : إرضاء إله موسى بتقديم الذبائح.

☆ **الأمر الثانى** : إرضاء المصريين بأن تتم الذبائح فى الصحراء بعيدا عنهم.

ويبدو أن فرعون قد وعد موسى وهارون وعدا خفيا يدخل ضمن المعاهدات السرية التى تتم فى الخفاء، بعيدا عن الكافة، وتعرف باسم التنازلات. سواء أكانت متبادلة[١]، أم من جانب[٢] واحد، لكنها غير معلنة.

فلما ذهب موسى وهارون بعيدا حتى يصليا للرب، وقد وعد موسى فرعون برفع الذباب من الغد مقابل أن يطلق فرعون هذه المرة الشعب الإسرائيلي، ليقدم الشعب بنفسه ذبائح للرب.جماعية أو فردية، وقد أعلن فرعون لموسى عن رغبته فى الوفاء بوعده هذه المرة، وكأن موسى قد توعد على أن يسقط وفى كل مرة ضحية الخداع، بل وكأن موسى غمر قد تعود السقوط فى شباك خداع فرعون.

ذهب موسى وهارون إلى الرب وراح يصليان، حتى يزول الذباب عن فرعون وحاشيته، وهو ما يعرف بمبادرات السلام من جانب واحد، فاستجاب الرب. وعاد موسى. حتى إن الذباب ارتفع عن المصريين جميعا، بحيث لم تبق ذبابة واحدة فى مصر كلها[٣].

أيقن فرعون أنه نجح فى خداع موسى، وأن الذباب قد ارتفع، فأعلن لموسى أنه كان يساومه، ولم يكن صادقا فى رغبته ترك العبرانيين أن يخرجوا من مصر. وأن

---

(١) يلجأ إلى ذلك النوع بعض الحكام الذين يوردون شعوبهم موارد الهلكة تحت زعامات كاذبة أو معارك وهمية، ونظرا لحرصهم الشديد على كرسى الحكم حتى يستمر لهم، فانهم يخدعون شعوبهم بتقديم تنازلات غير معلنة، وهى تمثل انتزاعا لحقوق قائمة كتنازل بعض الدول عن جزء من حقها فى المياه لغيرها. بل ويتم نقل تلك المياه على مسئوليتها تحت ستار قد يخفى أمره على العامة، وقد يكون ذلك عن طريق التنازل عن جزء من الثروة، كالحال مع مناجم الذهب والبترول فى إفريقيا، وقد يكون ذلك التنازل السرى عن طريق تخفيف كبير فى جهاز الدفاع عن أمن الدولة واستقرارها، كالحال مع بعض الدول التى تلغى تجنيد شبابها سنوات قد تقصر أو تطول.

(٢) هذا مما يفرضه المنتصر على المهزوم فى شكل مقنع فهو أمام شعبه يظل مرفوع الرأس على أساس أنه قد تم التصالح، أو إنشاء المعاهدات، بينما هو فى ذات الوقت قد حفظوا له ماء وجهه فى الظاهر، بينما هم قد ابتاعوه فى الباطن.

(٣) العهد القديم – سفر الخروج ٨ : ٢٨ – ٣١ .

موسى كان يجب أن يكون حصيفا، بل إن فرعون كأنه بهذا السلوك قصد إلى التأكد من صدق موسى فى دعواه الإرسال من قبل الله أم لا.

إذ لو كان موسى صادقا – من وجهة نظر فرعون – فى أنه مرسل من قبل الله تعالى، والله يعلم السر وأخفى، وهو يعلم أن فرعون كاذب وخادع، فكان الأولى أن ينبه الله موسى إلى ذلك الخداع، فلما لم ينبه إليه، فدل الأمر عند فرعون أن موسى لم يكن صادقا[1].

٣- ضربة تفشى الوباء

بيد أن الذباب لما ارتفع وفرعون لم يستجب؛ أدرك موسى أنه قد وقع ضحية عملية خداع مقننة، فأرسل الرب موسى قائلا له: اذهب إلى فرعون مرة أخرى وأخبره أن يطلق شعبى، حتى يعبدنى وإلا فإن العقاب يحل هذه المرة على مواشيك التى فى الحقول، والخيول والحمير والجمال والبقر والغنم، وستكون وباءا ثقيلا جدا، يضم جميع أفرادها، ولا يلحق بها الضرر فقط، وإنما سيبيدها جميعا. وقد تحقق ذلك الوعد فهلكت جميع المواشى التى كانت للمصريين، ومع هذا تصلب قلب فرعون وازداد قسوة، ولم يطلق سراح الشعب الإسرائيلى[2].

أجل كانت تلك الضربات للمصريين متوالية، ينزلها رب الإسرائيليين ليرد بها على أذى المصريين، حتى يصرفهم عن القسوة التى يمارسونها مع شعب إسرائيل[3]. ولما كانت آلهة المصريين مثل الشمس والنهر، وفى نفس الوقت فيها كثرة عددية، فقد كان من الصعب أن تدافع تلك الآلهة عن المصريين[4].

أما العبرانيون، فقد كان لهم إله واحد مشخص يسير معهم أينما ساروا، ويحل معهم متى حلوا، ويمشى أمامهم ليلا فى عمود سحاب ينير لهم الطريق، ويمشى معهم

(١) هذا ما جال فى ذهن فرعون واستقر بخاطره، وكم كان يتمنى أن تصدق أحلامه الكاذبة، ولكن أنّى للكاذبين أن يصدقهم الله.

(٢) العهد القديم – سفر الخروج ٩ : ١ – ٧.

(٣) توكاريف – الأديان فى تاريخ الشعوب ص٥٢٣.

(٤) هذا ما يزعم أصحاب التفسير التطبيقى ويدعيه الكثيرون رغم أن المصريين كانوا يقدسون الفراعين، ويعبدونها، باعتبار أنها أبناء الإله. (راجع فى هذا الشأن : التفسير التطبيقى ص١٤٦، وجمس هنرى بريستد – فجر الضمير – ترجمة الدكتور سليم حسن وآخرون ص٣٧ – الألف كتاب – إشراف وزارة التعليم. يناير ١٩٥٦م.

نهاراً فى سحابة كثيفة ترفع عنهم سطوة الحر، ويقاسمهم أفراحهم وأحزانهم، بل إنـه ليتعاون معهم، فيكون حرصا عليهم واستجابة لمطالبهم، مهما تعددت وربما تنـازل عـن مصالحه الخاصة، مقابل الوفاء بمصالحهم الذاتية، وكيف لا وهو إلهـهم الوحيـد، وهـم شعب الله المختار(١).

٤- ضربة الدمامل(٢)

وقدْ حرص دعاة الفكر اليهودى على حصر عـدد مـن الضربـات الموجعـة، التـى ساقها رب إسرائيل إلى خصومهم المصريـين، ومنـها شـيوع الدمـامل المتقيحـة(٣)، التـى تمثل مظهرا من مظاهر الغضب الإلهى علـى المصريـين؛ لأنـهم لم يعتقـوا شـعب الـرب ويعتبرها البعض منحا من الرب لفرعون حتى يصغى إلى موسى.

ولست أدرى كيف تكون منحا من الله لفرعـون، والمنح لا تكـون إلا فـى الخـير وجزاء على فعل الخير، ولكن يبدو أن الموازين قد ضربت والقيم قـد اهـترأت(٤)، حتـى إن الرب لدى اليهود يكافئ فرعون المنح والعطايا، ويبدو أن ربـهم كـان محاطـا بكميـة هائلة من ألوان الضعف، وفى المقابل كان فرعون يجيء بكمية هائلة مـن عنـاصر القـوى

---

(١) التفسير التطبيقى ص١٤٧، وفكرة تجسيد الإله وسيره معهم إلى غير ذلك مـن الصفـات والتجسـدات التـى امتلـئ بها العهد القديم، إنما هى تعبر عن الثقافة الوثنية التى ارتضع اليهود من ألبانها حتى الثمالة وعبوا منها حتى آخر قطرة، وهو مما تبرأ منه العقول الصحيحة، والفطر السليمة، وبخاصة أن دين الله يرفضه.

(٢) الدُّمَّلُ: واحد دَماميل القُروح. والدُّمَلُ: الخُرَاجُ على التَّفاؤل بالصَّلاح، والجمع دَماميلُ نادر. ودَمِل جُرحُه واندَمَـلَ بَرِيءَ والتَحم وتَماثل. والاندِمال: التَّماثُل من المرض والجُرْح، وقد دَمَلَه الدَّواءُ » (راجع لسان العرب لابن منظور مادة دمل . وقال الثعالبى « الدُّمَّلُ خرّاجٌ دَمَوِيٌ يُسمّى بذَلِكَ لأنَّهُ إلى الاندِمَال مـائِلٌ » (راجـع القسـم الأول: فقـه اللغة – العلامة الثعالبى. فى صفة الأمراض والأدواء سوى ما مـر منـها في فصـل أدواء العـين وذكـر المـوت والقتـل. الفصل التاسع [يُنَاسِبُهُ فِي الأَوْرَام والخُرَّاجَاتِ والبُثُور والقُرُوحِ] ص٤٥٠)

(٣) بناءاً على أن الرب طلب لموسى وهارون أن يأخذ كل منهما حفنـة مـن رمـاد الأتـون وهـو الرمـاد المحـروق الـذى يسـتخرج مـن المكـان الـذى يوقـد فيـه النـار؛ لأن العـرب يطلقـون علـى الأتـون الموقـد الكبـير . (راجـع المعجـم الوجيز ص٥). ثم يلقياه نحو السماء فيتحـول إلى غبـار فمـن نـزل عليـه ذلـك الغبـار، يمتلـئ جسمه بالدمـامل المتقيحة، يستوى فى ذلك الناس والبهائم وقد وقع ذلك ولم يتمكن السحرة مـن دفـع هـذا الشـر . (راجـع العـهد القديم – سفر الخروج ٩ : ٨ – ١٢)

(٤) اهترأت : أى أصابها الحمق والجهل . (راجع المعجم الوجيز باب الهاء مادة هتر ص٦٤٤)

وشأن الأضعف أن يستمر فى تقديم الرجاءات للأقوى، بل ويعطيه المنح كنوع من المكافأة لإشباع المشاعر، وما ذلك لمن الهوس الذى وقع فيه دعاة الفكر اليهودى.

كما أن يهوه الإله الإسرائيلى قد أظهر نوعا من التواضع فى الإمكانيات والتردد فى اتخاذ القرار بجانب وجود كمية من الغضب الداخلى تزول كلها أمام تقدمه هزيلة، وكانت فى ذبيحة صغيرة، أو فى صلاة مدفوعة الأجر، وهو ما يبرأ دارس مقارنة الأديان منه، وربما أصابهم الفزع من تصرفاته(١).

٥- ضربة البرد(٢)

لم يفت دعاة الفكر اليهودى أن يذكروا سقوط البرد على كل شعب فرعون الذين بإمكانه بالوباء، ولكنه تركهم حتى يعودوا إلى الصواب، أما هذه المرة فإن كمية البرد ستسقط على أرض مصر كلها فتصيب الرجال والبهائم والنباتات فى الحقول، بحيث تفسد جميعها.

ويبدو أن الرب نفذ وعده، ولم يقف أمره عند التهديد فقط، إذ أن موسى هذه المرة رفع رأسه إلى السماء، ثم هوى بعصاه(٣) نحو الأرض، فانهمر البرد مختلطا بالصواعق، فظهرت أسوء عاصفة على أرض مصر، وكان من نتائجها إتلاف كل نبات نام فى الحقل، واقتلاع جميع الأشجار من جذورها، وتحطيم أغصانها، وإحداث أمور أقرب ما يكون التى التدمير التام من مجرد توقيع عقوبة أو توجيه لوم.

ومع هذا استطاع فرعون خداع موسى وأخيه، حتى يصليا بغرض زوال تلك المشكلة، فلما زالت رجع فرعون إلى ما كان عليه، ونكث بعهده الذى قطعه كشأنه فى

---

(١) ليوتاكسيل – التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص١٨٥ .

(٢) البرد عندما تمر الغيوم فى تيار بارد جداً فجأة تتحول قطعها إلى جليد متجمدوأحيانا يكون البرد رذاذاً؛ لأن التجمد يلحق بحبات الماء النازلة منطرا وأحيانا تكثر القطع فتضر الإنسان والحيوان والزروع، وكان البرد إحدى الضربات التى أصابت مصر أيام موسى. (قاموس الكتاب المقدس ص١٦٨)

(٣) الملاحظ أنهم تارة يعطون العصا لهارون فيفعل بها ما يشاء من خراب ودمار، وأخرى يعطونها لموسى كبديل لهارون يفعل بها أمور محددة فكأن موسى هو الاحتياطى وهارون هو الأصلى فهم قلبوا الموازين وأنكروا البديهيات واستباحوا الحرمات، وكم قتلوا من النبيين وكفروا بكل الرسالات. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة آل عمران – الآية ٢١]

الكل، كأن الوفاء لا حدود له، وكأن موسى وهارون قد بلغت بهم البلاهة أعلى درجة، وإذا كان المسلم شأنه الحرص، والمؤمن بالله ديدنه عدم تصديق المخادعين لقوله ﷺ : « (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين) »(١).

إلا أن موسى وفرعون قد أسقطهما العهد القديم فى الغفلة، بل وربما أنزلهما البلاهة، وذلك مما لا يليق بعقلاء بنى البشر، فما بالك إذا كانوا من الأنبياء، والمعروف عندنا نحن المسلمين أن الأنبياء هم صفوة الله من خلقه، وأكملهم خلقا، وأتمهم خلقا، ميزهم الله بالفصاحة وعلمهم بالفطانة، وزانهم بالعصمة، كما أن الأنبياء لما كانوا صفوة الله من خلقه لقوله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير﴾(٢).

وقوله تعالى أعقاب ذكره جملة من الأنبياء والمرسلين : ﴿**وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار**﴾(٣). فقد دل الأمر على أن الله منحهم كمال بشرى، ويؤدى إلى اتباع الناس لهم، ويعينهم على القيام بأعباء ما كلفهم الله به منة منه، وكرما وتفضلا ورحمة لا حقا واكتسابا(٤).

ومن الذين ميزهم به الفطانة والصدق والطهر والنقاء، والأمانة لا يجعل غرا نبيا، فدل الأمر على أن القوم قد نزعوا منزعا رجعوا فيه، إلى معارفهم وتجاربهم

---

(١) الإمام البخارى ج٥ ص٢٢٧١ - باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين - الحديث رقم:٥٧٨٢ - رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم ج٤ ص٢٢٩٥ - كتاب الزهد والرقائق، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، رقم: ٢٩٩٨. وذكره الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم فى الحديث رقم:٦٣ م٨ج٨ص١٢٤ دار الكتب العلمية. والمراد بـ:[(لا يلدغ..) اللدغ هو العض والإصابة من ذوات السموم، كالعقرب والحية، والجحر الثقب والمعنى: أن المؤمن ينبغي أن يكون حذرا بحيث لا يخدع من جهة واحدة مرتين].

(٢) سورة الحج - الآية ٧٥ . وفى التفسير قال ابن كثير : « يخبر تعالى أنه يختار من الملائكة رسلا فيما يشاء من شرعه وقدره ومن الناس لإبلاغ رسالته، ﴿ إن الله سميع بصير﴾ أي سميع لأقوال عباده بصير بهم، عليم بمن يستحق ذلك منهم كما قال: ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ » راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير حول تفسير الآية الكريمة - ج٣ ص٢٣٧ .

(٣) سورة ص - الآية ٤٧ .

(٤) الدكتور محمد حسينى موسى محمد الغزالى - الغزاليات فى النبوات ط١/ ١٤١٣هـ/٢٠٠١م آل بسيونى .

الشخصية الغارقة فى الوهم والخداع المتعمقة فى خواص الشر، المهيأة بألوان الضعف والخسة، ثم نسبوا ذلك إلى رسل الله مع أن الله برأهم من ذلك تماما.

بل إن الغضب ربما ينال الدارس من حكاياتهم التى يقصون فيها أن الرب هو الذى قس قلب فرعون على الإسرائيليين، وجعله صلبا عليهم[1]، ثم إن ذاك الرب هو الذى أوقع العذاب والضربات المتواليات على فرعون والمصريين. فلماذا يحاسبه على جريمة هو الذى دفعها إليه، والمؤسف له أن دعاة الفكر اليهودى فى العصر الحديث قد ذرعوا أنفسهم فى غفلة من المسلمين بأرض فلسطين، فاستباحوا حرماتها، وذبحوا أبناءها، واستحيوا نساءها، وقتلوا رجالها وأضاعوا أموالها، بل محو اسمها فصارت إسرائيل، بينما هى عند المسلمين فلسطين، ولم يكتفوا بذلك، وإنما أشعلوها نارا بأيديهم، ثم عاقبوا أهل تلك الديار على جرائم لم يرتكبوها(٢)، وعنف لم يدر لهم على بال.

٦- الضربة الأخيرة

يغرق دعاة الفكر اليهودى أنفسهم فى الدمار، فمنهم الذين صوروا فساد قلب فرعون بل هم الذين دفعوه إلى تلك القسوة بأفعالهم الذميمة، ونظرا لأنهم استعذبوا ذلك وقرروا الرحيل من أرض مصر، وقد طالت فصول القصة التى ابتدأها بنزولهم مصر، ولابد أن تنتهى بخروجهم؛ ولأنهم شعب غير مسالم، وقد آذوا المصريين، واستباحوا كل حرماتهم.

فلما رءوا من المصريين الرغبة فى معاملة اليهود بما يليق بهم،ومعاقبتهم على سلوكياتهم اغتنموها فرصة، ونسبوا لإلههم يهوه التعاطف الشديد معهم، والغضب المستمر على المصريين خصومهم، ولست أدرى من الذى يخاصم من -

---

(١) العهد القديم – سفر الخروج ١٠ : ٢٧ – ٢٨ .

(٢) دلت الاستخبارات التى نشرت فى كثير من بلدان العالم أن عصابات الهاجاناة والموساد الإسرائيليى وجهاز الأمن العام فى إسرائيل هم الذين يدبرون تلك التفجيرات، ويقومون بها، ثم يعلنون مسئولية الفلسطينين عنها، بحيث يظهرونه أمام الرأى العام العالمى بمظهر الكاره للسلم، الراغبة فى الحرب حتى يستدرجون العالم للوقوف ضدهم، فإذا حاصروهم وبالطائرات ضربوهم والمدافع الثقيلة دكوهم وبالجرافات حصدوهم، لا يسمع أحد لصراخهم ولا يستجيب لهم أو يخف لنجدتهم، بئس ما فعلوا ألا لعنة الله على الكاذبين.

ولما كان أمر رحيلهم قد تقرر، فقد صاغوا حكايات مؤادها أن الرب طلب من موسى إبلاغ الإسرائيليين أن يخدع كل رجل إسرائيلى جاره المصرى. وكل امرأة إسرائيلية جارتها المصرية، فيطلب الإسرائيليون والإسرائيليات من جيرانهم أوانى الذهب والفضة، وكل ما يستطيع أن يطلب. حتى إذا تم إخراجهم ليلا أمكنهم أن يظفروا بما سرقوا، فإذا أصبح القوم ورأوا أنهم قد أخذوا على غرة، وأن الإسرائيليين والإسرائيليات نجوا بما سرقوا. فسوف يحدث صراخ وبكاء يعقبه قتل كل بكر من فرعون المتربع على العرش إلى بكر الأمة التى خلق الرحى.

وسوف يشمل ذلك بكر كل بهيمة، وهو قتل البكور جميعا، أما العبرانيون فلن يقع لهم شيئ من ذلك أبدا؛ لأنهم شعب الرب[١] هم أحبابه، وهو لهم وحدهم، أما الآخرون فليس لهم إلا السحق[٢] والمحق[٣]، وكل أنواع التدمير والخراب.

ويذهب أصحاب التفسير التطبيقى إلى أن الرب قد ميز فى فكر العبرانيين والمصريين تمييزا واضحا، أو أن ذلك التمييز قد كان واضحا فى ذهن الرب، وهو تمييز سوف يظهر لهم فى البرية من خلال الشرائع والمبادئ والقيم، التى تؤكد أنهم شعب متميز[٤].

ولما أراد الرب أن ينزل الضربة القاضية على المصريين يموت الأبكار، فقد جاء منتصف الليل، ثم أهلك كل بكر من المصريين، كما أهلك أبكار بهائمهم[٥]، أما حال الإسرائيليين فلم يحدث؛ لأن الرب « رش دم الحمل على قوائم أبوابهم حتى يميزهم

---

(١) العهد القديم – سفر الخروج ١١ : ١ – ٨ .

(٢) السحق : يقصد بالسحق الإهلاك. تقول العرب سحقه الشيء أهلكه وأباده. (راجع العلامة الفيروز آبادى – القاموس المحيط – فصل السين باب القاف ج٣ ص٢٤٤)

(٣) المحق : يقصد بالمحق الإهلاك والإبادة. تقول العرب محق الشيء محقا أهلكه وأباده. (راجع المعجم الوجيز ص٥٧٣ ط/ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٤) التفسير التطبيقى ص١٥٢ .

(٥) العهد القديم – سفر الخروج ١٢ : ٢٩ .

عن غيرهم، فلولا دم الحمل لوقع الاختلاط ولغابت ملامح الطائعين في ملامح الفاسدين »[١].

في نفس الوقت؛ لما أصبح الصباح واستيقظ فرعون وحاشيته وجميع المصريين إذ عويل في أرض مصر؛ لأنه لم يوجد بيت إلا وفيه ميت من إنسان أو حيوان، حينئذ ضاقت نفس فرعون فاستدعى كل من موسى وهارون بالليل وطلب منهما أن يصطحبا بني إسرائيل وأن يخرجوا من مصر آخذين معهم أغنامهم وأبقارهم. شريطة أن يباركوه، وقد هرب المصريون منذ رؤية هؤلاء وهم راحلون، خشية الموت الجماعي الذي أصاب البكور[٢].

ولست أدري كيف يبارك الإسرائيليون ومعهم موسى وهارون وفرعون الذي أذاقهم الويل ألوانا، هل هم يعطونه أجر ما فعل بهم، وينطبق عليهم المثل القائل لا تشتر العبد إلا والعصا معه، إن العبيد لأنجاس مناكيد[٣].

فهي بركة لمن لا يملك تقديمها؛ لأنهم جميعا حظاه عدا موسى وهارون، يعطيهما لمن لا يستحق، باعتبار أن فرعون لا يستحق تلك البركة.

وهل يستحق البركة من صرح في قومه قائلا كما حكى القرآن الكريم: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾[٤]، ومن قال صارخا كما حكى القرآن الكريم: ﴿يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب﴾[٥]، مثل ذلك الفرعون تصلح معه بركة لكي يتركها له بنو إسرائيل.

---

(١) هذا ما يروى دعاة الفكر المسيحي من أن يسوع حمل الله، وإنه تقديم حياته ذبيحة على الصليب لأجل خطاياهم. (التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص١٥٥).

(٢) العهد القديم – سفر الخروج ١٢ : ٣٠ – ٣٢.

(٣) مناكيد قليلين النفع . راجع المعجم الوجيز مادة ينكد باب النون ص٦٣٣ .

(٤) سورة النازعات – الآية ٢٤ .

(٥) سورة غافر – الآيتان ٣٦/٣٧ . وفي تفسير الآية قالا صاحبا الجلالين: « وقال فرعون يا هامان بن لي صرحا بناء عاليا لعلي أبلغ الأسباب؛ أسباب السماوات طرقها الموصلة إليها فأطلع بالرفع عطفا على أبلغ وبالنصب جوابا لابن إلى إله موسى وإني لأظنه أي موسى كاذبا في أن له إلها غيري قال فرعون ذلك تمويها وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل طريق الهدى بفتح الصاد وضمها وما كيد فرعون إلا في تباب خسار » [راجع تفسير الجلالين ج:١ ص:٦٢٣]

❁ **وفى تقدير الباحث:** أن الجرائم التى تمارس على أيدى اليهود، إنما هى جرائم مقننة صاغتها عقول لئيمة، ودونتها أياد آثمة، بل ومارستها فى الواقع المعاش متى وجدوا إلى ذلك سبيلا، فهم قاتلوا أنبياء الله.

❁ قال تعالى: ﴿اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبآؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾(١). وهم سافكو الدماء البريئة. وقال تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون﴾(٢).

بل هم المتلذذون بالخراب والدمار، ما من عمل خسيس إلا وهم صالحون فيه، وما من عمل شريف إلا وهم معادون له، وتلك سمة من سماتهم، ﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة – الآية ٦١ .

(٢) سورة البقرة – الآية ٨٤ . وفى التفسير يقول العلامة ابن كثير : « يقول تبارك وتعالى منكرا على اليهود، الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وما كانوا يعانونه من القتال مع الأوس والخزرج، وذلك أن الأوس والخزرج – وهم الأنصار – كانوا في الجاهلية عباد أصنام، وكانت بينهم حروب كثيرة، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل (بنو قينقاع) و (بنو النضير) حلفاء الخزرج و (بنو قريظة) حلفاء الأوس، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه فيقتل اليهودي أعداءه، وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر، وذلك حرام عليهم في دينهم ونص كتابهم، ويخرجونهم من بيوتهم، وينتبهون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها افتكوا الأسارى من الفريق المغلوب عملا بحكم التوراة، ولهذا قال تعالى: ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟ ﴾ولهذا قال تعالى: ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ أي لا يقتل بعضكم بعضا، ولا يخرجه من منزله، ولا يظاهر عليه، وذلك أن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة، كما قال عليه الصلاة والسلام: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"، وقوله تعالى: ﴿ ثم أقررتم وأنتم تشهدون ﴾ أي ثم أقررتم بمعرفة هذا الميثاق وصحته وأنتم تشهدون به » راجع تفسير القرآن العظيم للعلامة الحافظ ابن كثير حول تفسير الآية – ج١ ص٢٠٩ .

(٣) سورة التوبة – من الآية ٣٠ ونص الآية كاملا : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ .

والذى يذهب الباحث إليه ؛ أن فكرة غضب الله على المصريين التــى وردت فــى العهد القديم فكرة عشوائية لا تدعمها ظواهر فعلية ، وسوف يتناولها البــاحث بالمناقشــة على النحو الذى ييسره الله ﷻ.

مناقشة الفكرة

عرضت لموقف العهد القديم ومفسريه ، باعتبار أن الرب قد غضب لبنى إسـرائيل من خصومهم الذين نزلوا ضيوفا عليهم، أو حلوا بهم، ومن ثم؛ فقد قرروا أن الــرب قـد غضب على المصريين وأنزل بهم الضربات الموجعات ، لكن تلك الفكرة تحتاج مناقشـتها على النحو التالى :-

أولا : الناحية العقلية

العقل لا يمنع أن يعاقب الرب المصريين أصحاب الديانات الوثنية آنــذاك، وهم أيضا الذين عاشوا فى الأرض فساداً، وأعملوا فى الناس القتل والتدمير والتخريــب. قـال تعالى : ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[1].

قال الثعالبى[2] : « عن فرعون ذى الأوتاد: إنه فرعون موسى، لكنــهم اختلفـوا فى لفظ الأوتاد، وقالوا: إنها أبنيته العالية التى كان قد برع قومه فى شأنها بتوجيهات منه ، مما يمثل الحضارة المادية عند قدماء المصريين، وهناك من يذهب إلى أن الأوتاد هم جنود فرعون الأشداء، الذين كانوا يسـتعيان بـهم فـى توطيـد ملكـه ، وتثبيـت حكمـه ، ويدخل فى هذا المفهوم على خدمة فرعون وسلطانه من تلك الناحية.

(١) سورة الفجر – الآيات ١٠/١٣ . وفرعون لقب يطلق على ملوك مصر أبان حكم الفراعنـة، ولـذا فإنـه يختلـف فـى الوصف عن الاسم ملوك الفراعنة.

(٢) الثعالبى – الثعلبي : « الإمام الحافظ العلامة شيخ التفسير أبو إسحاق أحمد بن محمد ابن إبراهيـم النيسـابوري كان أحد أوعية العلم. له كتاب التفسير الكبير وكتاب العرائس في قصص الأنبياء. قال السمعاني يقال له الثعلـبي والثعالبي وهو لقب له لا نسب. حدث عن أبي بكر بن مهران المقرئ وأبـي طـاهر محمـد بـن الفضـل ابـن خزيمـه والحسن بن أحمد المخلدي وأبي الحسين الخفاف وأبي بكربن هانئ وأبي محمد بن الرومي وطبقتهم توفي الثعلـبي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربع مائة » [راجع سير أعلام النبلاء ج:١٧ ص:٤٣٥/٤٣٧]

ونقل عن ابن عباس ما نسبه إلى مجاهد[1] أن فرعون كان يوتد الناس أوتادا حديد يقتلهم بذلك، وأنه كان يضربها في أبدانهم حتى تنفذ إلى الأرض، فلا يخرج صاحبها سالما، وهناك آراء أخرى في المسألة قد أسرف في ذكرها أصحاب القصص والمولعون بالروايات »[2].

لكن أن يكون الغضب لمجرد تعاطف الرب مع بني إسرائيل، فتلك مسألة مردودة؛ لأن الله تعالى رحيم عادل، فمن أسماء الله الحسنى: العدل اللطيف الخبير[3]،

---

(١) مجاهد : هو مجاهد بن جبر مولى السائب بن أبي السائب المخزومي . مات ساجدا سنة ١٠٣هـ . راجع سير أعلام النبلاء – جـ٤ ص٤٤٩.

(٢) العلامة الثعالبي – جواهر الحسان في تفسير القرآن ج٤ ص٤١١ – مؤسسة الأمل للمطبوعات – بيروت لبنان ط١

(٣) روى الشيخان بصحيحيهما : « عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة) » الإمام البخاري – صحيح البخاري – باب: إن لله مائة اسم إلا واحدا – الحديث رقم:٦٩٥٧ –، ٦٠٤٧، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، رقم: ٢٦٧٧. وذكره ابن ماجه في سننه – باب أسماء الله عز وجل– الحديث رقم:٣٨٦٠– وذكره العلامة المباركفوري في تحفة الأحوذي، شرح الترمذي – في الحديث رقم:٣٦٤١ وعلق عليه قائلا : « قوله: « إن لله تسعة وتسعين اسما » فيه دليل على أن أشهر أسمائه سبحانه وتعالى الله لإضافة هذه الأسماء إليه. وقد روى أن الله هو اسمه الاعظم. قال أبو القاسم الطبري: وعليه ينسب كل إسم له فيقال الرؤوف والكريم من أسماء الله تعالى ولا يقال من أسماء الرؤوف أو الكريم الله. واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة. فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ولهذا جاء في الحديث الآخر: أسألك بكل إسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك. كذا في شرح مسلم للنووي. قلت: الحديث الاخر الذي ذكره النووي أخرجه أحمد وصححه ابن حبان من حديث ابن مسعود »ومائة غير واحدة« اختلفت الروايات في لفظ واحدة ففي بعضها بالتأنيث كما هنا وفي بعضها بالتذكير قال الحافظ في الفتح: خرج التأنيث على إرادة التسمية، وقال السهيلي: بل أنث الإسم لأنه كلمة واحتج بقول سيبويه: الكلمة إسم أو فعل أو حرف فسمي الإسم كلمة. وقال ابن مالك أنث باعتبار معنى التسمية أو الصفة أو الكلمة. وقال جماعة من العلماء: الحكمة في قوله مائة غير واحد بعد قوله تسعة وتسعون أن يتقرر ذلك في نفس السامع جمعا بين جهتي الإجمال والتفصيل أو دفعا للتصحيف الخطي والسمعي »من أحصاها« وفي رواية لمسلم: من حفظها. وفي رواية للبخاري: لا يحفظها أحد، وهذا اللفظ يفسر معنى قوله أحصاها فالإحصاء هو الحفظ، وقيل أحصاها قرأها كلمة كلمة كأنه يعدها، وقيل أحصاها علمها وتدبر معانيها واطلع على حقائقها، وقيل أطاق القيام بحقها والعمل بمقتضاها. قال الشوكاني التفسير الأول هو الراجح المطابق للمعنى اللغوي وقد فسرته الرواية المصرحة بالحفظ، وقال النووي قال البخاري وغيره من المحققين معناه حفظها وهذا هو الأظهر لثبوته نصا في الخبر. وقال في الأذكار هو قول الأكثرين « دخل الجنة » ذكر الجزاء بلفظ الماضي تحقيقا له لأنه كائن لا محالة » .

وقال تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾(١).

قال العلماء: يا أيها المؤمنون لله الأسماء الحسنى الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، فأدعوه بها، ولا تدعوه بغيرها؛ لأنكم إن دعوتموه بها أجابكم لقوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾(٢).

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٨٠ . وفى التفسير قال الحافظ ابن كثير : « إن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين، بدليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدل مكانه فرحا". فقيل: يا رسول الله أفلا نتعلمها؟ فقال: "بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها". وذكر ابن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه (الأحوذي في شرح الترمذي) أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم، فالله أعلم. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾، قال: إلحاد الملحدين أن دعوا اللات في أسماء الله، وقال مجاهد: اشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، وقال قتادة: يلحدون: يشركون في أسمائه. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد: التكذيب، وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر » راجع تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير حول تفسير الآية – ج٢ ص٢٨٢.

(٢) سورة البقرة – الآية ١٨٦ . وفى تفسير الآية قال ابن كثير : « روي أن أعرابيا قال: يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله: ؟وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا؟ (أخرجه ابن أبي حاتم) وعن الحسن قال: سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين ربنا؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ الآية. وقال عطاء إنه بلغه لما نزلت ؟وقال ربكم ادعوني أستجب لكم؟ قال الناس: لو نعلم أي ساعة ندعو؟ فنزلت: ؟وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان؟. وعن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فجعلنا لا نصعد شرفا، ولا نعلو شرفا، ولا نهبط واديا، إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير. قال: فدنا منا فقال: "يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا بصيرا، إن الذين تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله" (رواه أحمد والشيخان) .وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه" (رواه أحمد عن أبي هريرة). (قلت) : وهذا كقوله تعالى: ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾، وقوله لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ والمراد من هذا أنه تعالى لا يجيب دعاء داع، ولا شغله عنه شيء، بل هو سميع الدعاء، ففيه ترغيب في الدعاء وأنه لا يضيع لديه تعالى، كما قال صلى الله عليه وسلم : "إن الله تعالى ليستحي أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيرا فيردهما خائبتين" (رواه أحمد عن سلمان الفارسي)، وقال صلى الله عليه وسلم : "القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإنه لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل" (رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو) » راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير حول تفسير الآية الكريمة – ج١ ص٣٤٣ .

أما دعاؤه جل علاه بما لم يرد في القرآن الكريم أو في السنة النبوية المطهرة الصحيحة، فهو الجاد في أسمائه، وقيل بألفاظها أو معانيها عن منهج الحق، وكذلك تحريف فيه تأويل أو تشبيه، فضلا عن أن يكون فيه تعطيل أو تكذيب، مع أنه كله شرك، فمن فعل ذلك؛ فإنه يجزى به في الدنيا والآخرة.

قال العلامة الشيخ محمد عبده: « إن الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون، بمعنى يلقون جزاء عملهم بعضهم عن قرب في الدنيا قبل الآخرة، أما في الآخرة فإنه يعمهم عقاب الله جميعا، إلا من تاب وآمن وعمل صالحا قبل الموت »[(١)].

وبناءا عليه؛ فإن رحمة الله لا تقتضي معاقبة قوم لمجرد مخالفتهم آخرين، إنما تكون عقوبتهم في الآخرة، فإذا كان الله قد أوقع بالمصريين عقوبة أو عقوبات، فذلك مما جرى به قضاؤه مقدَّرا من يخالف أمره ويصر على معاداته، فإن العقوبة قائمة في الدنيا والعذاب منتظر له في الآخرة، وليست العقوبة التي أوقعها الله على المصريين ناشئة عن مخالفة المصريين للإسرائيليين وبغضهم لهم.

ثانيا: النقل

النقل الصحيح قد أخبرنا أن الله تعالى أعطى موسى آيات بينات؛ لتكون حجة له على غيره، وقد التزم بها البعض، بينما أنكرها فرعون ومن كان معه فعاقبهم الله.

قال الله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا * قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾[(٢)].

---

(١) الإمام محمد عبده، الشيخ محمد رشيد رضا – تفسير المنار ج٩ ص٣٦٨ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٢) سورة الإسراء – الآيتان ١٠١/١٠٢، وفي تفسير الآيتين يقول الإمام الحافظ ابن كثير – رحمه الله – « يخبر تعالى أنه بعث موسى بتسع آيات بينات، وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه، فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون، وهي "العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم" آيات مفصلات، قاله ابن عباس، وقال محمد بن كعب: هي اليد والعصا والخمس في الأعراف والطمس والحجر، وقال ابن عباس أيضا ومجاهد: (هي يده، وعصاه، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم)، وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي، وجعل الحسن البصري: السنين ونقص الثمرات واحدة؛ وعنده أن التاسعة هي تلقف العصا ما يأفكون، ﴿ فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ﴾ أي ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها كفروا بها وجحدوا بها، واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وما نجعت فيهم؛ فكذلك لو أجبنا هؤلاء الذي سألوا منك ما سألوا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا إلى آخرها، لما استجابوا ولا آمنوا إلا أن يشاء الله، كما قال فرعون لموسى – وقد شاهد منه ما شاهد من هذه الآيات – ﴿ إني لأظنك يا موسى مسحورا ﴾ قيل: بمعنى ساحر، والله تعالى أعلم. فهذه الآيات التسع التي ذكرها هؤلاء الأئمة هي المرادة ههنا، وهي المعنية في قوله تعالى: ﴿ وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف – إلى قوله في تسع آيات – إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين ﴾، فذكر هاتين الآيتين العصا واليد، وبين الآيات الباقيات في سورة الأعراف وفصلها، وقد أوتي موسى عليه السلام آيات أخر كثيرة: منها ضربة الحجر بالعصا، وخروج الماء منه، ومنها تظليلهم بالغمام، وإنزال المن والسلوى، وغير ذلك مما أوتيه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر، ولكن ذكر ههنا التسع الآيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر، فكانت حجة عليهم، فخالفوها وعاندوها كفرا وجحودا. ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾ أي حججا وأدلة على صدق ما جئتك به، ﴿ وإني لأظنك يا فرعون مثبورا ﴾ أي هالكا، قاله مجاهد وقتادة، وقال ابن عباس: ملعونا، وقال الضحاك ﴿ مثبورا ﴾: أي مغلوبا (وهو قول لابن عباس أيضا)، والهالك كما قال مجاهد، يشمل هذا كله. ويدل على أن المراد بالتسع الآيات إنما هي ما تقدم ذكره من العصا واليد والسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، التي فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه، وخوارق ودلائل على صدق موسى ووجود الفاعل المختار الذي أرسله » (العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٥)

والمعروف أن الله تعالى لما غضب على فرعون موسى، بسبب موافقة من الله ﷻ وادعائه الربوبية، حين قال ما حكاه القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾[١]، الذى لا رب فوقى، فإذا كان موسى يعبد ربا، وغيره يعبد ربا آخر متعدد الأرباب، وتكون بحاجة إلى رب أعلى منهما جميعا، وقيل إن فرعون نظر إلى ما يعبدونه من أصنام، فقال: إذا كانت هذه الأصنام التى يعبدونها أربابا لكم. فأنا الذى أمرت بإنشائها، وأحافظ على وجودها، وبالتالى؛ فأنا ربها، ولما كنتم داخلين تحت سلطانى، فأنا ربكم أيضا، وأنا الأعلى من كل الأرباب[٢].

ﷺ وزعمه لنفسه الألوهية. قال تعالى: ﴿ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون * أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين﴾[٣]. إذ نادى فرعون على قومه وقال لهم يا قوم: ألست ملك مصر ولى قصور تجرى من تحتها الأنهار، أفلا تبصرون. أأنا أفضل لكم أم موسى هذا الرجل المغمور الذليل الضعيف[٤].

ﷺ وقال تعالى على لسان فرعون مهددا موسى الكليم: ﴿قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين * قال أولو جئتك بشيء مبين﴾[٥].

يقول العلامة القرطبى: « ثم لما انقطع فرعون لعنه الله في باب الحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فتوعد موسى بالسجن، ولم يقل ما دليلك على أن هذا الإله أرسلك؛

---

(١) سورة النازعات – الآية ٢٤ .

(٢) العلامة علاء الدين على بن محمد إبراهيم البغدادى الشهير بالخازن – لباب التأويل فى معانى التنزيل وبهامشه تفسيره المعروف بمعالم التنزيل لأبى محمد الحسينى بن مسعود م٤ ص٢٠٧ طبعة دار الفكر العربى للطباعة والنشر – بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٣) سورة الزخرف – الآيتان ٥١/٥٢ . وفى التفسير يقول العلامة السيوطى : « عن قتادة ﴿ أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ﴾ قال: قد كان لهم جنان وأنهار ﴿ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ﴾ قال: ضعيف ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ قال: عيي اللسان، وعن ابن عباس في قوله: ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ قال: كانت لموسى لثغة في لسانه » (راجع الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للعلامة جلال الدين السيوطى ص٣٥٦ طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .

(٤) عبدالودود يوسف – تفسير المؤمنين ص٣٩٣ .

(٥) سورة الشعراء – الآيتان ٢٩/٣٠ .

لأن فيه الاعتراف بأن ثم إلها غيره. وفي توعده بالسجن ضعف. وكان فيما يروى أنه يفزع منه فزعا شديدا حتى كان اللعين لا يمسك بوله. وروي أن سجنه كان أشد من القتل. وكان إذا سجن أحدا لم يخرجه من سجنه حتى يموت، فكان مخوفا. ثم لما كان عند موسى عليه السلام من أمر الله تعالى ما لا يرعه توعد فرعون "قال" له على جهة اللطف به والطمع في إيمانه: "أولو جئتك بشيء مبين" فيتضح لك به صدقي »[1].

عد ولا إلى التهديد عن المحاجة بعد الإقطاع[2]، وهكذا ديدن المعاند المخدوع واستدل به على ادعائه الألوهية، وإنكاره الصانع، وهددهم بالسجن؛ لأن نبى الله موسى كان يعرف حالهم؛ فإنه كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا.

فقال له نبى الله موسى عليه السلام أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء يبين صدق دعواى يعنى المعجزة، فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعى نبوته.

ولكن تلك السلوكيات الشاذة، إنما كان يقوم بها فرعون، وحاشيته فلم يوقع الله العقاب بالمصريين ككل، وإنما أوقع العقاب على الظالمين.

وذهب البعض إلى أن فرعون ومن معه قد تجاوزوا الحد، وهم مفعمون الطغيان، إذا تجاوزوا ما كان مباحا، وعتوا على أمر ربهم، وذلك بكفرهم وإيذائهم الخلائق فى البلاد التى كانوا يقيمون فيها[3].

وعند الباحث: أن فرعون قد جمع بين الكفر بالله، وهو شرك عظيم، وبين إيذاء العباد. قال تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾[4].

---

(١) العلامة أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – الجامع لأحكام القرآن الكريم – ٣٤٥/٣ .

(٢) العلامة أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجري. – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ج٣ ص ١٨٠ – (ط٣ طبعة الحلبى ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) .

(٣) لما هو معلوم من أنه إذا انهزم الخصم وكانت أدلته مقطوعة توقف عن الاستمرار فيها، وهى معنى الإقطاع .

(٤) سورة القصص – الآية ٤ . ويقول العلامة الطبرى : « قال السدي: كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه، أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، وأحرقت بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة، فسألهم عن رؤياه، فقالوا له: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه، يعنون بيت المقدس، رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فأمر ببني إسرائيل أن لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه، ولا تولد لهم جارية إلا تركت، وقال للقبط: انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا، فأدخلوهم، واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة، فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم، وأدخلوا غلمانهم، فذلك حين يقول: ؟إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا؟ يعني بني إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القذرة » راجع تفسير العلامة الطبرى ص ٢٠٦٧٣ – الطبعة المصرية (طبعة الحلبى ١٩٥٤) .

يقول العلامة الحافظ ابن كثير : « ﴿ إن فرعون علا في الأرض ﴾ أي تكبر وتجبر وطغى، ﴿ وجعل أهلها شيعا ﴾ أي أصنافا قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته، وقوله تعالى: ﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ يعني بني إسرائيل، وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم، هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم في أخس الأعمال، ويقتل مع هذا أبناءهم، ويستحيي نساءهم، إهانة لهم واحتقارا وخوفا من أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه، فاحترز فرعون من ذلك، وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل، ولن يمنع حذر من قدر لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولكل أجل كتاب »[1].

يقول العلامة ابن جرير الطبرى : « قال السدي: ﴿ إن فرعون علا في الأرض ﴾ يقول: تجبر في الأرض: ﴿ وجعل أهلها شيعا ﴾، يعني بني إسرائيل. حين جعلهم في الأعمال القذرة، ﴿ يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ﴾ فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح فلا يكبر الصغير. وقذف الله في مشيخة بني إسرائيل الموت، فأسرع فيهم. فدخل رؤوس القبط على فرعون، فكلموه، فقالوا: إن هؤلاء قد وقع فيهم الموت، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا بذبح أبنائهم فلا تبلغ الصغار وتفنى الكبار، فلو أنك كنت تبقي من أولادهم! فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة. فلما كان في السنة التي لا يذبحون فيها ولد هارون، فترك؛ فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى »[2].

كما أن فرعون فوق ذلك قد طغى فى البلاد حين كلف أن يعبدوه حينما نادى فيهم: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾[3]، فهو لم يترك جانب من جوانب الشر إلا فتحه، ولا جانب من جوانب الخير إلا أوصده، وأكد على ما وصده، فاستحق بذلك اللعن.

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم م٣ ج٦ ص١٤١ .

(٢) العلامة أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجري. – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ص ٢٠٦٧٠ – الطبعة المصرية (طبعة الحلبى ١٩٥٤) .

(٣) سورة النازعات – الآية ٢٤ .

ﷻ قال تعالى : ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾[١]. بأن أهلكه بالغرق[٢]. وجعله عبرة لغيره[٣]، لأنه قال هذه الكلمة : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾[٤]، وقال مثله ذلك ما علمت لكم من إله غيرى[٥]. وكان بينهما أربعون سنة[٦].

وبالتالى فالعقوبة فردية يتعلق ما فى اختصاصها بالظالمين من فرعون وحاشيته. قال تعالى : ﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا﴾[٧]. عندما هم أن يطردهم من مصر[٨]، أغرقه الحق ﷻ هو ومن معه من جنوده.

أما المصريون فلم يقع لهم من السوء شيء؛ لأن العدل الإلهى لا يؤاخذ أباً بما فعل ابنه، ولا يؤاخذ ابنا بما كسب أبوه.

ﷻ قال تعالى : ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[٩]. وقال تعالى : ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾[١٠]. والمسئولية الشخصية فى الشرع الشريف قد حددت ذلك تماما فى آيات

---

(١) سورة النازعات – الآية ٢٥ .

(٢) العلامة جلال الدين المحلى والعلامة جلال الدين السيوطى – تفسير الجلالين ص٥٠٠ – مطبعة الشمرلى ١٩٧٩م تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل .

(٣) الأستاذ الشيخ عبدالجليل عيسى – المصحف الميسر ص٧٩٠ .

(٤) سورة النازعات – الآية ٢٤ .

(٥) الإمام البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٥٩٩ وقال أيضا أخذه الله فى الآخرة بالإحراق وفى الدنيا بالإغراق .

(٦) العلامة جلال الدين السيوطى والعلامة جلال الدين المحلى – تفسير الجلالين ص٥٠٠ .

(٧) سورة الإسراء – الآية ١٠٣ .

(٨) عبدالودود يوسف – تفسير المؤمنين ص٢٣٣ .

(٩) سورة المدثر – الآية ٣٨ . وفى التفسير ذكر العلامة السيوطى : « عن ابن عباس في قوله : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ قال : مأخوذة بعملها. وعن قتادة ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ﴾ قال : علق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين. وعن مجاهد في قوله : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ﴾ قال : لا يحاسبون » (العلامة جلال الدين السيوطى – الدر المنثور فى التفسير بالمأثور – تفسير الآية ص٣٤٨ طبعة دار الفكر بيروت ١٩٨٣م)

(١٠) سورة الطور – الآية ٢١ .

كثيرة، ففى القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾[1].

أى أنه لا تؤخذ نفس بذنب غيرها، وأن الإنسان ليس له إلا أجر سعيه وجزاء عمله، ولا ينفع أحد عمل أحدا[2].

قال بعض العلماء: إن الآيات التسع التى أعطاها الله لموسى. إنما كانت معجزات بينات، واضحات الدلالة على نبوته، وصحة ما جاء به من عند الله تعالى، وعد منها؛ العصا، إخراج اليد البيضاء، الجراد والقمل، الضفادع، الدم، الأخذ بالسنين، نقص الثمرات .

۞ **وفى تقدير الباحث**: أن عدد العقوبات ضمن المعجزات قد لا ينهض لأصحابه باعتبار أن المعجزات تكون لتأييد صدق النبى فى دعواه، وباعتبار أن المعجزة أمر خارق للعادة، ويجريه الله على يد مدعى النبوة تصديقا له فى دعواه فى زمن التكليف، مع عجز جميع الخلائق عن معارضته أو الإتيان بمثله.

وبالتالى؛ فإن الكثير من العلماء ذهبوا إلى أن المعجزة هى الطريق الوحيد فى

---

(١) سورة النجم – الآيات ٣٨/٤١ . وفى تفسير الآيات قال السيوطى : « أخرج الشافعي والبيهقي في سننه عن عمرو بن أوس قال: كان الرجل يؤخذ بذنب غيره حتى جاء إبراهيم فقال الله ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ قال: بلغ وأدى ﴿أن لا تزر وازرة وزر أخرى﴾. وعن ابن عباس ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ قال: كانوا قبل إبراهيم يأخذون الولي بالمولى حتى كان إبراهيم فبلغ ﴿أن لا تزر وازرة وزر أخرى﴾ لا يؤخذ أحد بذنب غيره. وفى قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾.أخرج أبو داود وابن جرير عن ابن عباس قال ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ فأنزل الله بعد ذلك (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) (سورة الطور، الآية ٢١) فأدخل الله الأبناء الجنة بصلاح الآباء. وأخرج ابن مردوية عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ استرجع واستكان » (الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ص٤١٠) .

(٢) العلامة أبو الطيب الفتوحى – فتح البيان فى مقاصد القرآن – تقديم عبدالله إبراهيم الأنصارى ج١٣ ص٢٧٠ المكتبة العصرية صيدا بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

إثبات النبوة، ويمثل هذا الرأى الإمـام ابـن تيميـة(١) الـذى يذهـب إلى أن المعجـزة هـى الطريق الوحيد لإثبات نبوة النبى ﷺ(٢)، وإمام الحرمين الجوينى.

أما العقوبات التى جعلها الله نازلة على فرعـون وملائـه الظـالمين. والتـى منـها الأخذ بالسنين – الدم – الضفادع، وغيرها، فإنها تمثل عقوبات ينزلها الله تعـالى علـى القوم الظالمين، جزاء تكذيبهم، وخروجهم على شرع رب العالمين.

لأن هذه العقوبات على المعاندين، لا الأطفال الأبرياء، ولا المؤمنين البـالغين، أو المرغمين، من ثم فـهى مـن وجهـة نظـر البـاحث عقوبـات واضحـة، جعلـها الله علـى المصريين المنكرين بنبوة موســى عليه السلام، أو علـى الإسـرائيليين أيضـا الذيـن أنكـروا نبـوة موسى عليه السلام، فالقاسـم المشـترك هـو وقـوع العقوبـة علـى الكـافرين، بغـض النظـر عـن جنسياتهم أو أشكالهم.

---

(١) ابن تيمية : هو شيخ الإسلام الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بـن الشيخ شـهاب الديـن عبـد الحليـم بـن أبـي القاسم بن تيمية الحراني ولد بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الاول من سنة إحدى وستين وستمائة. ودرس الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني بـدار الحديـث السكرية التي بالقصاعين وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين ابن الزكي الشافعي والشيخ تاج الدين الفزاري شيخ الشافعية والشيخ زين الدين ابن المرحل وزين الدين بن المنجا الحنبلي وكان درسا هائلا وقد كتبه الشيخ تاج الدين الفزاري بخطه لكثرة فوائده وكثرة ما استحسـنه الحـاضرون وقـد أطنـب الحـاضرون في شـكره علـى حداثـة سـنه وصغره فإنه كان عمره إذ ذاك عشرين سنة وسنتين . راجع البداية والنهاية لابن كثير – مولد الشـيخ تقـي الديـن ابن تيميه شيخ الإسلام – طبعة دار الغد العربية .

(٢) يذهب علماء الإسلام ومفكروه إلى فرق :

الأول: – الذين يرون أن المعجزة هى الطريق الوحيد لإثبات النبوة، ولهم فى ذلك كلام طويل وأدلة ساقوها لتـأييد رأيهم.

الثاني: الذين يذهبون إلى أن المعجزة لابد أن تصاحبها أخبار النبى نفسه، بحيث لا تكـون المعجـزة وحدهـا هـى الطريق لإثبات النبوة.

الثالث: الذين يذهبون إلى أن ضرورة أن تتواقف المعجزات وأخبار الرسول قبل البعثهمع ما سـبق مـن الكتب على الإخبار بنبوته، فإذا لم تتوافق تلك جميعا فى إثبات للمعجزة » (راجع الإمام القرطبـى – الإعـلام بمـا فى دين النصـارى مـن الفسـاد والأوهـام ج٢ – تحقيـق الدكتـور أحمـد حجـازى السـقا – دار الـتراث العربـى ١٩٨٠م، وكذلك نهاية الإقدام وغيرها من المؤلفات المعنية بعلم الكلام فى الإسلام).

ثانيا: غضب الله على بلعام بن بعور

أ- عرض الفكرة

يذكر العهد القديم : « أن أحد قادة المؤابيين يدعى بالاق بن بعور[١] ملك مؤاب[٢] قد أفزعه ما أنزله الإسرائيليون بالأموريين فخشى على شعبه، وبالتالى؛ حاول الاستعانة على الإسرائيليين بأحد الرجال المعروفين، وهو بلعام بن بعور، الذين كانت لهم دعوة وعلى أفواههم لعنة، فطلب الأول إلى الثانى أن يقوم باللعن على شعب إسرائيل، حتى يتمكن بالاق من دحرهم وطردهم من أرضه قبل أن يصلوا إليها. ولما كان بلعام قد اشتهر أمره بأنه مبارك، من يباركه يكون مباركا، ومن يلعنه يكون معلونا »[٣].

فقد استجاب لطلب بالاق وتهيأ للقيام بما كلف به، حيث كان بلعام ساحراً يستدعى للعنة الآخرين، وكان مثل الاعتقاد أمراً شائعاً، باعتبار أن السحرة يتمتعون بنفوذ الآلهة، وبالتالى؛ فقد أراد ملك مؤاب أن يستخدم نفوذه عند إله بنى إسرائيل ليلعنهم[٤].

---

(١) بالاق : اسم موأبى ربما كان معناه « المتلف أو المخرب » وهو ملك الموأبيين، وقد طلب من بلعام أن يلعن بنى إسرائيل فى أيام موسى. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٦٠).

(٢) مؤاب : اسم سامى معناه (من أبوه) وهى سهل مرتفع علوه فوق سطح البحر نحو من ٢٦ – ٢٨ قدم يحدها غربا سلسلة من الجبال، ومن بينها جبل نسيا، وهى تصلح لرعى المواشى، ويبدأ تاريخها بعد انقلاب مدن الدائرة، وولادة مؤاب أب الأمة من ابنة لوط(بان)ذريته امتدت فى الأرض شرق بحر لوط وطردوا الاسميين من هناك، وبعد ذلك بنحو ٥٠٠ سنة ، عند ما قدم بنو إسرائيل من مصر كان مؤاب قد صار قويا هو وأمته، إلاَّ أن الأموريين كانوا قد طردوهم إلى جنوبى آرثون، ودعا مؤاب ومدايان بلعام ليلعن الشعب الإسرائيلى. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٩٢٧/٩٢٨).

(٣) العهد القديم – سفر العدد ٢٢ : ٦ .

(٤) التفسير التطبيقى ص٣٢١ .

غير أن ذلك العمل لم يكن يتم بدون مقابل، وإنما لابد من حلوان العرافة[(١)] فذهب شيوخ مؤاب وشيوخ مديان إلى بلعام حاملين معهم حلوان العرافة.

ولم يكن ذلك الأمر ليتم مباشرة، وإنما كانت مسألة اللعن كمسألة المباركة لابد لها من طقوس، ومن ثم؛ فقد أمهلهم بلعام الرد إلى الغد، كما طلب إليهم أن يبيتوا الليلة عنده[(٢)].

والعهد القديم يذكر أن الرب إله الإسرائيليين، ظهر لبلعام الساحر وسأله عن هوية هؤلاء الموجودين عنده، فأجاب بالغرض الذى جاءوا من أجله، حينئذ غضب الرب من هؤلاء الرجال، وحذر بلعام من إجابتهم إلى طلبهم، وقال له: لا تمض معهم، ولا تلعن الشعب الإسرائيلى لأنه مبارك[(٣)].

أجل أبلغ بلعام رجال بالاق بما خاطبه به الرب، وطلب منهم مغادرة المكان إلى ديارهم، غير أن رجال بالاق لما وصلوا إلى موأب، وأبلغوا رئيسهم بما جرى من بلعام فكر فيه، وأعد العديد من الرؤساء والعظماء، وحمّلهم رسالة فيها الكثير من الإغراء إلى بلعام، وأقلها المبالغة فى إكرامه وتنفيذ كل طلباته.

لقد استطاع بالاق أن يلعب على أوتار الثروة التى داعبت خيال بلعام، وجعلت طمعه يسيطر على إرادته، حتى غلب أمر الله إليه، فاستجاب بلعام للعرض المغرى، الذى قدمه له رجال بالاق، وقد كان على الاستعداد للقيام بأى دور، مادام ذلك سيحقق له الرغبة فى تكوين الثروة، وهذا الخليط من الدوافع أدى أخيرا إلى إقناع بلعام حتى يقوم بما طلب منه.

---

(١) حلوان العرافة : يقصد بها التنبؤ بأمور عتيدة قبل أن تحدث إما بادعاء الوحى الكاذب، أو بقراءة الفنجان أو الكف أو التطلع فى النجوم، أو فى باقى عمليات السحر والتفائل التى يعتبرها الكتاب المقدس حيلا شيطانية، ورجاسا ونُهى عنها الشعب، وهى عادة شائعة فى الشعوب الشرقية منذ أقدم العهود إلى اليوم. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٦١٨).

(٢) وهكذا زعم اليهود الملاعين أنهم مباركون، وقام الشياطين فيهم كل ألوان الخسة وألوان الفجور .

(٣) صارت تلك عادة اليهود فى كل مكان، وأى زمان، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة.

ويصور العهد القديم بلعام بعد استجابته للإغراءات، فيقول أنقض بلعام صباحاً وأسرج أتانه[1]، وانطلق مع رؤساء مؤاب، حتى يقوم بلعن شعب إسرائيل. فاحتدم غضب الرب على بلعام؛ لأنه مضى معهم، وقد اعترضه ملاك الرب[2] في الطريق، وهو راكب أتانه وغلاماه معه وكان غرض الرب مقاومة بلعام، حتى لا يصيب الشعب المبارك بلعناته، فأبصرت الأتان ملاك الرب المنتصب، فحاولت الأتان ومشت في الحقل ضربها بلعام، ليردها إلى الطريق ثم وقف ملاك الرب في المكان الآخر، فلما شاهدت الأتان ملاك الرب مرة أخرى، لأذت إلى جانب الحائط الممسك للطريق، فانضغطت رجل بلعام فضربها أيضا[3].

غير أن الثروة وبريقها قد لاعق عقل بلعام وعواطفه، فيبحث عن طريق آخر، وقد نجح في ذلك، لكنه كانت ضيقا جداً، فلما دخل فيه واجهه ملاك الرب، فلم يستطع التحول باتانه يمنةً أو يسرةٍ، فلما رأت الأتان ملاك الرب هذه المرة ربضت تحت بلعام وأسقطته على الأرض، فثار غضب بلعام على الآتان، وضربها بشدة بالقضيب[4] الذى كان بيده جاءها ملاك الرب وأنطقها، فقالت لبلعام: ما الذى فعلته، بك حتى ضربتني بهذه القسوة، فحاورها بلعام هو الآخر، وقال لها: إنك سخرت مني فوقعتيني على الأرض، ولو كان بيدى سيفا لقتلتك به، فقالت له الأتان: ألست أنا أتانك التي ركبت عليها دائما، ولم أصنع بك شيئا مثل هذا من قبل؟ قال نعم. فقالت له: إذن ما صنعته بك اليوم فيه نجاة لحياتك[5].

في هذه الآونة وقبل أن تنقضى محاورة بلعام والأتان، ظهر ملاك الرب لعيني بلعام فرآه متصلب في الطريق، وسيفه مسلول في يده، لما كانت الأتان تراه، فهاله الموقف وخر ساجداً فخاطبه ملاك الرب قائلا له: لماذا ضربت الأتان البريئة ثلاث

(١) العهد القديم – سفر العدد ٢٢ – ٢١ .

(٢) ملاك الرب يظن البعض على أن كلمة ملاك الرب تشير إلى ظهور الرب. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٩٢١)

(٣) العهد القديم – سفر العدد ٢٢ : ٢١ – ٢٦ .

(٤) القضيب هو الغصن الذى يقطع من الشجرة؛ لكى يستخدم في العديد من الاستخدامات، ومن بينها الضرب . (راجع المعجم الوجيز ص٥٠٥).

(٥) التفسير التطبيقى ص٣٢٤ حيث يذهب أصحابه إلى أن الأتان أنقذت حياة بلعام، ولكنها جعلته يبدوا أحمقا لذلك ضربها لينفس عن غضبه وكبريائه الجريح.

مرات، هاأنذا قد جئت لاعترضك؛ لأنك قد سرت في طريق ملتوية، ولو أن الأتان لم تحد من أمامي لقتلتك أنت وتركت الإتانه.

وكأن بلعان محاورا قادراً على الخداع، وحتى لو كان المحاور ملاك الرب، فقال له: يا ملاك الرب: أنا أخطأت؛ لأني لم أكن أعلم بوقوفك أمامي. وإذا كنت تريد أن أرجع فأرجع، ولا أكمل المهمة.

ولكن ملاك الرب لم يعجبه عودة بلعام، وإنما أمره أن يستمر في المضي قدماً مع الرجال، شريطة أن ينطق بما يأمره به ملاك الرب[1].

ويبدو أن خبر وصول بلعام قد سبق إلى بالاق، فأسرع إلى مدينة مواب، حتى يستقبله، ويبدو أن عتابا قليلاً قد تم بينهما، انتهى بوليمة من البقرة والغنم، أقامها بالاق لبلعام ومن معه، وفي اليوم التالي ذهب وسار بلعام منذ ذلك الوقت يخادع بالاق مخفيا عليه والموأبيين ما لم يكن ينتظروه[2].

ب- مناقشة الفكرة

الملاحظ أن فكرة غضب الرب على بلعام قد حملت من التناقضات الكثير، والمؤسف له أنها جميعا قد جاءت في الكتاب المقدس، وهاأنذا أعرض لبعضها.

وسيكون ذلك على النحو التالي:

* **الأول: أنها صورت الإسرائيليين بالغزاة الذين نزلوا أرضا مسحوها من الوجود**، حيث يقول بالاق بأن الإسرائيليين أن هذا الجمهور قادر على لحس كل ما حولنا، كما يلحس الثور عشب الحقل[3]، فكيف يكون شعبا للرب مباركا من جهة، وفي نفس الوقت تتسم أفعاله بالعنف والمحو بالإزاحة التامة من وجه الأرض.

* **الثاني: أنها شبهت شعب الرب بالحيوان**، الذي لا هم له إلاَّ تحقيق لذة فمه وفرجه، ولا عبرة لشيء آخر عنده، وأن هذا القطيع الإسرائيلي متى نزل أرضا نشر الخوف بين

(١) من السذاجة التي ينعم بها اليهود في كل زمان؛ أنهم قادرون على خداع محاورهم مهما كان شأنه، لا يفرقون في ذلك بين نبي مرسل وولي صالح ملهم، أو ملك مقرب، وتلك مصيبة تحتويهم وحدهم وهي إحدى أسباب الويلات التي يعاني منها العالم.

(٢) العهد القديم – سفر العدد ٢٢ : ٢٣ – ٢٤ انتهت تلك الإصحاحات باستيلاء الإسرائيليين على مواب.

(٣) العهد القديم – سفر العدد ٢٢ : ٤.

أرجائها، وأذاع الهرع فى كل أنحائها، ومن كان ذلك شأنه فهو شعب بائس، لا يمكن أن يكون مباركا أو كريما.

* **الثالث: أنها صورت إله بنى إسرائيل بالحارس، الذى يفقد حواسه شيئا فشيئا**، حتى يتلاشى منه بعد المدى أم قصير ومثل ذلك الإله يعجز عن حماية من يتجه إليه، وهو ما وصف العهد القديم به اله بنى إسرائيل(١).

* **الرابع: أنها صورة الدابة - الأتان بالصورة الأرقى بينما صورت بلعام بالأخس.** فقلبت الأوضاع حين جعلت الأتان تبصر ملاك الرب، وتحاول أن تفاديه، وفى ذات الوقت يعجز بلعام الساحر المخضرم عن عمل ذلك، فصارت الأتان أعلى من بلعام.

والذى يبدو لى أن القوم فيهم حيوانية أعلى من العقلانية، وأن حيواناتهم تنزع بهم على الدوام، فتقفز فوق العقول والأحلام، بينما القرآن الكريم قد ضرب المثل بالكلب لأصحاب العمل السيئ والصنيع الخبيث.

ﷻ قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

---

(١) شأن بنى إسرائيل مع إلههم من العجائب فهو يأكل ويشرب معهم، ويقاتل فى صفوفهم، ثم هو يخدع من يخدعه بخبث، وأنها من الأمانى وتلك معيبة.

(٢) سورة الأعراف – الآيتان ١٧٦/١٧٥ . ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن هذه الآيات نزلت في بلعام بن باعور فقال: « إن بلعام كان فيما قاله ابن عباس وغيره يعلم الاسم الأعظم وأن قومه سألوه أن يدعو على موسى وقومه فامتنع عليهم ولما ألحوا عليه ركب حمارة له ثم سار نحو معسكر بني إسرائيل فلما أشرف عليهم ربضت به حمارته فضربها حتى قامت فسارت غير بعيد وربضت فضربها ضربا أشد من الأول فقامت ثم ربضت فضربها فقالت له يا بلعام أين تذهب أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها فضربها حتى سارت به حتى أشرف عليهم من رأس جبل حسبان ونظر إلى معسكر موسى وبني إسرائيل فأخذ يدعو عليهم فجعل لسانه لا يطيعه إلا أن يدعو لموسى وقومه ويدعو على قوم نفسه فلاموه على ذلك، فاعتذر إليهم بأنه لا يجري على لسانه إلا هذا واندلع لسانه حتى وقع على صدره وقال لقومه ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والحيلة ثم أمر قومه أن يزينوا النساء ويبعثوهن بالأمتعة يبعن عليهم ويتعرضن لهم حتى لعلهم يقعون في الزنا فإنه متى زنى رجل منهم كفيتموه ففعلوا وزينوا نساءهم وبعثوهن إلى المعسكر فمرت امرأة منهم اسمها كستي برجل من عظماء بني إسرائيل وهو زمري بن شلوم يقال إنه كان رأس سبط بني شمعون بن يعقوب فدخل بها قبته فلما خلا بها أرسل الله الطاعون على بني إسرائيل فجعل يحوس فيهم فلما بلغ الخبر إلى فنحاص بن العزار بن هرون أخذ حربته وكانت من حديد فدخل عليهما القبة فانتظمهما جميعا فيها ثم خرج بهما على الناس والحربة في يده وقد اعتمد على خاصرته وأسندها إلى لحيته ورفعهما نحو السماء وجعل يقول اللهم هكذا تفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فكان جملة من مات في تلك الساعة سبعين ألفا والمقلل يقول عشرين الفا وكان فنحاص بكر أبيه العزار بن هرون فلهذا يجعل بنو إسرائيل لولد فنحاص من الذبيحة اللية والذراع واللحى ولهم البكر من كل أموالهم وأنفسهم » (راجع البداية والنهاية لابن كثير – جـ٢ ص٢٨٣).

يقول الإمام الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : « عن مسروق عن عبدالله بن مسعود ﷺ في قوله تعالى: ﴿ واتل عليهم نبأ الذى أتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ هو رجل من بني إسرائيل يقال له بلعام بن باعورا، ونسب هذا الكلام إلى ابن عباس، وإلى ابن جرير الطبرى وغيرهم ممن نسب سبب نزول الآية إلى بلعام بن يعور وكأن أمر هذا الرجل على دعوات مستجابات؛ لأنه كان يدعو باسم الله الأعظم، فدعا على نبى الله موسى ومن معه بعد إغرائه، فسلخه الله ما كان عليه قال تعالى: ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ أي من الهالكين الحائرين البائرين »[1].

وقد ورد في معنى هذه الآية حديث (حذيفة بن اليمان) رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن مما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت بهجته عليه وكان رداؤه الإسلام، اعتراه إلى ما شاء الله، انسلخ منه ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك" قال: قلت يا نبيّ اللّه أيها أولى بالشرك المرمي أو الرامي؟ قال: "بل الرامي" »[2].

وقوله تعالى: ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴾، « أي لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها، ﴿ ولكنه أخلد إلى الأرض ﴾ أي مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها، وأقبل على لذاتها ونعيمها، وغرته كما غرت غيره من غير أولي البصائر والنهى.

وقوله تعالى: ﴿ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ اختلف المفسرون في معناه، فقال بعضهم أن بلعاماً اندلع لسانه على صدره فتشبيهه بالكلب في لهثه في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك ظاهر، وقيل: معناه فصار مثله في

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم م٢/ جـ٣ /ص٣١٠ (بتصرف يسير)

(٢) العلامة ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ١ ص: ٢٨١ – ذكر ما كان يتخوف صلى الله عليه وسلم على أمته جدال المنافق الحديث رقم:٨١، والحديث ذكره ابن كثير فى تفسيره جـ٣/٣١٣ وقال: إسناده جيد وغزاه إلى الحافظ أبى يعلى الموصلي. وجاء فى كنز العمال الإصدار – للعلامة المتقي الهندي – م٢ – الحديث رقم:٢٨٨٢ – « قراء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة فاستحرمه الملوك واستمال به الناس، ورجل قرأ القرآن فأقام حروفه وضيع حدوده كثر هؤلاء من قراء القرآن لا كثرهم الله تعالى ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فاسهر به ليله واظمأ به نهاره وقاموا في مساجدهم وحبوا به تحت برانسهم فهؤلاء يدفع الله بهم البلاء ويزيل من الأعداء وينزل غيث السماء فوالله لهؤلاء من القراء أعز من الكبريت الأحمر »

ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعـاء، كـالكلب في لهيثـه في حالتيه إن حملت عليه، وإن تركته هـو يلـهث في الحـالتين، فكذلـك هـذا لا ينتفـع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه، كما قال تعـالى: ﴿ سـواء عليـهم أأنذرتـهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾(١) »(٢).

* **الخامس: أنها صورت بلعام الأحمق الذى يبحث عن الثروة، دون اعتبار لشيء بعدها**، حتى ولو كان ذلك الشيء هو حياته ذاتها، وهو مخالف للطبائع البشرية؛ لأنه مهما كـان طامعـا؛ فإن حياته ستطلب عند الجميع، إذ أن سعيه فى الأصل ما هو إلاَّ لتحسين حياتـه، فهل يسعى إلى حياة يهدمها بنفسه.

* **السادس : أنها جردت العنصر الإنسانى من طبائعه المستقرة فيـه، ومنـها القلـق**(٣)، الـذى يجعـل النفس تقبل على ما فيه خيرها بما بشفق وتدبر عما فيه ضرها بسرعة. أما أن تقبل على الهلاك بسرعة وتدبر النجاة ببطيء، فذلك ما لا يقول بـه إلاَّ الحـالمون، ومنـهم كُتَّاب العهد القديم.

* **وفى تقدير الباحث:** أن تلك الأقصوصة ما هى إلاَّ نسيج خيال أصحابـها، مما حملتـه من مشاعر متناقضة، حيث جعلت هذا البلعام ساحراً مرة ومكللاً للرب مرات، وإن القضيب الذى لحقه قد عوضته منافع سارت فى زكية وبركات لم تنفصل عنه. وهـو شأن الديانات الوثنية التى تدعو إلى شر البرية.

---

(١) سورة البقرة – الآية ٦ .

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم م٢/ جـ٣ /ص٣١٤/٣١١ (بتصرف يسير)

(٣) القلق عند الفلاسفة وعلماء الأخلاق استعداد تلقـائى للنفس يجعلـها غير راضيـة بـالواقع، فـإذا تطلع المـرء إلى الأحسن والأفضل أو نظر إلى حياته الواقعية فوجدها محفوفـة بالمخاطر بعيدة عن تحقيق ما يصبوإليه مـن الكمـال والسعادة، وأحس بالقلق والغم. (راجع جميل صليبا – المعجم الفلسفى ج٢ص٢٠ بـاب القـاف – كلمـة قلـق. ولـه أنواع المتعددة وترجع كلها إلى النفس؛ ولذا أطلق عليه القلق النفسى، وهى ظاهرة نفسية تتميز بحالة القلـق التـى تنتاب المريض، إما بصفة مستمرة، وإما فى نوبات حادة، فيبقى المريض خائفا مـن المجـهول جـزع وجـل ومـهما ثبت لمنطقة أن ليس ثمت ما يبرر القلق. (راجع منير وهيبة الخـازن – معجـم مصطلحـات علـم النفس – تقديـم الدكتور كمال يوسف الحاج – دار النشر للجامعيين ١٩٥٦م – مطابع صيدا – بيروت .

الفصل الرابع

غضب اللّه
على بنى إسرائيل

تمهيد

يذكر مفكرو العهد القديم واللاهوتيون، أن الرب يغضب مثل سائر الخلق، لكن من اليسير تجنب هذا الغضب، وإذا وقع فإن نتيجة صلاة واحدة من أجل الشعب الإسرائيلى كافية بحسمه مع الرب، بل تجعله يتنازل عن غضبه، ويعود إلى سابق عهده من عطفه على هذا الشعب المشرد، والأخذ بيديه من الوهدات[1] التى سقط فيها، باعتبار أن الإله الغاضب هو نفسه الذى هيأ لإسرائيل طريقة تفادى غضبه، فهو لا يريد إذن أن يهلكه، وبخاصة أن الخطيئة فى حق الرب من شعب إسرائيل توصف بأنها زنا أو خيانة للرباط المقدس[2].

ونظراً لأن الرب كشف عن ذاته لشعبه، فإن نقض العلاقة الشخصية بينه وبين ذلك الشعب تكون بمثابة إعلان الغضب[3].

ولا تجد فى العهد القديم كله توضيح لغضب الله أكثر مما نجده فى الإعلان الذى تم في سيناء[4]، بسبب عبادتهم للآلهة الباطلة التى لم يرشدهم إليها الرب.

والدارس لمقارنة الأديان يرى أن كل غضب للرب على شعب إسرائيل راجع إلى سبب ما من الأسباب التى تتعلق بمخالفة الأوامر والنواهى، التى جعلها الرب فيها، وكلفهم القيام بها.

وسوف نلمح إلى ذلك فيما يلى:-

---

(١) الوهدات جمع وهدة، وهى المطمئن من الأرض والمكان المنخفض كأنه حفرة والوهد يكون اسما للحفرة، والجمع أوهد ووهد ووهاد. (العلامة ابن منظور- لسان العرب ص٤٩٣٠ . ج ٦)

(٢) ويقصد بذلك رباط الزوجية بين الرب والشعب. (راجع فى ذلك نكس نسيم – التفسير الحديث للكتاب المقدس – سفر الخروج ص٢٤٦– ط٤ – المحرر المسئول جوزيف صابر – دار الثقافة١٩٨٩

(٣) لأن الرب وثق العهد مع ذلك الشعب، فإذا نقض الشعب تلك العلاقة قد أعلن غضبه على الرب. فيعامله الرب غضبا بغضب

(٤) تكس نسيم – التفسير الحديث للكتاب المقدس ص٢٤٦ وما بعدها .

١- غضب عليهم بسبب عبادتهم العجل

أ- عرض الفكرة

يذكر العهد القديم أن الرب طلب من موسى الإحصاء العام[1] لبنى إسرائيل، وأن يقدم كل من يقع عليه الإحصاء فدية[2] عن نفسه، حتى لا يصبهم الوباء، وتكون تلك الفدية بمثابة الكفارة العامة، باعتبار أن الرب لا يفرق بين الناس على أساس العرق أو الجنس، أو الثروة، بل ولا على ما قاموا به من قبل، وإنما يفرق بينهم باعتبار الفدية المقدمة، وهى القربان اللاهوتى.

وبالتالى فعندما كان يجرى إحصاء كان يجب على كل واحد غنى كان أم فقير، أن يدفع ضريبة تسمى ضريبة الفدية[3]، وقد كثر خطاب الرب لموسى عند باب خيمة الاجتماع، كما كثر حديثه معه عند تابوت الشهادة[4].

---

(١) كان الإحصاء العام أمرا عاديا فى بنى إسرائيل، وكان الغرض منه التعرف على عدد الرجال القادرين على الذهاب، وكذلك التعرف على الأجيال التى تُكَوِّن شعب الرب؛ لأن النساء والأطفال لا يدخلون فى ذلك التعداد مهما كثروا.

إذن اليهود من أول عهدهم يحرصون على التكيف العددى للقادرين على حمل السلاح، حتى يخيفوا الأمم ويرهبوهم، وحينئذ تحقق لليهود مآربهم الشخصية، من ثم؛ كان التعداد إحدى الخطوات الكبرى فى إعداد الشعب للدخول إلى الأرض التى انتظروا امتلاكها زمنا طويلا. (التفسير التطبيقى ص٣٢٩).

(٢) الفدية يطلق عليها مؤلفو العهد القديم ضريبة الفدية. (راجع فى ذلك العهد القديم – سفر الخروج ٣ : ١٠ .

(٣) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص٩١ .

(٤) تابوت الشهادة : لقد أُطلق على التابوت الذى صنعه موسى بأمره تعالى العديد من الأسماء، ومن بين هذه الأسماء تابوت الشهادة، وتابوت العهد هذا التابوت كما يصفه مؤلفو الكتاب المقدس طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع ونصف، وارتفاعه ذراع ونصف، وكان مصنوع من خشب السنط، ومغشى بصفائح ذهب نقى من الداخل ومن الخارج، ويحيط برأسه إكليل ذهب، فوقه غطاء من ذهب نقى وفوق كل طرف من الغطاء كروب من ذهب يظلل الغطاء وعلى كل جانبى التابوت حلقتان من ذهب لعصوى التابوت المصفحتين بالذهب لحمل التابوت، وكان المنوط بحراسته وحمله بنو قهات من اللاوين . (لمزيد من التعرف على محتويات هذا التابوت راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢٠٨).

وفى نفس الوقت؛ حدد الرب مكاناً لموسى ينفرد به، وكان ذلك المكان فى جبل سيناء حتى أعطى الرب لوحى الشهادة، وهما لوحان من حجر مكتوبان بإصبع الله[١]. باعتبار أن الوصايا العشر لم تكن هما عند اليهود مجموعة من القوانين الوحيدة.

بيد أن الرب لما طلب موسى للانفراد على الجبل، وطالت غيبته هناك، وعندئذ اجتمع الشعب حول هارون وطلبوا منه أن يصنع لهم إله يتقدمهم فى مسيرتهم الحياتية، بحيث يمهد لهم الطريق الذى دخلوا إليه، وهم غير عارفين[٢].

وحينئذ نفذ لهم هارون[٣] مطلبهم، وطلب منهم أن ينزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائهم، وبناتهم وبنيهم[٤]. وأعطوها لهارون بمجموعها، وجاءوا بها إليه، فأخذهم منهم بمعرفته حتى أمكنه أن يصوغ منها عجلا[٥].

---

(١) العهد القديم – سفر الخروج ٣٢ : ٣ – ٨ .

(٢) لأنهم قد تم لهم ذلك بعد أن خرجوا من مصر، وصاروا فى سيناء، وأرادوا آلهة متطورة، يؤمن بها الوثنيون، وربما أستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرآئيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلـها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ (سورة الأعراف – الآية ١٣٨).

(٣) يذهب قاموس الكتاب المقدس إلى أن هارون بن عمرام، وهو أكبر من أخيه موسى بثلاث سنوات وأصغر من أخته مريم ابنت عمرام، تزوج إليانابع ابنة عمينا راتب رئيس بنى يهوذا، التى ولدت له أربعة أبناء، وهو من بنى قاهات من أكبر قبائل اللاويين رسم كاهنا لحمايته، جعله الرب فى استقبال موسى، واشترك مع موسى فى العمل، حتى كان يد موسى اليمنى، وحضر مع أبنيه وجمع كبير من شيوخ بنى إسرائيل، وسمى رئيس اللاويين، والذى جرى بعد إبرام العهد بين الله وبين بنى إسرائيل على جبل سيناء، وحين كان هو من الممثلين عن بنى قاهات فكان من الذين شاهدوا الرب فوق الجبل، وخدم هارون رئيسا للكهنة، وغضب الرب عليه، فطلب الرحمة من الرب، واعترف بأنه ندد بزواج موسى من امرأة كوشية، وأخيرا أثبت الرب أمام الشعب رضاه عن هارون وحفظ الكهنوت فى بيته. ومات هارون على جبل "هور" بعد أن خلع ثياب الكهنوت والبسها لابنه عن عمر طويل يزيد عن مائة وثلاث وعشرين، وسمى قدوس الرب واليهود المتأخرون يصومون تذكارا له فى اليوم الأول من شهر اب. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٩٩٤/٩٩٥)، ونحن لا نثق فى تلك السيرة الذاتية التى دونها مفسرو اللاهوت، أو كتابة عن نبى الله هارون ﷺ، وإنما نفوض الأمر فى المسألة لله رب العالمين، ومما يذكر من أنه غير هارون أخ مريم ابنة عمران.

(٤) راجع فى ذلك الشأن: الأستاذ محمد عزه دروزه تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص٤٦ – مطبعة نهضة مصر – الفجالة – القاهرة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م)

(٥) العجل هو الثور فى صغره وهو من الحيوانات المعروفة منذ أبعد العهود كان يستعمل للأكل والشرب والذبيحة، ونظرا لتعدد منافعه اتخذته بعض الشعوب الذين يعبدون الأوثان اله، وكان أبيس من آلهة مصر القديمة واتخذ صورة ثور صغير ونحت من الذهب الخالص. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٦٠٧) .

فأخذها هارون وقال لرؤساء الشعب هذه إلهتك يا إسرائيل التى أخرجتك من ديار مصر عندما شاهد هارون[1] ذلك شيد مذبحا أمام العجل وأعلن على الملأ أن غدا هو عيد للرب فبكر الشعب فى يوم العيد وأصعدوا محرقات وقدموا القرابين سلامة ثم احتفلوا فأكلوا وشربوا كما فعلوا أصناف اللهو والمجون.

وفى نفس الوقت؛ فانهم يصفون هارون بأنه أول رئيس كهنة من الرب لإسرائيل، وأنه كان ناطقا بلسان موسى، إلا أن شخصيته لينة الأريكة، واستسلم لمطالب الشعب الإسرائيلى فى صنع العجل الذهبى[2]، وأنه اتهم موسى فى عصيان أوامر الله فيما يختص بالصخرة التى أخرجت الماء، وبالتالى؛ عاد القوم إلى عبادة العجل الذهبى، ولم يتمكن من مقاومة التيارات القوية التى كانت سائدة فى بنى إسرائيل من حبهم للوثنية ورغبتهم فى عبادة الآلهة المتعددة، مقلدين المصريين الذين كان فيهم ذلك طبيعة ثابتة وعادة قائمة[3].

فأخبر الرب موسى بما حدث من شعبه، كما بين له أوجه الفساد التى عاش فيها القوم من صناعة العجل وعبادته، والذبح له، والإعلان عن كونه إله شعب إسرائيل، كما وصف الرب هذا الشعب بأنه عنيد متصلب القلب[4]، لا يصلح إلا الغضب منه والقسوة عليه، ثم أجعلك أنت شعبا عظيما[5].

---

(١) ذكر القرآن الكريم أن السامرى هو الذى صنع لهم العجل وأن هارون نبى الله وقف منهم موقف الرافض لتلك الأفكار والسلبيات. قال تعالى: ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري ۞ قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾ سورة طه – الآيتان ٩١/٩٠ .

(٢) راجع سفر الخروج ٣٢ : ٣ – ١٢ .

(٣) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص١٩٥/١٩٤ ولست أوافقهم فى شيء من ذلك؛ لأن هارون نبى من أنبياء الله، ورد ذكره فى القرآن الكريم بأن الله جعله لموسى عليه السلام مؤازرا ونصيرا، ونبيا قائما، وبالتالى؛ فلن يعبد سوى الله، ولن يستجيب للوثنيين أبدا. قال تعالى: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون ۞ قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ سورة القصص– الآيتان ٣٥/٣٤ . وقال تعالى: ﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ سورة الأعراف – الآية ١٥٠ .

(٤) ذلك من الأوصاف الطبيعية التى يذكرها العهد القديم منسوبة للرب، واضعا لذلك الشعب الذى يزعم أنه أبناء الرب، فهو تارة يصفهم بهذا الوصف، وتارة يصفهم بأنه متصلب القلب، إلى غير ذلك من الأوصاف الذميمة التى لا تنطبق على شعب محترم فضلا عن أن يكون أصحابه مما يزعمون حب الرب لهم أو حبهم له. قال تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾ سورة المائدة – الآية ١٨ .

(٥) سفر الخروج ٣٢ : ٩ – ١١ .

وقد كان غضب الرب محتدما على هؤلاء القوم بسبب أفعالهم الذميمة ،مما ستأذن الرب موسى قائلا له: دعنى وغضبى المحتدم؛ حتى أفنيهم، غير أن موسى خاف على قومه، وقال موسى للرب : لماذا يحتدم غضبك على شعبك؟ أجل أوشك الرب أن يمحو الأمة بأسرها، بسبب خطاياهم التى لم تنقطع، ولكن موسى تشفع طالباً الرحمة، وأتى موسى بثلاثة أدلة يستلهم شفاعة الرب.

[١] أنه تعالى صنع الكثير لشعبه فلا يترك ذلك الأمر عبثا.

[٢] أن إفناءه للإسرائيليين يمثل انتصارا للمصريين.

[٣] أن إفناءهم يبطل المواعيد لإبراهيم وإسحاق ويعقوب(١)، فكان موسى بهذا الأب(٢) الحقيقى والنائب عن الشعب وعلى الرغم من أن هذا الأمر لا يجب إلقاؤه على عاتق الشعب(٣)، بل قالوا بأن هذا التشفع أمرا طبيعيا ومقبولا، وأن الطبيعة الإلهية تقتضىَ ذلك إعلان عن الثقة المعلنة فى مشيئته(٤).

ويبدو أن موسى قد يئس من هؤلاء القوم، حين راح يذكرهم بعهود الله لهم مع إبراهيم وإسحاق وإسرائيل، كم حاول الإبانة عن لوحى الشهادة والوصايا العشرة، ولكن راح جهده سدى، وهنا تنبه يشوع(٥) لهتاف الشعب ناحية العجل الذى يعبدونه، والأصوات الغنائية التى يقومون بها حوله، ويجعلونها قرابين له فحاولوا إغراء موسى بالاستماع إليها.

---

(١) من أراد أن يعرف هذه المواعيد يراجع ذلك فى سفر التكوين ١١٥ - ١- ٥ .

(٢) السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ص٤٨٨ مبنى على آراء أفاضل اللاهوتيين ج١ .

(٣) نكس نسيم - التفسير الحديث للكتاب المقدس - سفر الخروج ص٢٤٧ .

(٤) الدكتور فرانس دافراس وآخرون - تفسير الكتاب المقدس ص٢٦٦ دار منشورات النفير - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٠.

(٥) يشوع: اسم عبرى معناه يهوه، واسمه فى الأصل هوقع، ثم دعاه موسى يشوع هو خليفة موسى، ولد فى مصر كان أولا خادما لموسى ذكراً ولا عند معركة رفد يم؛ لأن موسى كان وقتئذ قد عينه لقيادة بنى إسرائيل، وكان عمره آنئذ أربع وعشرون سنة، وبعد ذلك نصب جاسوسا لسبطه، وقد قدم هو وكالب بن يفونه رفيقة تقريرا صحيحا عن البلاد التى تحسسوها، ثم إقامة موسى أمام إليها زائرا لكاهن، وكل الشعب وعينه خليفة له، وبعد موت موسى مباشرة أخذ يشوع فى الاستعداد السريع لعبور الأردن. (لمزيد من التفصيل راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٠٦٨/١٠٦٩).

فلما اقترب موسى من المخيم، أبصر العجل الذهبى الذى يعبدونه، كما لمع فى عيونهم بريق الفرح لتلك العبادة الوثنية فهم بإلقاء اللوحين، وكسرهما عند سفح الجبل، ثم انقلب إلى العجل الذهبى فأحرقه بالنار، وطحنه وذراه على وجه الماء، وأرغمهم جميعا أن يشربوا منه.

لقد كان غضب موسى غليظا وهنا انقلب إلى اللاويين، فعاتب هارون عتابا شديدا، ولكن القوم أصروا على إلباس هارون جريمة صنع العجل، فذكروا اعتراف هارون كما ذكروا أن هارون حاول إيجاد مخرج لما وقع فيه معتذرا لأخيه بأن القوم هم الذين أجبروه على صناعة العجل، ويحملون هاورن مسئولية إفلات زمام بنى إسرائيل.

وهنا صاح موسى عند باب المخيم من يتبع الرب فليقبل إلى، ومن لم يتبعه فلينصرف عنى، رأى اللاويون أن هذا لصالحهم، فانقلبوا إلى موسى هاتفين: نحن نتبع الرب، فهتف بهم وهتفوا به، واستعدوا للقيام بدور آخر[(١)].

ويذكر العهد القديم هذا الدور قائلا: استقطب موسى اللاويين إليه، وراح يغذى فيهم الرغبة فى القتال، وقال لهم: إن الرب يطلب منكم أيها اللاويون أن يتقلد كل واحد منكم سيفه، ثم تحولوا فى المخيم الذى يمكث فيه شعب إسرائيل، فاستمروا فى التجول ذهابا وإيابا من مدخل إلى مدخل، واقتلوا كل داعر[(٢)] من أفراد هذا الشعب، سواء أكان أخا أم صاحبا أم قريبا.

ويبدوا أن اللاويين[(٣)] كانوا مهرة بفنون القتال فأطاعوا أمر موسى واعملوا سيوفهم حتى قتلوا من شعب إسرائيل فى ذلك اليوم وحده نحو ثلاثة آلاف رجل، ثم أعلن موسى بمكافأتهم؛ لقد كرستم اليوم أنفسكم لخدمة الرب، وقد كلف ذلك كل واحد منكم قتل ابنه أو أخيه، ولكنه ينعم عليكم الرب فى هذا اليوم ببركة[(٤)] مكافأة لكم على إطاعة أمر الرب بقتال ذلك الشعب.

---

(١) العهد القديم – سفر الخروج ١٣٢ : ٢١ – ٢٧ .

(٢) داعر : لفظ يطلق على كل من فسد وفسق. تقول العرب: دعر فلان دعارة أى فسد وفسق فهو داعر. راجع المعجم الوجيز ص٢٢٨ .

(٣) اللاويون نسل لاوى بن يعقوب، وقد كان له ثلاثة بنين: حويثون – قهان – مرارى اسمى، كل منهم عشيرة لنفسه، ويطلقون على الرجال الذين من سبط لاوى المكلفون بالمقدس، وقد أفرز هاورن وآباؤه ليكونوا كهنة للرب، وأصبحت هذه الخدمة وراثية، وهم الذين رجعوا وحدهم من تلقاء أنفسهم إلى عبادة الرب بعدما نقض الشعب العهد مع الرب بصنع العجل الذهبى. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٨٠٦/٨٠٨).

(٤) العهد القديم – سفر الخروج ٣٢ : ٢٨ – ٢٩ .

الرب

إذن كما أغضب شعب إسرائيل، فقد صلت اللاويون عليهم حتى قتلوا منهم جمعا كبيرا، وبالتالى؛ عاد موسى من الغد إلى الجبل ليمثل أمام الرب مؤكدا لبنى إسرائيل أنهم لو فعلوا خطأ فسوف يقع عليهم نوع من العقاب، أما هو فقد رجع إلى الرب ليلتمس منه تجديد العهد[1] حتى يعيد لبنى إسرائيل وجودهم مع الرب نفسه فى العهد الذى كانوا قد أخذوه منه قديما.

ويبدو أن الرب خدع موسى حين طلب إليه النزول وقيادة الشعب إلى المكان الذى حدده له، أما أمر المعاقبة فهو يوم القضاء، ومن ثم ضرب الرب الشعب بالويل عقابا لهم على عبادة العجل الذهبى[2].

ب- مناقشة الفكرة

الباحث ليس يقتحم نفسه مع القوم، كما لا يفرد ما فى ضميره على ما فى قلوبهم، ولكن سيحاول مناقشة الفكرة على الأوجه الممكنة فيما يتعلق بهم على النحو التالى:-

أولا: فكرة اصطفاء[3] الرب لشعب إسرائيل

لا يوجد نص صريح أو صحيح فى أن الله تعالى اختار قوما بأعيانهم، وجعلهم أبناء[4] إله؛ لأن الله تعالى منزه عن الولد، كما هو منزه عن الشريك والصاحبة، وغيرها مما يقع للمخلوقين.

---

(١) العهد الذى عقده الرب مع الشعب قال لهم فيه: أنتم شعبى وحدكم، وأنا إلهكم وحدكم. يقول العهد القديم: « وظهر الله ليعقوب أيضا، حين جاء من فدان أرام، وباركه وقال له الله: اسمك يعقوب، لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل، فدعا اسمه إسرائيل، وقال له الله: أنا الله القدير أثمروا وأكثر أمة وجماعة أمم تكون منك وملوك سيخرجون من صلبك، والأرض التى اعطيت إبراهيم واسحاق لك أعطيها ولنسلك من بعدك أعطى الأرض. (راجع العهد القديم – سفر التكوين ٣٥ : ٩ – ١٢).

(٢) العهد القديم – سفر الخروج ٣٢ : ٣٤ – ٣٥ .

(٣) الاصطفاء فى اللغة هو اختيار الشيء الخالص من الكدر ماديا، أو معنويا، القائم على الطهر والنقاء، بجانب السلامة، وحسن الانتقاء، طبقا للإمكانيات المتاحة . (راجع للباحث الزميل عبدالباسط خليل - عقيدة الاصطفاء الإلهى عند اليهود (رسالة ماجستير بمعد الدراسات والبحوث الأسيوية - جامعة الزقازيق) . ويعرف قاموس الكتاب المقدس الاصطفاء: بأنه هو اختيار قوم ما أمرا لهم يلجئون إليه، ويتميزون به كأنه لهم واحد، وهم له وحدة، جاء فى العهد القديم أن بنى جاد حسب عشائرهم ينتمون لصفوت(اسم عبرى معناه خراسة، وهو ابن جاد، ويدعى صفيون، والمنسلون منه يسمون بالصفوانيين، كما يسمون بالصفنيين - نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتين – قاموس الكتاب المقدس ص٥٤٥ - ا لطبعة الحادية عشر – دار الثقافة ١٩٩٧م .)، عشيرة الصفونيين، وقد سكنوا واديا فى يهوذا(يهوذا اسم لرابع أبناء يعقوب من ليئة، وله سبط من أكبر الأسباط، ونسبت إليهم أرض عرفت باسم أرض يهوذا، كان فى تلك الأرض سهول ووديان سكن الصفوانيون ذلك الوادى فترة من الزمن – قاموس الكتاب المقدس ص١٠٨٧ .)، فى الماضى بقرب مريشة، حتى أنهم يمنعون كل واحد من غيرهم الدخول إليه، ويقاتلونه لو حاول الوصول إلى ما يمنعونه منه(العهد القديم – سفر العدد – الإصحاح ٣٦ فقرة ١٥ ، وسفر التكوين – الإصحاح ٤٦ – فقرة ١٦ . سفر أخبار الأيام – الإصحاح ١٤ فقرة ١٠) . وعند علماء المسلمين : يعرف الاصطفاء فى الاصطلاح: ١- الاصطفاء هو الاختيار للرسالة[illegible]، وهو خاص بالاصطفاء الذى يكون من الله لنبى من أنبيائه، ٢- هو استخلاص الشيء وأخذه لنفسه(العلامة الفخر الرازى – مفاتيح الغيب – جـ٦ ص٤٧١ – الهيئة المصرية ١٩٣٨م .)، وهذا التعريف قد ركز على أمرين :-الأول :- هو المستخلص، أعنى المصطفى للشيء، وهو الفاعل . الثانى :- هو المستخلص، ويقصد به الذى وقع عليه الاصطفاء، وكأن الأول هو فاعل الاصطفاء، بينما الثانى هو موضوع الاصطفاء . ٣- هو التصفية من الصفات الذميمة، والتزين بالخصال الحميدة(العلامة الفخر الرازى - مفاتيح الغيب جـ٨ ص١٩ .) .

(٤) فكرة البنوة لله فكرة وثنية لم يقل بها نبى مرسل، سواء أكان ذلك على الحقيقة أم على المجاز .

ﷻ قال تعالى: ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير ﴾(١).

يقول الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : « ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ أي نحن منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه وله بهم عناية وهو يحبنا، ونقلوا عن كتابهم أن الله تعالى قال لعبده إسرائيل: أنت ابني بكري، فحملوا هذا على غير تأويله وحرفوه، وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم. وقالوا: هذا يطلق عندهم على التشريف والإكرام، كما نقل النصارى عن كتابهم أن عيسى قال لهم: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم يعني ربي وربكم، ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من البنوة ما ادعوها في عيسى عليه السلام، وإنما أرادوا من ذلك معزتهم لديه وحظوتهم عنده، ولهذا قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. قال الله تعالى رادا عليهم: ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ أي لو كنم كما تدعون أبناءه وأحباءه فلم أعد لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم؟. ﴿ بل أنتم بشر ممن خلق ﴾ أي لكم أسوة أمثالكم من بني آدم وهو سبحانه الحاكم في جميع عباده ﴿ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ أي هو فعال لما يريد لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، ﴿ ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما ﴾ أي الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه ﴿ وإليه المصير ﴾ أي المرجع والمآب إليه فيحكم في عباده بما يشاء وهو العادل الذي لا يجوز»(٢).

فعن ابن عباس قال: « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن آصا، وبحري بن عمرو، وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد! نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى، فأنزل الله فيهم: ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ »(٣)

---

(١) سورة المائدة – الآية ١٨ .

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج ٢ص ٣٥ (طبعة دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير – راجع تفسير القرآن العظيم – ج٢ص ٣٥ (طبعة دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ) .

ﷻ وقال جل شأنه: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئًا إدا * تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾(١).

يقول العلامة ابن كثير – : « لما قرر تعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه السلام، وذكر خلقه من مريم بلا أب، شرع في مقام الإنكار على من زعم أن له ولدا، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا فقال: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم﴾ أي في قولكم، هذا ﴿شيئا إدا﴾، قال ابن عباس: أي عظيما، وقوله: ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا﴾ أي يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم إعظاما للرب وإجلالا، لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده وأنه لا إله إلا هو.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا﴾ قال: إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت تزول منه لعظمة الله، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين »(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، فمن قالها عند موته وجبت له الجنة"، فقالوا: يا رسول الله فمن قالها في صحته؟ قال: "تلك أوجب وأوجب"، ثم قال: "والذي نفسي بيده لو جيء بالسماوات والأرضين وما فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعن في كفة الميزان ووضعا شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لرجحت بهن" »(٣).

---

(١) سورة مريم – الآيات ٩٣/٨٨ .

(٢) العلامة ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص ١٤٠ (طبعة دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ).

(٣) العلامة الحافظ نور الدين الهيثمي – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٢ ص٣٢٣ . ط دار الريان للتراث – القاهرة ١٤٠٧، وطبعة دار الكتاب العربى – بيروت – ١٤٠٧هـ. ورواه الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٦٣١ كتاب الجنائز باب تلقين الموتى لا إله إلا الله – الحديث: ٩١٦ بلفظ : « عن أبى سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ، وأخرجه الإمام النسائى – سنن النسائي (المجتبى) ج: ٤ ص: ٥ – باب تلقين الميت – الحديث: ١٨٢٦ . صحيح ابن حبان ج: ٧ ص: ٢٧٢ – ذكر العلة التي من أجلها أمر بهذا الأمر – الحديث : ٣٠٠٤ .

وقال الضحاك: « ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه﴾ أي يتشققن فرقا من عظمة الله. وقال عبد الرحمن بن زيد ﴿وتنشق الأرض﴾ أي غضبا له عز وجل. ﴿وتخر الجبال هدا﴾، قال ابن عباس: هدما، وقال سعيد بن جبير: هدا ينكسر بعضها على بعض متتابعات »(١).

فعن عون بن عبد الله قال: « إن الجبل لينادي باسمه: يا فلان هل مر بك اليوم ذكر الله عز وجل؟ فيقول: نعم ويستبشر، قال عون: لهي للخير أسمع، أفيسمعن الزور والباطل، إذا قيل ولا يسمعن غيره؟ ثم قرأ ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه﴾ »(٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله أن يشرك به ويجعل له ولد، وهو يعافيهم ويدفع عنهم ويرزقهم »(٣). وقوله: « ﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا﴾ أي لا يصلح له »(٤).

﴿ وقال ﷻ: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾(٥). وقال عز ثناؤه: ﴿وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾(٦).

يقول صاحب التفسير الواضح: « أى صدقنا أن الحال والشأن ارتفع جلال ربنا وعظمته أى عظمت عظمة، وتعالى سلطانه، فهو صاحب الملك والسلطان، وتبارك اسمه وتعالى سره بما اتخذ صاحبة ولا ولد، كان الجن حينما سمعوا القرآن نبههم ذلك إلى خطأ، كان يعتقده الكفرة منهم حيث شبهوا الله بالحادث المحتاج إلى الصاحبة

(١) العلامة ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص ١٤١ (طبعة دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم – راجع تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص ١٤٠ (طبعة دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ).
(٣) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٤ ص: ٤٠٥ – الحديث: ١٩٦٥٠، وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ٢١٦٠ – باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل – الحديث ٢٨٠٤. وابن حبان فى صحيحه ج٢ ص٤٠٨، والطبرانى فى المعجم الأوسط ج٤ ص٧.
(٤) العلامة ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص ١٤٢ (طبعة دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ).
(٥) سورة المؤمنون – الآية ٩١.
(٦) سورة الجن – الآية ٣.

والزوجة، والذى يجوز عليه الانفصال والاتصال، ويحتاج إلى الأولاد، وكيف يكون ذلك مع أنه تعالى الغنى عن كل شيء »[(١)].

بل إن الله ﷻ يصطفى من خلقه من يقوم بدور الإبلاغ عن الله، حيث يكون رسولا إلى قومه، يعرفهم بالله ويعلمهم طرق توحيده وعبادته. قال تعالى: ﴿ " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم" ﴾[(٢)].

يقول الشيخ أبو بكر الجزائرى: « لما ادعى نصارى نجران ما ادعوه فى المسيح عليه السلام من تأليهه، وتأليه أمه فأخبر الله تعالى أنه اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران، اصطفاهم لدينه، واختارهم لعبادته يفضلهم بذلك على الناس وأخبرهم أنهم ذرية خلق بعضهم من بعض، لم تختلف عقائدهم، ولم تتباين فضائلهم. وكمالاتهم الروحية، وذلك لحفظ الله تعالى لهم وعنايته بهم »[(٣)].

فهو اصطفاء فيه معنى اختيار الله لأفراد قلائل، حتى يكونوا رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما.

كما أن اختيار الله لمريم؛ حتى تكون أما لنبى لا أب له، إنما هو نوع من الاصطفاء الإلهى، لا لتكون زوجه أو بنتا له حاشى علاه، وإنما يكون محل اختيار بين نساء عالمى زمانها، والله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته. قال تعالى: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾[(٤)].

يقولُ العلامة ابن جرير الطبرى – رحمه الله – : « القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾

---

(١) الدكتور محمد محمود حجازى – التفسير الواضح ص٧٦٠ – دار التفسير للطبع والنشر – الزقازيق ط١٠/١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٢) سورة آل عمران الآيتان ٣٣/٣٤ .

(٣) الشيخ أبو بكر الجزائرى – أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير ص٣٠٩/٣٢٠ – المجلد الأول – الناشر مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – ط١/١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(٤) سورة آل عمران – الآية ٤٢ .

يعني بذلك جل ثناؤه: والله سميع عليم ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لـك مـا في بطني محررا﴾ ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن اصطفاك﴾. ومعنى قوله: ﴿اصطفاك﴾ اختارك واجتباك لطاعته، وما خصك به من كرامته.

وقوله: ﴿وطهرك﴾ يعني: طهر دينك من الريب والأدناس الـتي في أديـان نسـاء بني آدم. ﴿واصطفاك على نساء العالمين﴾ يعني: اختارك على نساء العـالمين في زمـانك بطاعتك إياه، ففضلك عليهم. كما روي عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم أنـه قـال: [خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد][1] يعـني بقولـه: خير نسائها: خير نساء أهل الجنة »[2].

فالاصطفاء الأول بمعنى الاختيار، والاصطفاء الثانى بمعنى أن تكون أمـا لنبـى لا أب له، ضرب الله به مثلا، ثم جعله نبيا[3]. قال تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾[4].

يقول العلامة القرطبى – رحمه الله – : « قوله تعالى: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب" دليل على صحة القياس. والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم، لا على أنه خلق من تراب. والشيء قد يشبه بالشيء وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن يجتمعا في وصف واحد؛ فإن آدم خلق من تراب ولم يخلق عيسى مـن تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة، ولكن شبه ما بينـهما أنـهما خلقـهما مـن غـير أب؛ ولأن أصل خلقتهما كان من تراب لأن آدم لم يخلق من نفس التراب، ولكنه جعل

---

(١) الإمام البخارى – صحيح البخـاري ج: ٣ ص: ١٢٦٥ – بـاب قولـه تعـالى: ﴿ وإذ قـالت الملائكـة يـا مريـم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ...﴾ – الحديث: ٣٢٤٩ ، وأخرجـه أيضـا ج: ٣ ص: ١٣٨٨ – بـاب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنـها – الحديـث:٣٦٠٤ ، وأخرجـه الإمـام مسلم – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ١٨٨٦ – باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها – الحديث :٢٤٣٠ ، وراجع سنن الترمذى ج٥ ص٧٠٢ ، سـنن البيـهقى الكـبرى ج٦ ص٣٦٧ ، ومسـند الامـام أحمـد ج١ ص٨٤،١١٦،١٣٢،١٤٣، ومسند أبى يعلى ج١ ص٣٣٩،٤٥٥ ، والمعجم الكبير للطبرانى ج٢٣ ص٨ .

(٢) العلامة ابن جرير الطبرى – جامع البيان عن تفسير آى القرآن – ج٣ ص٢٦٢/٢٦٤ .

(٣) إصدار وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – المنتخـب فـى تفسـير القـرآن الكريـم – ص١٧ ط١٨ مؤسسة الأهرام للطباعة والنشر ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٤) سورة آل عمران – الآية ٥٩ .

التراب طينا ثم جعله صلصالا ثم خلقه منه، فكذلك عيسى حوله من حال إلى حال، ثم جعله بشرا من غير أب. ونزلت هذه الآية بسبب وفد نجران حين أنكروا على النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (إن عيسى عبد الله وكلمته) فقالوا: أرنا عبدا خلق من غير أب، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (آدم من كان أبوه أعجبتم من عيسى ليس له أب؟ فآدم عليه السلام ليس له أب ولا أم). فذلك قوله تعالى: "ولا يأتونك بمثل "أي في عيسى "إلا جئناك بالحق" في آدم "وأحسن تفسيرا"[١].

وروي أنه عليه السلام لما دعاهم إلى الإسلام قالوا: قد كنا مسلمين قبلك. فقال: (كذبتم يمنعكم من الإسلام ثلاث: قولكم اتخذ الله ولدا، وأكلكم لخنزير، وسجودكم للصليب). فقالوا: من أبو عيسى؟ فأنزل الله تعالى: "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب" إلى قوله: "فنجعل لعنة الله على الكاذبين"[٢].

فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم لبعض: إن فعلتم اضطرم الوادي عليكم نارا. فقالوا: أما تعرض علينا سوى هذا؟ فقال: (الإسلام أو الجزية أو الحرب) فأقروا بالجزية على ما يأتي. وتم الكلام عند قوله "آدم". ثم قال: "خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" أي فكان. والمستقبل يكون في موضع الماضي إذا عرف المعنى »[٣].

وفى نفس الوقت؛ فإن فكرة الاصطفاء الإلهى التى يزعمها دعاة الفكر اليهودى، ومن يجرى مجراهم قربان فسادها، وظهر لدى العقلاء هوانها، وأنه لا يقول بها من فى عقله مسحة تفكير، أو فى قلبه شيء من يقظة ضمير[٤].

---

(١) الفرقان: الآية ٣٣.

(٢) آل عمران: الآية ٦١.

(٣) العلامة القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – ج٤ ص١٠٢/١٠٣.

(٤) راجع فى هذا الشأن للزميل الباحث عبدالباسط حسن عطية خليل – عقيدة الاصطفاء الإلهى عند اليهود وموقف الإسلام منها (ماجستير بمعهد الدراسات والبحوث الأسيوية جامعة الزقازيق ٢٠٠٠م)

ثانيا: زعمهم صنع هارون العجل

تحدث العهد القديم؛ بأن هارون هو الذى صنع العجل لبنى إسرائيل، وأنهم عبدوه وذبحوا له الذبائح(١). وبالتالى؛ فمؤلفو العهد القديم قد وقعوا فى خطأ فاضح، حينما نسبوا إلى هارون صناعة العجل الذهبى أو عبادته.

ثالثا: عبادة العجل

إن عبادة العجل كانت شائعة فى المصريين القدماء، وكان من أشهر معبوداتهم العجل أبيس، وقد تأثروا بتلك العبادة نظرا لمعايشتهم للمصريين وبقائهم بينهم أمدا طويلا.

والمعروف أن العجل أو البقرة كانت من أشهر المعبودات، إذا كانت حابى أبيس – هاتور – من أكثر الآلهة عبادة، وكانت على صورة بقرة ترمز للقوة والخصوبة، كذلك كانت عبادتها مرتبطة بشدة بالممارسات الجنسية الفاحشة، وعندما صور بنو إسرائيل صنمهم على شكل عجلا فقد اعتقدوا عن صدق أنهم يعبدون الله؛ لأن صنمهم يمثل الله نفسه، ولما كانت حابى المصرية تمثل نهر النيل، فكان العجل الذهبى يمثل إله بنى إسرائيل(٢).

ومن ثم؛ فإن بنى إسرائيل قد عبدوا العجل تقليدا للمصريين القدماء، وذكر الكثيرون أن(حب)هو الثور المقدس عند أهل منف، الذى تجسد عن أزوريس، واستبان من الحجار التي وجدت فى سرابيوم – بسقارة – أنه هو الحياة الثانية ليتاح؛ لأن هذا الأخير كان أكبر معبود فى منف، وأنه ابن بتاح وتوم أزوريس، وقد بالغوا فى عبادة هذا العجل الذهبى، وجعلوا له تماثيل عديدة، وكانوا يتعبون جدا حين يجدونه؛ لأنه لم يكن كباقى العجول، بل يجب أن يكون من عجلة نزل عليها فى البر، وأن يكون شعره اسود، وعلى جبينه غرة، وعلى ظهره صورة نسر، وتحت لسانه صورة خنفسا، ويكون شعر بدنه مضاعفا(٣).

---

(١) العهد القديم – سفر الخروج ٣٢ : ١ – ٦ .

(٢) التفسير التطبيقى ص١٩٤ .

(٣) أحمد بك كمال عون– بغية الطالبين فى علوم وعوائد وصنائع وأحوال قدماء المصريين – دراسة فى علوم المصريين ص١٦٦/١٦٧ – مطبعة مدرسة الفنون والصنائع الخديوية ببولاق ١٣١١هـ

رابعاً: أن هارون نبي الله كما أن موسى نبي الله.

إن هارون نبي الله كما أن موسى نبي الله، وقد أرسلهما الله تعالى لبني إسرائيل. قال تعالى: ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾[١]. وقال أيضا على لسان موسى عليه السلام: ﴿ وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون * قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾[٢].

يقول العلامة الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : « ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا﴾ وذلك أن موسى عليه السلام كان في لسانه لثغة بسبب ما كان تناول تلك الجمرة، فحصل فيه شدة في التعبير، ولهذا قال: ﴿واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾ ﴿فأرسله معي ردءا﴾ أي وزيرا ومعينا ومقويا لأمري، يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله عز وجل، لأن خبر الاثنين أنجع في النفوس من خبر الواحد، ولهذا قال: ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾، وقال محمد بن إسحاق: ﴿ردءا يصدقني﴾ أي يبين لهم ما أكلمهم به فإنه يفهم عني ما لا يعلمون، فلما سأل ذلك موسى، قال الله تعالى: ﴿سنشد عضدك بأخيك﴾ أي سنقوي أمرك ونعز جانبك بأخيك، الذي سألت له أن يكون نبيا معك، كما قال في الآية الأخرى: ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾. ولهذا قال بعض السلف: ليس أحد أعظم منة على أخيه من (موسى) على (هارون) عليهما السلام، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيا ورسولا، ولهذا قال تعالى في حق موسى ﴿وكان عند الله وجيها﴾، وقوله تعالى: ﴿ونجعل لكما سلطانا﴾ أي حجة قاهرة ﴿فلا يصلون إليكما بآياتنا﴾ أي لا سبيل لهم إلى الوصول إلى أذاكما بسبب إبلاغكما آيات الله، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك – إلى قوله – والله يعصمك من الناس﴾، ولهذا أخبرهما أن العاقبة لهما ولمن اتبعهما في الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾، كما قال تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾، وقال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ إلى آخر الآية »[٣].

---

(١) سورة المؤمنون – الآية ٤٥ .

(٢) سورة القصص – الآيتان ٣٤/٣٥ .

(٣) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص٣٨٩/٣٩٠.

ﷺ وقال عز ثناؤه : ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري * اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى * قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى * قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى * فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى﴾(١).

يقول الدكتور شوقى ضيف : « ويقول الحق ﷻ مخاطبا موسى وأخيه هارون: اذهب أنت وأخوك بمعجزاتى، ولا تفترا فى مداومة ذكرى، امضيا إلى فرعون إنه طغى، وتجاوز الحد فى عصيانى، قولا له قولا مشفوعا بالرفق واللين؛ لعله يتأثر ويتعظ، ويخشى ربه. فقالا موسى وهارون: إننا نخاف أن يتعجل فى عقوبتنا أو يسرف فيها، أو أن يزداد طغيانا. قال تعالى لا تخافا ما تتوهمانه، فإننى معكما أحفظكما وأنصركما، وأسمع وأرى ما يجرى بينكم وبين فرعون، طلب الله إلى موسى وهارون أن يأتيا فرعون فيقولان له: إنا رسول ربك فأطلق بنى إسرائيل، ورد إليهم حريتهم ودعهم يذهبون إلى أرض فلسطين، ولا تعذبهم أنت وأهل مصر فى الأعمال الشاقة، وقد جئناك بمعجزات ببينات تبين رسالتنا إليك، وسلام وتحية لمن اتبع هدى الله »(٢).

وبالتالى؛ فإن هارون نبى الله، ما جاء إلا ليخلف أخاه فى هؤلاء القوم. قال تعالى: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾(٣).

فلما عاد موسى من ميقات ربه، وجد أن القوم قد خرجوا عن الطريق المستقيم، غضب منهم، وراح يلوم أخاه هارون؛ لأنه لم يصرفهم بالقوة واكتفى بالنصح لهم(٤). قال تعالى: ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري * قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾(٥).

---

(١) سورة طه – الآيات ٤٢/٤٧.

(٢) الدكتور شوقى ضيف – الوجيز فى تفسير القرآن الكريم – ص٥١٩/٥٢٠ – دار المعارف ج.م.ع ١٩٩٤م.

(٣) سورة الأعراف – الآية ١٤٢ .

(٤) الشيخ محمد عبده، الشيخ رشيد رضا – تفسير المنار ج١ ص١٠٦ .

(٥) سورة طه – الآيتان ٩٠/٩١ .

يقول الإمام الفخر الرازى – رحمه الله – : « اعلم أن هارون إنما قال ذلك شفقة منه على نفسه وعلى الخلق، أما شفقته على نفسه فلأنه كان مأمور من عند الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكان مأمورا من عند أخيه موسى عليه السلام بقوله ﴿اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾(١)، فلو لم يشتغل بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ لكان مخالفا لأمر الله تعالى، ولأمر موسى عليه السلام، وذلك لا يجوز. .

أما الشفقة على الخلق؛ فلأن الإنسان يجب أن يكون رقيق القلب، مشفقا على جنسه ،وأى شفقة من أن يرى جمعا يتهافتون على النار، فيمنعهم منها »(٢).

فكأن رد القوم على نبى الله هارون الذى أراد أن يصدهم عن هذا الطغيان المتمثل فى عبادة العجل، وقالوا: ﴿ قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾(٣)، فدل الأمر على أن هارون عليه السلام قد حاول صرفهم، وأنه بذل فى سبيل ذلك ما أمكنه، إلا أنهم لم يستجيبوا له وأصموا آذانهم عن الاستماع له أو لنصحه.

بل أن نبى الله موسى عليه السلام كان يود لو أن هارون قاومهم بالعنف، ولذا؛ نراه يعاقب أخاه قائلا ما حكاه القرآن الكريم: ﴿قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا * ألا تتبعن أفعصيت أمري * قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾(٤).

يقول العلامة الألوسى : « يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل، ولم يلتفتوا إلى بطلانها، ألا تتبعن أى ما حملك على عدم الاتباع، فإن المنع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابلة، أفعصيت أمرى بسياستهم، حسب ما ينبغى. قال يا ابن أم خص الأم بالإضافة استعطافا وترقيقا لقلبه، لا بما قيل من أنه كان أخاه لأمه، فإن الجمهور على أنهما كان شقيقين، لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى، أى بشعر رأس ورى أنه أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله، وكان عليه السلام حديدا متصلبا غضوبا، وقد شاهد ما

(١) سورة الأعراف – الآية ١٤٢.

(٢) الإمام الفخر الرازى – مفاتيح الغيب ج٢٢ ص١٠٦/١٠٥ – ط١/١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

(٣) سورة طه – الآية ٩١ .

(٤) سورة طه – الآيات ٩٢/٩٤ .

شاهد وغلب على ظنه تقصير من هارون، وقال موسى لأخيه هارون: اخلفني في قوم وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين.

قال الإمام محمد عبده: إن موسى لما أراد الذهاب لميقات ربه بعد أن استخلف عليهم أخاه الأكبر هارون عليه السلام للحكم بينهم، إذا كانت الريادة فيهم لموسى عليه السلام، وكان هارون وزيرا ونصيره ومساعده، كما سأل ربه : ﴿ واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي * اشدد به أزري وأشركه في أمرى ﴾(١)، وأوصاه بالإصلاح فيهم وفيما بينهم، ونهاه عن اتباع سبيل المفسدين في الأرض، يستخف به. وإن لم يخرجه عن دائرة العصمة الثابتة للأنبياء عليهم السلام. ﴿ إني خشيت ﴾ أى أني غير عاص أمره ولا مقصر في المصلحة، ولكن خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض، وتفانوا أو تفرقوا أو خشيت لو لحقتك أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل أبناء رجل واحد ... »(٢).

وبالتالى؛ فإن هارون نبى لا يمكن أبدا أن يخرج عن هذا الدور الذى اختاره الله للقيام به، ولا يقول بذلك الرأى من صنع هارون للعجل، إلا من ينسب الجهل لله، وهم اليهود وأمثالهم قاتلهم الله تعالى عن قوله علوا كبيرا.

◈ **أما لماذا؟**

❖ **الجواب**: فلأن الله تعالى أخبرنا فى كتابه العزيز؛ بأن الأنبياء والرسل مصطفون من الله تعالى. قال تعالى: ﴿ " إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم " ﴾(٣).

ﷻ وقال أيضا: ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا * ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ﴾(٤).

---

(١) سورة طه – الآيات ٣٢/٢٩ .

(٢) العلامة أثير الدين يوسف الألوسي – روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى م٧/ج١٥/ص٢٥٠-٢٥١.

(٣) سورة آل عمران الآيتان ٣٤/٣٣ .

(٤) سورة النساء – الآيتان ١٦٤/١٦٣ .

يقول الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : « قال ابن عباس، قال سكن وعدي ابن زيد: يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى، فأنزل الله في ذلك من قولهما: ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ إلى آخر الآيات. ثم ذكر فضائحهم ومعايبهم وما كانوا عليه وما هم عليه الآن من الكذب والإفتراء، ثم ذكر تعالى أنه أوحي إلى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلي غيره من الأنبياء المتقدمين، فقال: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾، إلى قوله: ﴿وآتينا داود زبورا﴾ والزبور اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام، وسنذكر ترجمة كل واحد من هؤلاء الأنبياء عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام عند قصصهم من سورة الأنبياء إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

وقوله تعالى: ﴿ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك﴾، أي من قبل هذه الآية، يعني في السور المكية وغيرها وهذه تسمية الأنبياء الذين نص الله على أسمائهم في القرآن وهم: (آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهرون، ويونس، وداود، وسليمان، وإلياس واليسع، وزكريا، ويحيى، وعيسى. وكذا ذو الكفل، عند كثير من المفسرين، وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم) وقوله: ﴿ورسلا لمن نقصصهم عليك﴾ أي خلقا آخرين لم يذكروا في القرآن، وقد اختلف في عدة الأنبياء والمرسلين، والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل [عن أبي ذر قال، قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا"، قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: "ثلاثمائة وثلاثة عشر، جم غفير"، قلت: يا رسول الله من كان أولهم؟ قال: "آدم"، قلت: يا رسول الله نبي مرسل؟ قال: "نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبيلا](1).

(١) هذا جزء من حديث طويل ذكره الإمام ابن حبان – صحيح ابن حبان ج:٢ ص: ٧٦ – ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبي بشيء منها – الحديث: ٣٦١ – وراجع حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – العلامة أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت: ٤٣٠هـ – ج١ ص١٦٧ دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٥هـ – الطبعة الرابعة.

وقوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾، وهذا تشريف لموسى عليه السلام بهذه الصفة، ولهذا يقال له الكليم، وقد قال الحافظ أبو بكر بن مردويه: جاء رجل إلى أبي بكر بن عياش، فقال: سمعت رجلا يقرأ ﴿وكلم الله موسى (قرأ هذا الرجل لفظ الجلالة بالنصب وموسى بالرفع) تكليما﴾، فقال أبو بكر: ما قرأ هذا إلا كافر. قرأت على الأعمش، وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب، وقرأ يحيى بن وثاب على أبي عبد الرحمن السلمي، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي على علي بن أبي طالب، وقرأ علي بن أبي طالب على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾، وإنما اشتد غضب أبي بكر بن عياش رحمه الله على من قرأ كذلك، لأنه حرف لفظ القرآن ومعناه، وكان هذا من المعتزلة الذين ينكرون أن يكون الله كلم موسى عليه السلام أو يكلم أحدا من خلقه كما رويناه عن بعض المعتزلة أنه قرأ على بعض المشايخ ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾، فقال له: يا ابن اللخناء! كيف تصنع بقوله تعالى: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾؟ يعني أن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل. فعن ابن مسعود قال: [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان على موسى يوم كلمه ربه جبة صوف، وكساء صوف، وسراويل صوف، ونعلان من جلد حمار غير ذكي](1) »(2).

ﷺ وقال أيضا: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير﴾(3).

قال الإمام أبو الطيب القنوجي البخاري: « الله يصطفى من الملائكة رسلا كجبريل وإسرائيل وميكائيل والحفظة وغيرهم، ويصطفى أيضا رسلا من الناس وهم الأنبياء، فيرسل الملك إلى النبى والنبى إلى الناس، أو يرسل الملك يقبض أرواح مخلوقاته، أن لتحصيل منفعة، أو لإنزال العذاب عليهم »(4).

---

(١) العلامة الحاكم – المستدرك على الصحيحين ج: ١ ص: ٨١ – الحديث: ٧٦ .

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – جـ١/ص٥٨٦ .

(٣) سورة الحج – الآية ٧٥ .

(٤) الإمام أبو الطيب صديق حسن بن على الحسين القنوجى البخارى ص٣١١ – راجعه عبدالله بن إبراهيم الأنصارى – فتح البيان فى مقاصد القرآن ج٩ ص٨٦ – المكتبة العصرية بيروت صيدا ١٩٩٢م.

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى اصطفى موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة »[١].

وبناء عليه؛ فإن دعوة مؤلفي العهد القديم أن هارون هو الذى صنع العجل دعوة باطلة، وأمر كذوب.

خامسا: ان غضب الله عليهم لم يكن بسبب عبادتهم العجل فقط، وإنما تعددت آثامهم

فهم الذين جعلوا عزيرا ابن الله. قال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾[٢].

يقول الإمام القرطبى – رحمه الله – : « قوله تعالى: "وقالت اليهود" هذا لفظ خرج على العموم ومعناه الخصوص، لأن ليس كل اليهود قالوا ذلك. وهذا مثل قوله تعالى: "الذين قال لهم الناس" ولم يقل ذلك كل الناس. وقيل: إن قائل ما حكى عن اليهود سلام بن مشكم ونعمان بن أبي أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الضيف، قالوه للنبي صلى الله عليه وسلم.

قال النقاش[٣]: لم يبق يهودي يقولها بل انقرضوا فإذا قالها واحد فيتوجه أن تلزم الجماعة شنعة المقالة، لأجل نباهة القائل فيهم. وأقوال النبهاء أبدا مشهورة في الناس يحتج بها. فمن ههنا صح أن تقول الجماعة قول نبيها. والله أعلم. وقد روي أن سبب ذلك القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة

---

(١) العلامة جلال الدين السيوطى – الجامع الصغير – [تتمة باب حرف الألف]– الحديث رقم: ١٦٨٥– وعزاه إلى الحاكم في المستدرك، وأخرجه العلامة علاء الدين المتقى الهندى – كنز العمال – – ذكر الأنبياء مجتمعا. في الحديث رقم: ٣٢٢٧٢–

(٢) سورة التوبة – الآية ٣ .

(٣) النقاش: هو العلامة المفسر شيخ القراء أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي ثم البغدادي النقاش ولد سنة ست وستين ومئتين، وحدث عن إسحاق بن سنين وأبي مسلم الكجي وإبراهيم بن زهير ومطين ومحمد بن عبد الرحمن الهروي والحسن بن سفيان وابن خزيمة ومحمد بن علي الصائغ وخلق، وتلا على هارون الأخفش وأحمد بن أنس بدمشق وعلى الحسن بن الحباب وغيره ببغداد وعلى الحسن بن أبي مهران بالري وعلى أبي ربيعة محمد بن إسحاق وعدة، قرأ عليه أبو بكر بن مهران وعبد العزيز بن جعفر الفارسي وأبو الحسن بن الحمامي وإبراهيم بن أحمد الطبري وأبو الفرج الشنبوذي وعلي بن محمد العلاف وعلي بن جعفر السعيدي وأبو الفرج النهرواني والحسن بن علي بن بشار وخلق آخرهم موتا أبو القاسم علي بن محمد الزيدي الحراني، روى عنه ابن مجاهد وهو من شيوخه والدارقطني وابن شاهين وأبو أحمد الفرضي وأبو علي بن شاذان وأبو القاسم الحرفي، وهو مؤلف شفاء الصدور في التفسير، وكان واسع الرحلة قديم اللقاء وهو في القراءات أقوى منه في الروايات، وله كتاب الإشارة في غريب القرآن وكتاب المناسك ودلائل النبوة والمعاجم الثلاثة أوسط وأكبر وأصغر فالأكبر في معرفة المقرئين وله كتاب كبير في التفسير نحو من أربعين مجلدا وكتاب القراءات بعللها وكتاب السبعة وكتاب ضد العقل وكتاب أخبار القصاص وأشياء ولو تثبت في النقل لصار شيخ الإسلام، ومات في ثالث شوال سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة » [راجع سير أعلام النبلاء ج: ١٥ ص: ٥٧٦/٥٧٣]

ومحاها من قلوبهم، فخرج عزير يسيح في الأرض، فأتاه جبريل فقال: (أين تذهب)؟ قال: أطلب العلم، فعلمه التوراة كلها فجاء عزير بالتوراة إلى بني إسرائيل فعلمهم. وقيل: بل حفظها الله عزيرا كرامة منه له، فقال لبني إسرائيل: إن الله قد حفظني التوراة، فجعلوا يدرسونها من عنده. وكانت التوراة مدفونة، كان دفنها علماؤهم حين أصابهم من الفتن والجلاء والمرض ما أصاب وقتل بختنصر إياهم. ثم إن التوراة المدفونة وجدت فإذا هي متساوية لما كان عزير يدرس فضلوا عند ذلك وقالوا: إن هذا لم يتهيأ لعزير إلا وهو ابن الله»[1].

ﷺ وهم أيضا الذين نسبوا الشح والبخل لله. قال تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا﴾[2].

يقول صاحب التفسير الواضح: « والمعنى أن بعض اليهود قالوا: يد الله مغلولة، والغل والبسط مجاز عن البخل والجود، بل غلت أيديهم، وأمسكت عن الجود والخير، ويحب كل كريم يده مبسوطتان للعطاء، ينفق كيف يشاء على وفق الحكمة الإلهية، فهو يعطى ويمنع ويقبض ويبسط لحكمة هو أعلم به »[3].

وهم أيضا الذين نسبوا الغنى لأنفسهم، والفقر لله، أى أنهم امتدحوا أنفسهم بالغنى، وقدحوا فى ذات الله بنسبة الفقر إليه، وحكم الله تعالى عليهم بالكفر.

ﷺ قال تعالى: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾[4].

يقول الإمام القرطبى – رحمه الله – : « قوله تعالى: "لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء" ذكر تعالى قبيح قول الكفار ولا سيما اليهود. وقال أهل

(١) العلامة القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – ج٢ص٢٤٥ .

(٢) سورة المائدة – الآية ٦٤ .

(٣) الدكتور محمود حجازى – التفسير الواضح ج١ ص٥٣٤

(٤) سورة آل عمران – الآية ١٨١ .

التفسير: لما أنزل الله ﴿ "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا" ﴾[١]. قال قوم من اليهود – منهم حيي بن أخطب؛ في قول الحسن. وقال عكرمة وغيره: هو فنحاص بن عازوراء – إن الله فقير ونحن أغنياء يقترض منا. وإنما قالوا هذا تمويها على ضعفائهم، لا أنهم يعتقدون هذا؛ لأنهم أهل كتاب. ولكنهم كفروا بهذا القول؛ لأنهم أرادوا تشكيك الضعفاء منهم ومن المؤمنين، وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم. أي إنه فقير على قول محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه اقترض منا.

"سنكتب ما قالوا" سنجازيهم عليه. وقيل: سنكتبه في صحائف أعمالهم، أي نأمر الحفظة بإثبات قولهم حتى يقرؤوه يوم القيامة في كتبهم التي يؤتونها؛ حتى يكون أوكد للحجة عليهم. وقتلهم الأنبياء بغير حق أي ونكتب قتلهم الأنبياء أي رضاءهم بالقتل والمراد قتل أسلافهم الأنبياء وأيضا لما رضوا بذلك صحت الإضافة إليهم ونقول ذوقوا عذاب الحريق". أى يقال ذلك لهم فى جهنم أو عند الموت، أو عند الحساب هذا وللعلماء فيمن يقول هذا القول قولان الأول القائل (الله). الثانى القائل (الملائكة) والله أعلم بالقائل »[٢].

ودارس الأديان المقارنة يجد نفسه مضطرا إلى القول بأن غضب الرب على شعب إسرائيل على النحو الذى جاء فى العهد القديم، وحسب الواقعة التى ذكرتها، إنما يمثل صورة من صنايع الأيدى والعقول البشرية، وهو يخدم فى ذات الوقت الفكر اليهودى؛ لأن القوم جعلوا إلههم متى غضب عليهم رضى، وإذا أنزل بعضا من ذلك الغضب عليهم؛ عاد عنه محاولا إيجاد مبررات لذلك الذى تم والتراجع عن نتائجه بما يكشف القارئ أن هذا التراث إنما هو صنع بشرى يحمل كافة الصفات البشرية، بما فيها من خوف وضعف، وقسوة وعنف وجهل بالغيب، مما يتنزه عنه الكلام الذى ينسب لله جل علاه، ويجيء به الرسالات الإلهية من عند الله تعبيرا لخلقه، وتعريفا لهم بما يجب عليهم نحو خالقهم العظيم جل علاه.

يقول أصحاب التفسير التطبيقى: « أوشك الرب أن يمحو الأمة الإسرائيلية بأسرها، بسبب عبادتهم العجل، لكن موسى تشفع طالبا الرحمة وعفى الله عنهم،

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٤٥ .

(٢) الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – ج٤ ص٢٩٤ طبعة دار الغد العربى، ج٦ ص١٥٣٧ طبعة دار الشعب.

وهذا واحد من العديد من المواقف في الكتاب المقدس، التي تبينت رحمة الله، وتكشف عن غضبه، وتطلعنا أنه على استعداد للصفح والغفران، واستردادنا للشركة معه كما فعل موسى، يمكننا أن نصلى حتى يغفر الرب للآخرين خطاياهم »[١].

وهى أفكار ساقطة؛ لأن الله جل شأنه يبين أن كل فرد يتحمل مسئولية نفسه. قال تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾[٢]. يقول الإمام القرطبي: « قوله تعالى: ﴿ "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى" ﴾ روي عن ابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿"والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم"﴾[٣].فيحصل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان أبيه، ويشفع الله تعالى الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء؛ يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿"آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا"﴾[٤]

وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة ولا ينفع أحدا عمل أحد، وأجمعوا أن لا يصلي أحد عن أحد. ولم يجز مالك[٥] الصيام والحج والصدقة عن الميت، إلا أنه قال: إن أوصى بالحج ومات جاز أن يحج عنه. وأجاز الشافعي[٦]وغيره الحج التطوع عن الميت. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها اعتكفت عن أخيها عبدالرحمن وأعتقت عنه »[٧].

---

(١) التفسير التطبيقى ص١٩٥ .

(٢) سورة النجم – الآية ٩٣ .

(٣) سورة الطور – الآية ٢١ .

(٤) سورة النساء – الآية ١١ .

(٥) مالك: هو مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى أبو عبدالله المكي ، أحد العلماء وسيد الفقهاء، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين. توفى سنة ٢٠٤هـ . راجع التهذيب جـ٩ ص٢٣، والتقريب جـ٢ ص١٤٣، حلية الأولياء جـ٩ ص٦٣ .

(٦) هو الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعى ، يلتقى نسبه مع النبى e فى عبد مناف. ولد سنة ١٥٠هـ أخذ العلم عن مسلم بن خالد بمكة، وعن الإمام مالك بالمدينة ، وقرأ عليه الموطأ حفظا فأعجبه قراءته وكان يستزيد، ورحل إلى العراق وأخذ فى الاشتغال بالعلم والمناظرة ونشر الحديث وإقامة السنة ، ورحل إلى مصر بعد أن ... ذكره فى الآفاق، وابتكر كتبا لم يسبق إليها منها الرسالة فى أصول الفقه ، وكتاب القسامة ، وكتاب الجزية . توفى رحمه الله سنة ٢٠٤هـ» . راجع طبقات الشافعية للإمام تاج الدين السبكي ١٠٠/١ وما بعدها – طبعة دار المعارف – بيروت لبنان .

(٧) العلامة القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – ج١٧ ص١١٤ .

وروى أن سعد بن عبادة قال للنبي صلى الله عليه وسلم: « إن أمي توفيت أفأتصدق عنها؟ قال: (نعم) قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: (سقي الماء) »[١] وقد مضى جميع هذا مستوفى في "البقرة" و"آل عمران" و"الأعراف".

وقد قيل: « إن الله عز وجل إنما قال: "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى" ولام الخفض معناها في العربية الملك والإيجاب فلم يجب للإنسان إلا ما سعى، فإذا تصدق عنه غيره فليس يجب له شيء إلا أن الله عز وجل يتفضل عليه بما لا يجب له، كما يتفضل على الأطفال بإدخالهم الجنة بغير عمل. وقال الربيع بن أنس: "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى" يعني الكافر وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره »[٢].

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو عمل ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »[٣]. وهذا كله تفضل من الله عز وجل، كما أن زيادة الأضعاف فضل منه، كتب لهم بالحسنة الواحدة عشرا إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف حسنة.

فعن أبي هريرة قال « إن الله يجزي المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة فأتيته فقلت يا أبا هريرة إنه بلغني أنك تقول إن الله يجزي المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة قال نعم وألفي ألف حسنة وفي القرآن من ذلك إن الله لا يظلم مثقال ذرة فان تك حسنة يضاعفها فمن يدري تسمية تلك الأضعاف ويؤت من لدنه أجرا عظيما قال الجنة »[٤]. فهذا تفضل. وطريق العدل "أن ليس للإنسان إلا ما سعى".

---

(١) العلامة الحاكم المستدرك على الصحيحين ج: ١ ص: ٥٧٤ – الحديث: ١٥١١، وأخرجه الإمام النسائي – سنن النسائي (المجتبى) ج:٦ ص:٢٥٤ – باب ذكر الاختلاف على سفيان – الحديث: ٣٦٦٤، وأخرجه الإمام ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج:٢ ص:١٢١٤ – باب فضل صدقة الماء – الحديث ٣٦٨٤

(٢) العلامة القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج١٧ ص١١٤ .

(٣) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج:٣ ص:٦٦٠ – الحديث: ١٣٧٦، وأخرجه ابن خزيمة – صحيح ابن خزيمة ج:٤ ص:١٢٢ – باب ذكر الدليل على أن أجر الصدقة المحبسة يكتب للمحبس بعد موته ما دامت الصدقة جارية – الحديث رقم:٢٤٩٤، وراجع سنن الدارمي ج:١ ص:١٤٨ – الحديث: ٥٥٩ ، وراجع الترغيب والترهيب ج:١ ص:٥٥ – الحديث:١٢٤

(٤) العلامة ابن أبي شيبة – مصنف ابن أبي شيبة ج:٧ ص:١٢٧ الحديث:٣٤٧٠٣ .

ويحتمل أن يكون قوله: "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى" خاص في السيئة؛ بدليل ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « قال الله عز وجل إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة فإن عملها كتبتها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبتها سيئة واحدة »(١).. وقال أبو بكر الوراق: « "إلا ما سعى" إلا ما نوى، بيانه قوله صلى الله عليه وسلم: (يبعث الناس يوم القيامة على نياتهم) »(٢).

ﷻ وقال جل شأنه: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾(٣). قال أيضا: ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾(٤).

يقول العلامة ابن كثير – رحمه الله – : « قوله تعالى: ﴿ كل امرئ بما كسب رهين ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤاخذ أحدا بذنب أحد، فقال تعالى: ﴿ كل امرئ بما كسب رهين ﴾ أي مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، سواء كان أبا أو ابنا، كما قال تعالى: ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتسألون عن المجرمين ﴾ »(٥).

ﷻ وبين جل شأنه أن المسئولية والجزاء صنوان، وأن الثواب والعقاب على الأعمال يفترقان. قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾(٦).

يقول العلامة ابن جرير الطبرى: « قوله: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ يقول: فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير، يرى ثوابه هنالك ﴿ و من يعمل مثقال ذرة

---

(١) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ١ ص: ١١٧ – باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب – الحديث: ١٢٨

(٢) العلامة القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – ج١٧ ص١١٤ .

(٣) سورة المدثر – الآية ٣٨ .

(٤) سورة الطور – الآية ٢١ .

(٥) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٤ص٢٤٣ .

(٦) سورة الزلزلة – الآيتان ٨/٧ .

شرا يره ﴾ يقول: ومن كان عمل في الدنيا وزن ذرة من شر يرى جزاءه هنالك، وقيل: ومن يعمل، والخبر عنها في الآخرة، لفهم السامع معنى ذلك، لما قد تقدم من الدليل قبل. على أن معناه: فمن عمل؛ ذلك دلالة قوله: ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ﴾ على ذلك. ولكن لما كان مفهوما معنى الكلام عند السامعين. وكان في قوله: ﴿ يعمل ﴾ حث لأهل الدنيا على العمل بطاعة الله، والزجر عن معاصيه. مع الذي ذكرت من دلالة الكلام قبل ذلك، على أن ذلك مراد به الخبر عن ماضي فعله، وما لهم على ذلك، أخرج الخبر على وجه الخبر عن مستقبل الفعل »[1].

ﷻ وقال أيضا: ﴿فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه * فأمه هاوية * وما أدراك ما هيه * نار حامية﴾[2].

يقول الحافظ ابن كثير : « قوله تعالى: ﴿ فأما من ثقلت موازينه﴾ أي رجحت حسناته على سيئاته، ﴿فهو في عيشة راضية﴾ يعني في الجنة، ﴿وأما من خفت موازينه﴾ أي رجحت سيئاته على حسناته، ﴿فأمه هاوية﴾ قيل: معناه فهو ساقط هاو بأم رأسه في نار جهنم، وعبر عنه بأمه يعني (دماغه)، قال قتادة: يهوي في النار على رأسه. وقيل: معناه فأمه التي يرجع إليها ويصير في المعاد إليها ﴿هاوية﴾ وهي اسم من أسماء النار، قال ابن جرير: وإنما قيل للهاوية أمه لأنه لا مأوى له غيرها، وقال ابن زيد: الهاوية النار هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ: ﴿ومأواهم النار﴾. وروي عن قتادة أنه قال: هي النار وهي مأواهم، ولهذا قال تعالى مفسرا للهاوية: ﴿وما أدراك ما هيه * نار حامية﴾، روى ابن جرير عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: روحوا أخاكم، فإنه كان في غم الدنيا، قال: ويسألونه ما فعل فلان؟ فيقول: مات أو ما جاءكم؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية (أخرجه ابن جرير)، وقوله تعالى: ﴿نار حامية﴾ أي حارة شديدة الحر، قوية اللهب والسعير »[3].

---

(١) العلامة الطبرى – تفسير الطبرى – ج٣٠ ص ٢٦٧ .

(٢) سورة القارعة – الآيات ٦/١١ .

(٣) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٤ ص ٥٤٤ .

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم"، قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية؟ فقال: "إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا »[١].

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد »[٢].

وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة »[٣].

وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا فإذن لها بنفسين نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون في الصيف من حرها »[٤].وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم" »[٥].

---

(١) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ٢١٨٤ – باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين – الحديث: ٢٨٤٣ . وصحيح ابن حبان ج١٦ ص ٥٠٣، وموطأ مالك ج٢ ص٩٩٤ .

(٢) الإمام أحمد بن حنبل مسند أحمد ج:٢ ص:٢٤٤ الحديث: ٧٣٢٣ ، وأخرجه ابن حبان – صحيح ابن حبان ج:١٦ ص:٥٠٤ ذكر العلة التي من اجلها صار الناس ينتفعون بهذه النار التي عندهم– الحديث: ٧٤٦٣ ، ورواه البخارى بلفظ أخر – صحيح البخاري ج: ٣ ص: ١١٩١ – الحديث : ٣٠٩٢

(٣) الإمام الترمذى – سنن الترمذي ج:٤ ص:٧١٠ – الحديث: ٢٥٩١ .

(٤) أخرجه الإمام البخارى – صحيح البخاري ج:٣ ص:١١٩٠ – الحديث : ٣٠٨٧ ، وأخرجه الإمام مسلم – صحيح مسلم ج:١ ص:٤٣١ الحديث:٦١٧ .

(٥) الإمام البخارى صحيح البخاري ج: ١ ص: ١٩٨ – باب الإبراد بالظهر في شدة الحر – الحديث: ٥١٠ ، والإمام مسلم – صحيح مسلم ج:١ ص٤٣٠ – باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة ويناله الحر في طريقه – الحديث: ٦١٥ ، وراجع صحيح ابن خزيمة ج١ ص١٧٠ ، وصحيح ابن حبان ج٤ ص٣٧٤،٣٧٦ ومسند أبو عوانه ج١ ص٢٨٩ .

سادسا: بطلان طمعهم في رحمة الله تعالى

يزغم دعاة الفكر اليهودى بأن ما وقع فيه بنو إسرائيل من عبادة العجل، يجب أن لا يكون ملقى على عاتقهم؛ لأن الرب وعدهم برحمته، وأعلن قبول شفاعته فيهم. وهى كلها مزاعم غير صحيحة؛ لأنه ما من آية جاء فيها الترغيب إلا وأعقبها الترهيب، حتى يكون كل منهما داعما للآخر فى النفوس.

ﷻ من ذلك قوله تعالى: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير﴾[1].

يقول العلامة القرطبى – رحمه الله – : « "غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب" قال أهل الإشارة: "غافر الذنب" فضلا "وقابل التوب" وعدا "شديد العقاب" عدلا "لا إله إلا هو إليه المصير" فردا[2].

و"التوب" يجوز أن يكون مصدر تاب يتوب توبا، ويحتمل أن يكون جمع توبة. ويجوز أن يكون التوب بمعنى التوبة، وإذا كان جمعا فمعناه يقبل التوبات. "ذي الطول لا إله إلا هو" على البدل وعلى النعت؛ لأنه معرفة. وأصل الطول الإنعام والفضل يقال منه: اللهم طل علينا أي انعم وتفضل. قال ابن عباس: "ذي الطول" ذي النعم. وقال مجاهد: ذي الغنى والسعة؛ ومنه قوله تعالى: "ومن لم يستطع منكم طولا" أي غنى وسعة. وعن ابن عباس أيضا: "ذي الطول" ذي الغنى عمن لا يقول لا إله إلا الله. وقيل: "ذي الطول" ذي المن. والطول بالفتح المن؛ يقال منه طال عليه وتطول عليه إذا امتن عليه. وقال محمد بن كعب: "ذي الطول" ذي التفضل.

---

(١) سورة غافر – الآية ٣.

(٢) روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « أنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام؛ فقيل له: تتابع في هذا الشراب؛ فقال عمر لكاتبه: اكتب من عمر إلى فلان، سلام عليك، وأنا أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو: "بسم الله الرحمن. حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير" ثم ختم الكتاب وقال لرسوله: لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيا، ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة، فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول: قد وعدني الله أن يغفر لي، وحذرني عقابه، فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزع وحسنت توبته. فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحدكم قد زل زلة فسددوه وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه » [راجع تفسير القرطبى ج١٥ ص٢٩١]

قال الماوردي[١] : والفرق بين المن والتفضل أن المن عفو عن ذنب. والتفضل إحسان غير مستحق. والطول مأخوذ من الطول كأنه طال بإنعامه على غيره. وقيل: لأنه طالت مدة إنعامه. "إليه المصير" أي المرجع »[٢].

ﷻ وقال تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾[٣].

ﷻ وفوق ذلك فإن رحمة الله شملت من وقعوا في الخطأ من غير قصد إليه، ثم انصرفوا عنه. قال تعالى: ﴿قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾[٤].

يقول الحافظ ابن كثير: « يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وما فيهما. وأنه قد كتب على نفسه المقدسة الرحمة، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم : [إن الله لما خلق الخلق كتب كتابا عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي][٥]، وقوله: ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ هذه اللام هي الموطئة للقسم، فأقسم بنفسه الكريمة ليجمعن عباده ﴿إلى ميقات يوم معلوم﴾ وهو يوم القيامة الذي لا ريب فيه أي لا شك عند عباده المؤمنين،

(١) الإمام الماوردى : هو الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، من كبراء فقهاء الشافعية، ولد ٣٦٤هـ، توفي سنة ٤٥٠هـ، وعمره ست وثمانون سنة . وهو صاحب الحاوي الكبير ، وصاحب التصانيف الكثيرة في الأصول والفروع والتفسير والأحكام السلطانية وأدب الدنيا والدين قال بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة يعني الإقناع ، وصاحب أعلام النبوة ، وقد ولي الحكم في بلاد كثيرة وكان حليما وقورا أديبا لم ير أصحابه ذراعه يوما من الدهر من شدة تحرزه وأدبه وقد استقصيت ترجمته في الطبقات توفي عن ست وثمانين سنة ودفن بباب حرب . راجع البداية والنهاية لابن كثير – الجزء الثاني العشر ص٥١٧ – طبعة دار الغد العربية ، وراجع أبجد العلوم للعلامة الفتوحى (٢/ ٤٩٣)

(٢) الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – ج١٥ ص٢٩١/٢٩٢ .

(٣) سورة الكهف – الآيتان ٢٩/٣٠ .

(٤) سورة الأنعام – الآية ١٢ .

(٥) الحديث رواه الإمام البخارى بصحيحه – باب: ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾الصافات:ج٦ ص٢٧١٢ الحديث رقم: ٧٠١٥، و باب وكان عرشه على الماء ج: ٦ ص: ٢٧٠٠ – الحديث رقم:٦٩٨٦ ، وذكره أيضا في – باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ .الروم: ٢٧ . في الحديث رقم: ٣٠٢٢، [٦٩٦٩، ٦٩٨٦، ٧٠١٥، ٧١١٤] – وأخرجه مسلم في التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم: ٢٧٥١. وذكره الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم فى الحديث رقم: ١٤.

فأما الجاحدون المكذبون فهم في ريبهم يترددون. عن ابن عباس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء؟ قال: "والذي نفسي بيده إن فيه لماء، إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك في أيديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء".

وعن سمرة عن رسول الله ﷺ قال: [إن لكل نبي حوضا وأرجوا أن أكون أكثرهم واردة][1] وقوله: ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ أي يوم القيامة ﴿فهم لا يؤمنون﴾ أي لا يصدقون بالمعاد ولا يخافون شر ذلك اليوم »[2].

﴿ وقال أيضا: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم﴾[3].

يقول الحافظ ابن كثير : « قوله: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ أي أوجبها على نفسه الكريمة تفضلا منه وإحسانا وامتنانا ﴿أنه من عمل منكم سوءا بجهالة﴾، قال بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل وقال بعضهم: الدنيا كلها جهالة: ﴿ثم تاب من بعده وأصلح﴾ أي رجع عما كان عليه من المعاصي وأقلع، وعزم على أن لا يعود وأصلح العمل في المستقبل ﴿فإنه غفور رحيم﴾ فعن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لما قضى الله على الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي". »[4].

وبناء على ما ذكره؛ فإن رحمة الله تعم المحسنين، الذين آمنوا بالله ربا واحدا، منزها عن كافة طبقات المخلوقين، وآمنوا بالإسلام دينا خاتما لديانات السابقين، عاما شاملا للإنس والجن أجمعين، وصدق بنبوة سيدنا محمد ﷺ، وإنه خاتم الأنبياء والمرسلين، فمن كفر بشيء من ذلك فهو من أهل النار الأشقياء الخالدين.

---

(١) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٦٢٨ – باب ما جاء في صفة الحوض – الحديث: ٢٤٤٢ .

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٢ ص١٢٦ .

(٣) سورة الأنعام – الآية ٥٤ .

(٤) العلامة ابن كثير – تفسير ابن كثير – ج٢ ص١٣٦ .

ﷻ قال تعالى: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾(١).

يقول الإمام الزمخشرى – رحمه الله – : « المراد بالزفير إخراج النفس والشهيق رده وأهل النار مخلدون، فيها مادامت السماوات والأرض، ويقصد بهما السماوات وأرض الآخرة؛ لأنهما دائمة مخلدة للأبد، وقد قيل: إن الخلود لأهل لجنة والنار فى الأبد من غير استثناء، فلم الاستثناء فى قوله تعالى : ﴿إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾.

فأجاب الإمام الزمخشرى قائلا: إن أهل النار لا يعذبون بالنار فحسب، بل يعذبون بالزمهرير(٢)، وبأنواع من العذاب سوى النار، وفيما هو أغلظ منها كلها، وهو سخط عليهم وخسؤه وإهانته إياهم، وهذه الأمور لا يعرف كنهها إلا الله، وهو المراد بالاستثناء الدليل عطاء غير مجذوذ، وأن ربك فعال لما يريد أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب، كما يعطى أهل الجنة عطاءه الذى لا انقطاع له »(٣).

٢- غضب عليهم لمخالفتهم أوامره ونواهيه

زعم اليهود أنهم أبناء الله، ومع هذا أغضبوه، وادعوا أنهم أحباؤه، وفوق ذلك أنكروه وبأوصاف النقص نعتوه، وفى كل حال تمردوا عليه بل حاربوه.

وهاأنذا أعرض صورة أخرى من صور بنى إسرائيل فى مخالفتهم للرب، حتى جعلوه يغضب عليهم ويعاقبهم بما اقترفت أيديهم؛ لأنهم لم يرتضوا قضاء الله تعالى.

أ- عرض الفكرة

يذكر العهد القديم أن بنى إسرائيل قد نظم لهم الرب طرق حلهم وارتحالهم، وأنهم قد كانوا يهتدون بسحابة تسير معهم، كأنها الدليل، فإذا أسقطت على

---

(١) سورة هود – الآيتان ١٠٥/١٠٦ .

(٢) الزمهرير : شدة البرد، وقيل القمر فى لغة طئ، وبه فسر بعضهم قولهم ﴿ ولا زمهريرا ﴾ أى فيها من الضياء والنور ما لا يحتاجون معه إلى شمس ولا قمر . (مختار القاموس – الطاهر أحمد الزاوى ص٢٧٥) .

(٣) الإمام محمود بن عمر الزمخشرى – الكشاف – م١ ج٢ ص٤٢٠ – الناشر: دار الكتاب العربى.

خيمتهم؛ سكنوا، وإذا ارتفعت عنها قاموا جميعا وارتحلوا، غير أنه كانت تطول السحابة عليهم، حتى تستمر أياما، وهى حالة بهم مقيمون تحتها، يذكر ذلك أصحاب التفسير التطبيقى«لا فكان عمود من سحاب بالنهار، وعمود من نار بالليل يهديان ويحميان بنى إسرائيل وهم مرتحلون فى الصحراء، فكان ذلك ليلا على حضور الرب فيهم، وعلامة متطورة لانتقاله مع شعبه وإرشاده لهم[١]»

ولكن بنو إسرائيل كثروا عددا فاقتضى الأمر نوعا من التنظيم، بحيث يتم الإعلان عن الرحيل أو الحل وعند مدخل خيمة الاجتماع[٢]، عن طريق بوقين[٣] من فضة مطروقة، إذا نفخ فيهما يجتمع الشعب، ويسكن، أما إذا نفخ فى واحد منهما؛ فإنه يكون بمثابة إعلان لرؤساء الأسباط فى بنى إسرائيل[٤].

وكانت عملية الحل والترحال بعد التنظيم الجدى، تستلزم أن يكون المقيمون فى المخيمات يرتحلون طبقا لترتيب عشائرهم، التى تبدأ من سبط يهوذا[٥]، أو لأثم[٦]

---

(١) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص٢٩١ .

(٢) خيمة الاجتماع: هى الخيمة الأصلية التى كان يجتمع فيها الرب - حسب زعمهم - بشعبه، ولذلك سميت بخيمة الاجتماع، وأطلقت الخيمة على بيت آخر فيه داود والتابوت وهناك فرق بين هذه الخيمة والخيمة الأصلية التىأمر الله موسى أن يصنعها فى البرية، لكى يسكن الله فيها بين شعبه، وسميت خيمة المسكن،وبين الخيمة التى كانت تودع فيها ألواح الناموس والشهادة، وعرفت باسم مسكن الشهادة، وكذلك الخيمة التى عرفت باسم بيت الرب.إذن انقسمت الخيمة إلى ثلاثة أجزاء: - أ- المسكن. ب- الخيمةج الغطاء وهنك تفصيلات أخرى عن الخيمة وأنواعها وتكويناتها. راجع قاموس الكتاب المقدس ص٣٥٤/٣٥٢ .

(٣) البوق: آلة موسيقية على هيئة القرن كانوا ينفخون فيها الأعياد وعند إعطاء علامة الحرب وما أشبه. وكانت أبواق الكهنة من الفضة. (راجع فى هذا الشأن: قاموس الكتاب لمقدس ص١٩٥) .

(٤) العهد القديم - سفر العدد ١١٠ : ١-٦ .

(٥) الأسباط جمع سبط، واسم لكلمة عبرانية معناها عصا أو جماعة يقودها رئيس بعصا، وكانت تطلق عادة على كل من أولاد يعقوب، وأولاد أفرايم، ومنس ابنى يوسف، ولم يكن سبط لاوى محسوبا بينهم، فكان الأسباط اثنى عشر، فلما أضيف سبط الاوى، وتعين للمحرقة؛ صار الأسباط ثلاثة عشر، وهم حسب الترتيب الأبجدى: ١ـ أمشير . ٢ـ افرايم. ٣- بن يابين. ٤- حادة. ٥- دات. ٦- راوين. ٧- زبلون ٨- شمعون ٩- لاوى. ١٠- منس . ١١- نفتالى. ١٢- يساكر. ١٣- يهوذا، ولمعرفة كل منهم. أطلب كل اسم فى مكانه. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٤٦٥).

(٦) العهد القديم - سفر العدد ١٠ : ١١ - ٢٨ .

يرحل أخيرا سبط نفتالى[١]، حيث كان ذلك هو النظام الذى سارت عليه أسباط إسرائيل فى أثناء رحيلهم.

ولأن بنو إسرائيل كان يتنقلون دائما عبر الصحراء، فقد كانوا يكرهون ذلك التنظيم الذى يجعل البعض يتقدم على البعض الآخر؛ لأنهم يرون التساوى بين جميع الأسباط، ومن ثم؛ قرروا التذمر من هذا التنظيم، وإعلان الرفض له على النحو الذى وصل إلى حد إضرابهم عن المسير طبقا للتعاليم، وفى نفس الوقت؛ صاروا يشكون موسى للرب كما يشكون الرب لموسى، فلم يعد تصرف موسى مريحا لهم، كما أن تصرف رب موسى هو الآخر غير مقبول عندهم[٢].

لذا؛ فقد أعلنوا تذمرهم، وراحوا يشتكون تصرفات موسى والرب معا، بل اشتكى الشعب كل واحد للآخر، فلم يصلوا إلى شيء، والكثيرون منهم يجيدون شكوى أحدهم للآخر[٣].

وفى نفس الوقت؛ فإن إسرائيل لم يشتكوا لله، ولكنهم اشتكوا الله، فهم بهذا أعلنوا غضبهم على الرب كأن شرا أصابهم[٤]، رغم أنه لم يكن قد أصابهم شر، ولكن عدم الرضا بما قدر الله عليهم جعلهم يتمردون عليه إلى أبعد حد.

ويبدو أن بنى إسرائيل لم يدركوا ما كان الله يفعله من أجلهم، كما لم يدركوا أنه حررهم، وجعل منهم أمة متميزة، وأعطاهم أرض جديدة، وما ذلك إلا أنهم لم يكونوا متصرفين بكل اهتمام، إلا إلى ما لم يفعله الله لهم، فهم لم يفكروا فى شيء سوى بطيخ مصر الحلو الذى تركوه ورائهم، ونسوا أن سياط العبودية القاسية فى مصر، كانت الثمن لأكل هذا البطيخ.

---

(١) نفتالى : سبط نفتالى ينقسم إلى بيوت كبرى، نسبة إلى أبناء نفتالى الأربعة باحفئيل، وجوش، ويصير. وشليم، وكان أفراد سبط نفتالى من بين الذين خرجوا من مصر مع موسى، وكان رئيسهم بوسيكا أخيرع، ثم خلفه هئيل بن عمهيود، وكان الإحصاء الأول فى جبل سيناء ٥٣ ألفا. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٩٧٤/٩٧٥).

(٢) تلك طبيعة شعب إسرائيل، فاليهود أينما كانوا يتمردون على تعاليم الله ويرون فى الخروج عليها ميزة، يجب أن تكون فيهم وحدهم، ولا يسبقهم إليها أحدا أبدا.

(٣) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ٢٦٤ .

(٤) العهد القديم – سفر العدد ١١ : ١

إذن؛ القوم يبيعون حرياتهم بما يشبع أفواههم، ويعيشــون علــى بطونــهم، كمـا تزحف الحيات والعقارب، كرامتــهم وحرياتــهم، بـل وإنسـانيتهم لا تسـاوى أكلـة مـن فاكهة البطيخ[١]، وهذا باعترافهم الذى سجله أهلوهم، وحملتــه المؤلفـات التـى صحـت نسبتها إليهم وأتباعهم، غير أن الرب لما رأى تذمر الشعب قـد اشـتد، وصيحاتـهم قـد علت؛ فقد غضب هو الآخر منهم، وبادلهم غضبا بغضب[٢].

فإذا كانوا هم قد غضبوا منه؛ فإنه هو الآخر قد غضب عليهم، وإذا كان غضبهم قد أعقبه التمرد والعصيان على الرب؛ فإن غضبه عليهم قد أعقبه نـارا اندلعـت فيـهم، وأحرقت طرق المخيم الذي يقيمون فيه، حتى إنهم رأوا النار تقترب منهم، وصرخوا إلى موسى طالبين منه أن يصلى للرب، وقد فعل فخمدت النار، وعـرف ذلـك المكـان باسـم تبعيرة، ومعناه (اشتعال)؛ لأن نار الرب اشتعلت فيهم[٣].

بيد أن بنى إسرائيل وهم فى تلك الرحلة من الانتقال المتواصل فـى البحـث عـن أرض الموعد، قد اغضبوا الرب مرات عديدة، فحكـم عليـهم هـو الآخـر أن يجولـوا فـى الصحراء لمدة أربعين يوما، لا يرون كيف الخروج، وبهذا أعلن مؤلفـو العـهد القديـم أن الرب غضب على شعب إسرائيل لهذا السبب أيضا[٤].

أجل؛ كان بنو إسرائيل يقيمون خيامهم كل صباح، ويرون المن[٥] الرقيـق، وهـو الطعام النازل من السماء، ويغطى الأرض لهم، ويا له من إطعام شهى، إلا إنــهم زهـدوا فيه، وأصبحوا يتساءلون باكين: من يطعمنا لحما؟ من يطعينا الأشـياء التـى كـانت لنـا فى مصر؟

---

(١) التفسير التطبيقى ص٢٩٤ .

(٢) العهد القديم – سفر العدد ١١ – ٣:٢ .

(٣) التفسير التطبيقى ص٢٩٢ .

(٤) شأن بنى إسرائيل أنهم لا يرتضون ما يقضيه الله عليهم، ومن ثم؛ فليس لديهم متسع لقبول ما لا يرتضون إليــه، حتى لو كان قيما، فالعبرة عندهم بما يطيب لهم لا بما يفرضه الرب عليهم.

(٥) المن: كان فى حجم بذرة الكسبرة وشكله مماثل للمقل، وكان الشعب يطوفون بأبواب المخيم يجمعــونه حيـث كـان ينزل بنزول الندى على المخيم فى أثناء الليل، فإذا جمعوه طحنوه بالرحى ويدقونه فـى الهـون ثـم يطبخـوه فـى القدور، وكان طعمه كطعم القطايف بالزيت . (راجع فى ذلك الشأن سفر العدد ١١ – ٧ : ٩) .

لقد تذكرنا سمك مصر الذى كنا نأكله، وكذلك القثاء والبطيخ والكراث والثوم، وكلها كنا نأكلها مجانا، أما الآن فقدنا شهيتها وهزلنا، وليس أمامنا سوى هذا المن الذى نجمعه من أبواب المخيم ثم نأكله، رغم أنه طعام شهى، بجانب أنه مفيد ولذيذ، يقوم مقام مجموعة من الأغذية بالنسبة للإنسان والحيوان أيضا، وحتى يظهروا تعاطف الرب معهم وحنوه عليهم وحدهم ظلوا فى خيامهم يبكون لنزول المن عليهم، وبينما هم فى حاجة إلى اللحم والسمك والقثاء والبطيخ، حتى يضغطوا على الرب بهذا البكاء، ويبدو أن بكائهم داخل خيامهم لم يكفهم، فراح كل منهم يقف أمام باب خيمته، ويبكى ويصيح، وشكوا الرب؛ لأنه أنزل عليهم المن، ولم ينزل بهم إلى أرض مصر حتى تحققت لهم رغائبهم فى المطعم والمشرب.

اختلى الرب بموسى وسمع موسى بكاء جميع أفراد الشعب، ولا أرى احتدام غضب الرب الشديد على هذا الشعب صلب الرقبة المتعند فاحتوى موسى الأشياء من غضب الرب،وغضب الشعب، لكنه لم يكن قادرا على الشعب، فتوجه بحديثه للرب قائلا: لماذا أساءت إلى عبدك وحملته مسئولية هذا الشعب، رغم أن موسى لم يحبل به أو يلده، ومع هذا يقول الرب: أحمله فى حضنك كما يحمل المربى الرضيع من أين أجيء بلحم يكفى جميع هذا الشعب الذى يبكى أفراده قائلين: أعطنا لحما لنأكل، إننى عاجز عن حمل عبء هذا الشعب؛ لأنه ثقيل، فإن كنت ستعاملنى هكذا فاقتلنى حتى لا أشهد بليتى.

وتطييبا لخاطر موسى طلب منه الرب أن يجمع سبعين رجلا من رؤساء إسرائيل، وأن يأتى بهم إلى خيمة الاجتماع، حتى يأتيهم الرب هناك ويخاطب موسى، ويأخذ من الروح الذى عليه ويضعه عليهم، بحيث يتعاونون معه فى حمل مسئولية هذا الشعب الذى يبكى طالبا اللحم، وأيضا يخبرهم الرب عن طريق موسى أنه سيعطيهم لحما يأكلونه لمدة شهر كامل، حتى يعرفوه.

وقد نفذ الرب ما وعدهم به إذ هبت ريح من عنده ساقت طائر السمان من جهة البحر وأسقط منها على المخيم من كل جوانبه مسيرة يوم بارتفاع نحو متر فوق وجه الأرض، فظل كل واحد منهم يجمع من السمان ويلتقط حتى كانت أقل كمية جمعت

حوالى عشرة حوامر، نحو ألفى وأربعمائة لتر، ثم نشروها حول المخيم لتجف، ولأنهم أغضبوا الرب مع أكلهم اللحم، فقد أفشى بينهم وباء مميتا.

ومما ذلك إلا لأنهم صاروا يمضغون اللحم، ولا يأكلونه، فدعوا هذا المكان اسم قبروت هتأوه، ومعناه قبور الشهوة؛ لأنهم هناك دفنوا القوم المشتهين(١).

ويذكر أصحاب التفسير التطبيقى قد تسأل عن قدرة الله على إطعام بنى إسرائيل المرتجلين اللحم، بل أنه قد شك فى ذلك وفوق ذلك فقد اعتبر قدرة الله آخذة فى الضعف، لا يمكن خدمة الديار بما تغير بعض المفاهيم(٢).

ويتضح ذلك من سؤال الرب لموسى، وسؤال موسى للرب، حين قال موسى للرب: هذا الشعب الذى أنا قائم فى وسطه نحو ستمائة ألف رجل غير النساء والأطفال، وأنت تقول: إنك ستطعمهم ليأكلوا شهرا كاملا حتى يعرفوه، ويخرج من أفواههم، وهذا غير مقبول؛ لأنه مهما ذبح من غنم وبقر لن يكفيهم، كما لو جمع سمك البحر، بينما قال الرب لموسى انتظر لترى إن كان يتحقق كلامى أم لا(٣).

أجَل كانت الشهوة فى بنى إسرائيل جامحة، وكانت بأنواعها قائمة، فى نفس الوقت كان اشتهاء بنى إسرائيل للطعام لا تقاوم، حتى إنها تحولت إلى جشع وهنا اعتبرت خطيئة غضب الرب عليهم بها، وهنا يبدوا أمر أن يتصارعان أمامهم بأن من حقهم أن يتناولوا طعام تشتهيه أنفسهم، ورغبة الرب ألا يتملكهم الجشع وهو مصدر غضب الرب عليهم.

يذكر أصحاب التفسير التطبيقى: أن هذا الخلاف كان على الأعراض الظاهرية، وليس على قضايا حقيقية، وأنا بنى إسرائيل لما سمحوا لهذه الرغبة الشهوانية أن تُعَبر عن نفسها، فقد تحولت إلى نوع من الجشع، وهو الذى انتهى بهم إلى غضب الرب عليهم، وإفشاء الوباء المميت فيهم(٤).

---

(١) العهد القديم – سفر العدد ١١ : ١– ٣٥ .

(٢) التفسير التطبيقى ص٢٩٦ .

(٣) العهد القديم – سفر العدد ١١ – ٢١ – ٢٣ .

(٤) التفسير التطبيقى ص٢٩٧ .

❁ **وفى تقدير الباحث**: أن عرض الفكرة لا يمكن الاكتفاء به، وإنما لابد من مناقشتها، حتى تكون كلية القواعد التى قامت عليها، بخاصة أن الكثيرين من دارسى مقارنة الديان يعتبرون الأفكار الموجودة بالكتاب المقدس، إنما تعبر عن فكر قوى أدى دورا قليلا، وقد لعبت الديانة اليهودية دورا فائق الأهمية فى تاريخ الأديان العام؛ بسبب دخول قسم محسوس فى تعاليمها فى تركيب المسيحية وهى من الأديان الشائعة فى العالم المعاصر(١).

وفى نفس الوقت؛ فإن الفكر اللاهوتى الذى يقوم به اليهود يعبر عن عبادة رعوية، تقوم على وجود علاقة من نوع ما بين الإنسان والكائنات الأخرى كعبادة القمر مثلا، وارتبطت بالتقويم القمرى فى العصر الرعوى، كما أن الاحتفال بعيد السبت قد نشأ هو الآخر غالبا من تلك العبادة، ومازال حتى الآن يحتفظ بأهمية كبرى فى اليهودية، غير أنه لم يأخذ فى الديانة باعتباره يوم راحة أسبوعية، كما هو موجود الآن فى الديانة اليهودية، وإنما احتفل فيه كيوم عيد أول يوم لظهور القمر عندما يصبح هلالا(٢).

ب- مناقشة الفكرة

عرضت لفكرة غضب الرب على شعب إسرائيل؛ لأنهم تذمروا من أوامره ونواهيه، وصرخوا فى أذنيه طالبين ما ليس فى صالحهم على النحو، وبينت أن القوم قد قاسموا ربهم الغضب ،فهم قد غضبوا منه؛ لأنه أراد تنظيم حياتهم فى الحل والترحال، وغضب عليهم؛ لأنهم لم يرتضوا ذلك التنظيم وجاهروا بالمخالفة.

ومن ثم أناقش تلك الفكرة فيما يلى :

أولا: هدمانهم بعض النصوص وإهمالهم البعض

يقرر العقل أن نصوص القوم متضاربة؛ لأنهم فى أول أمرهم يعلنون قبوله للتنظيم الذى سمح به الرب فى حلهم وترحالهم. يقول الرب لموسى : أخبر بنى إسرائيل، وقل

(١) سرغى أرتوكاريف – الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص٣٦٧ – ترجمة د.أحمد محمد فاضل– ط١ مطبعة الأهالى للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق ١٩٩٨م.

(٢) راجع فى هذا الشان : مقدمة فى تاريخ إسرائيل لويلهاوزن ص٢٧٦ وما بعدها – طبعة سان بطرس برج ١٩٩٠م نقلا عن المصدر السابق وكذلك ص٩٦/٩٧ أيضا .

لهم في وسع كل إنسان منكم ومن أعقابكم تنجس بلمسة ميتا ، أو كان في سفر فنأكله الفصح قطير وأعشاب مرة تأكلونه ، ولا تتركوا شيئا منه إلى الصباح ، ولكن من كان طاهرا أو أغفل الاحتفال بالفصح فإنه يستأصل من شعبه ؛ لأنه لم يقدم قربان الرب في أوانه[1].

ثانيا: تضارب نصوصه[2]

تؤكد المصادر المعنية بالتراث اليهودي ، أن الرب كلما غضب على بني إسرائيل عدل عن غضبه عليهم ، وأن باقي الأمم كانت تخضع لفريضة الرب ، حتى إن غير الإسرائيليين كانوا يخضعون تماما لوصايا الرب ومواعيدها ، أما شعب إسرائيل فكان له شأن آخر ، لقد أفرز الله إسرائيل لغرض خاص ، وهو أن يكونوا مثالا فكيف يمكن :لأمة واحدة أن تعبد الله فكان هدف الله أن يطيعه كل الناس ويعبدوه ، ومع أن الله أعطى هذه الشرائع لبني إسرائيل فقط ، إلا أن باقي الأمم يستمعون لها ويطبقونها ، باعتبار المثل الأعلى في بني إسرائيل والأدنى في غيرهم[3].

فإذا كان العهد القديم ومؤلفوه يؤكدون أن بني إسرائيل هم وحدهم الشعب المفرز من قبل الله ليكونوا مثلا للطاعة والالتزام ، حتى تقوم بمحاذاتهم فيها الأمم الأخرى ، فما بال العهد القديم يعلن على الملأ – أكثر من مرة أن شعب إسرائيل تذمر من الرب وغضب وتمرد عليه ، فأي نصوص هي التي يمكن الوقوف بها عند شاطئ الأمان[4].

---

(١) العهد القديم – سفر العدد ١٠ – ١٤ .

(٢) النصوص اليهودية (المصادر) تجيء في ثلاثة :

١- العهد القديم : وهم مجموعة من الأسفار التي يزعمون نسبتها إلى موسى عليه السلام، وكذلك الأسفار الأخرى للعهد القديم ككل، وعددها إجمالا تسع وثلاثون سفرا.

٢- التلمود : وهو يمثل التعاليم الشفوية الكتابية.

٣- البروتوكولات : وهي تمثل الجانب السياسي في الفكر اليهودي لدى كثير من الدارسين . (راجع في هذا الشأن: الشيخ عطية إبراهيم الشوادفي – دراسات في التوراة ص٦٥/٦٧)

(٣) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص٢٩١ ، وراجع إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي ج١ ص٢٣٩.

(٤) الدارس يجد نفسه مضطر لإعلان أن هذه النصوص غير صحيحة ، وأن بعضها يضرب الآخر فضلا عن تكذيبه لها.

والملاحظ أن ذلك التخلص من النصوص الذى يسارع إليها القوم سمة بارزة فيهم، بل الأكثر من ذلك الدارس قد يجدهم يستقبحون الشيء الواحد ثم يستحسنونه فى ذات الوقت، ويجيء كل من الأمرين فى ذات نصوصهم، والمؤسف له أن دعاة الفكر يحاولون الضغط على مشاعر الناس، حتى يصدقوا المتناقضات، ويؤمنوا بإمكانية مجيئها فى الشيء الواحد، ويكون مقبولا، مع أن القاعدة قاضية بأن الجمع بين المتناقضات محال عقلا، ولا يقول به إلا من فقد بدهيات العقل.

ثالثا: الخطأ الفنى

مؤلفو العهد القديم يبدو أنه لم يكن لديهم الإحساس الفنى؛ لأن مما يتعرضون له من قصص يسقط دائما فى الحبكة الفنية، وعدم تطور الحدث فأشخاصهم ثابتة من الطفولة حتى المشيب، وهذا ما يدل على خطأهم الفنى من أبسط دارسى فن الرواية، كما أن رواياتهم تنقصها الشخصية الأساسية التى تتحمل عبء العمل الفنى كما هو معروف من ضرورة وجود شخصية أساسية فى العمل الفنى تكون هى المتحملة لعبئه، ويطلق عليه البطل، وهو مفقود فى تلك الروايات التى حمل أغلبها العهد القديم.

فى نفس الوقت؛ فإن الذين يعنون بالروايات الأدبية، ويجعلون لها أبطالا أساسيين يتعددون، ويعرف باسم البطولة المشتركة، فإنهم يشترطون ضرورة تساوى هؤلاء الأبطال فيما يقومون به، وذلك مفقود فى تلك القصص التى حكاها مؤلفو العهد القديم.

أضف إلى ما سبق أن كل عمل فنى تكون الرمزية هى أحد معالمه، فما بالنا إذا كانت تلك الرواية تفتقد الحث الفنى كله.

رابعا: تضارب عنصرى التراجيديا والكوميديا

القصة التى حكت غضب القوم؛ فيها تراجيديا، وهو ما يعرف بالعمل المأساوى أو الحزين(١)، وأيضا فيها مظهر كوميدى(٢) يبرزه قولهم: إن أخلاط الأمم الذين ارتحلوا

---

(١) أ.ب تسلر – المسرح فى خمسين عاما ص٥٩ – ترجمة نصر صحيح – القاهرة ١٩٢١م.

(٢) الكوميديا هى التى تستمد موضوعاتها من واقع الحياة المعاصرة بهدف نقد ما فى ذلك الواقع يراها كاتب الكوميديا مساوئ فعليه. (راجع دكتور رفعت زكى محمود عفيفى – بحوث فى الأدب المقارن ص٢٢٨ ط١٤١٨/١هـ/١٩٩٧م – دار الطباعة المحمدية – القاهرة.

مع بنى إسرائيل عـاودهم الحنـين لطعـام مصـر فطلبـوه، لـما لم يسـعفهم أمـره راح بنـو إسرائيل يبكون ليحقق موسى لأخلاط الأمم مطلبهم،فلو أن أخلاط الأمم هم الذيـن بكـوا لكان أمرا فيه طبيعة ما يحتاجون إليه.

أما المضحك هو أن الذى يبكون هـم بنـو إسـرائيل، الذيـن لا يخصـهم أمـر هـذا الطعام من قريب ولا بعيد، فدل الأمر على أن المسألة لا تقوم فى نفوسهم علـى نصـوص شرعية، وإنما تقوم على أوهـام مريضـة، وخيـالات أولى بأصحابـها أن يعـاملوا معاملـة فاقدى الأهلية.

إذن؛ من المعروف أن بنى إسرائيل لما اقتربت رحلتهم إلى أرض كنعان، أظهرت عليهم دلائل السخط، وجبنوا عن لقاء الكنعانيين، وقالوا لموسى ما حكاه القرآن الكريم.

ﷻ قال تعالى: ﴿قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون * قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين * قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾[1].

يقول الإمام النسفى: « الجبار هو من أجبر غيره على شيء، هـو العـاتى الـذى يجبر الناس على ما يريد، وإنا لن ندخلها بالقتال حتى يخرجوا منها بغير قتال، فـإن يخرجوا منها بلا قتال، فإنا داخلون بلادهم حينئذ.

﴿ قال رجلان ﴾ همـا كـالب بـن يفنـه ويوشـع. ﴿ مـن الذيـن يخـافون ﴾ الله ويخشونه: كأنه قيل رجلان من المتقين ﴿ أنعم الله عليـهما ﴾ بـالخوف لله ﴿ ادخلـوا عليهم الباب ﴾ أى باب المدينـة، فـإذا دخلتمـوه فـإنكم غـالبون أى انـهزموا، وكـانت الغلبة لكم وعلما ذلك من أخبار موسى عليه السلام ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتـم مؤمنـين ﴾، إذ أن الإيمان به نقيض التوكل عليه، وهو قطع العلائق، وترك التمكن للخلائـق (قـالوا يا موسى إنا لن ندخلها) نفى لدخولهم فى المستقبل علـى وجـه التوكيـد (أبـدا) تعليـق

(١) سورة المائدة – الآيات ٢٢/٢٤.

للتقى المؤكد بالدهر. (ماداموا فيها) وهو أخوك الأكبر هارون، (فقاتلا إن هاهنا قاعدون) ماكثون لا نقاتلهم لنصرة دينكم »[1].

ويقول العلامة الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : « ﴿ قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾ أي اعتذروا بأن في هذه البلدة التي أمرتنا بدخولها وقتال أهلها قوما جبارين ذوي خلق هائلة وقوى شديدة، وإنا لا نقدر على مقاومتهم ولا مصاولتهم، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها، فإن يخرجوا منها دخلناها، وإلا فلا طاقة لنا بهم.

وقوله تعالى: ﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما﴾ أي فلما نكل بنوا إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى حرضهم رجلان، لله عليهما معمة عظيمة وهما ممن يخاف أمر الله ويخشى عقابه وقرأ بعضهم: ﴿قال رجلان[2] من الذين يخافون﴾ أي ممن لهم مهابة وموضع من الناس،

فقالا : ﴿ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون * وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ أي إن توكلتم على الله واتبعتم أمره ووافقتم رسوله، نصركم الله على أعدائكم، وأيدكم وظفركم بهم، ودخلتم البلد التي كتبها الله لكم؛ فلم ينفع ذلك فيهم شيئا ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾، وهذا نكول منهم عن الجهاد ومخالفة لرسولهم، وتخلف عن مقاتلة الأعداء.

ويقال: إنهم لما نكلوا على الجهاد، وعزموا على الإنصراف والرجوع إلى مصر، سجد موسى وهارون عليهما السلام قدام ملأ من بني إسرائيل إعظاما لما هموا به، وشق

(١) الإمام أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي – تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج١ ص٣١١/٣١٢ – مطبعة السعادة – القاهرة ١٣٢٦هـ

(٢) يقال: إن الرجلين هما: « (يوشع بن نون) و (كالب بن يوفنا(ضبط في سفر العدد: يفنه: بفتح الياء وضم الفاء، وتشديد النون.))، وقال السهيلي: إنهما يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف عليه السلام، والآخر: كوطت بن يوفنا. قال: وأحسبه من سبط يهوذا بن يعقوب. وقال: ويوشع هو الذي حارب الجبارين. واختلف: أكان موسى معه في تلك الغزاة أم لا؟ وفيها حبست عليه الشمس حتى دخل المدينة، وفيها أحرق الذي وجد الغلول عنده في مكان يقال له غور عاجر، عرف باسم الرجل الغال. كما ذكره الطبري) » [راجع تفسير ابن كثير – ج٢ ص٣٨]

يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ثيابهما، ولاما قومهما على ذلك، فيقال: إنهم رجموهما، وجرى أمر عظيم وخطر جليل[1].

وما أحسن ما أجاب به الصحابة ﷺيوم بدر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين استشارهم في قتال النفير فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأحسن، ثم تكلم من تكلم من الصحابة من المهاجرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « أشيروا علي أيها المسلمون »[2] وما يقول ذلك إلا ليستعلم ما عند الأنصار لأنهم كانوا جمهور الناس يومئذ، فقال سعد بن معاذ: كأنك تعرض بنا يا رسول الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق[3] في اللقاء لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك.

وممن أجاب يومئذ (المقداد بن عمرو الكندي) رضي الله عنه، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: « لقد شهدت من المقداد مشهدا، لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال: والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنوا إسرائيل لموسى ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك، فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرق لذلك وسره ذلك، وهكذا رواه البخاري في المغازي، ولفظه في كتاب التفسير عن عبد الله قال، قال المقداد يوم بدر، يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ ولكن امض ونحن معك. فكأنه سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم »[4].

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج ٢ ص٣٨ – ط٩ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ.

(٢) العلامة أبو يعلى – مسند أبي يعلى ج: ٨ ص: ٣٣٥ – الحديث: ٤٩٣١ .

(٣) صبر وصدق بضمتين فيهما جمع صبور وصدوق .

(٤) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج ٢ ص٣٨ – ط٩ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ.

ﷺ فدعى نبى الله موسى عليهم كما ذكر القرآن الكريم . قال تعالى: ﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾(١).

يقول صاحب البحر المحيط: « لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه، وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر، ولم يبق معه مطيع موفق يثق به إلا هارون، قال ربى إنى لا أملك لنصرة دينك إلا نفسى وأخى، وهذا من البث والحزن والشكوى إلى الله، والحسرة ورقة القلب التى بمثلها يستجلب الرحمة بنزول النصرة فأفرق (فافصل بيننا) وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق، وتحكم عليهم بما يستحقونه »(٢).

ويقول ابن كثير: « قوله تعالى: ﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ يعني لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام، وقال داعيا عليهم: ﴿رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ أي ليس أحد يطيعني منهم فيمتثل أمر الله ويجيب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هرون ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ قال ابن عباس: يعني اقض بيني وبينهم، وكذا قال الضحاك: اقض بيننا وبينهم، وافتح بيننا وبينهم، وقال غيره: افرق افصل بيننا وبينهم»(٣).

ﷺ فاستجاب الحق ﷻ لدعاء نبيه موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾(٤).

يقول الحافظ ابن كثير : « لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد حكم الله بتحريم دخولها عليهم قدر مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه يسيرون دائما لا يهتدون للخروج منه. وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة: من تظليلهم بالغمام، وإنزال المن والسلوى عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم على دابة، فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينا:

---

(١) سورة المائدة ص٢٥ .

(٢) العلامة أبو حيان – تفسير البحر المحيط – جـ١ ص٨٢ .

(٣) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج ٢ ص٣٩ – ط٩ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ.

(٤) سورة المائدة – الآية ٢٦ .

تجري لكل شعب عين، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى بن عمران. وهناك نزلت التوراة، وشرعت لهم الأحكام(١).

وقوله: ﴿فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ أى فتاهوا أربعين سنة، فهلك موسى وهارون في التيه وكل من جاوز الأربعين سنة، فلما مضت الأربعون سنة ناهضهم يوشع بن نون(٢) »(٣).

وقد اختار ابن جرير أن قوله: ﴿فإنها محرمة عليهم﴾ « أنهم مكثوا لا يدخلونها أربعين سنة، وهم تائهون في البرية لا يهتدون لمقصد، قال: خرجوا مع موسى عليه السلام ففتح بهم بيت المقدس، ثم احتج على ذلك بإجماع علماء أخبار

(١) عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾. قال: فتاهوا في الأرض أربعين سنة يصبحون كل يوم يسيرون ليس لهم قرار، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه، وأنزل عليهم المن والسلوى، وأقام الله فيهم (يوشع بن نون) عليه السلام نبيا خليفة عن موسى بن عمران، ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة، ويقال: إنه لم يبق منهم أحد سوى يوشع وكالب، فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع بن نون عليه السلام، أو بمن بقي منهم وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني، فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها، فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر. فلما تضيفت الشمس للغروب وخشي دخول السبت عليهم قال: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علي؛ فحبسها الله تعالى حتى فتحها وأمر الله (يوشع بن نون) أن يأمر بني إسرائيل حين يدخلون بيت المقدس أن يدخلوا بابها سجدا، وهم يقولون حطة: أي حط عنا ذنوبنا، فبدلوا ما أمروا به، ودخلوا يزحفون على أستاههم، هم يقولون: حبة في شعرة » [راجع العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج ٢ ص٤٠ – ط٩ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ]

(٢) يقال إنه الذى ورد فى حديث أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما يبن ولا آخر قد بنى بنيانا ولما يرفع سقفها ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو منتظر ولادها قال فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي شيئا فحبست عليه حتى فتح الله عليه قال فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار لتأكله فأبت أن تطعمه فقال فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك فبايعته قال فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة فقال فيكم الغلول أنتم غللتم قال فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب قال فوضعوه في المال وهو بالصعيد فأقبلت النار فأكلته فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا » [راجع الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٣ ص: ١١٣٦ – الحدي: ٢٩٥٦ ، وأخرجه الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٣٦٦ – باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة – الحديث: ١٧٤٧]

(٣) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج ٢ ص٤١ – ط٩ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ.

الأولين أن (عوج ابن عنق) قتله موسى عليه السلام قال: فلو كان قتله إياه قبل التيه لما رهبت بنو إسرائيل من العماليق، فدل على أنه كان بعد التيه قال: وأجمعوا على أن (بلعام بن باعورا) أعان الجبارين بالدعاء على موسى، قال: وما ذلك إلا بعد التيه، لأنهم كانوا قبل التيه لا يخافون من موسى وقومه »[1].

وقوله تعالى: ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ « تسلية لموسى عليه السلام عنهم، أيَ لا تأسف ولا تحزن عليهم فيما حكمت عليهم به فإنهم مستحقون ذلك، وهذه القصة تضمنت تقريع اليهود بينا فضائحم ومخالفتهم لله ولرسوله، ونكولهم عن طاعتهما فيما أمرهم به من الجهاد فضعفت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم ومقاتلتهم؛ مع أن بين أظهرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكليمه وصفيه من خلقه في ذلك الزمان، وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم، هذا مع ما شهدوا من فعل الله بعدوهم فرعون من العذاب والنكال والغرق له ولجنوده في اليم، وهم ينظرون لتقر به أعينهم وما بالعهد من قدم، ثم ينكلون عن مقاتلة أهل بلد هي بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المعشار في عدة أهلها وعددهم فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام، وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل، ولا يسترها الذيل، هذا وهم في جهلهم يعمهون، وفي غيهم يترددون، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه، ويقولون مع ذلك نحن أبناء الله وأحباؤه، فقبح الله وجوههم التي مسخ منها الخنازير والقرود، وألزمهم لعنة تصحبهم إلى النار ذات الوقود، ويقضى لهم فيه بتأبيد الخلود، وقد فعل، وله الحمد من جميع الوجود »[٢].

يقول الشيخ أبو بكر الجزائرى: « فإنها محرمة عليهم أى الأرض المقدسة، أربعين سنة لا يدخلونها، وفعلا ما دخلوها إلا بعد مضى المدة المذكورة أربعين سنة، وكيف كانوا فيها؟ يتيهون[٣] فى أرض سيناء متحيرين فى سيرهم، لا يدرون أين

(١) العلامة الطبرى – تفسير الطبرى – ج٦ ص١٨١ .

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج ٢ ص٤٢ – ط٩ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ.

(٣) قال العلامة القرطبى : « ذكر المفسرون أن التيه جرى بين مصر والشام، لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين وقتالهم، أربعين سنة يتيهون فى خمسة فراسخ أو ستة »(تفسير القرطبى [ج١/ص٤٤٦]) .

يذهبون، ولا من أين يأتون، وعليه فلا تحزن يا رسولنا ولا تأسف على القوم الفاسقين، إذ هذا جزاؤهم من العذاب عجل لهم فليذوقوه »[1].

فعاقبهم الله أربعين سنة يتيهون في الأرض[2]، وقضى على الفئة الباغية، فمن خرج من مصر وعادة الأمور لتتأصل تعاليم الدين مرة أخرى في نفوس النشأة المولودة في أرض التيه، فإذا قيل: إن بني إسرائيل قد أغضبوا الرب بأفعالهم، فهذا أمر مؤكد لا جدال فيه، وإذا قيل: إن الله تعالى عاقبهم بما فعلوا، فذلك أيضا أمر مؤكد لا يحاول عاقل أن يجادل فيه.

ﷻ قال تعالى: ﴿ وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبآؤوا[3] بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون" ﴾[4].

يقول صاحب تفسير القرآن الحكيم: « ﴿ وضربت عليهم الذلة والمسكنة ﴾ أي الذل والهوان، وقيل الجزية، والمسكنة أي الفقر، وفعل بهم ذلك مجازاة لهم على كفران النعمة؛ ولذلك نجد اليهود في غالب الأمر أولا مساكين، إما على الحقيقة أو

---

(١) الشيخ أبو بكر الجزائري – أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير ط٢ ج١ ص٥٢٠ – الأطراف الفني للدعاية والإعلان – السعودية ١٤٩٧هـ/١٩٨٧م.

(٢) يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه (هموم داعية) واصفا لتلك المرحلة التي كان فيها إغداق الطعام، وكان فيها الأمر بدخول الأرض المقدسة، وكان فيها التيه في حياة بني إسرائيل مع نبي الله موسى عليه السلام يقول: « وعمت الأقدار على بني إسرائيل أرض سيناء؛ فظلوا يتيهون فيها أربعين سنة، هلكت خلالها الأجيال الجبانة، ونبت جيل أنظف، ولكن بعدما مات نبي الله موسى عليه السلام وقاد القوم يوشع الذي دخل فلسطين بعد قتال شديد، مع جبابرتها الأولين، حتى قيل في كتب السيرة إن الله أخر غروب الشمس ليوشع، حتى يتم له النصر، إجابة لطلبه، وأنشد قول شوقي في ذلك ... ثم قال ودخل اليهود فلسطين، وأقاموا لهم دولة مكثت قرابة قرنين، فماذا فعلوا ؟ أصبحوا أشرا من سلفهم الذاهب، وملأوا الأرجاء خبثا وسفكا بالطرد والذل، وتوارث الأقوياء نبذهم وتشريدهم، حتى جاء الإسلام، وجاء الرجل الذي قوض صرح الدولتين العظمتين في العالم – يقصد عمر بن الخطاب رضي الله عنه »(هموم داعية – الشيخ محمد الغزالي ص٤٠ – دار الاعتصام).

(٣) « بوأ: باء إلى الشيء يبوء بوءا: رجع. وبؤت إليه وأبأته، والباءة، مثل الباعة، والباء: النكاح. وسمي النكاح باءة وباء من المباءة؛ لأن الرجل يتبوأ من أهله، أي يستمكن من أهله، كما يتبوأ من داره. قال الأخفش: وباؤوا بغضب من الله: رجعوا به أي صار عليهم. وقيل في قوله تعالى فباؤوا بغضب على غضب، قال: باؤوا في اللغة: احتملوا، يقال: قد بؤت بهذا الذنب أي احتملته. وقيل: باؤوا بغضب أي بإثم استحقوا به النار على إثم استحقوا به النار أيضا. وقيل: باء بإثمه، فهو يبوء به بوءا: إذا أقر به. وباءه: قتله به. وتباوأ القتيلان: تعادلا »(راجع لسان العرب لابن منظور متن الكتاب ص٣٦/٣٨).

(٤) سورة البقرة الآية ٦١.

على التكليف، مخافة أن تضاعف جزيتهم وقيل الذلة أى فقر القلب فلا قوم فى أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود »[١] .

وقال الإمام القرطبي : « قوله تعالى: "وضربت عليهم الذلة والمسكنة" أي ألزموهما وقضي عليهم بهما، مأخوذ من ضرب القباب، وضرب الحاكم على اليد، أي حمل وألزم. والذلة: الذل والصغار. والمسكنة: الفقر. فلا يوجد يهودي وإن كان غنيا خاليا من زي الفقر وخضوعه ومهانته. وهذه العقوبات لأنهم كذبوا بآيات الله وبكتابه ومعجزاته، وكانوا يقتلون النبيين ظلما، وعبر الحق سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله ﴿ ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ وذلك تعظيما للشنعة والذنب الذى أتوه، ولم يقتصر أمرهم على ذلك، بل عصوا الحق سبحانه وتعالى، وتجاوزوا فى الحديث فى كل شيء، خاصة فيما يتعلق بالظلم والمعاصى »[٢].

خامسا: النقل المنزل

النصوص الشرعية عندنا نحن المسلمين تشهد بأن تلك الرواية كأمثالها، مما قص فى العهد القديم لا تجد دليلا يصدقها من الواقع؛ لأنهم يقولون بأن نار الإله اندلعت فيهم فأحرقت طرف المخيم، فلو كان الغضب الإلهى نارا؛ لكان الغضب هو العقاب، بل كان كل منهما العقاب والغضب صفة لله، وهذا لم يقل به أحد من العلماء، ولم يعرف عند قوما يعقلون، إنما جرى مثله فى أفهام المصريين القدماء، وقبسه اليهود عنهم، ثم طوروا فيه، وأضافوا إليه، ولما كان الثابت عندنا أن أسماء الله وصفاته توقيفية[٣]، فدل الأمر على أن ما ذكروه كذب وافتراء.

سادسا: الواقع العملى

يشهد الواقع العملى بكذب الرواية، وعدم دقة مؤلفيها؛ لأنه لو كان الله قد أرسل نارا كما حكوا كنوع من العقاب لهم لجاءت النار بأعلى سقف الخيمة، لا من

(١) تفسير القرآن الحكيم – الشيخ / محمد عبدالمنعم خفاجى – ١٧٣/١ مكتبة النجاح .

(٢) العلامة الإمام أبو عبدالله بن أحمد بن أبى بكر القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – جـ١ ص٤٣٠ (طبعة دار الشعب القاهرة الثانية ١٣٧٢هـ– تحقيق أحمد عبدالعظيم البردونى)، وجـ١ ص١٣٠ طبعة ١٩٧٤م. (بتصرف)

(٣) التوقيف مدده وإساسة هو إخبار الوحى برسول الله ﷺ . (راجع الدكتور محمد محفوظ زين العابدين محمد سويلم رحمه الله – تأملات فى علوم الكتاب العزيز ج٢ ص١٩ عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م – مطابع الطاووس الذهبى – نقلا عن البرهان للزركشى ج١ ص٢٥٦ .

أطرافها الأرضية، باعتبار أن ما يسوقه الله على أهل الأرض يأتي من جهة العلو، حتى لا يتمكنوا من دفعه عن أنفسهم. أما إذا أراد أخذهم، فإنه يأتيهم العذاب بالخسف، كما يأتيهم بالغرق.

ﷻ قال تعالى: ﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[1].

يقول الإمام ابن جرير الطبرى – رحمه الله – : « يقول تعالى ذكره فأخذنا جميع هذه الأمم التي ذكرناها لك يا محمد بعذابنا فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا[2] وهم قوم لوط الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود، ومنهم من أخذته الصيحة وهم قوم ثمود وقوم مدين كما ذكر ابن عباس، ومنهم من خسفنا به الأرض وهو قارون ومنهم من أغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه[3]، ومن تابع معه من بني إسرائيل، وقوله ﴿ وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ولم يكن الله ليهلك هؤلاء الأمم الذين أهلكهم بذنوب غيرهم فيظلمهم بذنوبهم وكفرهم بربهم وجحودهم نعمه عليهم مع تتابع إحسانه عليهم وكثرة أياديه عندهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بتصرفهم في نعم ربهم وتقلبهم في آلائه وعبادتهم غيره ومعصيتهم من أنعم عليهم »[4].

---

(١) سورة العنكبوت – الآية ٤٠ .

(٢) تسمي العرب الريح العاصف التي فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البرد والجليد حاصبا (راجع تفسير الطبرى جـ٢٠/ص١٥٠ – طبعة دار الفكر ١٤٠٥هـ بدون تحقيق) .

(٣) اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم عني بذلك قوم نوح عليه السلام، فذكر من قال ذلك عن ابن عباس ومنهم من أغرقنا قوم نوح، وقال آخرون بل هم قوم فرعون. وقال قتادة ومنهم من أغرقنا قوم فرعون. والصواب من القول في ذلك أن يقال عني به قوم نوح وفرعون وقومه لأن الله لم يخصص بذلك إحدى الأمتين دون الأخرى وقد كان أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما فهما معنيتان به. (راجع تفسير الطبري ج١ ص١٥٢ – طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ)

(٤) الإمام أبو جعفر محمد ابن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى (م٢٣٤هـ. ت: ٣١٠هـ) – جامع البيان في تفسير القرآن ج٢٠ ص١٥٠/١٥٢ بتصرف – طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ. (بدون تحقيق).

ولما كان ما ذكره مؤلفو العهد القديم قائما على أن النار شبت واندلعت من أطراف الخيمة الأرضية، فالعقل لا يبتعد أن يكون ذلك الحريق بفعل فاعل، كما هو الحال في الحرائق التى تنشب مع الهيئات الحكومية قبيل جرد العهد، أو تكون بفعل الخطأ كما يحدث فى الاجتماعات الكبيرة كالموالد وغيرها، مما يستخدم أصحابها النار من غير احتياط أو حذر، وبالتالى تكون القصة كلها محتاجة إلى إعادة نظر.

﴿ **والذى يذهب الباحث إليه**: أن غضب الله أمر معلوم، وأن عقابه حقيقة مؤكدة، وأن ثوابه من الأمور العظيمة فى الشرع، أما ما يصوره مؤلفو العهد القديم فلا سند له من الواقع العملى والنقل المنزل أو غيره كما عليه أهل العلم.

أضف إلى ما سبق أن عقاب الله قد يكون فى الدنيا، وقد يكون فى الآخرة، أما غضبه تعالى فإن كان فى الدنيا؛ فإنه يتمثل فى حجب بعض النعم، أما فى الآخرة؛ فإنه يكون فى الطرد من رحمته.

فى نفس الوقت، فإن غضب الله من جهة العلو هو الغالب، وإذا جاء من ناحيته الأسفل فإنما يكون من باب تقابل وسائل العقاب، كالحال مع قوم نوح الذين كفروا به.

﴿ قال تعالى ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾[1].

يقول صاحبا الجلالين : « ففتحنا بالتخفيف والتشديد أبواب السماء بماء منهمر منصب انصبابا شديدا. وفجرنا الأرض عيونا تنبع فالتقى الماء ماء السماء والأرض على أمر حال قد قدر قضي به في الأزل وهو هلاكهم غرقا »[2].

وهكذا فإن كل ما جاء فى تلك الرواية يفتقد أهم الأبسس، فلا نصوص صحيحة تنقله، ولا بداهيات عقلية تدعمه، كما لا يوجد سند صحيح من الواقع يشهد له.

وقس على ذلك باقى الأمور، وهو الذى يدفع الباحث القول بأن تلك الرواية لا تعتمد على سند مقبول، وأن تلك الرواية لا تصور واقعا حقيقيا بقدر ما ترسم صورة

(١) سورة القمر – الآيتان ١٢/١١ .

(٢) تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٧٠٥ – ط١ – دار الحديث – القاهرة (بدون) .

خيالية عبر عنها فكر كهنوتي، يعطي لنفسه الحق في الإنابة عن الله، وهو الذى يتمسك به اليهود ومن شاركهم تلك الأحلام.

وربما كان التلمود معبرا بصورة أوسع عن الرأى الذى انتهى الباحث إليه، باعتبار أنه – التلمود – خرج من أوساط اليهودية الباعة مالكى العبيد، ومن أجل مصالحهم، فانعكست فيه التناقضات الطبقية العميقة، والتفاوت الحاد.

وقد انطبقت تلك التناقضات على كافة التراث اليهودى، بغض النظر عن اسم الكتاب الذى يحمله أو مؤلف ينسب إليه[1]، فيأت أن القوم يتمسكون ببعض النصوص التى فيها القرابين مثلا، ويرتضون بعض النصوص التى فيها أنظمة الحل والترحال، فهم يؤمنون ببعض النصوص، ويكفرون ببعض أمرا أو يخضعون لبعض النصوص، ويتذمرون من بعض آخر.

والعقل السليم يحكم بأن القوم إما أن يتمسكوا بها جميعا، أو يرفضوها جميعا، فدل ذلك العمل الازدواجي فى القبول والرفض، على أن القوم تلعب بهم عقولهم، وتتحرك معهم أمانيهم الكذوب.

ﷻ وقد بين الله طبيعة لهؤلاء قبولهم لبعض النصوص، ورفضهم البعض الآخر. قال تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون﴾[2].

يقول الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : « يذكر تبارك وتعالى بني إسرائيل بما أمرهم به من الأوامر والنواهى، وأخذه ميثاقهم على ذلك، وأنهم تولوا عن ذلك كله وأعرضوا قصدا وعمدا، وهم يعرفونه ويذكرونه، فأمرهم تعالى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وبهذا أمر جميع خلقه.

ولذلك خلقهم كما قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾، وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها، وهو حق الله تبارك وتعالى أن

(١) سيرغى أ. توكاريف – الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص٣٩١.

(٢) سورة البقرة – الآية ٨٣ .

يعبد وحده لا شريك له ثم بعده حق المخلوقين وآكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين، ولهذا يقرن تبارك وتعالى بين حقه وحق الوالدين كما قال تعالى: ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ وقال تبارك وتعالى: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ إلى أن قال: ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾ »[1]

وعن ابن مسعود قلت: « يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: "الصلاة على وقتها" قلت: ثم أي؟ قال "بر الوالدين" قلت: ثم أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله »[2]. ولهذا جاء في الحديث الصحيح : « أن رجلا قال: يا رسول الله من أبر؟ قال: "أمك" قال: ثم من؟ قال: "أمك"، قال ثم من؟ قال: "أباك؟ ثم أدناك ثم أدناك" »[3].

وقوله تعالى: ﴿لا تعبدون إلا الله﴾ قال الزمخشري: خبر بمعنى الطلب وهو آكد. وقيل: كان أصله ﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾ فحذفت (أن) فارتفع ﴿واليتامى﴾ وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء، و﴿المساكين﴾ الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم وأهليهم. وقوله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ أي كلموهم طيبا ولينوا لهم جانبا، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بالمعروف، كما قال الحسن البصري أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح، ويقول للناس حسنا كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضيه الله.

كما روي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [لا تحقر ن من المعروف شيئا وإن لم تجد فالق أخاك بوجه منطلق][4]. يأمرهم بأن يقولوا للناس حسنا، بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل، فجمع بين طرفي الإحسان

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – جـ١ ص١٢٠ – طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ.

(٢) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ٣ ص: ١٠٢٥ – كتاب الجهاد والسير – باب فضل الجهاد والسير الحديث: ٢٦٣٠ ، وأخرجه الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ١ ص: ٨٩ – الحديث: ٨٥ .

(٣) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ٥ ص: ٢٢٢٧ – كتاب الأدب – باب من أحق الناس بحسن الصحبة – الحديث : ٥٦٢٦، وأخرجه الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ١٩٧٤ – كتاب البر والصلة والآداب – باب بر الوالدين وأنهما أحق به– الحديث : ٢٥٤٨

(٤) الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤– ٢٤١هـ) – سند أحمد ج: ٥ ص: ١٧٣ – الحديث رقم: ٢١٥٥٩ – طبعة مؤسسة قرطبة – مصر (بدون) .

(الفعلي) و (القولي) ثم أكد الأمر بعبادته والإحسان إلى الناس بالمتعين من ذلك وهو الصلاة والزكاة، فقال: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ولكنهم تولوا عن ذلك كله، أي تركوه وراء ظهورهم وأعرضوا عنه عن عمد، بعد العلم به إلا القليل منهم(١).

ﷺ وقال أيضا: ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون﴾(٢).

يقول صاحب الظلال: «ويستمر السياق يوجه الخطاب إلى بني إسرائيل، وهو يعرض عليهم متناقضات في موقفهم من ميثاقهم مع الله. ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ﴾ فماذا كان بعد الإقرار وهم شاهدون حاضرون »(٣).

ﷺ هذا ما يجب عنه القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾(٤).

يقول الشيخ أبو بكر الجزائرى: «وبخهم على عدم وفائهم بما التزموا به، حيث صار اليهودى يقتل اليهودى، ويخرجه من داره بغيا وعدوانا عليه، وفي نفس الوقت إن أتاهم يهودى أسيرا فدوه بالغالى والرخيص، فندد الله تعالى بصنيعهم هذا الذى هو إهمال واجب وقيام بأخر تبعا لأهوائهم، فكانوا كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، ومن هنا توعدهم بخزى الدنيا وعذاب الآخرة »(٥).

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – جـ١ ص١٢٠ – طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ.

(٢) سورة البقرة – الآية ٨٤.

(٣) الشيخ سيد قطب – فى ظلال القرآن ج١ ص٨٧.

(٤) سورة البقرة – الآية ٨٥.

(٥) الشيخ أبو بكر الجزائرى – أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير ج١ ص٦٦.

ويقول الإمام القرطبى : « قوله تعالى: "ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم" هذه الآية خطاب للمواجهين لا يحتمل رده إلى الأسلاف. نزلت في بني قينقاع وقريظة والنضير من اليهود، وكانت بنو قينقاع أعداء قريظة، وكانت الأوس حلفاء بني قينقاع، والخزرج حلفاء بني قريظة. والنضير والأوس والخزرج إخوان، وقريظة والنضير أيضا إخوان، ثم افترقوا فكانوا يقتتلون، ثم يرتفع الحرب فيفدون أسراهم، فعيرهم الله بذلك فقال: "وإن يأتوكم أسارى تفادوهم" »[1].

٢- غضب الرب على مريم وهارون بسبب الحسد

أ- عرض الفكرة

يذهب مفسرو العهد القديم إلى أن مريم[2] وأخاها هارون تحدثا ضد أخيهما موسى؛ بسبب أنه تزوج امرأة كوشية[3]، ولم يكن من عادات الإسرائيليين أن يتزوجوا من غير الإسرائيليين، حتى يظل نسلهم مقدسا ... من وجهة نظرهم، فإن اختيار موسى لزوجته تلك قد أعطى الفرصة لمريم وهارون أن ينتقداه[4].

ويذهب آخرون إلى أن غضب مريم وهارون من موسى لم يكن بسبب زواجه من امرأة كوشية، وإنما مرجعه إلى أمر آخر هو تمسكه باختيار السبعين رجلا حتى يجتمعوا حول الخيمة، من غير أن يرجع فى ذلك الاختيار إلى مريم وهارون، ومن ثم

(١) العلامة القرطبى – تفسير القرطبى – ج٢ ص٢٠ .

(٢) مريم اسم عبرى معناه عصيان، وهو اسم أخت موسى وهارون أبناء عمرام، ويظن أنها كانت أكبر من موسى بنحو عشر سنين، بدليل أنها راقبت سفط البردى الذى أخفى فيه موسى بين الخلفاء، وإذا رأت ابنة فرعون تكشف عن الصبى قالت هل أتى لك بمرضعة، ثم ذهبت وأحضرت أم الولد فأرضعته، ويطلق على العذراء مريم أم يسوع المسيح. (راجع قاموس الكتاب المقدس ٨٥٦) والملاحظ أن بين مريم أم عيسى ﷺ ومريم أخت سيدنا موسى ﷺ اشتراك فى اللفظ فقط.

(٣) كوشى : اسم عبرى حبشى كان يطلق على العديد من الأسماء، ولكنغلب إطلاقه على الأحباش عموما، فلما تزوج موسى امرأة من الأحباش تدعى صفورة المديانية غضب عليه أخوته. (للمزيد راجع قاموس الكتاب المقدس ص٧٩٩)

(٤) التفسير التطبيقى ص٢٩٩ .

فقد تسلل الحسد إلى قلبيهما ؛ لأنه انفرد بالسلطة دونهما. ويعلق أحد الباحثين على ذلك قائلا : صار كقوس للحسد لا يقذف سهاما بل كلمات[١].

بينما يذهب فريق ثالث إلى أن غضب مريم وهارون من أخيهما موسى لم يكن بسبب زواجه من المرأة الكوشية ، ولا بسبب اختياره للسبعين رجلا من رؤسائهم حتى يقفوا حول خيمة الاجتماع ، وإنما كانت القضية الحقيقية هى غيرتهما المتزايدة من مركز موسى القيادى ، ومن نفوذه ، وحيث إنهما لم يجد عيبا فى أسلوب قيادة موسى للشعب ، رأيا أن ينتقداه فى زواجه من المرأة الكوشية[٢] ، فبدلا من مواجهة المشكلة صراحة بمعالجة حسدهما وكبريائهما ، اختارا أن يضعا ستارا من الدخان لإعلانه بالقضية الحقيقية.

والدارس يذهب إلى أن هذه الأفكار غير مقبولة من جانبه ، فيما يتعلق بهارون عليه السلام على الأقل ، بأنه يعلم أن موسى نبى ، والنبى لا يتصرف من نفسه ، كما أنه على يقين من أن الحسد والغيرة ليس من شأن الأنبياء ، وطالما أن هارون نبى ، فإن الدعاوى التى يقيمها أصحاب العهد القديم غير مقبولة أبدا بالنسبة إليه ، وقد ذكرها خطابا عنهم لا اعتقاد لها[٣].

على كل ؛ فإن العهد القديم يرى أن موسى قد غضب عليه هارون ومريم ، وأنهما قدروا له الشرور ، وراحا يتساءلان فى إمكانية مقاسمة الاستماع إلى كلام الرب حتى قالا فى أنفسهما هل كلم الرب موسى وحده ، لم لا يكلمنا نحن أيضا[٤].

وقد سمع الرب كلامهما أن يقيموا ثلاثتهم إلى المكان المعروف بخيمة الاجتماع ، ونزل الرب إليهما فى عمود سحاب رحل عند باب الخيمة ، وطلب من مريم وهارون أن

---

(١) [illegible] من تفسير وتأملات الآباء الأولين – سفر العدد – كنيسة الشهيد مارى جرجس سبورتنج ص٧٠.

(٢) التفسير التطبيقى ص٢٩٧.

(٣) والذى أعتقده أن هارون نبى الله كما كان موسى نبى الله ، وهما معا من جملة الأنبياء الذين أمرنا الله الإيمان بهم ، وكلفنا معرفتهم ، وأن هارون كان مؤازرا لموسى عليه السلام لقول تعالى : ﴿ واجعل لي وزيرا من أهلي ۞ هارون أخي ۞ اشدد به أزري ۞ وأشركه في أمري ۞ كي نسبحك كثيرا ۞ ونذكرك كثيرا ۞ إنك كنت بنا بصيرا ﴾ [سورة طه – الآيات ٢٩/٣٥] ولا يتآمر نبى على نبى ؛ لأن المتآمر يكون صاحب نفس وضيعة أما النبى صاحب نفس عالية رفيعة.

(٤) العهد القديم – سفر العدد ١٢ – ٢ .

ينفردا وحدهما، ثم وجه إليهما كلاما قاسيافيه معنى التأنيب[1]؛ لوقوعهما في حماقة قائلا: إن كان بينكما نبي لرب، فإني استصوب له بالرؤيا والكلمة بالحلم، اما عبدى موسى فليس المعاملة كذلك، بل هو أمين في بيتي وأنا أكلمه وجها لوجهه بوضوح من غير ألغاز، كما أنه يعاين صورة الرب، ولماذا لا يعاينها وهو أمين. فلماذا تجرأتما على انتقاد عبدى موسى، لقد غضب عليكما غضبا شديدا، بسبب أنكما انتقدتما عبدى موسى[2].

في نفس الوقت؛ فإن العهد القديم يصرح بأن الرب قد أحتدم غضبه عليهما، ثم مضى عنهما الرب وبقى غضبه، وبالتالى ارتفعت السحابة التي نزل فيها الرب عند خيمة الاجتماع حتى تسنح الفرصة لنزول الغضب على أولئك العصاة.

أجل ارتفعت سحابة الرب عن خيمة الاجتماع، فإذا مريم برصاء[3] كالثلج لوقوعها في الخطيئة، ولم يكن هارون بعيدا عنها، وإنما التفت إليها ينظرها، فإذا هي فعلا مصابة بالبرص، وذلك جزاء انتقادها لموسى أخيها وحسدها عليه.

وبالتالى فلما تمكن الحسد من قلب مريم، حاولت الدخول بوضوح لتفصل العلاقة الخاصة بين الرب وموسى، ولذا ضربت بالبرص وهو المرض المميت عقابا لها على عدم خضوعها لتعاليم الرب، فما كان من موسى إلا أن تشفع لها من أجل أنها أخته فشفى الله مريم من برصها[4].

---

(١) أنب : أنب الرجل تأنيبا عنفه ولامه ووبخه، وقيل: بكته. و التأنيب: أشد العذل، وهو التوبيخ والتثريب. والتأنيب: هو المبالغة في التوبيخ والتعنيف. (العلامة ابن منظور - لسان العرب ج: ١ ص٢١٦/٢١٧).

(٢) سفر العدد ١٢ - ٦- ٩ .

(٣) البرص: داء معروف، نسأل الله العافية منه ومن كل داء، وهو بياض يقع في الجسد، برص برصا، والأنثى برصاء؛ وجمع الأبرص برص. و أبرص الرجل إذا جاء بولد أبرص، ويصغر أبرص فيقال: بريص، ويجمع برصانا، و أبرصه الله. وسام أبرص، مضاف غير مركب ولا مصروف: الوزغة: وقيل: هو من كبار الوزغ، وهو معرفة إلا أنه تعريف جنس. (راجع لسان العرب ج: ٧ ص: ٥ . وراجع مختار الصحاح ج: ١ ص: ٢٠) ويقول الطب فيه : « هو مرض وراثي ناتج عن نقص الخلايا الملونة أو كمية المادة الملونة في الجسم، ويحدث على هيئة بقع منتشرة، وغالبا ما يكون هذا المرض مصحوبا بمرض السكر، وظهور السكر الأبيض مبكرا » (راجع الدكتور محمد على الداروطى - مختصر ومرجع الداروطى الأمراض الجلدية ص٥٤ /١٩٩٣م)

(٤) التفسير التطبيقى ص٢٩٩ .

◈ **أما لماذا حل عقاب الرب بمريم، ولماذا لم يقع على هارون أيضا؟**

❖ **فذلك يعلله مفسرو العهد القديم وشراحه كما يلى :ـ**

❋ **الأول** : أن مريم هى التى أسرعت بإدانة موسى، ولو أنها لم تسرع؛ لما استحقت ذلك العقاب، أما وإنها قد أسرعت فى إدانة موسى مع هارون فى التذمر عليه، فقد ضربها البرص عقابا لها على ما ارتكبته من خطيئة(١).

❋ **الثانى**: أن مريم لم تقف عند مجرد الانتقاد، وإذ هى قد شعرت بفقدانها وحيث كانت تعد أهم امرأة فى حياة موسى، فلما شعرت بأن أمنها يتهاوى؛ أسرعت بتخريج المرأة الكوشية، وابتعاد موسى، وذلك يجعل أمر إصابتها بالبرص وعقابها يسبق هارون، بل ربما كانت هى المتحملة(٢) وحدها العقوبة(٣).

❋ **الثالث**: أن مريم كانت أكبر من موسى بنحو عشر سنين، فكان الواجب عليها أن تكون حانية عليه، لا أن تكون قاسية، فلما أبدلت الحنو بالقسوة، كان المناسب أن يعاقبها الرب على قسوتها، ثم هى قد أخطأت بانتقادها لموسى، فأساءت بذلك الانتقاد للجماعة كلها، ولو أنه كان انتقادا بناءً؛ لما حدث شيء، ولكنها أخذت تنتقد وتلوم موسى فضربها البرص وعزلت عن الجماعة أسبوعا كاملا أدى ذلك إلى توقف سير المركب كله عن المسير نحو أرض الموعد(٤).

❋ **الرابع**: أن مريم تلك كان لها موقف متعجرف ليس من ناحية سلطة موسى فحسب، بل من ناحية سلطة الرب أيضا، ولذا؛ فإنه ضربها البرص، وأمر أن تطرد خارج المخيم لمدة أسبوع، وكان هذا عقابا هينا لأن مدة أسبوع كان هو الزمن الذى يجب أن تنعزل فيه إذا أساءت إلى أبيها الأرضى، فلماذا أساءت إلى أخيها وارتكبت خطيئة

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٨٥٦ .

(٢) وهكذا يستيقظ دعاة الفكر اليهودى على الرغبة الذميمة فى تحميل المرأة وحدها الخطيئة كما فعلوا مع حواء، فقد صنعوا مع مريم بدليل أنهم فى كل الحالات التى ذكروها يجعلون العقوبة جماعية، حتى ولو كان المرتكب للجريمة فردا واحدا، أما هذه المرأة فإنهم يجعلون المرأة هى المعاتبة، والرجل هو البريء من باب ان العنصر المذكر هو أرقى من العنصر المؤنث، وهو مخالف للقواعد الشرعية فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (سورة الحجرات– الآية ١٣).

(٣) التفسير التطبيقى ص٢٩٩ .

(٤) تفسير وتأملات الأباء الأولين الكنيسة الشهيد مارى جرجس سبورتنج سفر العدد ص٧٦ .

ضد الله، فكان من المناسب لها أن تعاقب من الرب السماوى أكثر من الرب الأرضى. يقول العهد القديم : « صرخ موسى إلى الرب قائلا: اشفها فأجابه »[١].

❊ **الخامس:** أن مريم لم تكن بناءة في نقدها، وإنما كانت حاسدة أرادت أن ترفع من شأنها، وتحط من شأن أخيها، فاستحقت بذلك الفعل المشين أن سيق إليها عقاب الرب، أما هارون فقد كان الأمر معه مختلفا.

ويعلل أحد الباحثين نجاة هارون من مثل عقوبة مريم قائلا: « ربما لأنه كان لهارون شيء من العذر بكونه الأخ الأكبر، وقد يكرم بكرام الكهنوت هذا والبرص حسب التشريع نجاسة، ولما كان أهل الكهنوت وأساسه في هارون لم يسمع بتأديب مشابه لئلا يمسك هذا الأمر بكل نسله الكهنوتى[٢]، لكن الله أيقظ مخاوفه وعلمه ذات الدرس من خلال تأديب أخته، فقد أسرت عقوبة أخته عليه، وجعلتها تلجأ إلى موسى المساء إليه يشفع عنها حتى يزول هذا الغم »[٣].

ب ـ مناقشة الفكرة

الدارس لمقارنة الأديان يرى تلك الفكرة غير مأمونة الجوانب كما أنها لا تدعمها أدلة مقبولة، لا من ناحية كون غضب الله قد وقع على بنى إسرائيل على وجه الإجمال، أو وقع على هارون ومريم على وجه الخصوص، إذا أن نتيجته حلت بمريم وحدها[٤].

◈ **أما لماذا؟**

فلما يلى:ـ

❊ **أولا: تضارب نصوص العهد القديم فى ذات الرواية الواحدة** ـ إذ أن بعضها يؤكد انخراط مريم فى الطاعة واستمساكها بأخيها، وكل ما يلقى إليها ويأتى بعض آخر من ذات

---

(١) بناءا على أن اليهود لهم أب سماوى ولد فى روحه، وأب أرضى ولد من جسده، وهى أفكار خيالية قائمة على الوثنية.

(٢) باعتبار أن الكهنوت عندهم يمثل وظيفة دينية وسياسية، ويجوز لمرتكب كل الكبائر أن يشغل تلك الوظيفة عندهم.

(٣) من تفسير وتأملات الأباء الأولين – سفر العدد ص٧٥ .

(٤) هذا ليس من باب اقتناعى به، إنما أناقش القوم طبقا لمعطياتهم؛ لأن حاكى كلام الكفرة ليس بكافر.

النصوص فتظهر موقفا غريبا ينتهى إلى أن مريم رفضت واعترضت عليه[١]، وبالغت فى انتقادها ولو أتيح لها القول فيه والطعن عليه أكثر من ذلك لصنعت، فأى القولين تصح نسبته، بل أى القولين هو الذى يعد مقبولا.

* **ثانيا: إن العهد القديم ومفسرية يصفون مريم بأنها تقوم بعمل من أعظم الأعمال فى التاريخ**؛ فى رعاية طفل، إذ كانت تراقب أخاها وهو يطفو فوق الماء فى جهد؛ لكي لا ينفذ إليه الماء، وكانت سرعة بديهة مريم هى السبب فى أن تقوم أمه بتربيته، ولا شك تفوقها الباهر لم يكن من السهل أن ينهار وهى ترى أخاها الصغير يبلغ هذه الدرجة[٢] من العظمة[٣]. إن ذلك غير مقبول، وإلا كان حالها كحال من بنى بيت أول النهار، فإذا انتهى من بنائه آخر النهار قام بهدمه، ومثله لا يعتبر عاقلا، وهم لا يصفون مريم بغيره.

* **ثالثا: أنهم يصفون هارون بالخطيئة أيضا**، باعتباره أخا لمريم، وقد تذمر هو الأخر من موسى ومن فعله، مع أن هارون نبى، فإذا افترضنا حدوث قولهم، فإن الأمر ينتهى به إلى إبعاد هارون عن دائرة النبوة، أو وصف أنبياء الله بالوقوع فى الخطيئة، وكلا الأمرين فاسد.

◈ **أما لماذا؟**

◈ **فلما يلى:-**

(١) **إنا نحن المسلمين؛ نعتقد أن الله جعل هارون نبيا.** قال تعالى: ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا * وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا * ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا﴾[٤].

---

(١) لم يكن الاعتراض منها سلبيا، أو اعتراضا سلوكيا، كما يحدث فى بعض الحالات أو المجالس النيابية، التى يكون الاعتراض فيها معبرا عنه بالصمت، حتى إن الصمت أدق تعبير، وإنما كان انتقادها منطوقا به معبرة عنه فى شيء من الحدة التى تبلغ حد الإفراط.

(٢) معنى يعقل أن تحافظ عليه صغير، ثم تلجأ إلى تدبيره كبيرا، أن ذلك مخالف كما هو مستقر فى الأعراف الطبيعية.

(٣) التفسير التطبيقى ص٢٩٩ .

(٤) سورة مريم – الآيات ٥١/٥٣ .

يقول الحافظ ابن كثير : « لما ذكر تعالى إبراهيم الخليل وأثنى عليه ، عطف بذكر الكليم فقال: ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا﴾ بمعنى أنه كان مصطفى ، كما قال تعالى: ﴿إني اصطفيتك على الناس﴾، ﴿وكان رسولا نبيا﴾ جمع اللّه له بين الوصفين ، فإنه كان من المرسلين الكبار، أولي العزم الخمسة ، وهم (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) صلوات اللّه وسلامه عليهم وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، وقوله : ﴿وناديناه من جانب الطور﴾ أي الجانب ﴿الأيمن﴾ من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة ، فرآها تلوح فقصدها فوجدها في جانب الطور الأيمن منه ، غربيه عند شاطئ الوادي ، فكلمه اللّه تعالى وناداه وقربه فناجاه. روى ابن جرير ، عن ابن عباس ﴿وقربناه نجيا﴾ قال: أدني حتى سمع صريف القلم.

وقال السدي[(١)]: ﴿وقربناه نجيا﴾ قال: أدخل في السماء فكلم ، وعن عمرو بن معد يكرب قال: لما قرب اللّه موسى نجياً بطور سيناء قال: يا موسى إذا خلقت لك قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وزوجة تعين على الخير ، فلم أخزن عنك من الخير شيئاً ، ومن أخزن عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئاً ، وقوله : ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا﴾ أي وأجبنا سؤاله وشفاعته في أخيه فجعلناه نبياً ، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون﴾ ، وقال: ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ ، ولهذا قال بعض السلف: ما شفع أحد شفاعة في الدنيا أعظم من شفاعة موسى في هارون أن يكون نبياً ، قال اللّه تعالى: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا﴾ ، قال ابن عباس: كان [هارون أكبر من موسى ، ولكن أراد وهب نبوته له][(٢)] »[(٣)].

كما أن هارون لم تنفصل عنه ، وبالتالى فأمر النبوة قائم معه ، ومن كان نبيا ثبتت له النبوة ليس بإمكان أحد من المخلوقين أن يزيحها عنه.

(٢) **أما نحن المسلمين نعتقد أن الأنبياء معصومون من الوقوع فى الخطأ المقصود** وإلاّ فما قيمة العصمة للنبى التى هى حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من الوقوع فى الخطأ ، أو التلبس بمنهى عنه[(٤)].

---

(١) السدى: وهو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبى كريمة الحجازى السدى، أحد موالى قريش، وهو إمام فى التفسير . توفى سنة ١٢٧هـ. راجع سير أعلام النبلاء جـ٥ ص٢٦٤ ، والتهذيب جـ١ ص٢٧٣، وميزان الاعتدال جـ١ ص٢٣٦ .

(٢) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم هكذا قال ابن كثير فى تفسيره.

(٣) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – جـ٣ ص١٢٦ – طبعة دار الفكر – بيروت ١٤٠١هـ.

(٤) راجع شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى – تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص١٩٥ – ط الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والرسائل التعليمية ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

فإذا أعلن مفسرو العهد القديم بأن هارون وقع فى الخطأ، وكانت آخر أخطائه أنه لم يقدس الرب أمام بنى إسرائيل، هذا من الأمور التى درج عليها القوم من نسبة المعاصى إلى أنبيائهم، ووصفهم بأخص الصفات التى لا تليق بأحاد الناس الأسوياء، ومع هذا ينسبونها لرسل الله وأنبيائه[1]، وقد سجل القرآن الكريم عليهم بعض تلك المظاهر في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2].

يقول العلامة الطبرى : « يعني جل ثناؤه فبنقض هؤلاء الذين وصفت صفتهم من أهل الكتاب ميثاقهم يعني عهودهم التي عاهدوا الله أن يعملوا بما في التوراة وكفرهم بآيات الله يقول وجحودهم بآيات الله يعني بأعلام الله وأدلته التي احتج بها عليهم في صدق أنبيائه ورسله وحقية ما جاءوهم به من عنده، وقتلهم الأنبياء بغير حق يقول وبقتلهم الأنبياء بعد قيام الحجة عليهم بنبوتهم بغير حق يعني بغير استحقاق منهم ذلك لكبيرة أتوها ولا خطيئة استوجبوا القتل عليها.

وقولهم قلوبنا غلف يعني وبقولهم قلوبنا غلف أى عليها غشاوة وأغطية عما تدعونا إليه فلا نفقه ما تقول ولا نعقله، بل طبع الله عليها بكفرهم يقول جل ثناؤه كذبوا في قولهم قلوبنا غلف ما هي بغلف ولا عليها أغطية ولكن الله جل ثناؤه جعل عليها طابعا بكفرهم بالله، فلا يؤمنون إلا قليلا يقول فلا يؤمن هؤلاء الذين وصف الله صفتهم لطبعه على قلوبهم فيصدقوا بالله ورسله وما جاءتهم به من عند الله إلا إيمانا قليلا يعني تصديقا قليلا، وإنما صار قليلا لأنهم لم يصدقوا على ما أمرهم الله به ولكن صدقوا ببعض الأنبياء وببعض الكتب وكذبوا ببعض فكان تصديقهم بما صدقوا به قليلا لأنهم وإن صدقوا به من وجه فهم به مكذبون من وجه آخر، وذلك من وجه تكذيبهم من كذبوا به من الأنبياء وما جاءوا به من كتب الله ورسل الله يصدق بعضهم بعضا وبذلك أمر كل نبي أمته وكذلك كتب الله يصدق بعضها بعضا ويحقق بعض بعضا فالمكذب ببعضها مكذب بجميعها من جهة جحوده ما صدقه الكتاب الذي يقر بصحته فلذلك صار إيمانهم بما آمنوا من ذلك قليلا »[3].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٩٩٥ .

(٢) سورة النساء – الآية ١٥٥ .

(٣) العلامة ابن جرير الطبرى – تفسير الطبري – ج: ٦ ص١١/١٠ – طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ.

ويقول صاحب المصحف المفسر : « إن الحق سبحانه وتعالى لعن اليهود؛ لأنهم نقضوا العهود، وأيضا جهروا بمخالفة رسول الله، فإن قالوا إن قلوبنا مغلفة بما يمنع عنها فيهم قول سيدنا محمد ﷺ، فكان نتيجة ذلك أن ختم الله على قلوبهم عقابا لهم »[1].

* **رابعا: أن اليهود يخصون مريم بالعقاب وحدها كنوع من التحيز أو تعصب الرب للذكر على الأنثى،** وهم بهذا يعبرون عن نفسيتهم المريضة، وأفعالهم السقيمة، كما يفصحون عن عداوتهم للمرأة بكل ألوانها، وكيف لا وهم الذين وصفوا في نصوصهم أن الحية أمكر الوحش المخلوقة قد خدعت حواء، حيث تحدثت معها بأمر سكناهما آدم وحواء الجنة، إلى غير ذلك مما سبق ذكره، وتحملت المرأة وحدها عندهم تهمة لم تمارسها وحدها، وهو ما لا يتفق الباحث معهم عليه، بل قد سبق أن انتقد في مواضع أخرى من ذات الرسالة.

٤- غضب الله على قورح[2] والمتآمرين معه على موسى وهارون

أ- عرض الفكرة

يذكر مؤلفو العهد القديم ومفسرون أن الرب على استعداد أن يغفر دائما للذين اقترفوا أخطاء عن عمد متى أدركوا أخطاءهم بسرعة، ورجعوا عنها من غير إبطاء، أما الذين يخطئون عن عمد ويصيرون على عدم الرجوع، فإنهم ينالون عقابا أشد، وخطيئة أكبر طالما كانوا من غير شعب الرب، أما شعب الرب فلهم خصوصيته القبول متى

---

(١) الشيخ عبدالجليل عيسى – المصحف الميسر ص١٢٩ .

(٢) يذكر قاموس الكتاب المقدس أن قورح اسم عبرى معناه قرع قد تسمى به الكثيرون فى الكتاب المقدس ومنهم قورح بن يصهار بن قهات بن لاوى، وكان فى مقدمة الثائرين على موسى وهارون. اتحد معه آخرون من سبط رأوبين وكانت غايتهم تحويل الرئاسة من موسى إلى سبط راونين انضم إليهم مئتان وخمسون من رؤساء الجماعة، ثم توجهوا جميعا إلى موسى وهارون واتهموهما بأنهما مترأسان على الجماعة. فاستشهد موسى الرب على ذلك فأجابه الرب عمليا، حيث انشقت الأرض وابتلعت جمع من جماعة قورح، ومن كان معه، بل خرجت نارا فأكلت المائتين وخمسون الذين كانوا معهم، أما نسل قورح فقد عاشوا واشتهروا فى خدمة الهيكل، وإليه ينسب القورحيون. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٧٤٦/٧٤٧).

أخطأوا أو رجعوا حتى ولو تكرر منهم ذلك ألف مرة يستوى فى ذلك العمد والخطأ، فكلها عندهم سواء.

ويذكرون أيضا أن قورح بن يصهار لم يعجبه أن يكون موسى رئيسا عليهم، وأن يكون هارون معاوناً له، بل زعم أن الرب لم يعنيهما لتلك المهمة، وإنما هما أدعيا ذلك زوراً[١].

ولما كانت تلك المسألة المتعلقة بالرئاسة تثير بعض النفوس إليها، فقد تمكن قورح هذا من إقناع البعض بالانضمام إليه، حتى يظفر كل واحد منهم بنصيب من الغنيمة، وعادة يغرى بريق الأمر البعيد الضمائر المريضة، كما يسيل لعاب أصحاب البطون الجائعة، فانضم إلى قورح جمع غير قليل من حملة الآمال راكبى أكتاف الآخرين، بل وصل بهم الأمر إلى إعلان العصيان الدينى على موسى وهارون مما جعل موسى يلجأ إلى ربه طالبا دليلا على صدق كونه نبياً مرسلاً لا رئيساً جائراً[٢].

فلما صنع ذلك التآمر على موسى وهارون حزن موسى وانكب على وجهه ثم طلب من قورح والمتآمرين معه أن يلاقوا الرب حتى يُعلن لهم الرب من هو المقدس الذى يقربه منه، ومن هو غير المقدس الذى يرفضه الرب، لكن قورح رفض وطلب من موسى أن يكف عن هذا، فلما أصر موسى قام قورح بما أمره به موسى، حيث أخذوا مجامر، ثم وضعوا فيها النار والبخور أمام الرب، فمن اختاره الرب يكون هو المقدس.

ويبدو أن موسى كان متخوفاً من قورح، فراح يؤنبه قائلا له: ألم يكفكن أن إله إسرائيل قد أفرزكم[٣] من بين الشعب ليقربكم إليه، كى تخدموا سكنه والوقوف فى حضرة الرب مثله، حتى صدكم بعد ذلك تطمعون فى الكهنوت، إذاً أنت وكل جماعتك متفقون على الرب[٤].

---

(١) التفسير التطبيقى ص٣٧٠.

(٢) العهد القديم – سفر العدد ١٦ – ٣ – ٨.

(٣) الإفراز بمعنى التمييز عن الغير. "تقول العرب فرز الشيء إفرازاً ميزه عن غيره. راجع مادة فرز باب الفاء – المعجم الوجيز ص٤٨٦.

(٤) العهد القديم – سفر العدد ١٦ : ٩ – ١١.

راح موسى يستدعى باقى أنصار قورح، وخاصة داثان[1] وإبيرام ابنى البياب الذين ردوا على موسى بقولهما: لن نحضر ألم يكفيك أنك أخرجتنا من أرض مصر التى تدر لبنا وعسلا لتهلكنا فى الصحراء، والآن جئت تترأس علينا، وأنت لم تقدنا إلى أرض تفيض خيزاً، ولا أورثتنا حقولاً وكروماً[2].

وجئت تدعونا الآن للوقف بمجامر[3] وبخور نار أمام الرب فإنك تحاول أن تخدعنا، ولذا؛ فنحن لن نحضر وسنصر على مقاسمتك الكهنوت، اغتاظ موسى جداً، وقال للرب: لا تقبل تقدمتهما، فأنا لم أخذ حتى حمارا واحدا منهما-داثان وأبيرام-ولم أسيء إلى أحد منهما، وقال موسى لقورح: أمثل أنت وجماعتك أمام الرب غداً، وكذلك يحضر هارون وليأخذ كل منكم مجمرته وضعوا فيها بخور، ويقدم كل واحد منكم بمجمرته، وكذلك يفعل هارون فجاءوا جميعا ومثلوا عند مدخل خيمة الاجتماع، وحشد قورح عليهما كل الجماعة المتآمرة فترائى مجد الرب للجماعة كلها[4].

غير أن الرب قال لموسى وهارون افترزا[5] من هذه الجماعة المتآمرة الذين أريتهم جميعاً، لأنى سأفنيهم فى لحظة، فانطرح موسى وهارون على وجهيهما، وقالا للرب أتسخط على الجماعة كلها من أجل رجل واحد، فلم يلتفت الرب إليهما، بل قال لموسى: اطلب من الشعب أن يبتعدوا عن خيام قورح وداثام وإبيرام هؤلاء القوم الأشرار، ولا تمسوا شيئا مما هو لهم حتى لا تهلكوا بسبب خطاياهم[6].

---

(١) داثان اسم عبرى قريب من الاسم الأكادى داثنوا الذى معناه قوى وهو اسم ابن الياب من سبط راوبين، وقد اشترك مع إبيرام أخيه فى عصيان قورح. راجع قاموس الكتاب المقدس ص٣٥٥ .

(٢) العهد القديم – سفر العدد ١٦ : ١٢ – ١٤ .

(٣) المجامر هو إناء يستعمل فى الهياكل لوضع النار والبخور كانت المجمرة تملأ ناراً من النار المضرمة دائما على مذبحة التقدمه وتحمل فى اليد الواحدة وتحمل البخور فى الأخرى، وكانت تصنع من النحاس كما كانت تصنع من الذهب. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢٦٨).

(٤) العهد القديم – سفر العدد ١٦ : ١٥ – ١٩ .

(٥) يريد منهما أن يبتعدا عن تلك الجماعة؛ لأن غضبه سينصب على تلك الجماعة فإذا وقع عليهم، وهم بداخلها فربما يصيبهم أيضا.

(٦) هنا مغالطة وتناقض واضح؛ لأن الرواية دالة على جملة المتآمرين، وهم المائتان وخمسون، فإذا نزل العقاب عليهم جميعا فلا يكون لاعتراض موسى وهارون فائدة، وإذا نزل على البعض دون البعض فظاهره التمييز والتبعيض وهما مرفوضات أصلا.

وقد ذكر موسى للقوم المتآمرين أنه سيأتيهم أفعال غريبة عنهم، حيث ستنشق الأرض وتبتلعهم هم وما يملكون، وسوف يدفنون فى باطنها أحياء؛ لأنهم ازدروا الرب، ولم يكد يفرغ موسى من كلامه، حتى انشقت الأرض تحتهم، وفتحت فاها وابتلعت المتآمرين مع بيوتهم، فاختفوا فى باطنها، ومعهم كل ما يملكون.

يقول أحد الباحثين: « فلما سمع موسى ذلك الكلام سقط على وجهه مغتماً – خوفا عليهم – وقال لهم: (غداً يعلن الرب من هو المقدس، فيقربه إليه) وطلب إحضار مجامر، ويخور لحرقه أمام الرب فى الغد، وقال (لقورح) : أقليل عندكم يا بنى لاوى، إن الرب قربكم إليه دون بنى إسرائيل، وخصصكم لخدمة سكنه، حتى تطلبون الكهانة أيضا ؟ واستدعى الزعيمين الآخرين، فلم يلبيا دعوته، وقالوا لرسله : أن يقولوا له : (أقليل أنك أخرجتنا من أرض تدر لبنا وعسلا، ولا أعطيتنا ميراثا كرم وحقل)، وفى الغد اجتمع الجماعة، وحرقوا البخور، فتجلى الرب، وقال لموسى وهارون أنفرزا[١] من الجماعة، حتى أفنيهم، فسقطا على وجهيهما، وقالا اللهم واحد يخطئ وتسخط على الجماعة كلها، فأمر الرب أن تتباعد الجماعة من مساكن الزعماء الثلاثة، فتباعدت، فلم تلبث الأرض أن انشقت، وابتلعتهم بجميع ما لهم وبيوتهم، وأهلهم، ثُمَّ خرجت نار من عند الرب، فأكلت المائتين والخمسين، الذين تضامنوا معهم »[٢] .

يقول العهد القديم : « فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام، انشقت الأرض التى تحتهم، وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم، وكل ما كان لقورح من كل الأموال، فنزلوا هم، وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية، وانطبقت عليهم الأرض، فبادوا من بين الجماعة وكل إسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم، لأنهم قالوا لعل الأرض تبتلعنا، وخرجت نار من عند الرب، وأكلت المائتين والخمسين رجلا الذين قربوا البخور »[٣] .

---

(١) إنفرز : فرز الشيء والنصيب، فرزا ميزه ونحاه . راجع المعجم الوجيز ص٤٦٦ .

(٢) الأستاذ / محمد عزة دروزه – تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص٨٩ .

(٣) العهد القديم – سفر العدد ٣١/١٦-٣٥ .

وبهذا أبيدوا وانتهى أمرهم، بينما هرب الإسرائيليون الذين كانوا قريبا منهم، وهم يصرخون: هيا نبتعد حتى لا تبتلعنا الأرض، ولكن اندلعت النار التى أرسلها الرب، فالتهمت كل أنصار المتآمرين.

ولقد دفن قورح والمتمردون معه إجباراً عندما أغاظوا الرب وأغضبوه، ولم يسارعوا المصالحة مع موسى وهارون، وتذمروا من تعاليمه واشتكوا ضده، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن طبيعة بنى إسرائيل دفعت بهم إلى المزيد من التذمر والشكوى بشدة ضد الله، حتى إن إيمانهم راح فى التلاشى وشجعهم ذلك على التفكير فى الاستسلام للأهواء والعودة إلى التمرد ضد الله، والشك فيه، وعدم الرضا بما فرضه[1] عليهم.

ولست أدرى؛ هل قورح كان شخصية حقيقية أم شخصية رمزية كالعديد من أشخاص العهد القديم التى يستخدمونها كرموز موصلة للمفاهيم التى تجرى فى أعماقهم، قد لا تكون لها علاقة بالواقع الفعلى[2].

ب- مناقشة الفكرة

لاشك أن ذلك الذى ذكروه يمثل نوعا من أنواع الغضب على بعض أتباع موسى الذين كانوا يوما ما القوة العددية لشعبه – كما أنهم الأصل ضمن المجلس الذى تم تعيينه ليكون قائما على مجموع الشعب، ويكون وصيا على السلوكيات الصادرة عنهم، وفى نفس الوقت يكون هذا بمثابة الهيئة الاستشارية لموسى والمجلس التشريعى للجماعة، فلما انقلب الأمر بهذه السرعة؟ بل لماذا خرج قورح ورفيقاه على هذا الاحتجاج؟

إن العهد القديم يعلق على نفسية الرجال الثلاثة[3]، لا على دافعهم! وذلك أمر يحتاج تصورات أكبر مما ورد ذكره، ولذا؛ فالباحث سيتناول مناقشة تلك الفكرة من الجوانب التالية:–

---

(١) العهد القديم – سفر العدد ٦ : ٣٥ .

(٢) الدكتور نبذلى ملاك – أشخاص العهد القديم ص٥٧ – ترجمة أنيس فرج– طبعة كركوك ١٩٤١م.

(٣) الرجال الثلاثة هم قورح، وداثام، إبيرام، وقد سبق الترجمة لكل منهم.

أولا : اضطراب الآراء

العهد القديم يذكر أن قورح وزميليه كانوا ضمن الجماعة المؤمنة مع موسى، وأنهم جميعا عاشوا سنوات الاغتراب والدخول المتواصل للصحراء، وأنهم جميعا مارسوا المباشرة للشريعة[١]. فلماذا يخرج هؤلاء الثلاثة عندما وعدهم إلهـهم به مع موسى. إن هناك انقلاب حدث فى ذوات أولئك النفر من الطاعة إلى المعصية، ومن الانقياد إلى المقاتلة، دون أن يقدم مبرراً مقبولاً لذلك التحول[٢].

ثانيا : الإسقاط الفنى

إن العهد القديم ومفسريه قد أفهمانا أن قورح كان أحد قادة بنى إسرائيل، وكان يقوم بمساعدة خاصة فى الخدمات اليومية فى خيمة الاجتماع، وفوق ذلك فقد كان يتمتع بشخصية أدبية كبيرة، وكان قائدا شعبيا، وشخصية لها نفوذها أثناء الخروج من مصر، كما كان أحد مشهورى الرجال فى بنى إسرائيل، وفى نفس الوقت كان أحفاده من كتبة المزامير، وبالتالى فقد جمع الرجل بين كافة المناصب الأدبية، ومن كان ذلك شأنه فلابد أنه سيحافظ عليها، ولن يتخلى عنها بسهولة، ومعروف أن تمرده على موسى سوف يزيل عنه تلك المناصب، فهل يعقل أن يقوم شخص كقورح بحركة مسرحية يلعب فيها دور البطل المشوق أن ذلك لا يتفق مع طبيعة الرجل التى عرضها الكتاب المقدس.

ثالثا : الإسقاط التاريخى[٣]

من المعلوم أن القوم كانوا فى مرحلة خروج، ابتداء من يوم بعينه، وانتهت بيوم بعينه، باعتبار أن أى حدث ما لابد أن تكون له بداية، وأن تكون أيضا له نهاية، وهذا التمرد من الأحداث المهمة فى حياة الجماعة، لو كان قد صح وقوعه – لكان القوم قد أرخوا على وجه يقينى يشمل اليوم، الشهر، السنة، أما أو أنها قد جاءت مرسلة

---

(١) العهد القديم – سفر الخروج – الإصحاح ٢٤ كاملا.

(٢) إذ لو كان هناك مبرر نفسى وقف عليه مؤلفو العهد القديم لأذاعوه.

(٣) هو الذى يحكى لنا قصة الماضى، ذلك الذى فصلت بيننا وبينه القرون، وهو مازال ماثلا حولنا حيا فى أعماق كياننا يحركنا بالمثل التى كانت تحرك أهله، ويهزنا بالعواطف التى كانت تهز أجياله المتعاقبة. (راجع الدكتورة: حكمت أبو زيد – التاريخ تعليمه وتعلمه – المقدمة – مكتبة الأنجلو المصرية – دار الطباعة الحديثة ١٩٦١م.

خالية من ذكر التاريخ المحدد، فقد دل الأمر على أن نصوصها وأفكارها مأخوذة من ديانات أخرى، وأنها وجدت في العهد القديم كنوع من الثقافات المقتبسة التي تحتاج إلى التثبت التاريخي(١)، وهو ليس متوفر هنا.

رابعا الجانب العقلي(٢)

الدارس يرى أن العقل المدقق يقف من تلك المسألة غير مستعد للتضحية بملكاته(٣)، التي يحاول مؤلفو العهد القديم الضغط عليها. أما كيف؟

فلأن العهد القديم يصور أن تذمر القوم لم يكن من موسى وهارون، وإن ما كان من هارون الذي ضمه موسى من وجهة نظرهم إليه، وجعله يحدث الرب نيابة عنه، فالغضب هنا ليس غضبا من موسى في الأصل، وإنما هو غضب من انضمام هارون إلى ركب التحدث مع الرب، ومع هذا يجد الدارس العقوبة تنصب لا على قورح، ومن كان معه فقط، وإنما عليهم وأمتعتهم ومن كان قريب منهم.

فهل العقوبة تلحق الذراري ونفوس الأبرياء التي لم ترتكب خطأ أم أن العهد القديم مازال ينقل في عباداته أن بني البشر جميعا يتوارثون خطيئة أبيهم آدم، رغم أن العهد القديم نفسه أكد أن آدم لم يخطئ، أما الذي أخطأ هو المرأة التي أعطت زوجها، حيث قالت الحية للمرأة لن تموتا إن أكلتما من الشجرة، بل ستكونان أفضل، وعندما شاهدت المرأة أن الشجرة لذيذة المأكل، شهية للعيون، مثيرة للنظر قطفت من ثمرها وأكلت ثم أعطت زوجها أيضا فأكل معها(٤).

---

(١) نبه إلى ذلك المستشرق ليوتاكسيل، حيث انتهى إلى أن قصص العهد القديم في الغالب الأعم مقتبسة من عادات الشعوب التي ساكنها اليهود. (راجع في ذلك الشأن: التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٢٧).

(٢) تعريف العقل: هو القوة المدركة في الإنسان، وهو مظهر من مظاهر الروح محلة المخ. (راجع محمد فريد وجدي – دائرة المعارف – القرن العشرين – المجلد ٦ جـ١٤ ص٥٢٢، ويعرف العقل من أراد أن يلقن الجدل أهل الخطابة. (راجع : حجة الإسلام محمد الغزالي – معيار العلم في فن المنطق ص١٧ .

(٣) الملكات : جمع ملكة والملكة بالمعنى العام هي القدرة الفطرية أو المكتسبة على أداء فعل ما. (راجع عبدالمنعم الحنفي – موسوعة علم النفس والتحليل النفسي – إنجليزي عربي ج١ ص٢٩٩ – الناشر مكتبة مدبولي ١٩٧٥م.

(٤) العهد القديم – سفر التكوين ٣ : ٦ – ٨ .

خامساً: الجانب النقلى(١)

يسرف العهد القديم فى تلك المسألة، ويقرر أن موسى طلب من خصومه تقديم التقدمة للرب، ويفعل ذلك هارون، فكان المناسب أن تكون تلك التقدمه نتيجة(٢)، وليست مقدمات(٣)، فإما أن يقبل الرب قربان هارون أو قربان قورح.

وتلك نتيجة طبيعية، أما أن ينتهى الأمر بعقوبة أحد الطرفين، من غير أن يعرف الجريمة، التى وقع فيها خطئا أو عمدا، فإن ذلك يكشف عن عدم سلامة النقل الذى حمله الكتاب المقدس.

ولعل الخطأ الذى وقع فيه كتاب تلك القصة هو مما اعترفوا به أنفا من أن الكتاب المقدس قد أملته عقول أصحابه كنتيجة لثقافات أو كتعبير عن أحلام وأمنيات، وقد نبه إلى ذلك دارسو العهد القديم، كما اعترف به مؤلفوه(٤).

(١) النقل فى اللغة: تحويل الشيء من مكان أخر، أو من شخص إلى أخر، وحينما تنسب هذه الكلمة إلى العلوم يطلق عليها العلوم النقلية التى يعرفها ابن خلدون حينما قسم العلوم إلى قسمين:

القسم الأول: طبيعى أى للإنسان أن يهتدى به إليه بطبيعته مثل العلوم الفلسفية. أما القسم الثانى: يشمل العلوم النقلية الوضعية، وهى كلها مستندة إلى الغير عن الواضع الشرعى، ولا مجال للعقل إلاَّ فى إلحاق الفروع بالأصول، وعادة ما يطلق عليها الشرعية. (راجع جميل صليبا – المعجم الفلسفى – حرف النون – مادة نقل ج٢/ص٢٠٤)

(٢) تعرف النتيجة بأنها تمثل ثمرة الشيء فنتيجة الكتاب خاتمته التى تتضمن المسائل الأساسية، راجع حجة الإسلام الإمام الغزالى – معيار العلم فى فن المنطق ج١ ص١٧ – المطبعة الغربية بمصر ١٣٤٦هـ/١٩٢٣م.

(٣) المقدمة تعرف بأنها ما يتوقف عليه الشيء فى الشيء ص٢٣٧، أو هى مبدأ الاستدلال، وتطلق على ما يتوقف عليه البحث، أو على ما يجعل جزء قياس من القضايا أو على ما تتوقف عليه صحة الدليل. (راجع جميل صليبا – المعجم الفلسفى – ج٢ ص٤٠٥ – باب القاف ط٢ – دار الكتاب اللبنانى – بيروت)

(٤) راجع فى هذا الشأن: التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير لليوتاكسيل، وكذلك دراسات فى التوراة للشيخ عطية إبراهيم الشوادفى، وأيضا الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى وغيرها ممن عنى الحديث عنه تلك النقطة.

٤ـ غضب عليهم لارتكابهم جريمة الزنا وعبادة الأصنام

أـ عرض الفكرة

يذكر العهد القديم أن الإسرائيليين أثناء ترحالهم أتيح لهم أن يتعاملوا مع مجموعات أخرى من الناس، وأنهم فى حلهم وترحالهم، وقد اختلطوا بكثير من الأمم، وقد اقتبسوا منها، كما أضافوا إليها، غير أن هؤلاء الإسرائيليين نزلوا فى شطيم[١].

وهناك أتيح للرجال الإسرائيليين أن يختلطوا بالنساء المؤابيات وحضروا ولائم معهم على سبيل اللعب والتلهى حول الأصنام التى يعشقها المؤابيون، وفى تلك الغمرة من النشوة تمكن الرجال من ممارسة الجنس مع المؤابيات، فجمعوا بين الخطيئة الجنسية وعبادة الأوثان[٢] فى شيء واحد، وقد استلذوا ذلك الفعل حتى طابت لهم ممارسته.

ولم ينظر الإسرائيليون إلى أنهم وقعوا فى عملية تضليل حين تورطوا فى ممارسة جريمة الزنا، كما مارسوا العبادة الوثنية، وقد نجحت المؤابيات فى امتلاك عقول هؤلاء الإسرائيليون، حتى أنهن تمكن من جعل الإسرائيليين يشتركون مع المؤابيين فى عبادة بعل فغور، ولما رأى الرب ذلك من الإسرائيليين؛ غضب عليهم، واحتدم غضبه إلى درجة لا تطاق.

وإذا كان هؤلاء يعتبرون البغاء جزءا هاما فى عبادة العجل الذى كان محبوبا عندهم بصورة كبيرة، فإن الإسرائيليين قد اشتركوا معهم فى ذلك تماما، حتى إنهم لم يفكروا فى التخلى عنهم.

ولما اشتد غضب الرب عليهم أمر موسى قائلا له خذ جميع قادة عبدة البعل وأصلبهم ثم علقهم فى أصلابهم تحت وطئة حرارة الشمس أمام الرب، كى يرقد شدة

---

(١) شطيم اسم عبرى معناه شجرة السنط، وهو واد جاف غير مثمر ربما قصد به الوادى الذى يبدأ شمالى غرب أورشليم، وينحدر إلى شرق المدينة فاصلا إياها عن جبل الزيتون ثم يسير إلى الجنوب الشرقى نحو البحر الميت، وربما كان هو وادى النار حاليا. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٥٠٩).

(٢) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص٣٢٧ .

غضبى عن بنى إسرائيل، فقال موسى لقضاة إسرائيل: اقتلوا كل واحد من قومكم من المتعلقين بعبادة[١] بعل فغور[٢].

ويبدو أن موسى وقومه لم يتحملوا ما كلفهم به الرب فوقعوا عند خيمة الاجتماع يبكون، وبينما هم على تلك الحالة إذا جاء رجل إسرائيلى، وقدم لاخوته امرأة مديانية على مرآى منهم يريد الزنا بها فى خيمة الاجتماع فنهض إليه أحاد الناس رمحاً، ويتبع الإسرائيلى ودخل وراء الرجل الإسرائيلى وطعن كليهما الرجل الإسرائيلى والمرأة فى بطنها، فحينئذ كف الوباء عن بنى إسرائيل، وكان عدد الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفا، وهكذا استطاع ذلك الرجل أن يقضى على طريق الزناة، وأن يرد فى نفس الوقت غضب الإله؛ لأنه أغار بغيرة الله، وكفر عن الإسرائيليين.

بل طلب الرب من موسى إساءة معاملة المديانيين وإهلاكهم؛ لأنهم « ضايقوكم بمكايدهم التى احتالوا بها عليكم بشأن فغور وأختهم كزبى ابنة رئيس المديان التى قتلت عندما تفشى الوباء بينكم بسبب عبادة فغور»[٣].

فغضب الرب على شعب إسرائيل قد جاء كرد فعل لمارساتهم غير الطبيعية على ارتكاب جرائم الزنا التى اقترنت بالعبادة الوثنية للإلهة بعل فغور الذى كان محبوبا بصورة كبيرة، حتى إن أسمه صار يستخدم كثيرا للدلالة على الإلهة المحليين[٤].

- **وربما يقال:** إن غضب الرب على بنى إسرائيل قد أمكن كبحه، ولكن هذا القول ليس له ما يدعمه. أما لماذا؟

- فلأن انتشار الوباء بينهم، حتى إنه قتل منهم أربعة وعشرين ألفاً يمثل أمراً غاية الأهمية، ولا يمكن اعتباره أمراً عارضاً، وإنما هو أمر له دلالته القوية، التى يصير من المؤكد القول بأنها أحد العوامل الحاسمة فى حياة العقلية اليهودية.

---

(١) راجع تلك القصة فى سفر العدد ٢٥ : ١ - ٧.

(٢) بعل فغور اسم مؤابى لإله كان يعبد فى جبل فغور. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٨٤)

(٣) سفر العدد ٢٥ : ٦ - ١٨.

(٤) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص٣٢٨.

ويحاول باحثو الفكر اللاهوتى إيجاد تبرير لتلك الفعلة الشنيعة، فيقرر أن الشيطان هو الذى يستخدم شهوات الجسد، لكى يسقطنا من أمام الرب، وأن غرضه الأساسى هو إخلاء المكان الذى أخذه الرب فى قلوب أفراد شعبه، مستخدما التأثيرات الوثنية.

كما يحاول إقناعنا بعدم وجود ضرر فى بعض الأشياء عند ممارستها، كالحال مع رجال إسرائيل فى شطيم، ولكن ينبغى أن نسأل أنفسنا، ولا ينبغى أن نبتعد عن القديسين، بل يجب أن نبتعد عن الأوثان قبل أن يكمل الشيطان عمله فينا[١].

بينما يذهب غيره إلى أن غضب الرب عليهم لم يكن إلاَّ لأنهم ارتكبوا خطايا جنسية وأضافوا إليها عبادة الأوثان، فوقعوا فى الأمرين معاً، وظل بنو إسرائيل دائما تشدهم عبادة البعل طوال مكثهم فى كنعان، وكان البغاء جزءا هاما فى تلك العبادة[٢].

فإذا نظرنا إلى البعل وجدناه يمثل رمزاً للقوة والخصوبة، ولذا؛ اعتبروه صورة الإله، حتى إنهم فى عبادتهم له كانوا يظنون أنهم بهذا العمل يقومون بأعمال تقربهم للرب لا تبْعدهم عنه.

أجل مفسرو العهد القديم ربما أكدوا على أن الغضب الذى وقع على بنى إسرائيل، إنما هو نوع من العقاب التأديبى الذى يقوم به الأب الرحيم مع أبنائه؛ بغية إصلاح أحوالهم، ودفع الأخطاء عنهم؛ لأن الرب « لا يغير مطلقا فكرة المتعلق بمقام أولاده، ولكنه يحاكمهم ويؤدبهم عندما لا توافق تصرفاتهم مقامهم ومركزهم »[٣].

وفى نفس الوقت هل كان غضب الرب شاملاً المذنبين والأبرياء؟ أم أنه كان خاصاً بالمذنبين وحدهم؟ وهذا سؤال لا يجد الدارس إجابة عليه لدى مفكرى العهد القديم؛ لأنه قص أن أربعة وعشرين ألف ماتوا من هذا الوباء، ولم يخبر ما إذا كان للأربعة وعشرين ألف قد زنوا جميعهم أم أن البعض هو الذى قام بذلك الفعل.

---

(١) هلال أمين موسى – تفسير سفر العدد ص١٦٢/١٦٣ .

(٢) التفسير التطبيقى ص٢٣٨ .

(٣) القس تشارلز ماكنتوش– مذكرات على سفر العدد ص٤٠٤ – طبعة جمعية الأخوة – جزيرة بدران شبرا مصر – حقوق الطبع محفوظة للناشرة ل. أو بلبدل – مطبعة المحيط بالفجالة بمصر رقم ٥٠٤ .

مناقشة الفكرة

لاشك أن تلك القصة قد تحدثت عن جرائم مشتركة، ولكنها ركـزت علـى الزنـا وعبادة الآلهـة الباطلة، حتى اعتبرتهما الأبطال الحقيقية للقصة، وتناست أن الزنا يمثل خيانـة للأمانـة، كمـا يمثـل نوعـا مـن الغـدر، وفـى نفس الوقـت يعـرب عــن رغبــة الإسرائيليين المستكنة فى النفوس وأنـهم متـى أمكنـهم القفـز فـوق الآخريـن – انـتزعوا أنفسهم من الهدوء والسكينة، وانطلقوا على رغباتهم حسب ما تمليـه عليـهم طبائعـهم، كجزء من تعويض الحرمان الذى عاشوه أيام تشرداتهم الأولى.

من ثم فإن الباحث سيناقش تلك الفكرة على الجوانب الآتية:-

أولا الجانب الشكلى

المعروف أن الشكل هو الإطار الذى يتم فيـه تكويـن الفكـرة، والعـهد القديـم قـد أفضى إلى أن الرجال الإسرائيليين مارسوا الزنا مع النساء والمؤابيات، دون أن يخبر عـن الأمكنة التى تمت فيها تلك الممارسات، وهــل كـانت علنيـة كمـا فعـل أبشـالوم[١] مـع سرارى أبيه الملك[٢].

---

(١) أبشالوم : معناها (أبى سلام)، وهو اسم عبرى، ويعرف في العربية بأبو السـلام، أو الأب سـلام، وهـو ثـالث أبناء داود، واسم أمه (معكه بنت تلمان) ملك جشور، وكان أبشالوم حسن المظهر، جميل الصورة، طويل الشـعر محبوبا من أبيه، ومن جميع الشعب، وعندما أذل أمنون ثامار أخت أبشالوم الشقيقة اغتاظ ابشالوم، فأقام وليمة، ودعا إليها جمعاً من أصدقائه، وفيه أخوة أمنون لأبيه، وخدع أمنون حتى دفع بعبيده أن يوقعـوا بـه، ويضربـوه حتى قتلوه . هرب أبشالوم بعدها إلى ملك جده لأمه، وظل بها حتى عفا عنـه أبـوه، فرجـع إلى أورشـليم، وتـأمر على أبيه، وكـان مـن شـدة تـآمره أن هـرب أبـوه داود، وجميـع المخلصين مـن أورشـليم، غـير أن الدائـرة نزلـت بأبشالوم، وقضى عليه حين كان راكبا بغلا، دخل به تحت أغصان شجرة فتعلق رأسه بين السماء والأرض، لكـن لم يكن قد فارق الحياة، فأخذوه وأحاطوه بفتيان يضربوه، حتى قتل ودفنوه بـالقرب مـن المكـان الـذى قتـل فيـه، وأقاموا عليه رجمة عظيمة من الحجارة كعادة اليهود فى تحقير الثوار والمجرمين، والتشهير بـهم فـى دفنـهم، وقد حزن أبوه حزنا شديدا وبكاه ورثاه بشكل كبير – راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٣/١٤، وراجـع النصـوص التى أحال إليها .

(٢) قتل أبشالوم أخاه أمنون؛ انتقاما لأخته (ثامار)، ثُمّ فر هاربا من وجه أبيه بعد ذلك لمدة عامين وعاد بعد أن عفـا عنه والده، ولكنه قام بالإساءة لأبيه، حتى يقطع الطريق أمام مناصريه، فتشتد قوة الفتى، وتضعف سطوة أبيـه، حتى إذا أتيحت له الفرصة فى الانقضاض على ملـك أبيـه فعـل . واقـترح أحيتوفـل (رجـل مـن جيلـوه فـى أرض يهوذا، وأحد مشيرى داود) على أبشالوم إشباع دوافع الجنس مـع محظيـات (محظيـات : جمـع محظيـة، وهـى المرأة التى تفضل على غيرها فى المحبة – المعجم الوجيز ص١٥٩ .)أبيـه قـائلا لـه : « أدخـل وضـاجع محظيـات أبيك اللواتى تركهن للمحافظة على القصر، فيسمع جميع بنى إسرائيل أنك قد سرت مكروهـا، مـن أبيـك فتشـدد أيدى مناصريك » . وبينما كان أبوه خارج القصر، فقد قام أبشالوم باستغلال غيـاب والـده، فنصـب الخيمـة علـى السطح، ودخل لمضاجعة محظيات أبيه على مرآى من جميع إسرائيل . « وقال أبشالوم لأخيتوفل : أعطـوا مشـورة ما ذا نفعل، فقال أخيتوفل لأبشالوم أدخل إلى سرارى أبيك اللواتى تركهن لحفظ البيت، فيسمع كل إسـرائيل أنـك قد صرت مكروها من أبيك، فتشدد أيدى جميع الذين معك، فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح، ودخل أبشـالوم إلى سرارى أبيه أمام جميع إسرائيل، وكانت مشورة أخيتوفل التى كان يشير بها فى تلك الأيام، كمن يسأل بكلام الله »(العهد القديم – صموئيل الثانى ١٦/٢٠-٢٣ ..) .

أم كانت في الخفاء كما حدث مع أمنون[1] وأخته ثمار[2]، والتي انتهى الأمر مع أمنون بالنهاية المأساوية بعد أن قتله أخوه غير الشقيق أبشألوم أخذا بثأر أخته ثامار[3]، ولما كان أمر تلك النهاية لم يستقيم على الجانب الشكلي، فإن الشك فيها يكون أمر قائم.

كما أن النص قد سمح لخيال صاحبه أن يجعل جميع الرجال الإسرائيليين زناة، ولا يعقل أن يتم ذلك كله بهذا العدد الكبير في ليلة واحدة، أو ليال قلائل في قرية صغيرة، دون أن يسبب ذلك قلقا أو انزعاجاً، أم أن مؤلف العهد القديم اعتبر الكل في غيبة عن عقله، وانفرد هو بالعقل، حتى سمح لعقله أن يسبح في بحار الظلمات تارة، وينغمس في الرذيلة مرات، وهو بين الأمرين غير قادر على التمييز بينهما.

---

(١) أمنون هو ابن داود من أخيثوعم، ولد في حبرون، لما كانت عاصمة لملك أبيه، وقد أذل ثامار أخته من أبيه، فقتله أبشالوم شقيقها – راجع قاموس الكتاب المقدس ص١١٩ – صموئيل الثاني ١٣، وأخبار الملوك الأول ٣/١–٢

(٢) ثامار : أخت أبشالوم، وابنة داود الجميلة، التي أذلها أخوها غير الشقيق – من أبيها – باضطجاعه معها. راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢٣٣، وراجع صموئيل الثاني ١٣، وأخبار الملوك الأول ٣/١–٩.

(٣) وفي هذه القصة يذكر أنه كان للملك بنيات عذارى، فيهن الفتنة طاغية، اختار الابن (أمنون)، من أخواته (ثامار)، وفي سبيل بلوغ تلك الغاية أشار على أحد أقاربه حتى يبحث له عن حيلة، وكان ذلك القريب هو (يوناداب) الذي أوصى (أمنون) قائلا له : « اضطجع على سريرك وتمارض، وإذا جاء أبوك ليراك – قل له دع (ثامار) أختي تأتي وتطعمني خبزاً، وتعمل أمامي طعاماً، فأراها فآكل من يديها »(ليوتاكسيل – التورات كتاب مقدس أم جمع من أساطير ص٣٥١). وقد استجاب الأخ لنصيحة من انتصحه، فاحتال على والده، فتظاهر بالمرض، وطلب من والده أن تقوم على خدمته أخته(ثامار)، فلما حضرت إلى مخدعه، حاول الاستمرار في التظاهر بحالات الإعياء المرضية، بحيث اقتربت منه أكثر، حتى صارت في متناول يده، وحينئذ أعلن عن نواياه، فطلبها للمعاشرة الجسدية. يقول العهد القديم : « فذهبت (ثامار) إلى بيت (أمنون) أخيها، وهو مضطجع .. فأخذت (ثامار) الكعك الذي عملته، وأتت به (أمنون) أخاها إلى المخدع، وقدمت له ليأكل، فأمسكها، وقال لها : تعالي اضطجعي معي يا أختي، فقالت له: لا يا أخي، لا تذلني؛ لأنه لا يُفعل هكذا في إسرائيل ... فلم يشأ أن يسمع لصوتها، بل تمكن منها وقهرها، واضطجع معها، ثُمَّ أبغضها (أمنون) بغضة شديدة جداً، حتى أن البغضة التي أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التي أحبها إياها .... بل دعا غلامه الذي كان يخدمه، وقال : أطرد هذه عني خارجاً، وأقفل الباب وراءها ..... فجعلت (ثامار) رمادا على رأسها، ومزقت الثوب الملون الذي عليها، ووضعت يدها على رأسها، وكانت تذهب صارخة »(العهد القديم – صموئيل الثاني ١٣/١١–٢٨).

ثانيا: الناحية الاجتماعية

المعروف أن النساء المؤابيات كان لهن أو لبعضهن أزواج، هل كان ذلك الأمر يتم بمعرفة الأزواج، ويكون البغاء بين المدياينين والمدياينات أمرا معترفا به، وقاعدة عامة، وحينئذ لا ينسب الأبناء لآبائهم، وأنهم ينسبون لأمهاتهم، بحيث يحدث الخلل الاجتماعي فى أبناء الناس، وهو ما لم يقم عليه دليل. أم أنه حوَّلهم إلى صورة من صور قوم لوط الذين مارسوا الزنا فى نسائهم كما مارسوا اللواط مع ذكورهم، كما هى العادة فى نص العهد القديم[1].

۞ لقد تحدث القرآن الكريم عن قوم لوط[2]، وأنهم كانوا يتركون النساء ويأتي الذكور بعضهم بعضا. قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[3].

يقول الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : « يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه أنذر قومه نقمة الله بهم في فعلهم الفاحشة التى لم يسبقهم إليها أحد من بنى آدم وهى إتيان الذكور دون الإناث وذلك فاحشة عظيمة استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فقال أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أي يرى بعضكم بعضا

---

(١) فمنها ما حكى عن أضياف نبى الله (لوط) من الملائكة، حين ظنهم أشقياء قومه من بنى البشر، وكانوا غاية فى الوسامة(الحُسْنُ الوَضيءُ الثابتُ)، فهرعوا إليهم؛ يريدون معاشرتهم جنسيا، باعتبار أن هؤلاء الأشقياء كانوا يأتون الذكران من العالمين، تاركين ما أحله الله ﷻلهم من نسائهم. يقول العهد القديم القصة قائلا : « وقبلما أضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة رجال سدوم من الحدث إلى الشيخ ... فنادوا لوطاً، وقالوا له : أين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة؛ أخرجهما إلينا لنعرفهما »(العهد القديم – سفر التكوين – الإصحاح ١٩ – فقرة ٤/٦) .

(٢) لوط هو ابن هاران بن آزر وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام وكان قد آمن مع إبراهيم عليه السلام وهاجر معه إلى أرض الشام فبعثه الله إلى أهل سدوم وماحولها من القرى يدعوهم إلى الله ﷻ ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولاغيرهم وهم إتيان الذكور دون الإناث وهذا شيء لم يكن بنوا آدم تعهده ولا تألفه ولايخطر ببالهم حتى صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن الله. (العلامة ابن كثير – تفسير ابن كثير ج: ٢ ص: ٢٣١ طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ).

(٣) سورة النمل – الآية ٥٥ .

وتأتون في ناديكم المنكر أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون أي لا تعرفون شيئا لا طبعا ولا شرعا »[١].

وجدير بالذكر أن القرآن الكريم صور ما كان عليه قوم لوط من ارتكاب هذه الجريمة البشعة في آيات كثيرة منها:

- قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[٢].
- وقوله سبحانه: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[٣].
- وقوله ﷻ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[٤].
- وقوله جل وعلا: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٥].

والآيات تشير إلى أن قوم لوط تمادوا فى هذه الفاحشة، ولم يندموا عليها ولا تراجعوا عنها، ولهذا اتهمهم القرآن الكريم فى هذه الآيات بالإسراف والعدوان والجهل.

يقول صاحب المنار حول تفسيره لآية الأعراف: « وقوله تعالى: ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ أى لستم تأتون هذه الفاحشة المرة بعد المرة بعد ندم وتوبة عقب كل مرة، بل أنتم مسرفون فيها وفى سائر أعمالكم لا تقفون عند حد الاعتدال فى عمل من الأعمال.

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج: ٣ ص: ٣٦٩ طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ.

(٢) سورة الأعراف – الآيتان ٨٠/٨١.

(٣) سورة الشعراء – الآيتان ١٦٥/١٦٦.

(٤) سورة النمل – الآيتان ٥٤/٥٥.

(٥) سورة العنكبوت – الآيتان ٢٨/٢٩.

ففي سورة العنكبوت مكان هذه الآية – وما قبلها عين ما قبلها – ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾، وفي سورة الشعراء مكان هذا الإضراب هنا ﴿ بل أنتم قوم عادون ﴾ أى متجاوزون لحدود الفطرة وحدود الشريعة، وهو بمعنى الإسراف.

وفي سورة النمل ﴿ بل أنتم قوم تجهلون ﴾ وهو يشمل الجهل الذى هو ضد العلم، والجهل الذى هو بمعنى السفة والطيش، ومجموع الآيات يدل على أنهم كانوا مرزوئين[1] بفساد العقل والنفس بجمعهم بين الإسراف والعدوان والجهل، فلا هم يعقلون ضرر هذه الفاحشة في الجناية على النسل وعلى الصحة، وعلى الفضيلة والآداب العامة ولا غيرها من منكراتهم – فيجتنبوها أو يجتنبوا الإسراف فيها، ولا هم على شيء من الحياء وحسن الخلق يصرفهم عن ذلك »[2].

فالآيات تشير إلى أن هؤلاء القوم قد عُدموا الحياء وجهروا بهذه لجريمة ولم يرتكبوها في تستر وخفاء بل كانوا يقعدون على الطريق لأخذ من يريدونه من الرجال ويجلسون في ناديهم يتحدثون عنها ويستعدون لها.

وهذا ما أشارت إليه آية العنكبوت في قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾،

❁ **يقول العلامة ابن عاشور** : « وقطع السبيل : قطع الطريق، أى التصدى للمارين فيه بأخذ أموالهم أو قتل أنفسهم أو إكراههم على الفاحشة، وكان قوم لوط يقعدون بالطرق ليأخذوا من المارة من يختارونه. فقطع السبيل فساد في ذاته، وهو أفسد في هذا المقصد.

وأما إتيان المنكر في ناديهم فإنهم جعلوا ناديهم للحديث في ذكر هذه الفاحشة والاستعداد لها ومقدماتها كالتغازل برمي الحصى اقتراعا بينهم على من يرمونه،

(١) مرزوئين أى مصابين، ففي مختار الصحاح : الرزية: المصيبة . وقد رزأته رزيئة: أي أصابته مصيبة ص٢٤٠.

(٢) تفسير المنار – ج٨ ص٥١١ .

والتظاهر بتزيين الفاحشة زيادة فى فسادها وقبحها ؛ لأنه معين على نبذ التستر منها ومعين على شيوعها فى الناس »[(١)].

وفى نفس الوقت فإن الهيئة الاجتماعية فى اليهودية لا تنطبق على الواقعة ، باعتبار أن النساء اليهوديات كن لا يسمحن لأزواجهم بالابتعاد عنهن على أساس النصوص القائمة فى أيديهم، وهى ما جمعه الله لا يفرقه إنسان، فلم تكن النساء اليهوديات يسمحن لأنفسهن بالابتعاد عن أزواجهن[(٢)].

بل إن العهد القديم امتلئ بقصص الجنس الفاضح، التى كانت المرأة هى العنصر الفعال فى المسألة، وبخاصة البغايا، وكان الرجال يهربون من نسائهم المطالبات لهم بالارتواء الجسدى، فإذا كان الرجال عاجزين عن إشباع رغبات زوجاتهم، فمن أين لهم يذهبون إلى المديانيات حتى يقوموا بهذا الدور معهن[(٣)].

وإذا عرفنا أن الرجال كان أغلبهم يعانى من العجز الجنسى، وفاقد الشيء لا يعطيه ، فإن القصة كلها تكون من باب التعبير عن الرغبة لا الممارسة.

فى نفس الوقت ؛ فإن اليهودية كديانة تبارك الظلم، وتشدد من عدم المساواة بين الجنسين، إذ أنها تفرض فى حالة الخضوع والتبعية على المرأة، سواء أكانت فى العائلة أم المجتمع[(٤)].

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن كل المسألة تكون خارج نطاق الدوائر الاجتماعية ، وإن كانت قد حدثت فعلا هذا أمر يعترفون به ، ويجب التعامل معه على أنه واقع لهم

(١) التحرير والتنوير – ج٢٠ ص٢٤٠/٢٤١ .

(٢) راجع ليرانوفش – الموجز فى التاريخ اليهودى العام ص١٣٤ – المختصر فى التاريخ القديم .

(٣) راجع أ.ب كاجدان – الدين والإلحاد فى العالم القديم ص٩٣ طبعة موسكو .

(٤) سيرغى أ. توكاريف – الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص٣٩٦، كما تعرضت الزميلة نجلاء مصطفى بدوى لبيان ذلك بشكل تفصيلى فى رسالتها (الدوافع فى العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها) ماجستير بمعهد الدراسات والبحوث الأسيوية، وبينت أن الجنس يمثل دافعا قويا، حرص اليهود على إبرازه، والتعبير عنه فى العهد القديم والتلمود والبروتوكولات، وقدمت نماذج كثيرة توضح تلك المسألة عندهم، كما بينت موقفها من تلك القضايا المطروحة على الجوانب الممكنة.

الذين حكوه، وتصرفات غير مقبولة هم الذين أعملوها، سواء أمارسوها أم ظلت داخل إطار الأمنيات فقط.

ثالثا: التناقض بين النصوص

على حين يذكر العهد القديم أن غضب الرب قد انطلق وباءً مميتا في هؤلاء الزناة(١)، إلاَّ أنه يغفل تماما عن مصير المؤابيات، والمفروض أن العقاب قاسم مشترك، يقع على الزانية والزاني، وليس على واحد منهما، وانقلاب الآخرة، ولم يذكر لنا ما إذا كان هذا الفعل قد تم بالتراضي مع الجميع، أم باغتصاب الجميع، أم البعض بالتراضي والبعض بالاغتصاب. والأرجح أن ذلك كله من خيال مؤلفي العهد القديم الذين أغراهم بريق الجنس، فانغمسوا فيه، ولم يحاولوا التزحزح ولو قليلا بعيداً عنه.

---

(١) وفي عاقبة قوم لوط : صور القرآن الكريم ذلك في سورة هود في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝ قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾(سورة هود – الآيات ٨٣/٧٨).

يقول الحافظ ابن كثير – رحمة الله – : « يقول تعالى: ﴿ فلما جاء أمرنا﴾، وكان ذلك عند طلوع الشمس ﴿ جعلنا عاليها سافلها ﴾ وهي سدوم، كقوله: ﴿ فغشاها ما غشى﴾(سورة النجم – الآية ٥٤ .)، ﴿ وأمطرنا عليها حجارة من سجيل﴾ أى أمطرنا عليها حجارة من سجيل، وهي بالفارسية حجارة من طين، قاله ابن عباس وغيره. وقال بعضهم أى من سنك وهو الحجر. وقوله: ﴿ منضود ﴾ قال بعضهم: منضودة في السماء أي معدة لذلك. وقال آخرون: ﴿ منضود﴾ أي يتبع بعضها بعضاً في نزولها عليهم، وقوله: ﴿ مسومة﴾ أي معلمة مختومة عليها أسماء أصحابها، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه، وقال قتادة وعكرمة ﴿ مسومة ﴾ مطوقة بها نضح من حمرة، وذكروا أنها نزلت على أهل البلد وعلى المتفرقين في القرى مما حولها فبينا أحدهم يكون عند الناس يتحدث، إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس فدمره، فتتبعهم الحجارة من سائر البلاد حتى أهلكتهم، فلم يبق منهم أحد »(تفسير ابن كثير – ج٣ ص٤٥٥/٤٥٤).فقد قلب الله بلدهم، وجعل عاليها سافلها، وأمطر على أهلها حجارة من السماء، وهذا هو عقاب الله اللائق بالبلدة الفاسدة والإنسان الفاسد الذى يفسد فطرته، ويشذ عن طبيعته، فليس له في الأرض مكان؛ لأنه شذ عن أصله وحاد عن سبيل حرثه ونسله فمن أين تعمر الأرض، وكيف تتحقق فيها الخلافة للإنسان.

رابعاً: إسقاط فكرة الإنابة

يذكر العهد القديم أن الرجل الذى كان جالساً، وقد رأى إسرائيليا ومديانية، فأعمل رمحه فيهما، وقضى عليهما قد اعتبره الرب مخلصا وكاهنا، وكأنه أنابه ليقوم بمعاقبة المخطئين نيابة عن الرب، وهى فكرة ساقطة، قل أن تجد من يدافع عنها، أو ليتحمس لها، فضلا عن أن يقرها متى كان ذلك لدى اليهود، فما بالك بدارسى الأديان، الذين يبحثون عن القواعد، ويقيمون أفكارهم على ما صح منها.

وفى نفس الوقت، فإن القانون العام لم يخول لآحاد الناس أن يقوم بدور الإنابة عن ولى الأمر، بل القاعدة أن ولى السلطان هو الولى العام، وبناءً عليه مع الأخذ فى الاعتبار عدم نيابة الغائب على الشاهد، فإن الرب لا ينيب أحداً بدلاً منه، وتكون كل الإنابات فاسدة لا أصل لها، وقد حرص اليهود على التمسك بها كما قبسوها من المصريين القدماء، وأضافوا إليها ما أمكنهم إضافته والتمسك به، وهى أفكار وثنية، لم يقم الدليل صحيح عليها؛ لأن الله هو المحاسب وهو المجازى وهو المعاقب وهو المثيب. قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1].

يقول ابن كثير: « وقوله ولا يظلم ربك أحدا أي فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعا ولا يظلم أحدا من خلقه بل يعفو ويصفح ويغفر ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي ثم ينجي أصحاب المعاصي ويخلد فيها الكافرين وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم »[2].

ﷻ وقال أيضا: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[3].

يقول العلامة الطبرى: « يقول تعالى ذكره ونضع الموازين العدل وهو القسط وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر وقوله ليوم القيامة يقول لأهل يوم القيامة ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه

(١) سورة الكهف – من الآية ٤٩ .

(٢) الحافظ ابن كثير – تفسير ابن كثير – ج: ٣ ص: ٨٩ – طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ.

(٣) سورة الأنبياء – الآية ٤٩ .

وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى في كأن معناه عنده ونضع الموازين القسط في يوم القيامة.

وقوله فلا تظلم نفس شيئا يقول فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيئا بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخسه ثواب عمل عمله وطاعة أطاعه بها ولكن يجازي المحسن بإحسانه ولا يعاقب مسيئا إلا بإساءته »[1].

❁ **وفى تقدير الباحث:** أن تلك الأفكار تعبر عن نفوس أصحابها، كما تؤكد أن ما قاموا به لا يمثل إلاّ فكر فيه التلفيق، ولا علاقة له بخبر صحيح، فضلا عن أن يكون مقبولا، وإن حكايتهم من جانبهم قصدوا بها إظهار قدرتهم على الخروج المتواصل على القيم والمعايير القائمة، وقد ذكرتها عنهم، ليعرف الدانى والقاصى أن العهد القديم يصعب على أى دارس أن ينسبه إلى دين الله القديم.

ولا شك أن تلك المسائل التى عرضها الباحث حول غضبه على بنى إسرائيل، إنها تمثل بعض نماذج مما حفل بها العهد القديم يتعلق بأهدابها مفكرو اليهودية، دون أن يقيموا لصحة الأفكار وزنا، وهى تكشف عن عقلية أغرقت نفسها فى الوثنية واستنامت فى رحاب الاعتقادات الفاسدة.

وإن غضب الرب على بنى إسرائيل ثابت فى النصوص الإسلامية بشكل ليس فيه مجال للتخمين أو الافتراضات، بجانب أن كل ما تعرض له القرآن الكريم والحديث الشريف قد جاء هو الصحة ذاتها، والإعجاز مع الإيجاز.

حتى إنهم استحقوا غضب الرب، كما استحقوا عقابه، والطرد من رحمته جل شأنه. قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[2].

---

(١) العلامة ابن جرير الطبرى – تفسير الطبري ج: ١٧ ص: ٣٣ – طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ.

(٢) سورة المائدة – الآيات ٧٨/٨٠ .

يقول العلامة البيضاوى : « قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ أى لعنهم الله فى الزبور والإنجيل على لسانهما، ﴿ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ أى لا ينهى بعضهم عن معاودة منكر فعلوه. ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ تعجيب من سوء فعلهم، مؤكد بالقسم. ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ من أهل الكتاب. ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يوالون المشركين بغضا لرسول الله ﷺ والمؤمنين. ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ أى لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة. ﴿ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ أى لبئس شيئا ذلك لأنه كسبهم السخط والخلود »(١) فى العذاب.

ويقول الإمام القرطبى – رحمه الله – : « قوله تعالى: "لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم" فيه مسألة واحدة: وهي جواز لعن الكافرين وإن كانوا من أولاد الأنبياء. وأن شرف النسب لا يمنع إطلاق اللعنة في حقهم. ومعنى "على لسان داود وعيسى بن مريم" أي لعنوا في الزبور والإنجيل؛ فإن الزبور لسان داود، والإنجيل لسان عيسى أي لعنهم الله في الكتابين. وقال مجاهد وقتادة وغيرهما: لعنهم مسخهم قردة وخنازير. قال أبو مالك: الذين لعنوا على لسان داود مسخوا قردة. والذين لعنوا على لسان عيسى مسخوا خنازير. وقال ابن عباس: الذين لعنوا على لسان داود أصحاب السبت، والذين لعنوا على لسان عيسى الذين كفروا بالمائدة بعد نزولها. وقيل: لعن الأسلاف والأخلاف ممن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم على لسان داود وعيسى؛ لأنهما أعلما أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مبعوث فلعنا من يكفر به.

وقوله تعالى ﴿ ذلك بما عصوا ﴾ أي ذلك اللعن بما عصوا أي بعصيانهم ويجوز أن يكون على إضمار مبتدأ أي الأمر ذلك ويجوز أن يكون ذلك في موضع نصب أي فعلنا ذلك بهم لعصيانهم واعتدائهم. وقوله تعالى ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾ فيه مسئلتان. الأولى: قوله تعالى ﴿ كانوا لا يتناهون ﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضا لبئس ما كانوا يفعلون ذم لتركهم النهي وكذا من بعدهم يذم من فعل فعلهم »(٢).

---

(١) الإمام القاضى البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص١٥٦/١٥٧ .

(٢) الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن ج: ٦ ص: ٢٥٢/٢٥٤ –

فعن عبد الله بن مسعود قال: [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول ما دخل النقص على بني اسرائيل كان الرجل أول ما يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون إلى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه – لتردنه الثانية – على الحق ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض وليلعننكم كما لعنهم](١).

قال ابن عطية(٢) والإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه وأمن الضرر على نفسه وعلى المسلمين فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر ذا المنكر ولا يخالطه وقال حذاق أهل العلم وليس من شرط الناهي أن يكون سليما عن معصية بل ينهى العصاة بعضهم بعضا وقال بعض الأصوليين فرض على الذين يتعاطون الكئوس أن ينهي بعضهم بعضا.

واستدلوا بهذه الآية قالوا لأن قوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي وفي الآية دليل على النهي عن مجالسة المجرمين وأمر بتركهم وهجرانهم وأكد ذلك بقوله في الإنكار على اليهود ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا.

وقوله تعالى ﴿ ترى كثيرا منهم أي من اليهود ﴾ : « قيل كعب بن الأشرف وأصحابه وقال مجاهد يعني المنافقين يتولون الذين كفروا أي المشركين وليسوا على دينهم لبئس ما قدمت له أنفسهم أي سولت وزينت وقيل المعنى لبئس ما قدموا لأنفسهم ومعادهم أن سخط الله عليهم أن في موضع رفع على إضمار مبتدأ كقولك بئس رجلا زيد

(١) الإمام البيهقي – سنن البيهقي الكبرى ج: ١٠ ص: ٩٣ – الحديث رقم: ١٩٩٨٣ .

(٢) ابن عطية : هو الإمام الحافظ الناقد المجود عبدالحق بن الحافظ أبى بكر غالب بن عطية المحاربى الغرناطى، ولد سنة ٤٠٨هـ، واعتنى به والده، كان واسع المعرفة قوى الأدب، متفننا فى العلوم، توفى سنة ٥٤٢. سير أعلام النبلاء. جـ١٤ ص٤٧٢ .

وقيل بدل من ما في قوله لبئس على أن تكون ما نكرة فتكون رفعا أيضا ويجوز أن تكون في موضع نصب بمعنى لأن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ابتداء وخبر »[١].

٦- غضب عليهم لتكرار وقوعهم في الجرائم

أ- عرض الفكرة

يذكر العهد القديم أن الرب منح[٢] بنى إسرائيل منحًا كثيرة، لعل قلوبهم المريضة تقلع عن الذنوب والآثام، وترجع إلى رحاب التوبة الصادقة، والإيمان الصحيح، لكن بنى إسرائيل كلما وجدوا منح الرب تفيض عليهم قابلوها بالمزيد من العصيان دون نظر إلى نوع ذلك العصيان، حتى لو كان المزيد من الآثام[٣].

يذكر سفر القضاة: أن أبيمالك[٤] بعد موته تولى القضاء لبنى إسرائيل، تولع ابن قوة فى سبطيساكر، وقد سكن ذلك القاضى فى شامير بجبل أفرايم، وقد أحسن العمل فى القضاء مدة ثلاث وعشرين سنة مات بعدها، ودفن فى شامير نفسها التى كان يقطن بها أولا قبل نزوحه إلى جبل أفرايم[٥].

---

(١) الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن ج: ٦ ص: ٢٥٤/٢٥٢ –

(٢) المنح : جمع منحة ومعناها العطاء، سواء أكان العطاء بمقابل أم بدون مقابل. طالعتنا مصادر العربية قائلة: منحه الشيء منحا أعطاه. (راجع المعجم الوجيز ص٥٩٢).

(٣) تلك طبيعة ثابتة فى بنى إسرائيل أنبأ عنها التاريخ العام الذى تابع سيرهم ورحلة الحياة أين ما كانوا، بدليل أنه بعد أن أنجاهم الله من عدوهم ورأوا نهايته غرقا عادوا إلى ممارسة الجرائم، فقالوا ما حكاه القرآن الكريم. ﴿ وجاوزنا ببني إسرآئيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلـها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴾ سورة الأعراف – الآية ١٣٨ .

(٤) أبيمالك : اسم عبرى معناه أولاب ملك وقد وزد الأسماء عديدة فى العهد القديم، ومن بينها المراد هنا، وهو اسم لابن جدعون أحد القضاة، وكانت أمه سرية جدعون من شكيم، وكان لعشيرتها شيء كثير من النفوذ هناك، واستطاع أبيمالك بتأييد هذه العشيرة أن يكتسب رضاء الشعب وحكم البلاد ثلاث سنوات لمعرفة المزيد من سيرته. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢٣).

(٥) العهد القديم – سفر القضاة ١٠ : ١ – ٢ .

وراح الإسرائيليون بعد تولع يتلفتون إلى قاض يحكم أمرهم، ويقوم فيهم بأعمال الكهنوت[١]، فلم يجدوا أحداً يصلح لتلك المهمة، وحينئذ قام يائير الجلعادى بأعمال القضاء، واستمر يمارسه حوالى اثنين وعشرين سنة، وكان يائير هذا صاحب أولاد كثيرين، بلغوا ثلاثين ابنا، وكانوا يمثلون القوة والمنعة له، وبالتالى كانوا يركبون حيوان الجحش[٢]، كل منهم يركب واحداً، باعتبار أن ذلك مصدر من مصادر إبراز القوة، وإظهار العظمة عندهم.

فى نفس الوقت؛ فإن أولاد يائير كانوا يملكون ثلاثين مدينة فى أرض جلعاد التى عرفت باسم حووث يائير، لبيان أن تلك المدن الكثيرة قد حولت لأبناء يائير فصار الجاه والسلطان من مظاهر قاضى الإسرائيليين، ومن الأدلة على النعم التى منحهم الرب إياها[٣] بعد فترة من الزمن مات يائير ودفن فى قاموت، وكان سكان الإسرائيليون يلتزمون أمر يائير قاضيهم احتراما لهيبته وخوفا من سلطانه وقوته.

بيد أن بنى إسرائيل لطبيعتهم اللئيمة متى رأوا عصا السلطان قوية استكانوا، ومتى رأوا منها اعوجاجا أو عدم القدرة على ملاحقتهم تمردوا، أو عادوا إلى ارتكاب الآثام، وتلك طبيعة نفوسهم اللئيمة وخصالهم الذميمة وسلوكياتهم التى تنم عن شذوذ لا ينقطع.

ويذكر العهد القديم أنه بعد موت يائير عاد بنو إسرائيل إلى ارتكاب الإثم أمام الرب أكثر من ذى قبل فعبدوا الآلهة الوثنية، التى لم يسمح الرب بها، ومنها البعليم

---

(١) الكهنوت : هو خادم دينى، وفى اصطلاح الكتاب المقدس الشخص المتخصص لتقديم الذبائح فى بادئ الأمر كان الجميع يمارسون الكهنوت، وبعد النظام الموسوى صار رؤساء البيوت والقبائل يمارسون الكهنوت، وظل الأمر كذلك حتى أصبحت فى عائلة هارون، ويشترط فيمن يمارسه أن يكون خالى من العيوب. (لمزيد من معرفة مهام الكهنوت راجع ما قاموس الكتاب المقدس ص٧٩١) .

(٢) اسم يطلق على صغار الحمار، وكان يركبه الشرفاء. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢٥٠) لأن القوم كان أغلبهم رعاة يسيرون على الأقدام، وبالتالى فقد صار راكب الجحش مميزا عن غيره.

(٣) العهد القديم – سفر القضاة ١٠ : ١ – ٥ .

وعشتاروث[(١)] وآلهة أرام[(٢)] وآلهة صيدون[(٣)] وآلهة بنى عمون[(٤)] وآلهة الفلسطينيين[(٥)] أيضا.

وفى نفس الوقت تركوا عبادة الرب الذى أنقذهم من بطش الفراعين، وأفاض عليهم من النعم ولم يغلبهم الرجوع إلى عبادته، وإنما انهمكوا فى المعاصى واستمرأوها، فصارت الآثام هى السلوى، بينما صارت عبادة الرب من الأعباء التى ترفضها نفوسهم، حينئذ صب الرب عليهم غضبه، فسلط عليهم الفلسطينيين وبنى عمون الذين استزلوهم وملكوا أمورهم مدة تقترب من عقدين من الزمان[(٦)].

فسام الفلسطينيون ومن معهم الإسرائيليين المقيمين فى أرض الأموريين شرق نهر الأردن سوء العذاب، بل وراح الإسرائيليون نتيجة لذلك يعيشون فى ضيق عظيم ما بعده ضيق، بسبب غضب الرب عليهم، ولم يرتفع ذلك الغضب الإلهى عليهم، إلاّ بعد اعتذارهم له وتسامحه معهم، حسب رواية العهد القديم، يصور ذلك عنهم، فيقول : « عاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب، وعبدوا البعليم وعشتاروث، والهة أراك، والهة صيدون، وآلهة موآب، وآلهة الفلسطينيين، وتركوا الرب ولم يعبدوه،

---

(١) إنها الآلهة الرئيسة فى كل من دولتى باب وأشور يسمونها عشتار كانت تعبد فى فينيقية أيضا، ولكن مع اختلاف يسير فى الطقوس، وكانت عبادتها تنطوى على الكثير من معالم الخلاعة، وقد انقاد إليها بنى إسرائيل فى عهود متفاوتة لمعرفتها . (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٦٢٨)

(٢)أطلق هذا الاسم على كل من فى المنطقة التى تعبده، وهى آرام التى كانت تمتد من جبال لبنان فى الغرب إلى ما وراء الفرات فى الشرق، ومن جبال طوروث فى الشمال إلى دمشق وما ورائها فى الجنوب، ويطلق هذا الاسم على الآلهة الباطلة. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٧، ص٤٢).

(٣) صيدون اسم سامى معناه مكان صيد الأسماك، وهى مدينة فينيقية قديمة تقدر بمساحة قليلة من جبال لبنان والبحر المتوسط، واسمها مأخوذ من بكر كنعان، وكانت خاضعة لمصر فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٥٦٥)

(٤) بنى عمون: إنهم نسل ابن عمى بن لوط الذى ولد فى مجاورى صوغر وانتشرت ذريته فى الشمال سكنت جبال جلعاد وبين نهرى أرموند ويبوق، وكانوا على صراع مستمر مع الأموريون . (للمزيد راجع قاموس الكتاب المقدس ص٦٤)

(٥) فلسطين يطلق هذا الاسم اليوم على البلاد « التى فى الزاوية الجنوبية من أسيا، وتناولت الجزء الجنوبى من سوريا . (للمزيد راجع قاموس الكتاب المقدس ص٦٨٥)

٦) العهد القديم – سفر القضاة ١٠ : ٦ – ٨ .

فحمى غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين، وبيد بنى عمون فحطموا ورضرضوا بنى إسرائيل فى تلك الفترة مدة ثمانى عشر سنة جميع بنى إسرائيل الذين فى عبر الأردن فى أرض الأموريون الذين فى جلعاد، وعبر بنو عمون الأردن ليحاربوا أيضا يهوذا وبنيامين وبيت أفرايم فتضايق إسرائيل جدا »[1].

ويذكر أصحاب التفسير التطبيقى أن الرب سمح للأمم الوثنية أن تضايق بنى إسرائيل بسبب خطيئاتهم، باعتبار أن الله عادل، ولابد أن يعاقب على الخطيئة، ويسمح للمشاكل والضغوط أن تدخل إلى حياة مرتكب الخطيئة حتى يعود إلى محبته[2].

باعتبار أن المشاكل التى يقع فيها مرتكب الخطيئة، وكذلك المضايقات إنما يكون نوعا من تكفير الخطيئة، والخروج من دائرة الأنا الشخصى[3] إلى دائرة التعامل ومناجاة الأنا الأعلى[4]، وهو ما وقع فيه الإسرائيليون على الدوام، ومازالوا يعيشون فيه حتى يومنا هذا. نلمح ذلك من قول العهد القديم: « فاستغاث الإسرائيليين للرب قائلين: أخطأنا إليك؛ لأننا تركنا إلهنا وعبدنا البعليم »[5].

فلو لم تقع تلك المضايقات لهم ما استغاثوا بالرب إلههم، وبالتالى فالذى دفعهم للرجوع إلى الرب إنما هو المضايقات والمشاكل التى أحاطت بهم، لا لأن ضمائرهم استيقظت، وأن نفوسهم للحق عادت.

---

(١) العهد القديم – سفر القضاة ١٠ : ٦ – ٩ .

(٢) التفسير التطبيقى ص٥١٩ .

(٣) الأنا الشخصى : هى الوحدة الديناميكية التى تؤلف الفرد، أو هى تجربة الفرد لنفسه، أو تصوره الكلى لذاته. (راجع: أسعد رزق – موسوعة علم النفس – مراجعة الدكتور عبدالله عبدالدايم ص٤٧).

(٤) الأنا الأعلى : اصطلاح يستخدمه علماء التحليل النفسى مجاراة لفرويد للدلالة على تكوين فى العقل الباطن، يقوم بوظيفة الضمير بالنسبة لكل من الأنا الواعية ومخزون الدوافع والبواعث اللاواعية، التى تنم فى معظمها ببيعة جنسية يتكون الأنا الأعلى من تجارب مبكرة تعود بشكل رئيسى إلى علاقات الولد بالأبوين، وهو الذى يختزن به الأخلاق الاجتماعية، وينتقد أفكارنا وأفعالها جامعا بين الوعى واللاوعى. (راجع الدكتور سعدون رزق – مراجعة الدكتور عبدالله عبدالدايم – موسوعة علم النفس – المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢ ص٤٧/١٩٧٩م)

(٥) العهد القديم – سفر القضاة ١٠ – ١٠ .

ﷺ وما أصدق قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾(١).

يقول صاحبا الجلالين : « قوله تعالى: ﴿ وإذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام ﴾ أي نوع واحد وهو المن والسلوى فادع لنا ربك يخرج لنا شيئا مما تنبت الأرض من للبيان بقلها وقثائها وفومها حنطتها وعدسها وبصلها قال لهم موسى أتستبدلون الذي هو أدنى أخس بالذي هو خيز أشرف أتأخذونه بدله والهمزة للإنكار فأبوا أن يرجعوا فدعا الله تعالى فقال تعالى اهبطوا انزلوا مصرا من الأمصار فإن لكم فيه ما سألتم من النبات وضربت جعلت عليهم الذلة الذل والهوان والمسكنة أي أثر الفقر من السكون والخزي فهي لازمة لهم وإن كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكته وباءوا رجعوا بغضب من الله ذلك أي الضرب والغضب بأنهم أي بسبب أنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين كزكريا ويحيى بغير الحق أي ظلما ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون يتجاوزون الحد في المعاصي وكرره للتأكيد »(٢).

ﷺ وقال أيضا : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾(٣).

يقول ابن جرير الطبرى : « قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس قال أذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين، وأما الحبل الذي ذكره الله في هذا الموضع فإنه السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من

---

(١) سورة البقرة – الآية ٦١ .

(٢) العلامة جلال الدين السيوطى والعلامة جلال الدين المحلى – تفسير الجلالين ج: ١ ص: ١٣ – الطبعة الأولى – دار الحديث القاهرة .

(٣) سورة آل عمران – الآية ١١٢ .

المؤمنين وعلى أموالهم وذراريهم من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل أن يثقفوا في بلاد الإسلام.وقوله أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس فهو عهد من الله وعهد من الناس كما يقول الرجل ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو الميثاق »(١).

فقال الفراء: « ضربت عليهم الذلة إلا أن يعتصموا بحبل من الله فأضمر ذلك؛ قال: وروى الأزهري ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا بكل مكان إلا بموضع حبل من الله ، وهو استثناء متصل كما تقول ضربت عليهم الذلة في الأمكنة إلا في هذا المكان »(٢).

وقوله تعالى: وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون: يعني تعالى ذكره وباءوا بغضب من الله وتحملوا غضب الله فانصرفوا به مستحقيه ، ومعنى المسكنة وأنها ذل الفاقة والفقر وخشوعهما ومعنى الغضب من الله فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ،

وقوله تعالى: ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله ذلك أي بؤوهم الذي باءوا به من غضب الله وضرب الذلة عليهم بدل مما كانوا يكفرون بآيات الله يقول مما كانوا يجحدون أعلام الله وأدلته على صدق أنبيائه وما فرض عليهم من فرائضه. ويقتلون الأنبياء بغير حق يقول وبما كانوا يقتلون أنبياءهم ورسل الله إليهم اعتداء على الله وجراءة عليه بالباطل وبغير حق استحقوا منهم القتل، فتأويل الكلام ألزموا الذلة بأي مكان لقوا إلا بذمة من الله وذمة من الناس وانصرفوا بغضب من الله متحمليه وألزموا ذل الفاقة وخشوع الفقر بدلا مما كانوا يجحدون بآيات الله وأدلته وحججه ويقتلون أنبياءه بغير حق ظلما واعتداء.

وقوله تعالى ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾: « يقول تعالى ذكره فعلنا بهم ذلك بكفرهم وقتلهم الأنبياء ومعصيتهم ربهم واعتدائهم أمر ربهم، فأعلم ربنا جل ثناؤه عباده ما فعل بهؤلاء القوم من أهل الكتاب من إحلال الذلة والخزي بهم في عاجل الدنيا مع ما ادخر لهم في الآجل من العقوبة والنكال وأليم العذاب إذ تعدوا حدود الله

(١) العلامة ابن جرير الطبرى – تفسير الطبرى – ج٤ ص٥٢/٤٩ – طبعة دار الفكر بيروت – ١٤٠٥هـ.

(٢) العلامة ابن منظور – لسان العرب – ج١١ ص١٣٧ .

واستحلوا محارمه تذكيرا منه تعالى ذكره لهم وتنبيها على موضع البلاء الـذي مـن قبلـه أتوا لينيبوا ويذكروا وعظة منه لأمتنا أن لا يستنوا بسنتهم ويركبوا منهاجهم فيسلك بهم مسالكهم ويحل بهم من نقم الله ومثلاته ما أحل بهم »[١].

ويذهب بعض مفكرى العهد القديم أيضا إلى أن الرب جعل بنى إسرائيل يعانون سنوات كثيرة من الأسر والمشاكل والمضايقات التى يقوم بها الآخرون ضدهم، حتى يعودوا عن طرقهم الخاطئة، ويرجعوا منها، وأنهم لما وصل بهم الأمر غاية الجهد لم يتجهوا إلى ألهتهم الوثنية طلبا للمعونة، بل إلى الرب باعتبار أنه الذى يستطيع أن يمنحنهم الحياة الكاملة.

❁ **وفى تقدير الباحث** : أنهم كلما حطت بهم رحال النعم الوافرة ورفلوا فى أثواب النعيم انحازوا إلى الكفر والطغيان مهما كانت صوره، وأنه إذا حلت بهم بعض النكبات أو ألمحت إليهم المشكلات، فإنهم يعودون مطالبين ربهم أن يرفع عنهم ما وقعوا فيه فهم فى سرائرهم يعودون للباطل ويناجون ربهم، ويتكرر ذلك منهم حتى صار سمة لهم، وعلامة يعرفون بها، ولذا؛ سموه يهود[٢].

مناقشة الفكرة

الدارس لمقارنة الأديان يجد سفر القضاة قد انشغل بحوادث تاريخية مليئة بالتقلبات السياسية والاضطرابات العسكرية، فما من إصحاح فيه إلا وهو يتحدث عن الحشود العسكرية، والدماء التى أريقت، وأرض المعارك التى وقعت فيها، مما يمكن اعتباره سفرا عسكريا، وآية ذلك الإصحاح الأول منه يعلن عن فشل بنى إسرائيل عسكريا، إذ لم يمكن دخول بنى إسرائيل أرض كنعان، واستدلوا على ما ظنوه موعودات أجدادهم، وقد تغلبوا على صعاب كثيرة، ولكنهم فشلوا فى التغلب على التحديات الروحية.

(١) العلامة ابن جرير الطبرى – تفسير الطبرى – ج٤ ص٥٢/٤٩ – طبعة دار الفكر بيروت – ١٤٠٥هـ.

(٢) وهذا أقرب الوجوه إلى تعليل تسميتهم باليهود وتؤازهم ظواهر اللغة أيضا، باعتبار أنهم كلما فعلوا خطئا، ووجدوا النكبات تنزل عليهم رجعوا عنها، فإذا ارتفعت النكبات عنهم عادوا للمعاصى السابقة، وأكثر منها، ويتكرر ذلك منهم، ولا ينقطع عنهم، ولعل ذلك من الأوصاف التى خصهم الله تعالى بها.

فاستسلم بنى إسرائيل للضغوط وتهاونوا فى الإيمان(١).وذلك يقتضى من الدارس مناقشة تلك الفكرة على النواحى الآتية :-

أولا : من الناحية السياسية

يفشل مؤلفو العهد القديم فى وضع ضوابط لقصتهم على الناحية السياسية، باعتبار أن أدق مفهوم للسياسة(٢) هو : « القدرة على قيادة الأمة للخير من غير التعرض للآخرين بأذى »(٣).

وسفر القضاة من اللحظة الأولى، يعلن عن هذا الشكل، ويتحدث عن الاجتياح العسكرى والاكتساح السريع الذى قام به الإسرائيليون ضد الآخرين، حينما يتحد الإسرائيليون لا حينما يختار الله.

ومثل ذلك يمثل نزعة نفسية، واتجاها مغرقا فى العنصرية الذاتية، ولا يمكن نسبته إلى كتاب يفيد أنه مقدس، ومن ثم فإن القصة محل شك من تلك الناحية.

ثانيا : الناحية العسكرية

يذهب السفر نفسه فى وصف الحالة العسكرية القائمة على المباغتة والخداع، وتدمير الآخرين بأنها إحدى رغبات الرب عندهم، إذ بعد موت يشوع يقول العهد

---

(١) قال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ﴾ [سورة النساء – الآية ١٣٧] ويقول صاحبا الجلالين: « إن الذين آمنوا بموسى وهم اليهود ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا بعده ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد لم يكن الله ليغفر لهم ما أقاموا عليه ولا ليهديهم سبيلا طريقا إلى الحق » (تفسير الجلالين ج: ١ ص: ١٢٧ – ط١ دار الحديث – القاهرة – بدون). ويقول أيضا : ﴿ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ۝ إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ [سورة النساء – الآيتان ١٦٨/١٦٩] . يقول العلامة البيضاوى : « قوما تكرر منهم الارتداد، ثم أصروا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغى، ألم يكن الله ليغفر لهم وليهديهم سبيلا، إذا يبتعد منهم أن يتوبوا عن الكفر، وثبتوا على الإيمان، فإن قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق. (راجع للعلامة البيضاوى : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص١٣٨).

(٢) تعرف السياسة بأنها فن قيادة الأمم على الناحية التى يتحقق فيها الخير. (راجع الدكتور عز الدين فودة – الدبلوماسية ص٧ ط الشعب ١٩٥١م

(٣) التفسير التطبيقى ص٤٧٨ .

القديم: « وما كان بعد موت يشوع[١] أن بنى إسرائيل سألوا الرب قائلين من منا يصعد إلى الكنعانيين أولاً لمحاربتهم، فقال الرب يهوذا يصعد هو ذا قد دفعت الأرض ليده[٢]، فربهم يدفعهم لاحتراف القتل ومباغتة الآخرين، واستعمال أقصى صورا لتمثيل لقتلى الأبرياء مهما كانوا مسالمين أو ضعفاء، باعتبار أن ذلك من تعاليم الرب لليهود.

أجل لقد أهداهم الرب الذى يعبدونه ما يعشقون، وسمع لهم بما إليه يتوقون، لو تجاوزوا ذلك حقوق الآخرين، ومن ثم؛ فقد لجأ الإسرائيليون إلى قتل ملك الكنعانيين (أدونى[٣]) الذى هرب وتعقبوه وقبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه تمثيلا به وإذلاله، ولجعله عاجزاً عن خوض المعارك، وكان يجب أن يقتل بناء على تعليمات الرب عندهم بخصوص الاستيلاء على أرض الموعد[٤].

ونفس العبارات يكررها سفر القضاة، حين يذكر أن أبناء يهوذا كانوا قد هاجموا أورشليم، واستولوا عليها، وقتلوا أهلها بحد السيف، وأحرقوها ثم انحدروا لمحاربة الكنعانيين فى حبرون وقضوا على شيشاى[٥]، ثم انقضوا على أهل دبير ولم يتوقفوا[٦].

ولا شك أن أى محارب مهما كان شأنه يجد ضوابط مشابهة، تحول بينه وبين القفز على أكتاف الآخرين، أو الضغط على الأبرياء والمسالمين، وما ورد فى العهد القديم يمثل سيرة ذاتية وترجمة حقيقية لنفوس هؤلاء التى عشقت الدم، واشرأبت للخراب، وما عاد شيء هناك يدفع للحق، أو يضرب للصواب، ولذا؛ فقد فشل مفسرو العهد

---

(١) العهد القديم – سفر القضاة ١ : ١ – ٢ .

(٢) مازال اليهود يمارسون ذلك العدوان على الشعوب المسالمة الآمنة، ومنها شعب فلسطين المسلم العربى الأعزل الذى ابتلاه الله بشرذمة من اليهود، ومازالوا يعيثون فى أرضه فسادا.

(٣) أدونى : إذ أن معناه غير معروف وهى اسم مدينة فى بابل، وسكنها اليهود الذين عادوا من فلسطين. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٣٨)

(٤) التفسير التطبيقى ص٧٤٩ .

(٥) شيشاى أسم كنعانى معناه مبيض أحد أبناء عناق الثلاثة أقام فى حبرون وطرده كالب . (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٥٣٢).

(٦) العهد القديم – سفر القضاة ١١ : ١٣ .

القديم كما فشل كتابه فى ضبط الاتجاه العسكرى فى تلك الرواية ، التى تعتبر بالنسبة لهم إحدى الروايات التاريخية[1].

ثالثا من الناحية العقلية

كتاب العهد القديم يضغطون على مشاعر الآخرين من الناحية العقلية ، دون مبالاة لأدنى اعتبار عقلى ، وآية ذلك أنهم يصفون ربهم بصفات بشرية ، فهو رحيم معهم أبدا وقاسى شريرا مع الآخرين أبدا.

فمهما كان للإسرائيليين من سلوك مشين ومهما كان لغيرهم من توجيهات مقبولة ، فهو يغضب ويدمر بالتحريف لكل من يعاند الإسرائيليين ، بمجرد أنه عاند أبناء الرب ، وفى نفس الوقت ؛ فإن الإسرائيليين حسب زعمهم[2] أبناء الرب . يندفعون فى طريق مخاصمته إلى أبعد مدى ، فإذا قرر توجيههم أو تأديبهم ؛ انقلبوا متذمرين عليه كالأطفال المدللين ، فإنه يتراجع عن كل ما هدد به أو توعد به إنه لو تجرأ يوما ما ونفذ أمره بمعاقبتهم ، فسرعان ما يتراجع ويظهر الندم ، بل ربما التمس منهم العفو عنه والتسامح معهم.

فأى رب تكون تلك أوصافه ، بل أى عقل يمكنه أن يقبل وجود ذلك الرب ، إن العقل السليم يدرك معنى كون الرب حكيما ، أن يكون عادلا رحيما أيضا ، لكن بنو إسرائيل حاولوا أن يجعلوا ذلك الرب الذى يعبدونه أقرب إلى نفس الأطفال منه إلى البالغين ، فهو يَغلب ويُغلب ويهزم مرة ثم ينهزم أخرى ، وفى كل حالاته واقع تحت

---

(١) وقد تندر ليوتاكسيل من تلك الأقاصيص واعتبرها إحدى المعبرات عن التركيبات السيكولوجية لمؤلفى العهد القديم ككل .

(٢) وقد كفرهم الله تعالى ، وكذب غيرهم من مروجى تلك الأفكار الكاذبة. قال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ [سورة التوبة – الآية ٣٠] . يقول صاحب تفسير المؤمنين « من أن إدعاء اليهود والنصارى البنوة لله يماثلون بأقوالهم قول الذين كفروا قاتلهم الله كيف يعتورفون عن الحق إلى الباطل. (راجع / عبدالودود يوسف – تفسير المؤمنين – مراجعة الدكتور مصطفى الخن ص١٥٢ – نشر المؤسسة العلمية – رمضان ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

تأثير خارجه عن إرادته، مما يجعل الدارس يقر أن هيبته وحاله قد سقطت بين أقلامهم وتوارث مفرداتهم باعتبار ان إلههم مثلهم لا يفترق عنهم في أى شيء أبدا(١).

رابعا: الناحية التاريخية

يسقط مفسرو العهد القديم كما يسقط مؤلفوه في النواحي التاريخية لما هو معروف من أن كل حدث حقيقي تعتريه بمدة زمنية، باعتبار أن الزمان والمكان والحركة يكمل بعضها البعض الآخر، فلا يوجد حدث إلا وهو مواكب للزمن.

غير أن تلك القصة ذكر فيها أبطالها غير الحقيقيين، وهم الأفراد الذين تقع بينهم الثرثرة، بينما أهملت البطل الحقيقي وهو الزمن فلم تعرف بتاريخ تلك الوقائع ولا بالملابسات التي أحاطت، فضلا عن الظروف الأخرى التي تواكب كل حدث على سبيل الاستقلال.

وقد لاحظ ليوتاكسيل تلك الملاحظة أيضا، فانتهى إلى أن ذلك الزمان مجهولا عندهم، وأن أبطالهم في رواياتهم يظهرون مرة متواضعين، وأخرى جبارين، كما يظهرون أحيانا مزواجين، كالحال مع جدعون الذى ذكرت أسفار العهد القديم أنه كان مزواجا، أنجب سبعين ولدا، وكان له ولد يدعى أبيمالك أنجبته له سريته التي كانت تقيم في شكيم(٢)، وفي أحد الأيام الهادئة قام أبيمالك وذبح أخوته على صخرة واحدة ماعدا أصغرهم الذى اسمه بوشام، إذ تمكن من الهرب والتخفي(٣).

إذن الحوادث التاريخية ما لم تكن مرتبة ترتيبا مقبولا على الناحية الفنية، فإن الطعن فيها يكون ممكنا، بل يفرض نفسه أيضا، وفي تقدير الباحث أن قصص العهد

---

(١) وقد صور القرآن الكريم ما يجرى في نفوس هؤلاء، وبين أنها تلبيسات شيطانية، قال تعالى: ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير ﴾ [سورة المائدة – الآية ١٨] . « وقالت اليهود والنصارى أننا المفضلون، لأننا أبناء الله والمحببون لديه، فقل لهم أيها الرسول فلماذا يعذبكم بذنوبكم ويصليكم نار جهنم، لقد كذبتم لأنكم كثائر البشر مخلوقون ومحاسبون على أعمالكم، وبيد الله وحده المغفرة لمن يشاء أن يغفر له، والعذاب لمن يشاء أن يعذبه، لأن الله له ملك السماوات والأرض وما بينهما واليه المنتهى » [راجع المنتخب في تفسير القرآن ط٨ ص١٤٨ – طبعة المدلس الأعلى للشئون الإسلامية].

(٢) العهد القديم – سفر القضاة ٨ : ٣٠ – ٣١ .

(٣) ليوتاكسيل : التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٢٣١ .

القديم لم تنجح فى إقناع قارئها، بأنها من قبل الرب آتية، أو أن مؤلفيها استخدموا قوتهم من الرب، فضلا عن أن يكون ذلك كله قد وقع فعلا.

يقول الناقد الإنجليزى ولسن عند مقارنته بين سفر يشوع وسفر القضاة« أجد أن أحد هذين السفرين كاذب بالضرورة، إذ هما يحتويان على تناقضات مدهشة، ينفى أحدهما الأخر[١] نفيا قاطعا »[٢].

والذى يميل الباحث إليه: أن غضب الرب جلا علاه على بنى إسرائيل كان بسبب رغبتهم المستمرة فى مخالفة تعاليمه، والتردى فى المعاثرة[٣]، لكن غضب الرب جل جلاله عندنا نحن المسلمين ليس اندفاع دم فى وجهه، كما زعم العهد القديم، وليس اضطراب فى عقل واتخاذ قرارات خاطئة، كما تصور مفسرو الكتاب المقدس، وإنما غضب الله تعالى صفة فعل.

قال تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزآؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾[٤].

يقول العلامة الطبرى: « يعني بذلك جل ثناؤه ومن يقتل مؤمنا عامدا قتله مريدا إتلاف نفسه فجزاؤه جهنم يقول فثوابه من قتله إياه جهنم يعني عذاب جهنم خالدا فيها يعني باقيا فيها، والهاء والألف في قوله فيها من ذكر جهنم. وغضب الله عليه يقول وغضب الله عليه بقتله إياه متعمدا ولعنه يقول وأبعده من رحمته وأخزاه وأعد له عذابا عظيما وذلك ما لا يعلم قدر مبلغه سواه تعالى ذكره »[٥].

---

(١) تلك الشهادة الوثائقية التى يقدمها مستشرق تدل على شيء من العثر والمعاناة التى تظهر كلها فى العهد القديم، وقصصه وخيالاته، والعقل يحكم ببطلان واحدة منها، باعتبار أن المتناقضين لا يجتمعان فى الصدق، وقد يرتفعان عنه تماما، فتكون كل منهما كاذبة.

(٢) ليوتاكسيل: التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٢٢٣ .

(٣) المعاثر جمع مفردها عثرة ومعناه الزلة والكبوة طالعتنا مصادر العربية قائلة: عثر الشيء عثرا وعثارا ذل وكبا. راجع المعجم الوجيز ص٤٠٦. وراجع لسان العرب لابن منظور ج٤ ص٥٣٩ مادة عثر .

(٤) سورة المائدة – الآية ٩٣ .

(٥) العلامة الطبرى – تفسير الطبرى – ج٥ ص٢١٤ – طبعة دار الفكر – بيروت ١٤٠٥هـ.

ويقول الشيخ أبو بكر الجزائرى : « كما أن القاتل عليه القصاص، أو الديه لأهل القتيل، فعليه حق الله أيضا؛ لأن القتيل عبده خلقه ليعبده، فمن قتله فخصمه الله تعالى رب العبد، وقد توعده بأشد العقاب وأفظعها - والعياذ بالله - وهذا الحق الثانى موكل للخالق جل علاه، إن شاء عذبه أنجزه، وإن شاء عفا عنه »[1].

ويقول العلامة ابن كثير : « هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله، حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان: ﴿والذين لا يدعون من الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا﴾[3] »[4].

والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدا فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء »[5].

وعن عبدالله بن عمر ﷺ: « لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم »[6]. ، وعن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: « لو اجتمع أهل السماوات والأرض على قتل رجل مسلم لأكبهم الله في النار »[7].

(١) السيخ أبو بكر الجزائرى - أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير ج١ ص٤٤١ - ط٢ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢) سورة الفرقان - الآية ٦٨ .

(٣) سورة الأنعام - الآية ١٥١ .

(٤) العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج١ ص٥٣٦ - طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ

(٥) الإمام البخارى - صحيح البخاري ج: ٦ ص: ٢٥١٧ - كتاب الديات وقول الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم - الحديث: ٦٤٧١ ، وأخرجه الإمام مسلم - صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٣٠٤ - باب المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضي فيه بين الناس يوم القيامة - الحديث: ١٦٧٨ ، وراجع صحيح ابن حبان ج١٦ ص٣٣٩ ، ومسند أبى عوانة ج٤ ص٩٩ ، وسنن الترمذى ج٤ ص١٧ ، ومجمع الزوائد ج٧ ص٢٥٢ ، ٣١٦ وسنن النسائى ج٧ ص٨٣ ، وسنن ابن ماجة ج٢ ص٨٧٣ ، ومسند أحمد ج١ ص٣٨٨ .

(٦) الإمام الترمذى - سنن الترمذي ج: ٤ ص: ١٦ - باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن - الحديث: ١٣٩٥.

(٧) العلامة الحافظ نور الدين الهيثمى - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - ج٧ ص ٢٩٧ ، وراجع الترغيب والترهيب ج٣ ص٢٠٢ .

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: « من أعـان علـى قتـل المسلم ولـو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله »[1].

وقد كان ابن عباس يرى أنه لا توبـة لقـاتل المؤمـن عمـدا، وقـال البخـاري عـن المغيرة بن النعمان قال: سمعت بان جبير قال: اختلف فيـها أهـل الكوفـة فرحلـت إلى ابن عباس فسالته عنها فقـال: نزلـت هـذه الآيـة ﴿ومـن يقتـل مؤمنـا متعمـدا فجـزاؤه جهنم﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء. وقال في هذه الآية: ﴿والذين لا يدعـون مـع الله إلها آخر﴾ إلى آخرها قال: نزلت في أهل الشرك. وقال ابـن جريـر عـن سـعيد بـن جبير قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم﴾ قال: إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم لا توبـة له فذكرت ذلك لمجاهد فقال: إلا من ندم.

وعن سالم بن أبي الجعد قال: « كنا عند ابن عبـاس بعدمـا كـف بصـره فأتـاه رجل فناداه: يا عبد الله بن عباس ما ترى في رجل قتل مؤمنـا متعمـدا؟ فقـال: جـزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما، قال: افرأيت إن تـاب وعمل صالحا ثم اهتدى؟ قال ابن عباس: ثكلته أمـه وأنـى لـه التوبـة والهـدى؟ والـذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: ثكلته أمه قاتل مؤمن متعمدا، جاء يوم القيامة أخذه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه من قبـل عـرش الرحمـن، يلـزم قاتله بشماله وبيده الأخرى رأسه يقول: يا رب سل هذا فيم قتلـني" »[2]. وإيـم الـذي نفس عبد الله بيده لقد أنزلت هذه الآية فما نسختها من آية حتـى قبـض نبيكـم صلـى الله عليه وسلم وما نزل بعدها من برهان.

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « يجـيء المقتلـول متعلقا بقاتله يوم القيامة آخذا رأسه بيده الأخرى، فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلـني؟ قال، فيقول: قتلته لتكون العـزة لـك، فيقـول: فإنـها لي، قـال: ويجـيء آخـر متعلقـا

(١) الإمام البيهقي – سنن البيهقي الكبرى ج: ٨ ص: ٢٢ – الحديث: ١٥٦٤٣ .

(٢) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ١ ص: ٢٤٠ – الحديث رقم:٢١٤٢ .

بقاتله، فيقول: رب سل هذا فيم قتلني؟ قال، فيقول: قتلته لتكون العـزة لفـلان قـال: فإنـها ليست له بؤ بإثمه، قال فيهوي في النار سبعين خريفا »[١].

وعن أبي إدريس، قال: سمعت معاوية رضي الله عنه يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « كـل ذنـب عسـى الله أن يغفـره إلا الرجـل يمـوت كـافرا، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا »[٢]..

والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها: « أن القاتل لـه توبـة فيمـا بينـه وبين الله ﷻ، فإن تاب وأناب، وخشع وخضع وعمل عمـلا صالحـا بـدل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن ظلامتـه. قـال الله تعـالى: ﴿والذيـن لا يدعون مع الله أله آخر – إلى قوله : إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا﴾ الآية وهـذا خبر لا يجوز نسخه وحمله على المشركين وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظـاهر ويحتاج حمله إلى دليل.

وقوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسـرفوا علـى أنفسـهم لا تقنطـوا مـن رحمـة الله﴾ الآية، وهذا عام في جميع الذنوب من كفر وشرك وشك ونفاق وقتـل وفسـق وغـير ذلك، كل من تاب تاب الله عليه، قـال اللـه تعـالى: ﴿إن اللـه لا يغفـر أن يشـرك بـه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فهذه الآية عامة في جميع الذنـوب مـا عـدا الشـرك وهـي مذكورة في هذه السورة الكريمة بعد هذه الآية وقبلها، لتقوية الرجاء »[٣].

وثبت في الصحيح خبر الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس، ثم سأل عالما هل لي من توبة فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ ثم أرشده إلى بلد يعبد الله فيه، فـهاجر إليـه فمات في الطريق، فقبضته ملائكة الرحمة. فعن أبي سعيد الخـدري أن نـبي الله صلـى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسـعين نفسـا فسـأل عـن

(١) الإمـام النسـائي – سـنن النسـائي (المجتبـى) ج: ٧ ص: ٨٤ الحديـث رقـم:٣٩٩٧ ، ج: ٨ ص: ٦٣ الحديـث رقم:٤٨٦٦ ، وراجع مصنف ابن أبي شيبة ج: ٥ ص: ٤٥٧ – أول ما يقضى بين الناس – الحديث:٢٧٩٤٨ ، ج: ٥ ص: ٤٣٣ الحديث رقم:٢٧٧٣١ ، سنن البيهقي الكبرى ج: ٨ ص: ١٩١ – الحديث رقم:١٦٥٧٩

(٢) الإمام الطبراني – المعجم الأوسط ج: ٥ ص: ٢١٩ – حديث: ٥١٣٥ ، ج٩ ص٩٥ ، والمعجـم الكبـير ج١٩ ص٣٦٥ حديـث: ٨٥٨ ، ومسـند أحمـد ج٤ ص٩٩ حديـث: ١٦٣٩٥٣. والإمـام البيـهقي – سـنن البيـهقي الكـبرى ج:٨ ص:٢١– حديث:١٥٦٣٩ ، مجمع الزوائد ج٧ ص٢٩٦، سنن النسائي ج٧ ص٨١.

(٣) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج١ ص٥٣٧ – طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ

أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فأنطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة»[1].

وإذا كان هذا في بني إسرائيل فلأن يكون في هذه الأمة التوبة مقبولة بطريق الأولى والأحرى، لأن الله وضع عنا الآصار والأغلال التي كانت عليهم، وبعث نبينا بالحنيفية السمحة، فأما الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا﴾ الآية، فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف، هذا جزاؤه إن جازاه، وكذا كل وعيد على ذنب لكن قد يكون كذلك معارض من أعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه على قولي أصحاب الموازنة والإحباط،

وهذا أحسن ما يسلك في باب الوعيد، والله أعلم بالصواب. وبتقدير دخول القاتل في النار، أما على قول ابن عباس ومن وافقه أنه لا توبة له، أو على قول الجمهور حيث لا عمل له صالحا ينجو به فليس بمخلد فيها أبدا، بل الخلود هو المكث الطويل، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان »[2]، وعن معاويةعن رسول الله ﷺ قال: « "كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا »[3] فعسى للترجي، فإذا انتفى الترجي في هاتين الصورتين لانتفى وقوع ذلك في أحدهما وهو القتل، لما ذكرنا من الأدلة.

---

(١) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ٢١١٨ – باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله – الحديث: ٢٧٦٦ .

(٢) العلامة صديق بن حسن القنوجي (١٢٤٨هـ/١٣٠٧هـ) – أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ج: ١ ص: ٣٩ – الحديث : ٨٥– دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٧٨م– تحقيق: عبد الجبار زكار .

(٣) العلامة الحاكم – المستدرك على الصحيحين ج: ٤ ص: ٣٩١ – الحديث: ٨٠٣١ .

وأما من مات كافرا فالنص أن الله لا يغفر له البتة ، وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فإنه حق من حقوق الآدميين وهي لا تسقط بالتوبة ، ولكن لا بد من ردها إليهم ولا فرق بين المقتول والمسروق منه ، والمغصوب منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين ، فإن الإجماع منعقد على أنها لا تسقط بالتوبة ، ولكنه لا بد من ردها إليهم في صحة التوبة فإن تعذر ذلك فلا بد من المطالبة يوم القيامة ، لكن لا يلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة ، إذ قد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول أو بعضها ، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة أو يعوض الله المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجنة ونعيمها ، ورفع درجته فيها نحو ذلك .

ثم لقاتل العمد أحكام في الدنيا وأحكام في الآخرة، فأما في الدنيا فتسلط أولياء المقتول عليه ، قال الله تعالى: ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا﴾ ثم هم مخيرون بين أن يقتلوا ، أو يعفوا ، أو يأخذوا دية مغلظة - أثلاثا - ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة ، كما هو مقرر في كتاب الأحكام »[1].

فالغضب هنا قائم على مفهومه لمراد الله بهذا الخاطئ من رحمته جلا علاه ، طالما أنه لم يرجع ولم يتب غضب عليه ومرده من رحمته ، فلا يتحقق له السعادة، رغم قوته وكثرة ماله ، وربما كثرة أولاده ، إلا أن القبول له فى الأرض غير قائم.

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج١ ص٥٣٦ - طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ وقال ابن كثير: « واختلف الأئمة هل تجب عليه كفارة عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام على أحد القولين كما تقدم في كفارة الخطأ على قولين: فالشافعي وأصحابه وطائفة من العلماء يقولون: نعم يجب عليه، لأنه إذا وجبت عليه الكفارة في الخطأ فلأن تجب عليه في العمد أولى فطردوا هذا في كفارة اليمن الغموس، وقال أصحاب الإمام أحمد وآخرون: قتل العمد أعظم من أن يكفر فلا كفارة فيه وكذا اليمين الغموس، وقد احتج من ذهب إلى وجوب الكفارة في قتل العمد بما رواه الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم نفر من بني سليم فقالوا: إن صاحبا لنا قد أوجب، قال: "فليعتق رقبة يفدي الله بكل عضو منها عضوا منه من النار ».

الباب الثالث

الغضب البشرى

تمهيد

من البين أن الغضب فى العهد القديم صار ظاهرة من الظواهر التى لا تخفيها عين باحث، كما لا ترهق فى البحث عنها عين قارئ، بل تدفع إلى التأمل فيها فكر اللبيب، وتحرك عقله الواعي، حتى إنه ليسعى إليها كل ما أمكنه السعي، بغرض التعرف عليها، ثم إظهارها لغير المتخصص[1].

ومن نافلة القول أن هذا البحث قد تناول الغضب فى كل من اللغة[2]، والاصطلاح[3]، كما ألمح إلى أنواع الغضب على وجه العموم حسب ورودها فى اللغة واصطلاح أصحاب اللاهوت، وكذلك اصطلاح مفكري المسلمين، وقد بان للدارس ان هذه الاصطلاحات متباينة، إلا أن بعضها يعتمد على تجارب أصحابها، وبعضها الآخر يعتمد على ثقافة القائمين عليها، وبعض ثالث – وهم أهل الإسلام – حيث ذهبوا إلى النقل المنزل – القرآن الكريم –، والسنة النبوية المطهرة، يستلهمون من تلك المعاني الجميلة ثم يصوغونها جملا متآخية، كأنها عقود من اللؤلؤ والمرجان، يأخذ بعضها بعناق الآخر حتى تظهر للقارئ جميلة المنظر، ملفتة المظهر، أخاذة ببريقها العيون.

كما أن الدراسة قد تعرضت للغضب الإلهي، وبينت تعريفه كما ذكرت أسبابه، وفى نفس الوقت ألمحت إلى نتائجه فى العهد القديم عرضا ومناقشة طبقا لمنهج الدراسة الذى قام عليه الباحث[4]، وقد حرص الباحث على تقديم نماذج للغضب الإلهى لليهود، معتبرا النصوص التى يعتنقونها هى الأصل فى العرض، ولذا فقد ذكر أنواعه

---

(١) تلك مهمة الباحث، فى مقارنة الأديان، فهو يبحث عن تلك الظواهر، ثم يعرضها، ثم يقدمها للقارئ المثقف مدعمة بالأدلة .

(٢) استغرق ذلك الحديث جزءا من الباب الأول من ذات الرسالة .

(٣) شغل تعريف الغضب من الناحية الاصطلاحية الجزء الثانى من ذات الفصل كما هو معروف من أن اللغة والاصطلاح يتكاملان

(٤) وليس جديدا على الإعلان أن منهجى فى الدراسة هو المنهج التحليلى؛ الذي يقوم على تحليل الفكرة إلى عناصر أولية ثم مراجعة ذلك على الناحية النقدية، مدعما كلا منهما بما يمكننى الوقوف عليه .

أيضا، سواء أكان منها التى كانت على الأقوام السابقين فى الوجود على بنى الإنسان(١)، أم كانت على السابقين فى الوجود أيضا على بنى إسرائيل .

كما تعرض الباحث لبيان غضب الله لبنى إسرائيل – حسب تصويرهم له –، وقد ألمح إلى مقومات ذلك الغضب عندهم، كما صرح بأنواع الغضب الأخرى، حتى التى كان منها غضب الرب على بنى إسرائيل أنفسهم، وقد بذل فى سبيل ذلك ما أمكنه الوقوف عليه حسبما هو مدون بصفحات تلك الرسالة، كل فى موضعه .

بيد أن بحث تلك الظاهرة فى العهد القديم لا يكتمل من وجهة نظر الباحث إلا بتقديم بعض النماذج عن الغضب البشرى فى العهد القديم أيضا، وهو ما سوف أخصه بالدراسة فى هذا الجزء من الرسالة

(١) كالحال مع جماعة (البن والحن) على النحو الذى سبق تصويره .

الفصل الأول

غضب ابني آدم

ترددت فى المصادر المتعلقة بمقارنة الأديـان مسـألة غضـب ابنـى آدم الأوليـين، التى انتهت بوقوع أول جريمة قتل فى دنيا الناس، وقد حظيت تلك القصة بالكثير مـن العناية والتناول، كما ظفرت بالعديد من الدراسات . [illegible] التـى ثمـت حولها ،بعضها فيه الكثير من الخيال، والبعض الآخر فيه تصـورات خاصـة معـبرة عـن ثقافات أصحابها، وقد جاء كل من السابقين فى العـهد القديـم ولدى مفكـروه . وفـى نفس الوقت فإن هذا النبأ المتعلق بما وقع من ابني آدم الأوليين، والنتيجة التـى انتـهى إليها قد جاء محددا عل وجه اليقين القاطع فى القرآن الكريم، وهو الصادق الـذي: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١) .

والدارس لمقارنة الأديـان، المتعـرض للغضـب البشـرى فـى العـهد القديـم، يـرى ضرورة عرض ذلك النوع من الغضب حسب وروده فى أفهام مفكرى العهد القديم، طبقـا للنصوص التى يؤمنون بها، بجانب المعارف التى ثمت حولها أولا، ثـم يعـرض موقـف القرآن الكريم، ومفكرى المسلمين المعتد بهم ثانيا، كمـا هـو الشـأن فـى دراسـة الأديـان المقارنة،

وسيكون ذلك على النحو التالى :

أولاً في العهد القديم

أ. عرض الفكرة

يذكر العهد القديم أن آدم عاشر زوجته، فحبلت وولـدت قـايين(٢)، إذ قـالت : « اقتنيت رجلا من عند الرب ثم عادت فولدت أخاه هابيل(٣)، واختلف مفسـرو العـهد

(١) سورة فصلت – الآية (١٤٢) .وقال صاحبا الجلالين: « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أي ليـس قبلـه كتاب يكذبه ولا بعده تنزيل من حكيم حميد أي الله المحمود في أمره » (تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٦٣٦) .

(٢) (قايين): اسم سامى معناه " حداد "وهو بكر آدم وحواء عليهما السلام، اشتغل لما كبر بالزراعـة، وصـار عـاملا فى الأرض، وقدم قربانا لله من ثمار الأرض، بينما قدم أخوه هابيل من أبكار غنمه وسمانـها، فقبـل الـرب قربـان هابيل، ورفض قربان قايين، فاغتاظ جدا .. . راجع قاموس الكتـاب المقـدس ص٧١٠ . ويقـول العلامـة الطـبرى: « وأهل العلم يختلفون في اسم قابيل، فيقول بعضهم: هو قين بن آدم ويقول بعضهم هو بن آدم ويقول بعضهم هـو قاين ويقول بعضهم هو قابيل » (راجع أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٣٤هـ–٣١٠هــ) – تـاريخ الطـبري ج: ١ ص: ٨٨) – ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٧هـ.

(٣) (هابيل) : ربما كان اسما ساميا معناه "نجارا " أو أكاديا معناه "ابن" وهو رابـع البشـرية، والإبـن الثـانى لآدم وحواء، وكان راعيا للغنم، بينما كان أخوه قايين مزارعا، وكان هابيل تقيا، وحدث أن قدم باكورة غنمه وسمانها قربانا للرب فقبل ... . راجع قاموس الكتاب المقدس –ص٩٩٣ .

القديم فى أن هذه العلاقة الجسدية كانت فى الجنـة أم كـانت علـى الأرض، ! فذهـب بعضهم إلى أن هذه العلاقة الجسدية (المعاشرة) تمت بينما عندما كانا فى الجنة »(١) .

ويعتقد آخرون أن حواء التى خلقت لتوها قد فقـدت عفتـها بينمـا ذكـر البعـض مستندا إلى النص المشار إليه أن آدم لم يفكر فى مضاجعة حواء قبل أن يطرد من الجنة، بينما أعرض بعض الباحثين عن ذلك، وظل يصـف حـالهم بعـد خروجـهم مـن الجنـة قائلا: « لم يعد آدم وحواء يجدان كل ما يحتجان إليه كما كان الحال فى جنـة عـدن، مع أنهما إشتغلا للعناية بالجنة، وكان عملهما مسليا ولذيـذا، إلا أنـه أصبـح علـى آدم وأسرته أن يصارعوا خدمتـهما للطبيعـة ليحصلوا علـى طعامـهم، وأن يغزلـوا صوفـا لثيابـهم، فـأصبح قـايين بكـرا لآدم فلاحـا، بينمـا كـان هـابيل الابـن الأصغـر راعيـا للغنم »(٢).

ويذكر العهد القديم من أنه بعد مرور أيام أن « قايين قدم من ثمار الأرض قربانا للرب، وقدم هابيل من أبكار الغنم، ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانـه، ولكـن إلى قايين وقربانه لم ينظر، فاغتظ جدا،وسقط وجهه »(٣) .

وذكر مفسرو العهد القديم أن الرب لم يبين لنا لماذا رفض تقدمة قايين، ويعللـون ذلك قائلين : « ربما كان موقف قايين غـير سـليم،أو لعـل تقدمتـه لم تكـن تتفـق مـع معايير الله »(٤) .

ويتعاطف أحد الباحثين مع الذى لم يتقبل قربانه قـائلا :« الحقيقـة أن موقـف يهوه(٥)، هذا يثير الغضب، لأنه أظهر جورا وتعسفا واضحين »(٦)، ويذكر العهد القديـم

(١) ليوتاكسيل هل التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير – ترجمة دكتور / حسان ميخائيل ص٤١ .

(٢) التفسير التطبيقى – ص ١٦.

(٣) العهد القديم – سفر التكوين – (٤٥/١٣-٥) .

(٤) التفسير التطبيقى – ص١٦ .

(٥) هو إله بنى إسرائيل حسب النصوص التى ذكرت عندهم، وليوتاكسيل يتعامل معـهم مـن خـلال النصـوص ذاتـها والمصطلحات التى أعلنوا عنها . ة"يهوه ": اسم من أسماء الله، يحفظ الدين من خطرين : – أولهما : من جعـل الله فكرة أو تصورا . والثانى : من جعله وجودا يتلاشى فيه كل ما فى الوجود، فالاسم بجعل الله إلهـا معينـاً معلنـا، يستطيع الإنسان أن يدعوه بألفاظ وتعابير واضحة، ولفظة يهوه هى فعل مضارع من: هـى، أو هـو . كما كـان فـى الأصل، ومعناه كان أو حدث أو وجد، وبعبارة أخرى، هو الذى كان والـذى أعلـن ذاتـه وصفاتـه – راجـع قـاموس الكتاب المقدس –ص١٠٤٦.

(٦) ليوتاكسيل –التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير – ترجمة د/ حسان ميخائيل ص٤٣ .

في هذا الصدد سائلا لقايين قائلا : « لماذا اغتظت ؟! لماذا تجهم وجهك؟! لو أحسنت في تصرفك ليشرق وجهك فرحا ، وإن لم تحسن التصرف – فعند الباب خطيئة تنتظرك ، تتشوق أن تتسلط عليك ، ولكن يجب أن تتحكم فيها »[(١)] .

غير أن قايين لم يحاول الإجابة على السؤال الموجه إليه ، باعتبار أن الغضب قد ملآه ، والخطيئة قد لحقته والسكينة قد فارقته ، ومن ثم ؛ فإنه لم يكن على استعداد للإجابة على هذا التساؤل ، كما لم يكن لديه استعداد لسماع الرب ، فبدلا من أن يفكر في إصلاح الخطأ باعتبار أن الذى نتج عنه هو عدم قبول قربانه ، وبدلا من أن ينتهز الفرصة التى سنحت له من قبل الرب – فكر فى قتل أخيه .

ويكرر العهد القديم ذلك الموقف على سبيل الملاحقة قائلا : « عاد قايين يتظاهر بالود لأخيه هابيل ، وحدث إذ كانا معا فى الحقل أن قايين هجم على أخيه هابيل وقتله ، مستخدما الخداع والدهاء فى مواجهة أخيه الأعزل المسالم) . وفى نفس الوقت لم تكن لديه الدقة فى التعامل المباشر مع الأشياء بواقعية ، أو مواجهة الحقائق على ما هى عليه ، ويذكر أصحاب التفسير التطبيقى أن هذه كانت هي أول جريمة قتل حدثت وهو القتل الذى يعقبه سفك الدم البشرى[(٢)] الذى يمثل الحياة فإن استنزف فقد المقتول حياته .

ويصور أحد المستشرقين الجريمة قائلا : « كان قايين شابا عمليا سريع الحركة ، فعندما دعا أخاه إلى نزهة فى الحقل ، ولما ابتعدا افتعل معه شجارا سخيفا ، ثم رفع المجرفة فهوى بها على رأسه فقتله ، وهكذا كان حبيب يهوه[(٣)] وحده ، أول بشر بادر إلى الموت رغما ، ولم يتمكن يهوه من الدفاع عنه »[(٤)] .

(١) العهد القديم – سفر التكوين (٤/٦).

(٢) باعتبار أنهم يقسمون القتل إلى أقسام عديدة منها :

(أ) قتل الخطيئة : الذى يزعمون أن آدم نفسه وقع فيها .

(ب) قتل معنوى : هو الخداع الذى استطاع الشيطان عمله مع الجنة .

(ج) قتل المادى : الذى مارسه ابن آدم مع أخيه .

(٣) هى تعبيرات ساخرة، قصد بها صاحبها بيان عجز الإله "يهوه" عن حمايته من أخيه، وهذا التصوير يجرى فى مفردا تهم .

(٤) ليوتاكسيل – التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير – ترجمة د/ حسان ميخائيل ص٤٤

ويبدو أن شحنة الغضب التى كانت غائرة فى صدر الأخ على أخيه قد انتهى فولها أو تم سحبها من خلال التنفيس عنهابواسطة الجريمة التى ارتكبت، بدليل أنه بعد انتهاء القاتل من المهمة قرر الابتعاد عن مسرح الجريمة فى حرية تامة من غير ضغوط عليه، أو إكراه،وبينما هو ذاهب بعيدا عنها إذ سأله الرب قائلا :(أين أخوك هابيل ؟ فرد قائلا :لا أعرف – وهل أنا حارس أخى ؟!فقال الرب له ماذا فعلت ؟! إن صوت دم أخيك يصرخ إلىّ من الأرض، فمنذ الآن تحل عليك لعنة الأرض التى فتحت فاها وابتلعت دم أخيك الذى سفكته يداك[١] .

ويبدو أن العقاب الرقيق من يهوه لم تصاحبه أية نتائج عملية، وأن يهوه هو الآخر كان يحفل بالكثير من الخجل، بما أعجزه فى ذات اللحظة عن اتخاذ قرار يدين به سلوكيات المعتدى على من أحب الرب يهوه .ويذكر العهد القديم أن تحذيرات يهوه لم ترهق قايين،وبالتالى رأى الرب أن يزيد فى العتاب؛ فجعل الأرض التى شربت دم أخيه لا تخرج نباتها بسهولة ويسر كما كان من قبل، دائما تخرجه بالمجهود الكبير الذى يبذله قايين، وفى نفس الوقت فإن الأرض ستتولى لعن قايين بدلا من الرب كما يقول العهد القديم: « ومنذ الآن ستحل عليك لعنة الأرض التى فتحت فاها وابتلعت دم أخيك الذى سفكته يداك،وعندما تفلحها : لن تعطيك خيرها، وحينئذ تكون شريدا طريدا منها »[٢] .

ويذكر مفسرو العهد القديم أن عقاب قايين على جريمة القتل كان يجب أن يكون صارما، وأن يكون بدافع الإصلاح، حتى يرد عن الشر فتحقق الشراكة مع الرب[٣]،وبعد أن سمع قايين عقوبته يحتجُ على الرب مؤكدا وقوع الظلم عليه، باعتبار أن العقوبة التى تفرض عليه أكبر من الجريمة التى وقع فيها، كما أنها أكبر من طاقته هو على الاحتمال. يقول العهد القديم : « عقوبتى أعظم من أن تحتمل، ها أنت اليوم قد طردتني و يقتلنى كل من يجدنى »[٤] .

---

(١) العهد القديم – سفر التكوين (٤/٩-٧) .

(٢) العهد القديم – سفر التكوين (٤/١١-١٣) .

(٣) التفسير التطبيقى – ص١٨ .

(٤) العهد القديم – سفر التكوين (١٣/١٥) .

« ولكن غضب الرب سرعان ما تراجع بعد أن فقد حس الواقعية، أخذ قايين تحت حمايته ضد القتلة الذين لا وجود لهم أصلا »[١]، بل إن يهوه ربما منح القاتل المكافأة، حيث حرم قتله، كما خوف من يقترب منه، وأخيرا منحه إقامة فى عيشة راضية..

يقول العهد القديم :« فقال الرب له : سأعاقب كل من يقتلك بسبعة أضعاف العقوبة التى أقتلك بها، ووسم الرب قايين بعلامة تحظر على من يلقاه اغتياله »[٢]. وظل القاتل حرا يفعل ما يشاء، فقد تمت له الحصانة الربانية، ولم يستطع أحد سلاطين مدينة الرب[٣] أن يوقع به الإيذاء بغض النظر عما اقترفت يداه، فصار منذ ذلك الحين حراً طليقاً، إذ أنه أزاح من طريقه من كان عمله الطيب يسبقه لإرضاء الرب" يهوه "،كما أزاح من طريقه كل المنغصات المتوقعة، وبالتالى فسوف ينعم هو بالسلطة منفردا ،وبالحياة حرا، وبالخيرات استغلالاً، كل ذلك مقابل الجريمة التى ارتكبها، وإظهار الخوف من النتائج المترتبة عليها .

وياله من عجوز ضعيف ذلك الذى لم يذرف دمعة واحدة على حبيبه القتيل، وقد أوقعه حب يهوه فى القتل، ويغمض يهوه جفنه عن الجريمة حين وقوعها ،فلا يتحرك لمنعها وكأنه هو الذى أراد الانتقام من حبيبه والتخلص منه عن طريق أخيه ،بدليل أنه لما قتله أغدق عليه يهوه من العطايا والامتيازات[٤].

---

(١) ليوتاكسيل – التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير – ترجمة د/حسان ميخائيل – ص٤٥ .

(٢) العهد القديم – سفر التكوين (٤/١٥-١٦) .

(٣) مدينة الرب أو مدينة الله تعبير عن المدينة الخيالية التى بناها خيال الفلاسفة فى عقولهم، ويسمونها أحيانا (يوتوبيا)، وقد صنع القديس أوغسطين فى روايته الشهيرة مدينة الله، كما فعل من قبل الشاعر "هنرود" اليونانى فى مدينة الرب، وكذلك كتب من بعدهم ليترف طوناروبولوجيا فى الموناولوجيا، فقد عاش الفلاسفة هذا الخيال، فكتب فرانسيس بيكون، وأطلنطس، كذلك وهى كلهامن خيالهم ليست لها صور واقعية فى الفكر الإسلامى، أما المسلمون فقد سموها المدينة الفاضلة، وهى عبارة عن رسم فكرى لما يجب أن تكون عليه المدينة، إذ كان أصحابها يريدون لها أن تعيش راقية، ومن أبرز كتاب ذلك النوع فى الفكر الإسلامى "الفارابى" حيث كتب المدينة الفاضلة، [illegible]، وأيضا ابن طفيل السهروردى، وابن سينا فى روايته الشهيرة (حى بن يقظان)فى المدينة الفاضلة .للدكتور / محمد سيد أحمد المسير فى كتابه (المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى).

(٤) وما تزال تلك العقيدة الفاسدة يرددها اليهود حتى يومنا هذا ،فالذى نفذ مذابح صبرا وشاتيلا حيث أزهق أرواحا بريئة، ودمر بيوتا آمنة، كوفئ من قياداته ورقى إلى درجة أعلى، فالمؤسف له أنه اختير فى الكيان الصهيونى اللعين كرئيس لمجلس الوزراء فى انتخابات عام ٢٠٠١ ، وهو المدعو آريل شارون .

(ب) مناقشة الفكرة

الدارس لمقارنة الأديان يجد أن القصة اكتملت فيها بعض الجوانب، وتساقطت منها جوانب أخرى، مما يجعل أمر مناقشتها من الضروريات، حتى تكون النتائج متوازنة لدى طالب المسلمات، وستكون مناقشة ذات الرواية على النحو التالى :-

أولاً: أرض الواقع

منُ المعروف أن أرض الواقع هى خشبة المسرح الأصلية،التى يتم تبادل الأدوار الرئيسية والثانوية عليها، ومن ثم فإن التعريف بها يكون من الضروريات، إلا أن العهد القديم لم يعر أرض الواقع أى اهتمام[1]،وإنما تجاهلها تماما، فهو يذكر الحدث، ويحرك الأشخاص الثانوية والأساسية ثم يقدم البطل مجهولا حتى يعلقه بمشنقة أفكاره[2]، وذلك مما يعتبر سقطا فنيا لا يقول به أصحاب الفن أنفسهم .

ثانياً: أشخاص القصة

منْ المعروف أن كل عمل فنى تجرى فيه الحوادث تكون أشخاصه معروفة محددة على سبيل القطع، فإذا خلا العمل الفنى من التعريف بالأشخاص-رغم وجود الحوادث-فإنه يكون عملا هابطاً، والحال نفسه منطبقا على ذات الرواية فى العهد القديم، إذ أن ما قدمه عن أشخاص القصة ضئيل جدا، لا يعدو التعريف اللفظى بها،أما حرفة كل منهما فليست داخلة فى المسألة باعتبار أن الحرف متبادلة على سبيل الاشتراك، وإن لم تكن متبادلة على سبيل التخصص الدقيق[3].

فى نفس الوقت لم يحدث العهد القديم عن سن الجانى والمجنى عليه- رغم أنه ألمح إلى التعريف بهما، كما لم يحدثنا عن الملابسات التى أحاطت بالحدث، حتى إن القارئ - كما ورد فى العهد القديم -ربما تصور أشخاص القصة جمادات تحركها

(١) لايوس آجرى - فن المسرحية - ص١٣ - ترجمة دار مراد ١٦٣١ .

(٢) راجع فى هذا الشان مقدمة المسرح الأمريكى - للعلامة /أ.هـ باتوستا - ص٧ - ط مؤسسة فرانكلين ١٩٦١.

(٣) باعتبار أن الناس جميعا تقع بينهم المعاوضة فى الحرف، والمعاوضة فيما يكتسب منها .

الأحداث، ولا تصنع هى الأحداث، فانقلبت الأمور، وسقطت المعايير، بحيث تحولت المسألة إلى ملهاة تجرى فى مجرى الأفكار السوداء[1].

ثالثا: ثبات الحدث وارتداد المثل

لم تفلح حكاية العهد القديم فى أن تجعل الحدث يتطور،وأن القاتل يتطور، رغم أن التطور سنة الحياة، فما من شئ إلا وهو يتحرك فى الزمان الذى يعيشه،فإذا خلت القصة من تطور الحدث بحيث يواكب الزمن – فإن ذلك يعتبر من عمليات الإسقاط الفنى الغير محسوبة، ومن ثم يصير العمل نفسه غير مقبول، أما لو كان الحدث نفسه قد تطور؛ كأن كشفت لنا حوادث تم جريانها بين الأخوين، وأسئلة وأجوبة قام بها الطرفان؛ لكانت الأحداث فيها حركة،والأشخاص أيضا كان فيهم حياة، وحيث إنها قد خلت من ذلك كله؛ فقد بان أن أصحابها قد اعتمدوا على ثقافتهم التى قبسوها، ولم يعتمدوا على ديانة المفروض أنها قائمة على أسس شرعية.

رابعا: مخالفة القواعد العامة

استقر فى الأعراف السليمة أن كل مرتكب لجريمة يعاقب عليها صغرت أم كبرت إلا أن يعفو الذى تم العدوان عليه، ما دام ذلك من حقوقه، أو أحد ورثته الذين يملكون هذا الحق،غير أن العهد القديم قلب الموازين؛فترك لنا القتيل يضيع دمه هدرا، وفى نفس الوقت أعطى القاتل المكافأة،فانقلبت الأمور، ولعل ذلك مما يتبناه دعاة الفكر اليهودى حتى يومنا هذا، فهم يقتلون الأبرياء، ويغسلون أيديهم اللئيمة بدمائهم فى فلسطين العربية المسلمة،وكل مكان يصلون إليه، ثم بعد ذلك يصرخون مطالبين بمكافأة معتمدين على أن العهد القديم كافأ ابن آدم لما قتل أخاه،وأعطاه فوق المكافأة منزلة أدبية تمثلت فى فرضه الحماية الإلهية عليه، وإبعاد أوجه الأذى عنه[2] من قبل الله.

---

(١) راجع فى هذا الشأن "فن كتابة المسرح "– الأستاذ محمد عبدالمنعم خطاب، خلق البشر – لآجيه، المسرحية السوداء – للأستاذ/توفيق أبو نصر. وغيرها من المؤلفات التى عنيت بذلك الجانب من الفنون والآداب .

(٢) وهذا يمثل قلبا للأوضاع، وانتصار للظالم على المظلوم، ودافعا لكل ظالم على أن يستمر فى ظلمه، وتنبيها لأى مظلوم بحيث يتحول هو الآخر إلى ظالم،وهو ما يتبناه فى العصر الحديث الوجوديون الملحدون من أمثال سارتر، ومارثن سكوت، وغيرهما من عامة الناس الذين لا علاقة لهم بدين الله أبدا .

خامساً: إهمال النهاية

لم تذكر روايات العهد القديم ما انتهى إليه أمر القتيل، وهل دفن في باطن الأرض كما يدفن سائر الناس وابتلعته كما قال تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾(١).

يقول القاضي البيضاوى: « ﴿منها خلقناكم﴾فإن التراب أصل خلقة أول آبائكم، وأول مواد أبدانكم، ﴿وفيها نعيدكم﴾بالموت وتفكيك الأجزاء. ﴿ومنها تخرجكم تارة أخرى﴾بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب، مع الصور السابقة، ورد الأرواح إليها»(٢).

ﷻ وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الانسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾(٣).

يقول صاحبا الجلالين: «"قتل الإنسان" لعن الكافر "ما أكفره" استفهام توبيخ أي ما حمله على الكفر. "من أي شيء خلقه" استفهام تقرير ثم بينه فقال." من نطفة خلقه فقدره" علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه." ثم السبيل" أي طريق خروجه من بطن أمه "يسره." ثم أماته فأقبره" جعله في قبر يستره." ثم إذا شاء أنشره" للبعث »(٤).

أم أن نهايتها تمت قبل أن تبتلعها الأرض، وطارت في السماء كشأن أعمال البهلوانات، أم أن النهاية ظلت مجهولة كما هو شأن كتاب العهد القديم يعجزون عن وضع نهاية مرتبة للقصة التى يتناولونها .

سادساً: وسيلة العدوان

يذهب العهد القديم إلى أن قايين قتل هابيل بالمجرفة التى كانت بيده، ويستخدمها فى أعمال الزراعة التى تخصه، بيد أن المجرفة لم تكن قد عرفت بعد، وبالتالى فإن هذا الرأى مردود عليه بأن الحديد لم يكن معروفا كمجار يف قاتلة فى

---

(١) سورة طه – الآية ٥٥ .

(٢) الإمام القاضى البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ص٣٤٤ .

(٣) سورة عبس – الآيات ٢٢/١٧ .

(٤) تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٧٩٢

الأزمان القديمة، فإذا لم تكن آلة القتل التى ذكرها العهد القديم معروفة وهم قد حددوها؛ فمما لاشك فيه أنهم اعتمدوا فى ذلك على المستخدمات العلمية التى ظهرت فيما بعد بدءا من عهد نوح –عليه السلام–عندما احتاج إليها فى صناعة الفلك الذى كلفه الله تعالى بصنعه[1].

❁ **وفى تقدير الباحث**: أن هذه المسألة فى حاجة إلى إعادة النظر فيها من جديد، وبخاصة فى الأمور المتعلقة بمطروحات الفكر اليهودى القائمة على ثقافات أصحابها، فإن ذلك التمييز الذى لا يمكن الوصول إليه إلا بعد التعرف عليه .

ثانيا: عند مفكرى المسلمين

يذهب مفكرو المسلمين فى تلك المسألة مسائل شتى، بعضها قد وثق فى كتب السالفين شأنهم النقل بذات النصوص القرآنية، وبعضهم عمد إلى النصوص القرآنية فلم يخرج عنها، واعتبر أن حكاية الغير لا تقبل على أساس وجود ظواهر نقلية منها قوله تعالى:﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾[2].

واعتبر تصديق الأقوال المنسوبة لأصحاب الكتب السابقة خارجة عن هذا النطاق من القبول فلم يصدقها، فعن الزهرى قال :«أخبرنى ابن أبى غلة الأنصارى، عن أبيه أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺوعندى رجل من اليهود مر بجنازة فقال : يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة ؟ فقال ﷺ الله أعلم، فقال اليهودى إنها تتكلم . فقال ﷺ ما حدثكم به أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله ورسوله، فإن كان باطلا لم تصدقوهم،وإن كان صدقا لم تكذبوهم »[3].

---

(١) الشيخ / عبدالوهاب النجار – قصص الأنبياء – ص٧٧ – مكتبة دار التراث ١٩٨٥.

(٢) سورة آل عمران – الآية ٧٣.(تفسير).

(٣) الإمام الحافظ/أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى (٧٥٠هـ)- سنن أبى داود – جـ٣/ص٣١٨- تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد- المكتبة العصرية . بيروت، ورى الإمام البخارى - صحيح البخاري ج: ٤ ص: ١٦٣٠ – كتاب بدء الوحي باب: قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا – الحديث رقم: ٤٢١٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية » ورواه الإمام ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ١٤ ص: ١٥١ – الفصل الأول: ذكر الخبر الدال على صحة ما تأولنا قوله صلى الله عليه وسلم حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج – الحديث رقم : ٦٢٥٧، وأخرجه الإمام البيهقى – سنن البيهقي الكبرى ج: ٢ ص: ١٠ – كتاب الطهارة – باب: لا تسمع دلالة مشرك لمن كان أعمى أو غير بصير بالقبلة- الحديث رقم: ٢٠٧١، وأخرجه ابن أبى شيبة – مصنف ابن أبي شيبة ج: ٥ ص: ٣١٣ – الحديث رقم: ٢٦٤٢٢، وراجع مصنف عبد الرزاق ج: ص: ١١١ – الحديث رقم: ١٠١٦٠، ومسند أحمد ج: ٤ ص: ١٣٦ – مسند أبي بكر – الحديث رقم: ١٧٢٦٤، والمعجم الكبير للطبرانى ج: ٢٢ ص: ٣٤٩ – الحديث رقم: ٨٧٥

فتمسكوا بتلك الظواهر النقلية أثناء تعاملهم مع النقول عن أصحاب تلك الكتب، ولم يبعدوا عنها أبدا، بل كلما حاول أحاد الناس إبعادهم عنها ارتدوا إليها، وظلوا على ذلك الحال لا يخرجون.

الطرف الأول: الذين تابعوا بعض ما ذكر فى العهد القديم

يذهب أصحاب ذلك الرأى إلى أن ابنى آدم الذين وقع بينهما ذلك الأمر هما قابيل وهابيل(١)،وأنهما ولدا آدم ومن صلبه، ولم يكونا فى بطن واحدة، إذ كانت حواء تحمل على التوالى، وكان كل حمل ترزق فيه بغلام وجارية، فإذا بلغا السن التى تسمح بالزواج وقع الزواج بين غلام هذا البطن بجارية البطن الذى قبله أو الذى بعده، باعتبار أن ذلك كان من شريعة آدم – عليه السلام – لضرورة الاستمرار فى الحياة، وظل على هذا النحو يسير حتى جاء أمر قابيل وهابيل(٢).

فكان قابيل فى البطن الذى سبق،وكانت له أخت(٣)،أحسن من أخت هابيل(٤)،التى ولدت معه، فلما جاء موعد النكاح، وتطبيق تلك الحالة – رفض قابيل ذلك، متعللا بأن أخته التى ولدت معه فى نفس البطن هى أولى به، وسوف لا يتنازل عنها(٥).

---

(١) بينما فى العهد القديم قايين وهابيل – راجع العهد القديم – سفر التكوين – (١/٤-٢). ولست أدرى من أين أتى المفكر المسلم بلفظ قابيل، وهل هو مساو للفظ قايين ؟!

(٢) الإمام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم م٢ ج٣ ص٥٠ .

(٣) وكانت تدعى إقليما .

(٤) كانت تدعى ليودا . (راجع فى ذلك الشأن الشيخ محمد احمد بن إلياس الحنفى – بدائع الزهور فى وقائع الدهور– المكتبة الشعبية – بيروت لبنان ص٥١)

(٥) وقد روى بعضهم أن الله ﷻ أنزل لهابيل حوراء من الجنة فزوجه بها، وأخرج لقابيل جنية فزوجه بها، فحسد قابيل أخاه على الحوراء، فقال لهما آدم قربا قربانا طبقا لما هو وارد فى شريعته، فقرب هابيل من تين زرعه، وقرب قابيل أفضل كبش من غنمه، فقبل الله قربان هابيل، ولم يقبل قربان قابيل، فازداد حسدا، وزين له الشيطان قتل أخيه فشدخه بالحجارة حتى قتله، فسخط الله على قابيل ولعنه، وأنزل من الجبل المقدس إلى أرض يقال لها نود، وفى هذا الرأى نظرت لأن طبيعة الجن غير طبيعة الملائكة غير طبيعة الإنس. (راجع أحمد بن أبو يعقوب بن جعفر بن وهب واضع الكتاب العباسى المعروف باليعقوبى – تاريخ اليعقوبى ص٧٤٦ – دار بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

فلما حاول هابيل أن يتزوجها حدث بينهما خروج عن المألوف، فاختار لهما أبوهما أن يقوم كل منهما بتقديم القربان(١)،حتى يعرف أيهما الذى أحق بها،واستجاب كل منهما لذلك(٢)،وقدم كل منهما ما بيده.

إلا أن هابيل كان طيب النفس بتقدمة القربان، أما قابيل فلم تكن نفسه تؤدى ذلك العمل عن قناعة، بدليل أن هابيل قدم أغلى ما فى أغنامه(٣).

وأما قابيل فقدم حزمة من سنبل، وبينما هو يحملها إلى أرض القربان – إذ رأى فيها سنبلة عظيمة ففركها ثم أكلها، ولم يكن يؤدى قربانه عن قناعة نفس، فنزلت نار

---

(١) القربان: جمع قرابين، وهو كل ما يتقرب به إلى الله ﷻ من ذبيحة وغيرها. راجع المعجم الوجيز ص ٤٩٥. ويقول صاحب الكشاف: القربان هو اسم ما يتقرب من نسيكة أو صدقة. راجع الكشاف للزمخشرى ج١ ص٦٢٤ – دار الكتاب العربى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٢) يذكر العلامة الخازن: أنه لما كبر قابيل وأخوه هابيل وكان بينهما سنتان، فلما بلغوا أمر الله آدم أن يزوج قابيل ليودا أخت هابيل وتزوج هابيل من إقليما، وكنت إقليما أقل حسنا من ليودا، فذكر آدم ذلك لهما فرضى هابيل وسخط قابيل، وقال: هى اختى، وأنا أحق بها، ونحن من أولاد الجنة، وهما من أولاد الأرض، فقال أبوه آدم: إنها لا تحل لك، فأبى أن يقبل بها ذلك، وقال: إن الله لم يأمرك بهذا، وإنما هو رأيك، فقال لهم آدم: قربا قربانا، فأيكما تقبل قربانه، فهو أحق بها، وكانت القرابين إذ كانت مقبولة له نزلت من السماء نار بيضاء، فأكلته، وإن لم تكن مقبولة لم تنزل النار فتأكلها الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربان. (راجع فى ذلك محمد ابن إبراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن ص٧٢٥ – تفسير القرآن الجليل المسمى بلباب التأويل فى معانى التنزيل، وقد خلى هامش هذا الكتاب بالتفسير بمدارك التنزيل وحقائق التأويل – العلامة الجليل أبو البركات النسفى ص٧٠١.

ويقول العلامة الطبرى: « وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما وأتى مكة ينظر إليها قال الله لآدم يا آدم هل تعلم أن لي بيتا في الأرض قال اللهم لا قال فإن لي بيتا بمكة فأته فقال آدم للسماء احفظي ولدي بالأمانة فأبت وقال للأرض فأبت وقال للجبال فأبت فقال لقابيل فقال نعم تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك فلما انطلق آدم قربا قربانا وكان قابيل يفخر عليه فيقول أنا أحق بها منك هي أختي وأنا أكبر منك وأنا وصي والدي فلما قربا قربانهما ... فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه في رؤوس الجبال فأتاه يوما من الأيام وهو يرعى غنمه في جبل وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وتركه » تاريخ الطبري ج١ ص٨٨.

(٣) كان قابيل راعيا للغنم فلما أمر بتقديم القربان اختار جزعة مكتملة باللحم والشحم باعتبارها أغلى ما يملك.

فأكلت قربان هابيل بينما ظل قربان قابيل كما هو فغضب قابيل وقال لأخيه لأقتلنك حتى لا تنكح أختى[١].

غير أن هابيل قال لأخيه مادام قربانى قد تقبل من الله، فإنى أتزوج الأخت المتنازع عليها، باعتبار أن الله إنما يتقبل أوجه الخير من المتقين. من هنا أضمر قابيل السوء لأخيه هابيل، وحاول أن يفعل به ما انتواه، فذهب إليه وهو يرعى غنمه، ثم قال له لأقتلنك. قال أخوه لم تقتلنى؟ ولم أرتكب ذنبا ما يوجب ذلك؟

قال قابيل : لأن الله قبل قربانك ورد قربانى، وتريد أن تنكح أختى الحسناء، وأنا أتزوج أختك الذميمة، فيتحدث الناس بأنك خير منى، ويفخر ولدك على ولدى، فقال هابيل: ما ذنبى فى ذلك كله إلاَّ أن الأعمال مشروطة بالتقوى، والله يتقبل من المتقين، ولما كانت التقوى من أعمال القلوب[٢]، والله يعلم أنى لا أضمر لأحد شرا، فقد قبل قربانى.

غير أن أخاه ازداد غضبا، ويبدو أن كلمات الوداعة التى قالها أخيه لم تكن قديرة على أن تبلغ فى نفسه مبلغها، ومن ثم فقد اندفع صاحب القربان المرفوض إلى لغة التهديد، دون انتظار لما تسفر عنه المحاورة، وقد استحس هابيل ما كان يجرى فى أعماق أخيه، فراح يحدث قائلا له: لئن حاولت قتلى ومدت يدك نحوى، فلن أبادرك بمثله، لأن من كان شأنه التقوى لا يلج فى مطاوعة الشيطان والهوى.

ﷻ قال تعالى على لسان هابيل :﴿ " لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ " ﴾[٣].

يقول الإمام القرطبى : « قوله :﴿ لئن بسطت إلى يدك﴾. أى لئن قصدت قتلى – فأنا لا أقصد قتلك، فهذا استسلام منه، وقوله :(فطوعت له نفسه).أى سولت وسهلت نفسه عليه الأمر، وشجعته، وصورت له أن قتل أخيه أمر سهل وروى

---

(١) الإمام أبو جرير الطبرى (ت: ٣١٠هـ) – تاريخ الأمم والملوك ج٢/ ص٨٨ /ط١ – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢) العلامة الخازن – تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل ص٤٧٥ .

(٣) سورة المائدة – الآية ٢٨ .

: أنه جهل كيف يقتله ، فجاء إبليس بطائر ، وحيوان غيره ، فجعل يشدخ[١] رأسه بين حجرين ، ليقتدى به قابيل ففعل ››[٢].

﴿❁﴾ يقول أحد الباحثين : ‹‹ إنها التقوى التى أنطقت هابيل بهذا الكلام السماوى الرائع ، وإنها مراقبة الله التى تورث الخشية والورع ، ولكن قابيل لم يكن لديه شىء من ذلك ، كان قاسى القلب ، وقد تمكن الشرمنه ، وبلغ أقصى غايته ، وغذاه الشيطان؛ الذى أخرج أبويه من الجنة ، وما زال يوسوس فى صدره ، وينفخ من سحره فى قلبه ، حتى استل منه كل إحساس بالرحمة والمودة ، وصلة الرحم والخوف من الله ››[٣].

ومع هذا فقد عمد قابيل إلى مقاتلة هابيل ، فلما تمكن من قتله فورا ، ولم ينتظر وكأن أخوه يقول له : إن قتلتنى بؤت بإثمى ، وإذا بؤت بإثمى كنت من أصحاب النار الذى يكون الجحيم مسكنهم ، وتارة عقابا له ، فتكون بقتلك إياى من سكان الجحيم ووقود النار المخلدين فيها ، وذلك جزاء الظالمين[٤].

◈ **ربما يقال:** هل كان ... المقتول ضعيفا فانتهز الفرصة ليقضى عليه ، أم كان المقتول قويا ، ولكن امتثل للحديث الشريف : ‹‹ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ››[٥] .

---

(١) الشدخ : الاتساع والفتح، ويقال أنشدخ الرأس أى أنشج . راجع المعجم الوجيز ص٣٣٨ .

(٢) الإمام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – جـ٣ ص(٢٢٣٠/ ٢٢٣٥) .

(٣) دكتور / حمزة النشرتى وآخرون – القصص القرآنى – المجلد الأول –جـ١ ص٦٣.

(٤) الدكتور محمد بكر إسماعيل – قصص القرآن ص٣٧ – مطبعة دار المعارف – الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

(٥) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ٢٠١٤ – باب فضل من يمسك نفسه عند الغضب الحديث رقم: ٢٦٠٩ ، وأخرجه الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٥ ص: ٢٢٦٧ – كتاب بدء الوحيى – باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله وقال الله جاهد الكفار – الحديث رقم: ٥٧٦٣ ، وأخرجه الإمام مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحى (٩٣هـ – ١٧٩هـ) موطأ مالك ج: ٢ ص: ٩٠٦ – باب ما جاء فى الغضب – الحديث رقم: ١٦١٣ – دار إحياء علوم الدين – مصر تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (بدون) . وذكره العلامة إسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى (ت: ١١٦٢هـ) كشف الخفاء ج: ٢ ص: ٢٢٠ – الهمزة مع التاء المثلثة – الحديث رقم: ٢١٤٠ – ط٤ – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٥ – تحقيق أحمد القلاش .

❖ **والجواب**: أن العلا مة **الزمخشري** ذكر حاكيا ما قيل: إن هابيل أقوى من القاتل وأبطش منه، ولكنه تحرج من قتل أخيه، واستسلم له خوفا من الله؛ لأن الدفع لم يكن مباحاً في ذلك الوقت، وحكى ذلك عن مجاهد رضي الله عنه(١)، ولم يعقب عليه ولو عقب على الرواية؛ فربما كان ذلك فيه خير

فلما أُسقط هابيل نظر إليه أخوه ماذا يفعل به وبخاصة أنه أسود جسده وكان أبيض، فبعث الله غرابين فاقتتلا حتى انتصر أحدهما على الآخر، فحفر بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة وواراه بالتراب(٢). حينئذ صرخ القاتل وقال في نفسه: ﴿ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾(٣).

وعن موقف آدم من قتل ابنه هابيل؛ يحدثنا صاحب تاريخ بغداد قائلا: «قال ابن عباس لما قتل ابن آدم أخاه قال آدم عليه السلام: تغيرت البلاد ومن عليها، فوجه الأرض مغبر قبيح، تغير كل ذي لون وطعم، وقل بشاشة الوجه الصبيح، قتل قابيل هابيلا أخاه، فواحزنا مضى الوجه المليح، فأجابه إبليس: تنح عن البلاد وساكنيها، فها في الخلد ضاق بك الفسيح، وكنت بها وزوجك في رخاء وقلبك من أذى الدنيا مريح، فما انفكت مكايدتي ومكري إلى أن فاتك الثمن الربيح، فلولا رحمة الجبار أضحى بكفك من جنان الخلد ريح وجاورنا عدو ليس يفنى عدو ما يموت فنستريح »(٤).

(١) العلامة الزمخشري – الكشاف جـ١. ص٦٢٤.

(٢) العلامة أبو جعفر بن جرير الطبري – جامع البيان في تفسير القرآن م٤ جـ٦ ص١٢٠/١٢١ – طبعة دار الجيل بيروت بهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين محمد بن حسين النيسابوري ١٣٣٠هـ، ويعلق الإمام محمد عبده على تلك الرواية قائلا: « أما قصة الغرابين اللذان اقتتلا حتى قتل أحدهم الآخر، فقام القاتل بدفن أخيه يعتبر هذا من الإسرائيليات، ولا وجود لها في التوراة أيضا، وهذه الأشياء لا فائدة منها » (راجع الإمام محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا – تفسير المنار ج٦ ص٢٧٦ .

(٣) سورة المائدة – الآية ٣١ .

(٤) العلامة أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (٣٩٣هـ/٤٦٣هـ) – تاريخ بغداد ج: ٥ ص: ١٢٨ – رقم: ٢٥٥٢ – دار الكتب العلمية بيروت (بدون)

وهناك روايات عديدة فى المسألة قد تشبعت بالإسرائيليات على كافة أنواعها، سواء أكان منها ما يتعلق بالغرض من تقديم القربان أم أنواع القربان، أم السبب الذى كان من أجله كذلك تصوير الموقف من القاتل والمقتول، أم من الهادئ الوديع والعاجز الشقى، كما نقلت أوصاف كثيرة تتعلق بألوان شتى من الإسرائيليات، قائمة على ما قصه القرآن الكريم، وأوصافه وعملية الدفن إلى آخر تلك الأمور، وقد ضرب الباحث صفحا عنها، باعتبار أن المحققين من العلماء قد حكموا عليها بالفساد(١)، وكونها من عصارة الفكر، ولذا فالباحث لا يلتفت إليها.

مناقشة الطرف الأول

غير خاف على دارس أن الإسلام قائم فى نصوصه الموثقة، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، وأن الفكر الإسلامى هو محاولة العقل السليم فى مفاهيم تلك النصوص الإسلامية إذن والنصوص الإسلامية - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة - لا مناقشة لها؛ لأنها مقدسة وفيها الصدق كله، وإنما الباحث يناقش الفكر الإسلامى الذى هو نتاج العقل السليم فى تفهم تلك النصوص الإسلامية، فإن كان فى خدمتها قبل، أما إذا عاندها وحاول القفز فوقها، فلاشك أنه سوف يرد، وتلك ما يظن الباحث أن ينتقصه فيها.

أما الذين ذهبوا إلى التعريف بأبناء آدم من حيث الاسم السن(٢)، ولم يقدموا نصوصا قرآنية، أو أحاديث نبوية صحيحة، فإن الواجب القول بأنه رأى خال من السنة أو عار عن الدليل، ولا يمثل إلاّ وجهة نظر صاحبها، ودال على أن كل صاحب

---

(١) ومن بين هؤلاء الإمام ابن حجر العسقلانى الذى ذكر فى كتابه فتح البارى لشرح صحيح البخارى، من أنه لم يصح على شرطه (البخارى) شيئا من قصتهما وفيما قصه الله علينا فى القرآن الكريم من ذلك كفاية عن غيره. راجع الإمام أحمد بن على بن حجر العسقلانى - فتح البارى لشرح صحيح البخارى - راجعه محب الدين الخطيب وآخرين - دار الريان للتراث ج٦ ص٤٢٥ طبعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

(٢) يقرر ذلك الإمام محمد عبده حينما قال : « ويقول علماء التفسير والتاريخ: إن قابيل هو القاتل واسم الثانى هابيل بالاتفاق » وقد ذكروا فى ذلك روايات غريبة لا يعرف مثلها إلاّ بوحى من الله، وهى لم ترد عن أحد رسل الله فنعرض عن هذه الروايات التى لا تصح ولا تفيد » راجع الإمام محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا - تفسير المنار ج٦ ص٢٨٣ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

رأى فإنه يأخذ منه ويرد عليه إلاّ سيدنا محمد ﷺ فهو معصوم بعصمة الله له، وما يصدر عنه كذلك. قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(١).

يقول العلامة البيضاوى : « قوله: ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ أى ما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى. ﴿ إن هو ﴾ بالقرآن أو الذى ينطق به. ﴿ إلاّ وحي يوحى ﴾ إلاّ وحي يوحيه الله إليه »(٢).

فى نفس الوقت فإن حديثهم عن أولاد آدم بهذا القدر من التفاصيل التى لم ترد فى القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة بحسب ما عليه يجعل الباحث يقر القاعدة الأصولية القائمة على أن صاحب الرأى له أن يلزم مادام قد ثبت عنده الدليل، وبناء عليه مالم يثبت عنده لم يلتفت إليه.

وحيث قد ثبت عنده الباحث أن تلك التفصيلات الواردة عن هذا الفريق من مفكرى المسلمين على أسس صحيحة، فإنه يركز على أسس غير مقبولة من جانبه، باعتبار أنها من قصص القرآن.

الطرف الثانى عند مفكرى المسلمين الذين تمسكوا بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة

ذكر القرآن الكريم قصة ابنى آدم على الوجه الحق، الذى هو من عند رب العالمين لا على الوجه الباطل، الذى صورته أفكار اليهود، وأقلام من سار سيرتهم وتعهدهم فى خطواتهم. نلمح فى ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾(٣).

يقول الشيخ محمد عبده : « واتل عليهم أيها الرسول على أهل الكتاب وسائر أهل الناس هذا النبأ العظيم – نبأ ابنى آدم – مبينا ما فيه الحكمة والكشف عن غريزة البشر، وهو ما جبلوا عليه من التباين والاختلاف الذى يقضى إلى التحاسد أو البغى والقتل »(٤).

---

(١) سورة النجم – الآيتان ٣/٤ .

(٢) العلامة البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٥٤٣ .

(٣) سورة المائدة – من الآية ٢٧ .

(٤) الإمام محمد عبده، الشيخ محمد رشيد رضا – تفسير المنار ج٦ ص٢٨٦ .

وقد تلقف مفكرو المسلمين ذلك النبأ كما تلقفوا سائر قصص القرآن الكريم، بجانب أحكامه وأخباره وتشريعاته، وقد افترق المفكرون في هذا النبأ فرقا بعضها تابع القصاص وأصحاب السير، ومن يهتمون بالخيالات أو يغرقون في الأساطير، بينما البعض الآخر ابتعد عن ذلك كله، والتزم حدود النقل المنزل، حيث ذهب إلى أن ابني آدم من غير تحديد لأسمائهما، ولا تعريف بأعيانهما تناجا فيما فيه فربي إلى الله ﷻ وكان أحدهما على جانب كبير من التقوى، بينما الآخر يفتقد ذلك الجانب وربما ادعاه.

فلما قرب كل منهما قربانه تقبل الله قربان التقي الصالح دلالة على قبوله منه، وقبول صاحبه أيضا، باعتبار أن الأعمال الصالحات ترتد آثارها عند قبولها على وجه صاحبها وسلوكياته، فنشعر بالرضا والسعادة، ويهم إلى المزيد من فعل الخير، أما من رفضت أعماله، ولم ترفع إلى الله؛ فإنه يشعر بعدم القبول، ويتردد هذا في صدره.

وربما نستأنس لذلك بالحديث النبوي الشريف : « عن النواس بن سمعان الأنصاري[1] قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس »[2].

(١) هو: « النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب العامري الكلابي له ولأبيه صحبة وحديثه عند مسلم في صحيحه » [الإصابة ج: ٦ ص: ٤٧٨ – رقم: ٨٨٢٨] .

(٢) الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري – (٢٠٦هـ – ٢٦١هـ) – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ١٩٨٠ باب تفسير البر والإثم – الحديث رقم:٢٥٥٣ – دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – المحقق : : محمد فؤاد عبد الباقي . وذكره الإمام محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (١٩٤هـ– ٢٥٦هـ) – الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري) ج: ١ ص: ١١ – كتاب الإيمان – باب الإيمان – الحديث رقم ٧ – دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ط الثالثة – المحقق د. مصطفى ديب البغا، وأخرجه الإمام محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (٢٠٩هـ – ٢٧٩هـ) – الجامع الصحيح سنن الترمذي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – المحقق :أحمد محمد شاكر وآخرون – ج: ٤ ص: ٥٩٧ – باب ما جاء في البر والإثم – الحديث: ٢٣٨٩ وأخرجه الإمام عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي (١٨١هـ – ٢٥٥هـ)– سنن الدارمي ج:٢ ص: ٣٢٠ – الحديث: ٢٥٣٣ – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧هـ – ط الأولى – المحقق فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، بلفظ عن وابصة بن معبد الأسدي « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لوابصة جئت تسأل عن البر والأثم قال قلت نعم قال فجمع أصابعه فضرب بها صدره وقال استفت نفسك استفت قلبك يا وابصة ثلاثا البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك» وأخرجه الامام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني(٢٦٠هـ) – المعجم الكبير ج: ٨ ص: ١١٧– الحديث رقم:٧٥٣٨ – مكتبة العلوم والحكم – الموصل ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م ط الثانية – المحقق حمدي بن عبدالمجيد السلفي

فلما قبل الله قربان التقى ورفض قربان الشقى، لم يفكر الشقى فيما يقرب أمره لله فيصلح من أحوال نفسه، ويكفر عن سيئاته ويداوم على أسباب الطاعة والفلاح، ولكنه لم يفعل ذلك، بل لجأ إلى المزيد من العصيان لله رب العالمين، وذلك ما عبر عنه القرآن الكريم ﴿ قال لأقتلنك ﴾(١).

ثم يستطرد الهادئ الوديع فى عرض وجهة نظره أمام أخيه قائلا: لئن حاولت قتلى ومددت يدك إلى بسوء، فلن أبادلك، لأن ذلك محرم فى شرع الله والتقى لا يقبل ما يغضب الله.

ﷻ قال تعالى على لسان الهادئ: ﴿ " لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ " ﴾(٢).

يقول الإمام الفخر الرازى: « ذكر له هذا الكلام قبل إقدام القاتل على قتله، وكان منه تقبيح القتل العمد فى قلبه »(٣).

فلما رأى الهادئ الوديع من أخيه عدم قبول لما ينصحه به، أراد أن يدخل فى إيمانه، فربما صرفه عن غضبه، أو أعاده إلى هدوءه السليب، وأيقظ فيه اخوته النائمة، أو أعاد إليه ضميره الناشز مبينا له أنك لو ارتكبت تلك الحماقة فسأذهب أنا إلى رضوان الله، أما أنت فستحمل عليك عقوبتان فى الدنيا والآخرة، إثم قتلك لى(٤) وإثم ما وقع على فى الآخرة، فيكون مصيرك الانخراط فى أهل النار.

ﷻ قال تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾(٥).

---

(١) سورة المائدة – من الآية ٢٧ .

(٢) سورة المائدة – الآية ٢٨ .

(٣) الإمام الفخر الرازى – مفاتيح الغيب جـ١١ ص٢٠٥ ط١ – المطبعة البهية المصرية ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

(٤) يقول الإمام ابن حجر العسقلانى : يذهب الجمهور إلى أن المراد بقوله إثم أى إثم قتلى . (راجع الإمام ابن حجر العسقلانى – فتح البارى بشرح صحيح البخارى م٨ ص١١٨ – دار الريان للتراث – ط/ ١ / ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)

(٥) سورة المائدة – الآية ٢٩ .

غير أن الشقى لم تصرفه عن غاياته السليبة تلك المواعظ البريئة النقية، ويبدو أن النفوس التى جبلت على المعصية، وشربت من آبار المخالفة تتحجر، حتى إن المواعظ لا تلمس فيها ظواهرها فضلا عن أن تكون لها نصيب من الداخل، وبالتالى فلم يلتفت إلى أخيه ونصائحه، وإنما صمم على إيذائه وأغلق قلبه وغافل أخاه، وعلى حين غره قتله[1]. قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

أجل لم يتمكن الوديع من المقاومة، لكن بعد أن انتهت الجريمة عاد الشيطان إلى صاحبه القاتل فى صورة أخرى، وثياب جديدة ثياب المحذر الذى ينشد الخير، ويأمل السلامة، ويتجه به إلى ساحة العقل المفكر، بعد أن كان قد أغرقه فى بحر العاطفة المفزعة، فتحرّك فيه عداؤه لذاته، فربما أفناه من الوجود كلية، وربما نستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[3].

يقول الإمام ابن كثير : « كمثل الشيطان إذ سوّل للإنسان الكفر ثم تبرأ منه وتنصل، وقال: ﴿إني أخاف الله رب العالمين﴾. فعن عبد اللّه بن مسعود في هذه الآية: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف اللّه رب العالمين﴾ قال: كانت امرأة ترعى الغنم، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجَر بها، فحملت، فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها، فإنك رجل مصدق يسمع قولك، فقتلها ثم دفنها، وقال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجَر بأُختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا قال رجل منهم: واللّه لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: بل قصها علينا، قال، فقصها؛ فقال الآخر: وأنا واللّه قد رأيت ذلك، فقال الآخر: وأنا واللّه رأيت ذلك، قالوا فواللّه ما هذا إلا لشيء. قال، فانطلقوا، فاستَعْدُوا ملكهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه، ثم انطلقوا به، فلقيه الشيطان فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك

(١) عبدالودود يوسف – تفسير المؤمنين ص٨٩ .

(٢) سورة المائدة – الآية ٣٠ .

(٣) سورة الحشر – الآية ١٦ .

منه غيري، فاسجد لي واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه، قال، فسجد له، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو (برصيصا) فالله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها﴾ أي فكان عاقبة الأمر بالكفر مصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾ أي جزاء كل ظالم »(١).

هذا دليل على شراسة هذا الأخ الآثم وفساد طبعه، وفيه ما يشعرنا بما يحمله الحسد لصاحبه من شر مستطير يقتل به نفسه، قبل أن يقتل به غيره، فهو آفة الآفات وملمة الملمات به طرد إبليس من رحمة الله وبسببه ألقى يوسف في الجب، وبسببه كفر من كفر(٢).

وهاهنا يكون سبب الغضب العاصي لا من سلبيات نفسه، وإنما من فضل الله تعالى على أخيه حيث قرر أن يتخلص من أخيه نهائيا، رغم أنهما شقيقان، ولم يكن القتل قد عرف من قبل عن طريق القتل الجسدى وإزهاق الروح.

لم يدر بخلد التقى أن ينفّذ أخوه ما هدد به إذ أن العقل السليم والمنطق القويم يقر بأنه مادام القبول من الله فلا يعاقب مخلوق على ما أفاء الله عليه به. وربما نستأنس لذلك لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾(٣).

---

(١) الإمام الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم م٤ ج٨ ص٢٩ .

(٢) الأستاذ الدكتور محمد بكر إسماعيل – قصص القرآن ص٣٥ مكتبة فياض – دار المنار ط١ ١٩٩٦م، وربما أستأنس بحديث رسول الله ﷺ : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس تقتل ظلما الا كان على بن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل » – أخرجه الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٦ ص: ٢٦٦٩ – باب إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة لقول الله تعالى ومن أوزار الذين يضلونهم – الحديث رقم: ٦٨٩٠ وأخرجه ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ١٣ ص: ٣٢١ – ذكر ما يلزم بن آدم من إثم من قتل بعده مسلما لاستنانة ذلك الفعل لمن بعده – الحديث رقم: ٥٩٨٣ وراجع سنن الترمذي ج: ٥ ص: ٤٢ – الحديث: ٢٦٧٣، وراجع مصنف ابن أبي شيبة ج: ٥ ص: ٤٣٦ – الحديث: ٢٧٧٦٠، ومسند أحمد ج: ١ ص: ٤٣٣ – الحديث رقم: ٤١٢٣

(٣) سورة النساء – الآية ٥٤ .

يقول العلامة البيضاوى : « أم يحسدون الناس بل أيحسدون رسول الله ﷺ وأصحابه أو العرب أو الناس جميعا ؛ لأن من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وأنكر عليهم، كما ذمهم على البخل، وهما شر الرذائل، وكأن بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعنى النبوة والكتاب والنصرة والإعزاز، وجعل النبى الموعود منهم (فقد أتينا آل إبراهيم) الذين هم أسلاف محمد ﷺ وأبناء عمه (الكتاب والحكمة) النبوة، وأتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد أن يؤتيه الله مثل ما أتاهم »[1].

فكان رد الهادئ الوديع التقى على العاصى الشقى لماذا تقتلنى، ولم يبدر منى شيء يسيء إليك أن القبول وعدمه راجع لأمر الله لا دخل لى فيه، فأنا لا أفعل إلاَّ ما يرضيه جل علاه دون انتظار لشيء آخر، فإن قبل فذلك شأنه، ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين﴾[2].

فإن قيل كيف كان قوله تعالى: إنما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لأقتلنك أجاب عن هذا ذلك الإمام الزمخشرى قائلا: لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذى حمل على توعده بالقتل، قال له: إنما آتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى، إلاَّ من قبلى، فلم تقتلنى، ومالك لا تعاتب نفسك، ولا تحملها على تقوى الله التى هى السبب فى القبول[3].

يقول أحد الباحثين : « وبعد ارتكاب العاصي جريمته القتل تأخذ الغريزة الفكرية طريقها إليه فتهزه بعنف وتنتاشه من كل جانب، فيلجأ إلى حيلة يخفى بها جثة القتيل تأففا من منظرها، أو خوفا على حياته أن دبت إلى جثة القتيل عوامل التعفن والفساد أو الحزن على فعل ارتكبه لم يشعر به إلاَّ بعد أن نفذه، فستأتى حركته دالة على تخبطه فى حيلة أو اضطرابه الداخلى وبخاصة أنه كان يسترجع توسلات أخيه إليه، ﴿ " لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ " ﴾[4]. وحينئذ تزاحمه دموعه، وتهوى عباراته ناراً تحرق كل ما

---

(١) القاضى البيضاوى – تفسير البيضاوى ص١٢٥ .

(٢) سورة المائدة – من الآية ٢٧ .

(٣) الإمام الزمخشرى – الكشاف ج١ ص٦٢٤ .

(٤) سورة المائدة – الآية ٢٨ .

تأتى عليه أو تمر به فيصطدم داخله بخارجه، وينعكس ذلك على تصرفاته، فينفطر ولا يكاد يبين ››[١].

إذن راح القاتل يستجمع شجاعته ويملك نفسه، ولكن الندم يلاحقه، فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض حاملا أخاه المفارق للحياة على ظهره، يبحث عن أرض لينة يمكنه أن يحفر فيها قبراً لأخيه.

حقا إنه عالم الحيوان، ولكن تجسدت فى الغراب معالم الوفاء التى افتقدها القاتل، فاجهد الغراب نفسه باحثا عن أرض لينة، فلما عثر عليها حط رحاله عندها، وراح يحفر لأخيه فيها ويعمق ما حفر، فلما وجد الحفرة تستوعب أخاه أودعه فيها، وأهال عليه التراب، حتى لكأنه مكلف بمهمة أقامها على خير وجه، وبأتم السرعة المطلوبة.

ﷻ قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[٢].

يقول الإمام النسفى: ‹‹ إن الضمير فى قوله تعالى: ﴿ ليريه ﴾ عائد على الله أو الغراب ››[٣]، ويوضح الإمام محمد عبده ذلك قائلا: ‹‹ ليريه للتعليل، إذا كان الضمير راجع إلى الله تعالى، أى أنه تعالى ألهم الغراب ليتعلم ابن آدم منه الدفن وللصيرورة إذا كان الضمير عائدا إلى الغراب أى لتكون عاقبة ما ذكر ››[٤].

هنا رأى القاتل فعلة الغراب بأخيه وأنه واراه بالتراب تكرمة له، رغم أنه لم يقتله، فداخلت القاتل الحسرة، وعاودته المرة تلو الأخرى، فراحت عباراته تخرج منه، محملة بالندم مملوءة بالأعذار، محاطة بالإحساس بالجناية وخيبة الأمل، التى نتجت عن شعور عدائى بغيض، ونفسية قاسية مشينة، وإذ أن الغراب أعلى منه قدراً وأثقب منه حيلة ووفاء، فصرخ القاتل من أعماقه كأنه يرجع صوت الصدى.

---

(١) جريدة النور الإسلامية – العدد ٩٧ – مقال للأستاذ الدكتور محمد حسينى موسى محمد الغزالى تحت عنوان الإسلام وبغية الشعور العام ص١٩٨٢/٨م.

(٢) سورة المائدة – الآية ٣١ .

(٣) الإمام أبو البركات النسفى – مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج١ ص٤٧٧ ط١ طبع بمطبعة السعادة ١٣٢٦هـ.

(٤) الإمام محمد عبده، الأستاذ محمد رشيد رضا – تفسير المنار ج٦ ص٢٨٦ .

ﷻ قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾(١).

ولاشك أنه بندمه على ما اقترفت يداه كأنما كان يحفر الأرض بنبضات قلبه، ويسويها بشرايين وجدانه، ويعمق أجزائها بنظراته الحزينة، ويرطب جدرانها بدموع الندم، ويهيئ لحد أخيه بالآلام والعذاب، وأنى ينفع الندم.

إذن؛ وقع الغضب من القاتل على القتيل، من غير أن يكون القتيل مرتكب الجريمة، وإنما كان القاتل مستجيبا لنزغات الشيطان، واقعاً تحت تأثيره، لما يحاول أبدا أن ينصرف عنه، أو يهجر الإصغاء إليه، ولذا؛ علمنا ربنا جل في علاه في القرآن الكريم: أن لا نقع ضحايا للشيطان، وأن نبتعد عنه، ونلجأ إلى الله دائما، مع التسليم لله بما يقضيه ويقدره.

ﷻ قال تعالى : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾(٢).

يقول الإمام البيضاوى : « ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ﴾ لينخسك منه نخس أو وسوسة تحملك على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنخس الفرز شبه وسوسته للناس إغراء لهم على المعاصي، وإزعاجا يفرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله إنه سميع يسمع استعاذتك. عليم يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه. ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها »(٣).

ويقول الإمام السيوطى : « قال قتادة في قوله ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾ قال: علم الله أن هذا العدو مبتغ ومريد.فعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سورة المائدة – الآية ٣١ .

(٢) سورة الأعراف – الآيتان ٢٠٠/٢٠١ .

(٣) العلامة البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٢٠٦ .

[إنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفثه ونفخه. قال: همزه الموتة، ونفثه الشعر: ونفخه الكبرياء][(١)]" »[(٢)].

ﷻ وقال أيضا : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[(٣)].

ﷻ وقال جل ثناؤه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[(٤)].

عن سليمان بن صرد[(٥)] قال « استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني

(١) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ١ ص: ٤٠٣ – الحديث رقم: ٣٨٢٨، وراجع محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري (٢٢٣هـ – ٣١١هـ) – صحيح ابن خزيمة – ج: ١ ص: ٢٤٠ – باب الاستعاذة في الصلاة قبل القراءة قال الله ﷻ وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم – الحديث رقم: ٤٧٢ – دار النشر : المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م – المحقق : : د. محمد مصطفى الأعظمي

(٢) الإمام السيوطى – الدر المنثور فى التفسير بالمأثور – ط٢ – دار الفكر بيروت – ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٣) سورة الفلق – بتمامها .

(٤) سورة الناس بتمامها .

(٥) سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبيشة بن سلول بن كعب أبو المطرف الخزاعي يقال كان اسمه يسار فغيره النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي وأبي الحسن وجبير بن مطعم روى عنه أبو إسحاق السبيعي ويحيى بن يعمر وعبد الله بن يسار وأبو الضحى وكان خيرا فاضلا شهد صفين مع علي وقتل حوشبا مبارزة ثم كان ممن كاتب الحسين ثم تخلف عنه ثم قدم هو والمسيب بن نجبة في آخرين فخرجوا في الطلب بدمه وهم أربعة آلاف فالتقاهم عبيد الله بن زياد بعين الوردة بعسكر مروان فقتل سليمان ومن معه وذلك في سنة خمس وستين في شهر ربيع الآخر وكان لسليمان يوم قتل ثلاث وتسعون سنة وكان الذي قتل سليمان يزيد بن الحصين بن نمير رماه بسهم فمات وحمل رأسه ورأس المسيب إلى مروان. (راجع الإصابة في تمييز الصحابة – العلامة أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٧٧٣هـ/٨٥٢هـ) – الإصابة ج: ٣ ص: ١٧٢ – رقم: ٣٤٥٩ – دار الجيل – بيروت ٤١٢هـ/١٩٩٢م – الطبعة الأولى – تحقيق: علي محمد البجاوي).

لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال الرجل وهل ترى بي من جنون »[١].

روى الإمام البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال: لا تغضب فردد مرارا قال: لا تغضب »[٢].

وروى الإمام مالك عن عبد الرحمن بن عوف « أن رجلا أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني كلمات أعيش بهن ولا تكثر علي فأنسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تغضب »[٣].

وروى الإمام أحمد بمسنده عن رسول الله ﷺ قال : « إن الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وإنما تطفئ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ »[٤].

ولاشك أن ذلك اللون من الغضب إنما يمثل مرحلة متقدمة من تواردہ على بني البشر، ولذا؛ فإن من يحاول متابعة الغضب كظاهرة في العهد القديم، لابد أن يبدأ والرحلة من أولها وأعنى بالأول ما وقع من ابنى آدم، وما انتهى إليه الأمر منهما.

ولعل ذلك مما ألمح إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[٥].

قال ابن جرير الطبرى : « الغرض من استعظام القتل العمد والعدوان، واشتراك القتيلين في استحقاق الإثم كما قال مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله

(١) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج:٤ ص:٢١١٥ – الحديث رقم: ٢٦١٠ . الإمام البخارى – صحيح البخاري ج:٥ ص:٢٢٦٧ – الحديث : ٥٧٦٤ .

(٢) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٥ ص: ٢٢٦٧ – الحديث رقم: ٥٧٦٥ .

(٣) الإمام مالك – موطأ مالك ج: ٢ ص: ٩٠٥ – باب ما جاء في الغضب – الحديث: ١٦١٢ .

(٤) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٤ ص: ٢٢٦ – الحديث رقم:١٨٠١٤، وأخرجه الإمام الطبرانى – المعجم الكبير ج: ١٧ ص: ١٦٧ – الحديث رقم: ٤٤٣ .

(٥) سورة المائدة – الآية ٣٢ .

والعذاب العظيم، ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك التخفيف فيه، إنه أقدم على القتل العمد العدوانى، فقد رجح داعية الشهوة والغضب على داعية الطاعة »[١].

﴿۞﴾ **وفى تقدير الباحث** : أن هذا الغضب البشرى الذى وقع بين ابن آدم مع أخيه حسب روايات العهد القديم قد جاء مسببه مجهولاً، وأن النتائج والتفصيلات التى ذكرت إذا ما وزنت مع ما ذكره القرآن الكريم يظهر اختلاف كبير ترجح كفته لصالح القرآن الكريم، وليس لصالح العهد القديم. **أما لماذا؟**

❖ **فالجواب**: إن القرآن الكريم فوض فى أسميهما، فلم يتح للخيال فرصة الضرب فى الغيب الماضى بسهم؛ لأن ذلك مما لا مكان للخيال فيه، بينما العهد القديم قد أعلن ذلك بوضوح هابيل وقايين، وبالتالى فكان عليه أن يقدم مذكرات محددة، أو بطاقات تعريف واضحة عن كل منهما، فلما لم يفعل اُعتبر فيه شيء من النقص فضلا عن الوفاء للضروريات.

كما أن العهد القديم تحدث عن الألة التى تم بها العدوان، بينما القرآن الكريم فوض الأمر فى المسألة وبناءً عليه، وقع العهد القديم فى ذلك الجانب بين أحضان الأحكام التاريخية، فإما أن يثبت من خلالها معرفة ابنى آدم للحديد وطرق استعماله حتى يثبت صدق قوله بأنه القاتل استخدم مجرفة مع أن الإنسان لم يعرف صناعة الحديد واستخدامه إلاَّ مع نوح عليه السلام، وحينئذ تكذب الرواية، وبالتالى التفويض فى الغيبيات إحدى السمات البارزة للمفكر المسلم الذى قبسها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، لقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[٢]. وقوله ﷺ : « إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها وترك أشياء غير نسيان رحمة لكم فلا تبحثوا عنها »[٣].

---

(١) الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) – جامع البيان فى تفسير القرآن ص١٢٢ – الهامش م٤ ج٦ – ط دار الجيل – بيروت ١٣٣٠هـ، ج٦ ص١٩٨ – طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ، وبهامشه غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى.

(٢) سورة الجن – الآية ٢٧ .

(٣) الإمام البيهقى – سنن البيهقي الكبرى ج:١٠ ص:١٢ – الحديث: ١٩٥٠٩، ومجمع الزوائد ج١ ص١٧١ ، وسنن الدار قطنى ج٤ ص١٨٤ ، والمعجم الكبير للطبرانى ج٢٢ ص٢٢٢ ، ج٢٣ ص٨٦، وراجع العلامة المتقى الهندى – كنز العمال – الباب الثاني : في الاعتصام بالكتاب والسنة – الحديث رقم: ٩٨٠ – وذكره العلامة أبو نعيم الأصفهانى – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج٩ ص١٧ دار الكتب العلمية – بيروت .

في نفس الوقت فإن النهاية للقتيل في العهد القديم مجهولة، باعتبار مصير الجثة وما الذى انتهى إليه أمرها، وتلك نقطة مهمة دينيا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[(١)] ومن تكريمه أن يدخل القبر بعد الوفاة، أما القرآن الكريم فقد أكد على تلك النهاية، وبالتالى بين أن كرامة الإنسان مرعية عند الله جاء بها القرآن الكريم حال حياته وبعد وفاته، بغض النظر عن عقيدته وسلوكياته. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾[(٢)].

أضف إلى ما سبق أن الغضب فى العهد القديم الذى وقع لابن آدم على أخيه جاء فيه لفظ الغضب ومعناه، وبالتالى فإن مؤلف هذا السفر قد رتب نتائج فى ذهنه أولا، ثم راح يبحث لها عن أسباب ثانيا، والمعروف أن النتيجة إذا سبقت المقدمات أفقدتها أهميتها، وهو ما يعرف باسم المصادرة عن المطلوب[(٣)]. أما القرآن الكريم أعطى الفرصة للعقل فى تخيل النتيجة من حيث الأسباب التى أدت إليها، فقد يكون القاتل أحمق، وقد تكون قدراته العقلية غير متكاملة بدليل شعوره بالندم المعبر عنه. يقول تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[(٤)].

وقد يكون هذا الذى قتل من أصحاب سيطرة العواطف على القدرات العقلية، ومع أنهم قليل فى دنيا الناس، إلاّ أن نتائج أعمالهم تكون مؤثرة ويعرفون باسم أصحاب العواطف المضطربة[(٥)].

وبالتالى فقد تكون النتيجة خارج نطاق الغضب من حيث الأسباب المؤدية إليه وكيف لا والقرآن الكريم يصور الحوار الذى جرى بينهما حين يعرض أحدهما على الآخر قتله ويؤكده ولو على سبيل المزاحة، بدليل أنه فى القرآن الكريم لم يتحدث عن سبب القتل.

---

(١) سورة الإسراء – الآية ٧٠ .

(٢) سورة عبس – الآية ٢١ .

(٣) هى التى تجعل النتيجة جزء القياس ويلزم النتيجة من جزء القياس كقولنا الإنسان بشر وكل بشر ضحاك ينتج أن الإنسان ضحاك فالكبرى والمطلوب شيء واحد، إذ أن البشر والإنسان مترادفان، وهو اتحاد المفهوم فيكون الكبرى والنتيجة شيء واحد . راجع فى ذلك الإمام الشريف الجرجانى – التعريفات ص٢٢٩ .

(٤) سورة المائدة – الآية ٣١ .

(٥) الدكتوسبنسر كونز – اعرف نفسك ص١٧ – ترجمة لويس فخرى – ط١ – دار محروس – العراق ١٩٧٢م .

وأخيرا ؛ فإن العهد القديم يصور النتيجة على أنها من مـردودات الغضب الذى هو غليان دم القلب، وبالتالى تكون أسبابه خارجية، وبناء عليه اعتبره قاتلا مكرها على القتل، فلما قتل أخاه استحق رعاية الله وهو يفتح الباب على مصرعيه، لأفعـال القتـل كما يغرى بها[1].

أما القرآن الكريم فإنه يجعل القتل نتيجـة لحركـة داخليـة فـى النفس ذاتـها، وبالتالى يصبح القاتل مسئولاً عن جريمته يعاقب عليها، ويتحمل نتائجها حفظا للأرواح وصيانة للنفوس. قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

وفى هذا الحكم حرص علـى الأنفس كلـها، وهـو الـذى افتقدتـه سـطور العـهد القديم، وأبانت عنه آيات القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4].

ولاشك أن تلك الموازنة الفنية قـد أبـرزت بعضـا مـن جمـال الشـريعة الإسـلامية القائمة على النصوص القرآنية، كمـا كشـفته عـن المسئولية الشـخصية، بحيـث يصـير الإنسان مسئولا عن كل ما يصدر عنه.

ﷻ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[5]. وقـال أيضـا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[6].

يقول صاحبا الجلالين: «"فمن يعمل مثقال ذرة" زنة نملة صغيرة "خيرا يره" ير ثوابه. "ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" ير جزاءه»[7].

---

(١) وذلك مخالف للشريعة الإلهية؛ لأن الله لم يخلق الإنسان ليقتـل بعضـهم بعضا، وإنمـا خلقـهم ليـؤازر بعضـهم البعض الآخرولا يقـول بانفتـاح بـاب العدوان إلاّ أصحـاب الاتجـاه الدمـوى الذيـن سـلكوا ذلـك الطريـق ومـازالوا يسلكونه ويدعون إليه.

(٢) سورة المائدة – الآية ٣٠ .

(٣) سورة المائدة – الآية ٣٢ .

(٤) سورة البقرة – الآية ١٧٩

(٥) سورة المدثر – الآية ٣٨ .

(٦) سورة الزلزلة – الآيتان ٨/٧ .

(٧) تفسير الجلالين ج:١ ص:٨١٨ .

الفصل الثانى

غضب أبناء إسحاق وذراريه

أولاً : غضب أبناء إسحاق

تمهيد

عرضت فيما سبق أن ابنى آدم وقعت بينهما مخاصمة انتهت بوقوع جريمة أزهقت فيها روح بريئة وبينت أن العهد القديم قد عرضها بشكل فيه الكثير من القلق والاضطراب ، بينما عالجها الإسلام معالجة متميزة دلت على أنه وحده الدين الإلهى على النحو الذى أسلفت القول فيه ، أما وقد سبقتنى قدماى إلى الفصل الأخير من هذا البحث ، فإن المبحث الأول منه لن يخرج عن الترتيب الطبيعى الموجود فى العهد القديم ، ولذا ؛ سيبدأ به على النحو التالى :-

(أ) عرض الفكرة

يذكر مفسرو العهد القديم أن إسحاق[١] بن إبراهيم قد أقام فى قومه مقام أبيه ، وكان حاميا للشريعة ، وكان من طبيعة القائم بالشريعة ان يعطيها لمن يشاء ، إذ لم يكن له ولد أما إذا كان له ولد فإن البكورية تكون امتيازا خاصا يسمح للابن البكر باحتكار التركة أو احتجاز النصيب الأكبر منها لنفسه[٢].

أما إسحاق فقد كانت له ذرية إذ حملت زوجته رفقة[٣] أخت لابان الأرامى بطفلين ومضت فى حملها بهما ، حتى وضعتهما ولدين[٤]:

---

(١) معناه بالعبرية (يضحك) وهو ابن إبراهيم وسارة وقد ولد فى النقب وفى بئر سبع على الأرجح، وقد ولد حين كان أبوه قد بلغ السنة المائة من العمر ، وحين كانت أمه قد بلغت التسعين من عمرها تقريبا ، ولما وعد الله سارة بأنها تلد ابنا ضحك إبراهيم ؛ لأن أمرا مثل هذا يبعد تصديقه ، ولما سمعت سارة الوعد نفسه ينطق به أحد الصيفيين السماويين ضحكت هى أيضا ؛ لأنها لم تصدق شيئا من مثل هذا ، ولما ولد الطفل قالت سارة : إن الرب صنع لى ضحكا وأن جيرانها سيضحكون معها ، فقد لازم الضحك هذا الصبى من وقت الوعد به إلى ما بعد ولادته ، ولذا فقد دعا إبراهيم باسم ابنة إسحاق أى يضحك مزيد من متابعة تاريخ حياه إسحاق عند علماء الفكر اليهودى . راجع قاموس الكتاب المقدس .

(٢) التفسير التطبيقى ص٦٧ .

(٣) رفقة : اسم عبرى ربما كان معناه دياط أو أوجل "قيد" – وهى ابنة بتوئيل وأخت لابان لما كبر إسحق كلف أبوه أحد خدامه ليبحث له عن زوجه من فتيات عشيرته فذهب الخادم وإذا طلب إرشاد الله وفقه لاختيار رفقة فتزوجت إسحاق، وقد ماتت رفقة قبل إسحاق فى الوقت الذى كان ابنها يعقوب عند خاله لابان ودفنت فى مغارة اسكفيلة عند قبر إبراهيم . راجع قاموس الكتاب المقدس ص٤٠٨ .

(٤) العهد القديم – سفر التكوين ٢٥ : ٢٤ – ٢٥ .

* **أحدهما** كان مكسواً بالشعر كأنه يرتدى فروة حمراء، فأطلق عليه اسم عيسو[1]، ومعناها أشعر، وقد نزل من رحم أمه قبيل توأمه.

* **ثانيهما** : خرج ويده قابضة كأنه يحاول الإمساك بعقب أُخيه، فأطلقوا عليه اسم يعقوب[2]، ومعناه المتعقب أو العاقب لأخيه السابق[3].

ويذكر العهد القديم أن يعقوب كان شاباً ناعماً يركن دائما إلى أمه، ويميل إلى الانشغال بالأعمال السهلة، مقيما بالخيام، مما قربه من أمه، وحببها فيه، أما عيسو فكان خشنا مفتول العضلات، ينال بركة أبيه وحبه لشجاعته. يقول العهد القديم « كبر الولدان، فصار عيسو صياداً ماهراً، بينما يعقوب راعياً يقيم فى الخيام، وبقدر

(١) عيسو : اسم عبرى معناه (شعر)، وهو ابن اسحق ورفقة، وتوأم يعقوب، سمى بذلك؛ لأنه ولد أحمر كفروة الشعر، وقد هوى الصيد من صغره، وكان يعود ومعه ما يصطاد، فيقدم منه لأبيه، وفى إحدى المرات عاد من الحقل جائعاً، ووجد أخاه يعقوب يطبخ عدساً،فاشترى منه ببكوريته، وبسبب العدس الأحمر لقب عيسو (بأدوم) تزوج وهو ابن أربعين من امرأتين حيثيتين، وكان مفضلا عند أبيه،أما أخوه يعقوب فكان مفضلا عند أمه شاخ اسحق، وأراد مباركة عيسو، إلاّ أن يعقوب خدعه، وادعى أنه عيسو، ونال البركة، غضب عيسو وأراد قتل يعقوب الذى هرب خوفا من القتل إلى ديار خاله، ومكث هناك عشرين سنة، وبعدها عفا عيسو عن يعقوب واشترك مع أخيه فى دفن أبيهما . تكاثر نسل عيسو وسكنوا فى جبل سعير، ولذا سميت بلاد أدوم . راجع قاموس الكتاب المقدس ص٦٤٩/٦٥٠ .

(٢) يعقوب : اسم عبرى معناه يعقب، ويقصد ما يمسك العقب، ويحل محله، وهو أحد الآباء الثلاثة الكبار العبرانيين، وهو ابن إسحق ورفقه، وتوأم عيسو، وقد اشتق اسمه من الحادثة التى وقعت عند ولادته، إذ كان أبوه ساكنا عند بئر لحى رعى، وكان عيسو صياداً، أما يعقوب فسكن الخيام فى نفس الوقت، فإن يعقوب كان أنانياً، حيث اتخذ من جوع أخيه عيسو فرصة، واشترى منه بكوريته، وكان إسحق يحب عيسو أكثر من يعقوب؛ نظراً لحماسة عيسو، فلما قارب الرجل على الموت أراد أن يبارك عيسو، إلاّ أن امرأته رفقه كانت تحب يعقوب أكثر من عيسو، فاحتالت وابنها على إسحق، وأخذ يعقوب بركة أبيه بدلاً من عيسو على سبيل الغش، ومع انه اختلس البكورية،إلاّ أنه صار وارث المواعيد، وقد نال يعقوب عقابه؛ بسبب خداعه إذ لقنه الرب درساً قاسياً، وقاده فى طريق وعرة محفوفة بالعناء والألم، وكانت له نقائض ظاهرة فى طباعه، وقد أرتكب أخطاء فاحشة، وقد اعترف فى آخر حياته بأخطائه وإخفاقه فى السير أمام الله، ويطلق اسمه (يعقوب وإسرائيل) على كامل أمته . راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٠٧٣-١٠٧٥ ففيها تفصيل طويل .

(٣) هذه التسميات غير مقبولة فى تعلاتها كما هو معروف أيضا من أن الأسماء لا تعلل، ولكن ذكرتها مجاراة لأصحابها.

تفرق الولدين فى المهنة فقد تفرقا أيضا حب والديهما لهما، إذ صار إسحاق محبا لعيسوا، بينما صارت رفقة محبة ليعقوب »[1].

مضت الحياة والتفرقة بين الأبناء ترتفع معدلاتها وشعر كل منهما بالقدر الذى يحميه له حب أحد والديه، وذلك بما عمق بعض المشاعر غير الطبيعية فى النفوس. ذات يوم عاد عيسو الصياد مرهقا لم يكن معه من طعام يأكله، فوجد أخاه يعقوب قد أعد طعاما شهيا مما تقبل عليه النفس[2].

ونظراً لكون عيسو جائعاً، فعندما سأل أخاه إطعامه مما صنعت يداه، ولكن على ما يبدوا قد وجدها صاحب الطبيخ الأحمر فرصة للحصول على تنازلات من شقيقة مستغلا حاجته الشديدة للطعام، ولم يكن عيسو يملك سوى الامتيازات التى استقرت فى الشريعة عندهم للابن البكر فى أقرب ما يكون بالشيك النقدى الذى ليس له غطاء بنكى.

فقال عيسو لأخيه يعقوب أطعمنى فإنى جائع، فقال له أخوه بعنى بالطعام الذى أقدمه لك امتيازتك فى البكورية[3].

ونظراً لأن عيسو قد كان جائعا إلى حد جعله يجرى مع نفسه حوارا داخليا يقول فيه ما قيمة البكورية إذا أنا مت من الجوع، وبالتالى؛ فقد أجاب أخاه يعقوب بالموافقة، ولكن يعقوب كان يشك فى صدق نية أخيه، فطلب إليه الحلف قبل أن يمد يده إلى الطعام، الذى سوف يبيعه له، وكان للابن البكر الحق فى بيع حق بكوريته

---

(١) العهد القديم – سفرالتكوين ٢٥ : ٢٧ – ٣٠ .

(٢) يطلق عليه العهد القديم اسم الطبيخ الأحمر – راجع سفر التكوين ٢٥ – ٣٠ .

(٣) كان حق البكورية امتيازاً خاصاً للابن الأكبر، وكان يتضمن نصيباً مضاعفاً من ميراث العائلة، مع امتياز أن يصبح الابن الأكبر زعيم العائلة يوماً ما، وكان للابن البكر الحق فى بيع البكورية،أو التخلى عنها إذا أراد، ولكنه إذا فعل ذلك يفقد مركزه كزعيم العائلة، لقد كان لعيسو الحق فى أن يبيع بكوريته، ولكنه أبدى استهانة كاملة بالبركات الروحية، التى كان يمكنه أن يحصل عليها، لو أنه احتفظ ببكوريته . راجع التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص٦٧ . ولما كانت البكورية أمراً ذا شأن، واعتبار اليهود فانهم كانوا يلقبون كل من كان كبير الأهمية بالبكر . راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٨٧ . ولقد باع عيسو أخر فوائد بكوريته بلذة الطعام، وهو بهذا قد تصرف باندفاع؛ ليشبع رغبة وقتية، دون أن يفكر لحظة ليتأمل العواقب البعيدة المدى،التى ستنتج عن قراره هذا . التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص٦٧ .

والتخلى عنها إذا أراد ذلك، ولكنه إن فعله يفقد مركــزه كزعيـم للعائلـة، وكـان عيسـو صاحب حق فى البكورية التى لها العديد من الامتيــازات عندهـم، ولكنـه كـان مضطـرا للتنازل عنها خوفا على حياته المعرضة للهلاك المحقق[1].

يقول العهد القديم : « وكان عيسو إنساناً يعرف الصيد إنسان البرية، ويعقـوب إنسانا كاملاً يسكن الخيام، فأحب إسحق عيسو، ولأن فى فمــه صيـداً وأمـا رفقـة فقـد كانت تحب يعقوب، وطبخ يعقوب طبيخاً فأتى عيسو من الحقل، وهو قد أعيـا، فقـال عيسو ليعقوب أطعمنى من هذا الأحمر، لأنى قد أعييت لذلـك دُعـى اسمـه أدوم، فقـال يعقوب بعنى بكوريتــك فقـال عيسـو هاأنـا مـاض إلى المـوت، فلمـاذا لى بكوريـة، فقـال يعقوب: احلف لى اليوم فحلف له، فباع بكوريته ليعقوب »[2].

حلف عيسو ليعقوب بصدق نيته وباعه امتيازات بكوريته مقابل قليل من الخــبز وطبيخ أحمر هو العدس[3]، وما أشد بيعا بخسا من ذلك البيع غير المتكافئ الذى يشــعر فيه من معه القوت بأن الجميع أسرى تحت يديه، وبالتالى فما أن أكل عيسو العدس أو الخبز حتى شعر بحاجته إلى شرب الماء، ويبدو أنه لم يكن بمقـابل هـو الآخـر ربمـا أن عيسو لم يكن يملك ما يقابله به، أو أن الشرب كان تابعاً للوجبة كما هــو معـروف فـى بعض المحلات العامة.

أما يعقوب فقد سعد باحتجازه البكورية، وذات يـوم انطلـق أبنـاء إسـحاق كـل منهما لحال سبيله وكان الرجل قد ضعف بصره وتقدمت سنه، فلما عاد والداه استدعى السابق منهما فى الخروج من رحـــم أمـه وهـو عيسـو فطلـب منـه أبـوه الذهـاب للبريـة واقتناص صيداً، بحيث يجهز الابن لأبيه منه طعاماً، ثم يأتى به فيــأكل الأب ويبـارك الابن قبل موته فيعترف له الآخرون بأنه قد نال البكورية[4].

---

(١) التفسير التطبيقى ص٦٣ .

(٢) العهد القديم – التكوين ٢٥/٢٧-٣٢ .

(٣) العهد القديم – سفر التكوين ٢٥ ٣٣ : ٣٤ .

(٤) كانت هذه الطقوس تتم طبقا لروايت العهد القديم، وكأنها بمثابة توثيق العقود والمحررات مـن خـلال الجـهات الرسمية .

ولكن رفقة – زوجة إسحاق – المحبة ليعقوب خشيت أن تكون عملية البكورية لإسحاق مؤامرة على ابنها الثانى يعقوب، فما أن انطلق عيسو إلى البرية حتى اسرعت إلى يعقوب وقصت عليه ما حدث بين أبيه وأخيه، وطلبت منه سرعة الذهاب إلى قطع الماشية وإحضار جديين لتستطيع سرعة أعداد أكلة شهية لأبيه، بحيث يظفر هو بالبكورية قبل أخيه، متى قدم ذلك لأبيه على أنه عيسو وليس على أنه يعقوب.

وقد نجحت رفقة فى رسم خطتها بسرعة حتى تخدع إسحاق، فيبارك يعقوب بدلاً من أخيه عيسو[١]، وقد كان من خطتها أن تقدم للرجل المسن الذى فقد بصره ابنها الثانى على أنه الأول، ولما قال لها الابن يعقوب إن أخى أشعر وأنا املس وربما يستطيع الأب معرفة ذلك فتقع علىّ اللعن بدل البركة. يقول العهد القديم: « قال يعقوب لأمه: إن أخى رجل أشعر، وأنا رجل أملس، وقد يحسنى أبى فيتبين خداعى، واستجلب على نفسى لعنة لا بركة »[٢]، لكن الأم طمأنت يعقوب بقدرتها على تغطية ذلك الموقف، فغطت يديه وعنقه بجلد الجديين، وأعطته ما أعدته من الأطعمة الشهية والخبز فقدمه لوالده[٣].

وإمعانا فى الخداع كلفته المرأة – يعقوب – اصطناع صوت عيسو، فحمل طعامه إلى أبيه ونادى عليه فأجابه أبوه من أنت[٤]، فأجابه يعقوب: أنا عيسو بكرك لقد أحضرت إليك ما طلبته منى من طعام، فقم واجلس وكل من صيدى حتى تباركنى كما وعدتنى[٥].

قام الأب من نومه مستعجبا من سرعة حصول ابنه على صيد وذبحه وطهيه، ولم يعهد فيه منه من قبل وقد حدث، إلاّ أن يعقوب ازداد فى خداعه فقال له يا أبى

---

(١) التفسير التطبيقى ص١٧١ .

(٢) العهد القديم – التكوين ٢٦/١٩–٢٠ .

(٣) العهد القديم – سفر التكوين ٢٧ : ١– ١٧

(٤) نسى هؤلاء المغافيل أن قلب الأب يرى ويسمع صوت ابنه كما يشم به،ذلك ما ذكره القرآن الكريم عن والد سيدنا يوسف عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ سورة يوسف – من الآية ٩٤ .

(٥) العهد القديم – سفر التكوين ٢٧ : ١٨ – ١٩ .

إن الرب قد يسر لى ذلك، فقال أبوه له: اقترب منى حتى أتحسسك لأرى إن كنت ابنى عيسو أم لا[١].

اقترب الابن المخادع من أبيه فحسه أبوه، ولكنه أبدى بعضا من الشكوك عبر عنها فى قوله: إن الصوت صوت يعقوب، أما اليدان فهما يدا عيسو، ثم سأله هل أنت ابنى حقا عيسو؟ فقال: أنا هو، وحينئذ قال له أبوه قدم لى من صيدك حتى أكل وأباركك، فأسرع يعقوب بتقديم الطعام إليه، ويبدو أن الأب كان جائعا هو الآخر جدا، فأكل ثم قدم له هذا الابن المخادع خمراً فشرب[٢].

أحس الرجل بأنه قدم جزء من البركة عليه أن يتم الطقوس، فطلب من ابنه أن يقوم الابن بتقبيله فيتنسم رائحة ثيابه وباركه قائلا له: «ها إن رائحة ابنى كرائحة حقل باركه الرب، فلينعم عليك الرب من ندى السماء، ومن خيرات الأرض، لتخدمك الشعوب، ولتسجد لك القبائل، لتكن سيداً على اخوتك، وبنى أمك لك ينحنون، وليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين»[٣].

أجل نجح يعقوب فى الحصول على البركة[٤] التى أخذها عن طريق خداعه لأبيه، ولكن ذلك الخداع قد كلفه ذلك كثيرا، إذ ظهرت المنازعات وصار يعقوب مواسيا لأمه التى قامت على الخداع، بينما عيسو صار معادياً لأمه تناقلت العداوة مع الأجيال الأخرى، فكان كل منهما أسوأ من الأخر[٥].

غير أن مدة الخداع لم تطل بما أن اقتربت الشمس للغروب، إلاّ وكان عيسو قد رجع بصيده، فجهز أطعمة طيبة منه، وأحضرها لأبيه ليأكل، ثم قال له ليقم أبى ويأكل من صيدى فيباركنى نفسه، وما أن سمع إسحاق ذلك الكلام حتى شعر بأنه وقع

(١) كانت المرأة تعرف ما يجرى مسبقا فى عقل زوجها، وقلبه ولست أدرى كيف تكون المرأة خاطئة عندهم إلى هذا الحد، ومع ذلك تصل إلى معارف أخيه من أمثال ذلك النوع.

(٢) العهد القديم – سفر التكوين ٢٧ ٢٢ – ٢٦.

(٣) العهد القديم ٢٧/٢٠–٣٠. ومن المؤسف له أن العهد القديم يصف إسحاق بالغباء وبتهمة البرود الأبوى وانعدام ملكة التمييز، ثم يصفه مرة أخرى بالسذاجة حين يدعو له بأدعية مختلفة وهو يعلم أن ليس ذلك من اختصاصه.

(٤) قد تشير إلى مباركة الله، وقد تشير إلى مباركة الناس ومعناها نقل البركة إليهم وطلبها من الرب لهم. راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٧١.

(٥) التفسير التطبيقى ص٧٢.

ضحية مؤامرة أبطالها يعقوب وأمه رفقة، ولكنه كان شاكاً، فقال من أنت؟ أجابه : « أنا ابنك عيسو ابنك البكر، فارتعد إسحاق بعنف وقال من الذى اصطاد وأحضره الىّ فأكلت قبل أن تجيء أنت وباركته وصار مباركا.

ما أن سمع عيسو ذلك إلاّ وقد شعر هو الآخر بحجم الخداع، وقسوة المؤامرة، فأطلق صرخة فيها عنف واحتجاج، حتى طلب من أبيه أن يباركه هو الآخر مخالفا أحكام الشريعة التى هو مقيم عليها، لكن الأب رفض مؤكداً أن البركة لا تعطى إلاّ مرة واحدة كالبكورية تماماً بتمام.

حزن عيسو حزنا شديدا، إذ قد خدعه أخوه مرتين:

☆ **الأولى**: عندما سلب منه بكوريته بكسرة خبز وجزء من طبيخ العدس.

☆ **الثانية**: عندما سلب منه بركة أبيه .

ويبدو أن الابن البائس راح يبحث فى ملابس أبيه وجسده وعقله وعواطفه عن مكان تختبئ فيه بركة أو بكورية، غير التى سلبتا منه فلم يجد حينئذ لجأ إلى البكاء ولعله يفرغ من خلاله ما فيه من حزن وأسى، وقال له إسحاق أبوه: قد جعلته سيدا لك وصيرت جميع أخوته خداما له وعضدته بالحنطة والخمر، فماذا أفعل لك الآن يا ولدى.

هنا غضب عيسو غضبا عظيما على يعقوب، حتى إنه لم يستطيع أن يرى خطأه فى بيع حق البكورية، فتصير مستقبلية، وتصرف فى غضبه على النحو الذى انتهى به إلى التآمر على أخيه والتصميم على قتله[1].

وقد رأى إسحاق أن يبعد الولدين، وبخاصة المخادع الصغير، فطلب من ابنه يعقوب أن يهرب إلى بيت خاله لابان[2] فى حيران حتى يسكن غضب أخيه عيسو.

(١) العهد القديم – سفر التكوين ٢٧ : ٤١ – ٤٢ .

(٢) لابان : اسم عبرى معناه (الأبيض)، وهو ابن بتيوئيل، وحفيد ناحور أخى إبراهيم، وأخو رفقة . سكن حاران فى (فدان آرام)، ولما رأى الهدايا الثمينة التى أعطاها عبد إبراهيم لرفقة قبل فوراً أن تذهب هى معه إلى أرض كنعان، لتصير زوجة إسحاق، ولما هرب يعقوب من وجه أخيه عيسو ذهب إلى لابان – خاله –، ووجده رب عائلة كبيرة، وابا لعدة بنين وأبنتين، وسيد لعبيد كثيرين، بجانب أنه مالك لقطيع من الغنم والماعز، استضاف يعقوب (٢٠سنة) وزوجه راحيل؛ لقاء خدمته له مدة سبع سنوات، ولكنه خدعه، وأعطاه ليئة عوضاً عن راحيل، فاضطر لخدمته سبع سنين أخرى للحصول على الفتاة التى أحبها، وهى راحيل، ثُمَّ بقى عنده مدة ست سنوات فى الخدمة؛ حتى يحصل على المواشى، واستطاع يعقوب بحيل متنوعة أن يحصل على كسب جانب عظيم من المواشى، مما أثار حفيظة خاله لابان وابنائه عليه، فاضطر إلى الهرب، وقد عبد لابان إله آبائه، وجمع إلى عبادته هذه عبادة الأوثان، كما أنه استخدم طريقة العرافة والرجم بالغيب . راجع قاموس الكتاب المقدس ص٨٠٤ .

وقد سمع الولد بنصيحة أبيه فانطلق إلى هناك وتزوج عروسا هى ليئة أخت راحيل، وكان يعقوب قد أحب راحيل واتفق مع خاله على الزواج منها فاشترط عليه خاله أن يخدمه سبع سنوات مقابل زواجه من راحيل، فلما انتهت السبع سنوات طلب يعقوب راحيل، فجمع خاله أهل الناحية وأقام لهم مآدبة، ولما حل المساء صحب ابنته ليئة وزفها إلى يعقوب الذى دخل بها متعجلا وفى الصباح اكتشف أنها ليئة وليست راحيل[1]، ولا غرابة فى ذلك، فالشريعة اليهودية وبخاصة التلمود؛ تصرح باستعمال الغش والخداع مع الآخرين، وتقضى تلك الشريعة « باستعمال الغش والخداع »[2] .

فقال يعقوب لخاله خدمتك سبع سنوات مقابل زواجى من راحيل، لماذا خدعتنى وزوجتنى ليئة، وهى ليست المقصودة، لقد خدعتنى وملئت نفسى بالغضب حتى شعرت أن العالم كله مخادع واستشاط يعقوب غضبا عند ما عرف أن لابان خاله خدعه، فالذى خدع أخاه عيسو هاهو الآخر يخدع.

أجابه خاله: يا بنى ليس من عادتنا فى بلادنا أن نزوج الصغيرة[3] قبل البكر الكبيرة أكمل أسبوعاً مع ليئة ثم تزوجك من راحيل فى مقابل أن تخدمنا سبع سنوات أخر.

ويبدو أن الفتى الولهان قد ارتضى بالمساومة، فوافق من فوره، ولما أكمل أسبوعه مع ليئة أعطاه خاله أختها راحيل زوجة له أيضا، ومع كل بنت منهما جارية تخدمها وقد تعجل يعقوب الوصول إلى محبوبته راحيل فظفر بها واشتد حبه أكثر له من أختها[4]، رغم المفارقات العجيبة التى وضعتها القصة الأسطورية، فقد جعلت ليئة منجية وهى المكروهة من زوجها يعقوب، أما راحيل أختها المحبوبة من يعقوب، فقد كانت عاقرة.

---

(١) العهد القديم – سفر التكوين ٢٩ : ١٥ – ٢٥ .

(٢) الدكتور /. محمد عبدالله الشرقاوى – الكنز المرصود فى فضائح التلمود ص٢١٢ – مكتبة الوعى الإسلامى ١٩٩٠م.

(٣) التفسير التطبيقى ص٧٨ .

(٤) العهد القديم – سفر التكوين ٢٩ : ٢٦ – ٢٩ .

وقد حملت ليئة من يعقوب فأنجبت ولدا أسمته رؤبين، ثم حملت مرة أخرى فأسمته شهوت، ثم حملت ثالثة فأسمته لاوى، ورابعة فأسمته يهوذا وانقطعت ولادتها[١].

ويسرف العهد القديم فى الحكاية، ويدخل تفاصيل طويلة، بحيث يقع إنجاب كثير ليعقوب من جاريته التى خصها صاحبها لخدمته، وامتدت الأيام حتى تعيدنا إلى يعقوب وقد فكر فى العودة إلى ديار أبيه ومقابلة أخيه عيسو، وقد نجح يعقوب فى امتصاص غضب أخيه عيسو حين قدم له مقابل تنازله عن البكورية مجموعة من الماعز[٢]، والأموال التى اشترى بها سكوت أخيه، وأمكنه أن يجعله يسكت، فرفض عيسو ما قدمه له أخوه يعقوب وتصالحا، وحدث بينهما افتراق سلمى.

◈ **ويذكر مفسرو العهد القديم هذه القصة متسائلين: لماذا أرسل يعقوب هدايا خدمة لعيسو؟**

❖ **والجواب : أن الهدايا كانت تقدم لعدة أسباب:**

(١) **كرشوة:** وهى للآن مازالت الهدايا تقدم، ولعل عيسو قد رفض هدايا يعقوب أولا ؛ لأنه لم يشأ أن يقبل الرشوة، فقد غفر ليعقوب خداعه[٣]، كما أنه هو نفسه كان لديه ثروة كبيرة.

(٢) **تقدم كنوع من التعبير عن العواطف الذاتية** التى قد يقع بين أصحابها أمر من الأمور.

(٣) **إنها تقدم فى سبيل الهدايا قبل اجتماع أى شخصين بينهما خلاف،** بحيث يمهد لذلك اللقاء، وإذا كانت الهدايا فى أغلب الأحيان ترتبط **بمهنة** الشخص، الذى يتقدم بها بنفسه، وأيضا مع ما تقدم له، وهذا ما يفسر لماذا أرسل يعقوب هدايا من الغنم والماعز والماشية إلى عيسو الذى كان راعيا[٤].

---

(١) العهد القديم – سفر التكوين ٢٩ ٣١ – ٣٥ .

(٢) هما مائتى عنزه وعشرين تيساومائتى نعجة وعشرين نعجة وعشرين كبشا وثلاثين ناقة مرصفة وأولادهما أربعين بقرة وعشرة ثيران وعشرين أتانا وعشرة حمير. (العهد القديم – سفر التكوين ٣٢ : ١٤ – ١٥) .

(٣) العهد القديم – سفر التكوين ٣٣ : ٩ .

(٤) التفسير التطبيقى ص٨٩ .

إذن اقترابهما السلبى لم يرجع إلى عيسو بوضع الخداع الذى فعله به أخوه، ويبدو أن تلك الطبيعة ما تزال سارية فى بنى إسرائيل ومن يحملون أسمائهم من باب اضرب واهرب، وبعد الضرب يأتى القرب[١].

ب- مناقشة الفكرة

من الملاحظ أن خيال مؤلفى العهد القديم امتد امتداداً واضحاً فأحيانا يجاوز السماء، وينحسر آخر فيقع لصاحبه موضع قدميه، والدارس لمقارنة الأديان يرى غضب أبناء إسحاق قد وقع بين هذين التصويرين، ولذا فإن الباحث سيناقش الفكرة فى حدود ما يلى :-

أولاً ما يتعلق بإسحاق

ذكرَ العهد القديم – حسب الرواية السالفة – أن إسحاق أمتد به العمر، حتى أنجب ولديه عيسو ويعقوب، ولم يكن قد بلغا الهرم كما أن بصره كان قويا بدليل قدرته فى تلك المرحلة على القيام بأعمال الصيد، ويتطلب قدرة بصرية كبيرة من أين أصيب بالعمى وهو لم يكن قد هرم بعد[٢].

كما أنهم ذكروا عن إسحاق وجود أطراف سليمة له، وبالتالى يستطيع بها أن يميز بين جلد ابنه وجلد الجدى، الذى وضعته رفقة على يعقوب وذراعيه بغرض تضليل ذلك الأب المخدوع، أم أنهم يريدون أن يقولوا إن إسحاق فقد البصر والحس معاً، وذلك مما لم يثبت عندهم.

فى نفس الوقت فإن إسحاق كأب يستطيع اشتمام أبنائه والتعرف على جلودهم وباقى أجسامهم، ثم إن الضغط على جلد الماعز سوف يؤكد للضاغط نفسه ما إذا كان الذى تحت يده شيء خاص بالإنسان أم بالحيوان، وإذا كان ذلك مما يعرفه أحاد الناس.

---

(١) راجع فى هذا الصدد سفر التكوين – الإصحاحات ٢٧ – ٣٦ . ففيهما تفصيل كثير حول تلك المسألة وأنواع كثيرة من الغضب التى ذكرها العهد القديم والنهايات السلبية التى انتهى إليها.

(٢) حيث يذكر العهد القديم أنه ولد عيسو ويعقوب وكان سنه ستين سنة . راجع العهد القديم – سفر التكوين ٢٥ - ٢٦ .

كما ثبت أن من يفقدون حاسة يجعل الله عوضها فـي الحاسـة الأخـرى، التـى تخدمها، وبالذات ما يتعلق بالقدرات العقلية(١)، فإذا نظرنا إلى أن الذى يتم خداعه مـن خلال زوجته وابنه هو أحد أنبياء الله، فإن الأمر سيختلف لصالح ذلك الرجل، فتفـوت الفرصة من المرأة رفقة وابنها يعقوب.

ودارسى مقارنة الأديان على يقين من أن فعل ذلك من إسحاق لو تم سـيقع فيـه الجور والظلم والأنبياء معصومون عن ذلك كله.

وغير خافٍ أن الرواية صورت إسحاق تصويرها للمغـافيل الذيـن يقعـون ضحايـا تعليمات تصدرها إليهم الزوجات، إذ كيف إسـحاق قـد عاشـر زوجتـه رفقـة كـل تلـك المدة، ولا يعرف أنها امرأة مخادعة فيحتاط لنفسه من تصرفاتها، أم أنه وقع فى شباك حبها الغامر، وانتزعه حبها الدافئ وحنانها الفيـاض، فأنسـاه ذلـك مـا يحفـظ للرجـل أموره الخاصة، وذلك مستحيل صدوره من نبى(٢).

ثم إن عملية الطعام فالقدرة على تذوقه هل تفلتت هى الأخرى مـن إسـحاق فلـم يميز بين لحم الجدى الذى قدمه له يعقوب، ولحم الطير الذى هو من نتاج مهنة عيسـو فى الصيد(٣).

❁ **وفى تقدير الباحث:** أن هؤلاء القوم فى أعماقهم سـلبيات كثـيرة، ومنـها إنقـاص مقـام النبوة، وإنزال قدر الأنبياء، حيث جاء إسحاق عندهم كالدمية، وهو تحل عنه منزلة النبى لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(٤).

---

(١) بل الواقع المعاش يذكر أن فاقد البصر يستطيع التعرف على العملات الفضية والذهبية والورقية المقدمـة إليـه مـن مجرد لمسها؛ لأن قدرته العقلية تترجم ما تنقله الحواس إليها، وتصبح عصاه التى يتكأ عليها حالـة محـل عينـه التى يبصر بها حتى قالوا: إن عصا الأعمى وقدمه هى عينه التى يبصر بها.

(٢) لأن الله عصم أنبيائه من مثل ذلك قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَـا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَـار ﴾ سورة ص – الآيـة ٤٧ . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْـهَادُ ﴾ سورة غـافر – الآيـة ٥١ ، « الأشهاد جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفـار بـالتكذيب » [راجـع تفسـير الجلالـين ج:١ ص: ٦٢].

(٣) لماذا ذكره العهد القديم من عيسو كان صياداً، بينما كان يعقوب فلاحاً.

(٤) سورة الحج – الآية ٧٥ .

فاصطفاء الله له يمثل نوعا من التمييز والاختيار، ولا يكون ذلك لخامل أبـدا، وإنما يكون لفطن حاد الذكاء، سليم الحواس.

كذلك صورت القصة إسحاق بالأرذلين(١) الذين لا هم لهم إلاَّ أن تشبع بطونـهم، وذلك حين يطلب من ابنه أن يقدم له طعاما حتى يعطيه البكورية والبركة، وكأنها ميراث، والمعروف أن مقام النبوة لا يورث؛ لأنها هبة من الله، وليست كسبا من العبد(٢)، حتى يعطيها ميراثا لولده. وبالتالي؛ فالفكرة غير واقعة إلاَّ فى الخيال .

وربما يقال: إن نبى الله زكريا التمس من ربه ولدا . قال تعالى: ﴿ كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾(٣).

---

(١) الأرذلين جمع مفرده رذيل، والمعنى فى اللغة : « رذل رذل: الرَّذْل و الرَّذِيل و الأَرذل: الدُّون من الناس، وقيل: الدُّون في مَنْظَره وحالاته، وقيل: هو الدُّون الخسيس، وقيل: هو الرَّديء من كل شيء. ورجل رَذْل الثياب والفعل، والجمع أرذالو رُذَلاء و رُذُول و رُذّال، الاخيرة من الجمع العزيز، و الأَرْذلون، ولا تفارق هذه الألف واللام لأنها عَقِيبة مِن. وقوله ﷺ: واتَّبَعكَ الأَرْذَلون، قاله قوم نوح له، قال الزجاج: نسبوهم إلى الحياكة والحجامة، قال: والصِّناعات لا تَضُرُّ في باب الديانات، والأُنثى رَذْلة، وقد رَذُل فلان، بالضم، يَرْذُل رَذالة و رُذُولة، فهو رَذْلٌ و رُذال، بالضم، و أَرْذَلَه غيره، و رَذَلَه يَرْذُله رَذْلاً: جعله كذلك، وهم الرَّذْلون و الأَراذل وهو مَرْذُول، والرُّذالة: ما انْتُقي جَيِّده وبقي رديئه، و الرَّذِيلة: ضد الفضيلة. و رُذالة كل شيء: أردؤه. ويقال: أَرْذَلَ فلان دراهمي أي فَسَّلها، و أَرْذَلَ غنمي و أَرْذَلَ من رجاله كذا وكذا رَجُلاً، وهم رُذالة الناس و رُذالهم، وقوله تعالى: ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العمر؛ قيل: هو الذي يَخْرَف من الكِبَر حتى لا يَعْقِل، وبَيَّنه بقوله: ﷻ : ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾، و الأَرْذَل من كل شيء: الرَّدي منه » (راجع لسان العرب لابن منظور ج: ١١ص: ٢٨١/٢٨)

(٢) جمهور علماء الإسلام على أن النبوة هبة من الله تعالى ليست باستحقاق من العبد . راجع فى هذا الشأن : الغزاليات فى النبوات للدكتور محمد الغزالى ص٣٥ وما بعدها، والأربعين فى أصول الدين للإمام الفخر الرازى ج٢، وشرح المقاصد للإمام السعد التفتازانى ج١ ص١٣٢ أما ما ذهب إليه البعض من أن النبوة تأتى بالاكتساب فمردود عليه بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.

(٣) سورة مريم – الآيات ٦/١ .

قال صاحبا الجلالين: « كهيعص الله أعلم بمراده بذلك. هذا ذكر رحمة ربك عبده مفعول، رحمة زكريا بيان له. إذ متعلق برحمة نادى ربه نداء مشتمل على دعاء خفيا سرا جوف الليل لأنه أسرع للإجابة . قال رب إني وهن ضعف العظم جميعه مني واشتعل الرأس مني شيبا تمييز محول عن الفاعل أي انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النار في الحطب وإني أريد أن أدعوك ولم أكن بدعائك أي بدعائي إياك رب شقيا أي خائبا فيما مضى فلا تخيبني فيما يأتي. وإني خفت الموالي أي الذين يلونني في النسب كبني العم من ورائي أي بعد موتي على الدين أن يضيعوه كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدين وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك من عندك وليا ابنا. يرثني بالجزم جواب الأمر وبالرفع صفة وليا ويرث بالوجهين من آل يعقوب جدي العلم والنبوة واجعله رب رضيا أي مرضيا عندك »(1).

◈ **الا يعتبر ذلك الالتماس طلبا مواريث، حتى يقوما بأعمال النبوة؟**

❖ **والجواب**: أن نبى الله زكريا عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم لم يطلب ولدا، وإنما قال فهب لى من لدنك وليا، والولد يكون من صلب أبيه، أما الولى فإنه قد يكون من صلب أبيه كما يكون من أحد الأتباع المقربين، ثم إن نبى الله زكريا لم يطلب وارثا للنبوة لعلمه أنها لا تورث، إنما كان متلمساً وارثا للنسب، بدليل قوله تعالى: ﴿ يرثنى ويرث من آل يعقوب ﴾ وهى وراثة نسبية.

كما أن نبى الله زكريا فى التماسه الولد، ربما كان بقصد الخليفة الذى يعينه على تبليغ أحكام الشريعة وتطبيقها، ويكون المعنى هب لى من لدنك ولدا يتولى معى مهمة إصلاح القوم على الناحية الدينية، فأكون أنا النبى المبلغ، وهو الولى المعين على تنفيذ الأحكام، وذلك أمره معهود فعله، ملتمس فى بنى إسرائيل.

ثانيا: رفقة

حرص العهد القديم على تصوير المرأة فى كل حالاتها بالتآمر والمخادعة بدأ من حواء أم البشر حتى أخر امرأة فى الوجود، باعتبار أن المرأة عندهم هى رأس كل خطيئة وصانعة كل جريمة، فحواء أغرقت زوجها فى الخطيئة عندهم وطرده من الجنة، وسارة امرأة إبراهيم أغرقه جمالها فى بحار الهيام بها، حتى تآمرا معا على

(١) تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٣٩٦ .

فرعون مصر بغية الحصول على المال، وهو مما يتصف به أخس الناس، ولا يتصف به نبى الله أبداً.

وكذلك ثامار[١] أخت أمنون ابنة داود التى كانا شكلها الباسم وجمالها الغامر وحركاتها المثيرة من أسباب وقوع أخيها غير الشقيق أمنون فى هواها، وظلت تدنيه منها حتى فضى أغلافها، ثم انقلبت عليه، وأخبرت أخاها الشقيق أبشالوم بما فعله أمنون، فكانت النتيجة أن قتل أبشالوم أمنون.

وكذلك بثشبع[٢] زوجة أوريا الحيثى[٣] ذلك القائد العسكرى المحنك الذى كان يخدم فى جيش داود، وأثناء المعارك غاب عنها فاستطاعت اللعوب اللعب بعواطف الملك داود الذى كانت لديه كتيبة من النساء والسريات[٤]، وغزت قلبه رويدا رويدا، حتى إنه كان يقف فى شرفة قصره يتأملها وهى تستحم فى بيتها، وقد زادت فى إغرائه، فلم يتمكن من مقاومة ذلك فأرسل إليها وانفرد بها حتى أغمس نفسه معها فى بحار العشق المجون[٥].

وقد ظل أمر تلك المرأة فى الإغراء ومواصلة العلاقات الجسدية المحرمة، حتى حملت فاحتالت على الملك وأبلغته بما جرى، فقرر هو تدبير مكيدة لزوجها انتهت

(١) ثامار : أخت أبشالوم، وابنة داود الجميلة، التى أذلها أخوها غير الشقيق - من أبيها - باضطجاعه معها . راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢٣٣، وراجع صموئيل الثانى ١٣، وأخبار الملوك الأول ١/٣-٩ .

(٢) بثشبع : اسم عبرى معناه ابنة القسم أو ابنة اليوم السابع، وهى ابنة أليعام امرأة أوريا الحيثى، كانت جميلة إلى حد الفتنة، شغف بها داود الملك، واحتال على زوجها، وقتله ثُمَّ تزوجها داود، وجعل ابنها سليمان وريث مُلكه . قاموس الكتاب المقدس ص١٦٢ .

(٣) اسم عبرى معناه (يهوة نورى) وأطلق فى العهد القديم على أكثر من شخص منهم (أوريا الحيثى) الأصل، إذ كان حيثا، ولكنه كان ضمن من يعبدون الرب إله العبرانيين، وكان قائدا كبيرا فى جيش داود، وقد اتصل الملك داود اتصالا شريرا ببثشبع زوجة أوريا، ثُمَّ أمر داود أن يوضع أوريا فى المقدمة فى مكان من الجيش، بحيث يعرض فيه للموت، حين كان الجيش يحاصر (ربة عمون) فقتل أوريا، وقد وبخ النبى ناثان الملك داود على هذه الخطايا، وأعلنه بحلول دينونة الله عليه بسببها - قاموس الكتاب المقدس ص١٣٦ .

(٤) نحن لا نوافقهم فى شيء من ذلك أبدا، فأنبياء الله مقامهم أعلى وأعظم، ولا يقوم بتلك السفاسف إلاَّ فاقد العقل، ناقص الأهلية، وإنما حكيتها من باب تصوير الشيء عند أصحابه.

(٥) ليوتاكسيل : التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٣٤٥ .

بقتله، وبعد أيام قلائل وقبل أن تنتهى فترة الحداد زوّجها لنفسه وكانت حاملا فيه من علاقاتهم السابقة، فوضعت له ولدا هو سليمان[1] الذى صار فيما بعد نبيا[2].

وكذلك الحال مع رفقة زوج إسحاق، فقد صورها العهد القديم أيضا بأنها امرأة مخادعة استطاعت أن توقع بزوجها البريء، فيقرر أمرا رغم إرادته، وأنها نجحت فى ذلك مستغلة وجودها فى المنزل وسماعها الحوار الذى دار بين إسحاق زوجها وابنه عيسو، فأسرعت هى بتكليف ابنها يعقوب بإحضار الجديين، كما أسرعت بإعداد الطعام، وأسرعت بإزالة العقبات التى يمكن أن تعترض مسيرة يعقوب، والتى عبر هو عن بعضها حين أخبرها أنه أملس، بينما عيسو أشعر، فتغلبت على ذلك الموقف بأن وضعت الجلد الذى سلخ من الجديين فى شكل ملاصق لجسم يعقوب، حتى تستطيع تضليل الرجل البريء.

ثم إن رفقة هذه من وجهة نظرهم شقيقة لابان[3]، ولابان هو الآخر مخادع محترف من وجهة نظرهم أيضا، وبالتالى فقد أفرغت رفقة كل ما يتعلق بها من خداع فى تعاملها مع زوجها لتكسب فى النهاية مغامرة جديدة، وتنتزع من أحد أبنيها حقه فتعطيه للآخر، الذى لم يكن مستحقا له حسب شريعته.

۞ **وفى تقدير الباحث** : أن ذلك الأمر فيه الكثير من الأفكار المصرية القديمة، إذا كانت المرأة زوجة ومتحكمة فى آن واحد تلعب على زوجها دورين، فهى له فراش ناعم، وهى عليه سوط جالد، واقتبس اليهود ذلك عن المصريين، ثم وضعوه فى كتبهم للتعبير عن ثقافة يظنونها قائمة، وما هى إلاّ فكر وثنى ردده من يظنون فى أنفسهم

---

(١) سليمان : اسم عبرى معناه (رجل سلام)، وهو ابن الملك داود الذى خلفه على عرش بنى إسرائيل، فكان أعظم ملك، وملك أربعين سنة، ومع أنه كان له ستة أخوة من أمهات مختلفات، واخوته هم : [أمنون، كيلاب، أبشالوم، أدونيا، شفطيا، يثرعام]، إلاّ أن سليمان هو الذى ملك وأمه تُدعى بثشبع، التى كانت زوجا لأوريا الحثى، وقد أحب داود سليمان؛ لأنه كان ابن زوجته المفضلة، وأطلق عليه اسم سليمان متمنيا له سلاماً بلا حرب، ولكن الله أعطاه اسم (ياديديا) أى محبوب (يهوه) وكان شديد الذكاء، فاستوعب كل الدراسات التى تلقاها على يد (ناثان النبى) . راجع قاموس الكتاب المقدس ص٤٨١ .

(٢) ليوتاكسيل – التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٣٤٧ .

(٣) أكرر على الدوام أن ذلك الأمر مرفوض تماما من جانبى، ولكنى ذكرته على أساس وجوده فى كتبهم وتمسكهم به وحكايته عنهم.

القداسة، وليس بغريب القول بأن رفقة قد استعملها كتاب العهد القديم كرمز تجرى حوله الأحداث، وتطوف به حين بعد حين، وفى نفس الوقت هى واقع لا يحيد، واتجاه قائم لا مفر منه، وأنها غضبت من اتفاق زوجها مع ابنه عيسو، وبالتالى غلى دم قلبها، فتصرفت على النحو الذى سلف ذكره.

ثالثا: عيسو

من المؤكد أن عيسو شخصية طافت حولها الأقاصيص، وقد شغل شطرا كبيرا من أحد أسفار الكتاب المقدس، إنه فى نظرهم الأسبق فى الولادة، مع أنهما توأمان[1]، وكان هذا العيسو بناءاً على خروجه من رحم أمه قبل أخيه يعتبر الابن البكر، ومن كان شأنه هو صاحب الحق الأصلى فى البكورة وتحقيق البركة، غير أنه على ما يبدو كان رجلا هملا لا يعبأ بالحياة، بدليل أنه لما عاد من رحلة الصيد فى إحدى المرات مفلساً، وأراد الطعام الذى يطهوه أخاه يعقوب طلب منه شيئا من ذلك الطعام، ولما لم يكن معه مال فقد كان المقابل هو البكورة والبركة معا فهما لا يقدران بمال .

غير أن الكتاب المقدس يطلع قارئه على خبر مفزع، وهو تجاوب عيسو مع يعقوب ورضائه، بأن يعطى لأخيه بكوريته مقابل لقيمات لا يقمن صلبه، ثم يغضب بعد ذلك عندما يقوم والده بإعطاء أخيه البركة متجاهلا أن من فرط فى شيء عزيز هو البكورية، يجب عليه أن يفرط فى الأقل وهو البركة، فإذا تمسك بالبركة وقد تخلى عن البكورية، فإن سلوكه لا يكون محمودا منه.

فى نفس الوقت فإن غضبه من الغضب الخفيف على الآخرين؛ لأنه يقوم على التهديد فقط، وليس على مباشرة نتائج تكون لها أهمية القواعد الآمرة[2]، ومثله لا يكون غضبا مخيفا، ومع هذا يطلعنا العهد القديم على أن الرجل يعقوب قد دبرت له أمه الهرب من وجه أخيه إلى بيت خاله لابان، حتى لا يحدث من وجهة نظرها صدام بينهما.

---

(١) حيث يذهب دعاة الفكر اليهودى بأن أمه ولدته وأخاه فى حمل واحد، وانه سبق أخاه فى الخروج فقط. (راجع العهد القديم – سفر التكوين ٢٥ : ١٤ – ٢٥ .

(٢) القاعدة الآمرة أو القاعدة المطلقة هى تلك التى تفرض نفسها بصورة مطلقة، دون توقف على إرادة الأفراد، ولا يجوز مطلقا الاتفاق على مخالفتها. (الدكتور عبدالحي حجازى – المدخل لدراسة العلوم القانونية ص١٥٧ – المطبعة العالمية – القاهرة ١٩٦٦م). نقلا عن برت دى لاجرس – لامورد لاكونت رقم ٢٣٨ .

ويبدو أن عيسو اكتفى بهرب أخيه من وجهه، ويطلع القارئ لتلك الأفكار على أن عيسو كان مغرورا، وسخرية إذ رأى حقه قد سلبه منه أخوه مرتين[١].

أضف إلى ما سبق أنه بعد رحلة الاغتراب والهجرة التى عاشها يعقوب بعيدا عن ديار قومه مقيما عند خاله لابان، ثم عودته إلى ديار قومه قدم لأخيه هدية متواضعة تمثل بعض الحيوانات التى كان لأخيه منها النصيب الأكبر، والمؤسف أن عيسو يرضى بالدية ويقبل الهدية المتواضعة ويعفو مباشرة عن يعقوب. إذن غضب عيسو كان له ما يبديه، وأن لم يكن بهذا الحجم على ما هو مدون فى العهد القديم.

رابعا: يعقوب

يصور العهد القديم يعقوب بأنه مخادع كبير؛ لأنه استطاع أن يخدع أخاه عيسو؛ لأنه وضع خطة مع أمه لكى يوهم أباه البكورية – وأيضا مخادعة أبيه) بأنه عيسو الأشعر، ونال البكورية من أبيه، ولم يسلم هو من المخادعة أيضا؛ لأن خاله لابان قام بمخادعته، حيث قام بتزويجه من ابنته ليئة بالطريقة التى سبق ذكرها فى عرض الفكرة.

ويتناول أحد الباحثين من ذلك الموقف قائلا: « والحقيقة أننا لا نستطيع أن نفهم كيف ولم يستطيع أن يكشف الخدعة مع انه كان قد أمضى سبع سنوات فى بيت خاله، ويجب أن يكون قد عرفا ليئة وراحيل معرفة جيدة، فيكف إذن قضى معها ليلة كاملة دون أن يعرفها »[٢].

ولكن قام يعقوب بالنصيب الأكبر من الخداع حينما قام بمخادعة خاله واستولى على ماله جين طلب من خاله أن يعطيه كل ما هو أرقط[٣]، وأبلق[٤] فى قطيعة، فوافق لابان دون تردد؛ لأنه كان على يقين أنه سيمضى وقت طويل قبل أن يحدث ذلك،

---

(١) المرة الأولى حين أخذ البكورية والثانية حين أخذ من والده البركة .

(٢) ليوتاكسيل : التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص١٣٣ .

(٣) أرقط : هو ما كان به رقطة، والرقطة لون مؤلف من سواد وبياض، أو من حمرة وصفرة . راجع المعجم الوجيز ص٢٧٣ .

(٤) ابلق : ما كان فيه سواد وبياض . راجع المعجم الوجيز ص٦٢ .

ولكن يعقوب أخذ قضبانا من لبن ولوز ودلب[1]، فقشر فيها خطوطاً بيضاً، وأوقفها فى مساقى القطيع قبالة الغنم، فتوحمت الغنم عند القضبان، وولدت مخططاً ورقطاً وبلقاً، واضطر لابان رغما عنه أن يفرز له ذلك العدد الكبير من الرؤوس، وهكذا امتلك يعقوب تسعة أعشار قطعان لابان بالغش والخداع .

يقول العهد القديم: «فقام يعقوب وحمل أولاده ونساءه على الجمال وساق كل مواشيه وجميع مقتناه الذى كان قد أفتى مواشى اقتنائه التى اقتنى من فدان أرام ليجيء إلى إسحق أبيه إلى أرض كنعان، وأما لابان فكان قد مضى ليجز غنمه فسرقت راحيل أصنام أبيها وخدع يعقوب قلب لابان الأرامى، إذ لم يخبره بأنه هارب فهرب هو وكل ما كان له وقام وعبر النهر وجعل وجهه نحو جبل جلعاد، فأخبر لابان فى اليوم الثالث بأن يعقوب قد هرب فأخذ اخوته معه وسعى وراءه مسيرة سبعة أيام، فأدركه فى جبل جلعاد، وأتى الله إلى لابان الأرامى فى جنح الليل وقال له: احترز من أن يتكلم يعقوب بخير أو شر»[2].

ثانيا: غضب أولاد يعقوب على شكيم وقبيلته

يذهب العهد القديم بالحديث عن الغضب مذاهب شتى، حتى أنه ليذكر غضب الإنسان ويذكر معه بعض أسبابه وإن كانت لا تتفق مع النتائج المنتهية إليها سواء أكان فيما حملته المقدمات أم لم تحمله، ومما يذكر فى هذا الصدد من أن علماء اللاهوت ألمحوا إلى أن غضب الله يأتى من العهد القديم على نحو خمسة أضعاف بالنسبة

---

(١) دلب : الدُّلْبُ: شجر العَيْثام، وقيل: شجر الصَّنار، وهو بالصِّنار أشْبَهُ. قال أبو حنيفة: الدُّلْبُ شجر يعظم ويَتّسِع، ولا نَوْرَ له ولا ثمر، وهو مُفَرَّضُ الوَرَق واسِعُه، شبيه بورق الكَرْم، واحدتُه دُلْبة، وقيل: هو شجر، ولم يوصف. وأرضٌ مَدْلَبةٌ: ذاتُ دُلْب... و الدُّلْبة: السَّوادُ. و الدُّلْبُ: جنس من سُودانِ السِّند، وهو مقلوب عن الدَّيْبُل؛ قال الشاعر: كأنّ الدّارِعَ المَشْكُوكَ، منها، سَلِيبٌ، مِن رجالِ الدَّيْبُلانِ قال: شَبَّه سَوادَ الزِّقِّ بالأَسْوَدِ المُشَلَّحِ من رجال السِّنْد. والمُشَلَّحُ: العُرْيانُ الذي أُخِذَ ثيابه؛ قال: وهي كلمة نَبَطِيّةٌ » [راجع لسان العرب للعلامة ابن منظور ج:١ ص:٣٧٧]

(٢) العهد القديم – سفر التكوين ٣١ : ١٧ – ٢٥ .

لغضب الإنسان ويرون أيضا من أن الغضب لا يكون للإنسان بل يكون لله فقط أو يكـون من شئونه فحسب[١]، ومما ذكره العهد القديم غضب أولاد يعقوب على شكيم وقبيلته.

(أ) عرض الفكرة

يذكر العهد القديم أن يعقوب ارتحل إلى نابلس[٢]، فـى أرض كنعـان ثـم نصب خيمته واشترى الأرض التى عليـها وأقـام بجـوار الخيمـة مذبحـا وسمـاه "إيـل" – الـه إسرائيل –.

يقول العهد القديم :« ثم أتـى سـالما إلى مدينـة شـكيم وقبيلتـه التـى فـى أرض كنعان،حيث جاء من فدان آرام[٣]،ونزل أمام المدينة،وابتاع قطعـة الحقـل التـى نصب فيـها خيمتـه مـن يـد أبنـاء حمـور[٤]، – أبـى شـكيم –،بمائـة فضـة، وأقـام هنـاك مذبحـا،ودعـاه "إيـل إلـه إسـرائيل "،وكـانت لـه ابنـة تدعـى "دينـة"مـن زوجتـه "ليئة"[٥]،فخرجت دينا لتتعرف علـى بنـات المنطقـة المحيطـة بـها، فانبـهر بجمالـها شكيم بن حمور – ابن رئيس المنطقة »[٦].

---

(١) معجم اللاهوت – الكتاب ص ٥٨٥.

(٢) هى ذاتها مدينة شكيم فهما اسمان يدلان على مكان واحد حسب رواية العهد القديم (راجع العهد القديـم– سـفر التكوين /٣٣–١٨) وشكيم اسم عبرى معناه : كيـف، أو فكيـف،وهـى بلـدة قديمـة خيـم بـالقرب منـها نبـى الله إبراهيم– عليه السلام –وكان الكنعانيون يسكنون فيها، وفى أيام يعقوب، عندمـا عـاد إلى كنعـان يقيمـون فيـها، وفيها أتباع يعقوب،قطعة حقل نصب فيها خيمته. راجع فاموس الكتاب المقدس – ص٤٣ .

(٣) فدان أرام اسم سامى معناه نهر أرام، موقع يوجد على ما يظهر فى ارام النهرين. (راجع قاموس الكتاب المقدس ص٦٧٢ والنهرين: دجلة والفرات . راجع قاموس الكتاب المقدس ص٤٣ .

(٤) حمور : اسم كنعانى معناه حمار، وهو أمير شكيم، راجع قاموس الكتاب المقدس –ص٣٢٠ .

(٥) ليئة : اسم عبرى معناه بقرة وحشية، وهى ابنـة لابـان الكبرى، وقـد كـانت أقل جمـالا مـن أختـها الصغـرى راحيل؛ لأن عينيها كانتا ضعيفتين وبحيلة زوجها أبوها من يعقوب بعد أن كان هذا – يعقـوب – قـد خـدم سـبع سنين لأجل راحيل، وولدت له ست بنين وهم: رابين، شمعـون، لاوى، يـهوذا، يسـاكر، زبلـوت وابنـة اسمـها دينة، ثم ماتت ليئة بعدما ذهب يعقوب إلى مصر. راجع قاموس الكتاب المقدس ص٩٢١ .

(٦) العهد القديم – سفر التكوين ٣٤ : ١ – ٢ .

ولما كان جمال دينة[١]،قد غزا قلبه بالقدر الـذى لم يتمكـن مـن مقاومتـه — فقـد حاول الوصول إليها وامتلاكها إشباعا لرغبته ، ويبدو أن الفتاة قد رأت ذلك فى عينيـه ، حيث كان شكيم هذا فريسة للشـهوات الشـريرة المندفعـة ،وقـد تصـرف تصرفـا مندفعـا شريرا[٢].

ولما لم تكن البنت على علم بنزوات شـكيم الشـريرة – فلـم تضـع فـى حسـبانها شيئا يخيفها ، إذ أنها غريبة عن تلك الديار ، وشأن الغريب أن يحـافظ عليـه الآخـرون احتراما بحق غربته ، غير أن شكيم احتال على البنت ولاطفها ، ولما أدرك أنـها صـارت صيدا بين يديه ، أخذها وقام بمباشرة العلاقة الجسدية معها ، حتى أشبع نزواته منها ، ولوث شرفها ، وهو بهذا الفعل لم يخطئ فى حق دينة وحدها ، وإنما فى حـق عائلتـها كلها[٣].

ويبدو أنه شعر معها بما لم يشعر بـه مـع أنثـى مثلـها ، أو أنـه قـد أحـس بـها كغريبة غير راضية أسرتها عن فعله الذى حدث منـه ،وبالتـالى قـرر أن يتقـدم لخطبتـها والزواج بها – لا خوفا من أسـرتها ، إذ كـان مـن عليـة القـوم الذيـن تحرسـهم القواعـد السياسية ،ويصونـهم صولجـان الحكـم ،وإنمـا أراد أن تكـون لـه زوجـة يسـتجلب منـها الذرية ، وبالتالى ؛ فإن إلحاحه وهو ابن الأغنياء على أبيه حتى يزوجه واحدة مـن أبنـاء الغرباء.

يقول العهد القديم فى سفر التكويـن :((وتعلقـت نفسـه بدينـة ابنـة يعقـوب ، وأحـب الفتـاة ، ولاطـف الفتـاة ، فكلـم شـكيم حمـورا أبـاه قـائلا : خـذ لى هـذه الصبيـة زوجـة))[٤]، عادت البنت إلى منزلها منهكـة القـوى ،مـهزوزة النفـس ،خـائرة العزيمـة ، تبكى حظها الذى أوقعها لأول مرة بين أنياب مفترس لم يرحم غربتها ، كما لم ينظر إلى حقوقها كغريبة عليه ، ويبدوا أنها قد عـبرت عـن ذلـك كلـه بـالصراخ والبكـاء لمـا رأت

(١) يرى بعض المستشرقين أن عمرها فى هذا الوقت أربع سنوات فقط. راجع ليوتاكسـيل : التـورات كتـاب مقدس أم جمع من الأساطير – ص١٣٦ ، بينما يرى آخرون من أن عمر هذه الفتاة ينـاهز اثنـا عشـر عاماً. راجـع الدكتـور : الخورى بولس الفضالى – سفر التكوين ص٣٥٦ – منشورات المكتبة البولسية ط١٩٨٨/١م.

(٢) التفسير التطبيقى ص٨٩ .

(٣) التفسير التطبيقى ص٨٩ .

(٤) العهد القديم – سفر التكوين ٣٤ : ٣ – ٥ .

مقدمها إلى بيت أسرتها، فسألها أبوها عن سر بكائها وما تعانى من قلق[1]،فأجابت الفتاة، وأخبرت أباها بما فعله معها شكيم، ولم تكن عالمة بما انتواه الجانى من خطبتها والزواج بها، فلما أخبرت أباها بما تم لها،وهو تلويث السمعة وإذهاب العرض، فاغتاظ أبوها لدرجة كبيرة، وغضب غضبا طواه فى نفسه .

أما أبناؤه، فقد كانوا فى الحقول مع مواشيهم التى يقومون لها بحق الرعى، وقد تأخروا بها، مما أقلق والدهم على مواشيه، كما نازعه القلق على أبنائه، وبخاصة أنهم نزلوا حديثا بأرض غريبة، فلما رجعوا من رعيهم أخبرهم أبوهم بما حدث لأختهم على يد شكيم الحمورى، فغضب هؤلاء الأخوة غضبا شديدا، امتلأت صدورهم به، وضاقت نفوسهم من الفاعل، فارتفع غليان دم القلب عند كل واحد منهم، وصار يتحين الفرصة للتنفيس عن ذلك الغضب الكامن فى نفسه، وفى نفس الوقت؛ فإن إعلان شكيم عن حبه دينة لم يبرر الشر الذى ارتكبه باغتصابها، إذ كان يجب عليه ألا يسمح للعواطف الجنسية أن تتفجر فى شكل أعمال شريرة،وكان يجب عليه أيضا التحكم فيها»[2].

يصور العهد القديم ذلك قائلا :«بأن يعقوب والد دينه سمع منها أن شكيما قد لوث شرفها، وكان بنو يعقوب آنئذ يرعون مواشيهم فىالحقل،فسكت حتى رجعوا، وقد استشاطوا غضبا وغيظا أبناءيعقوب، لأن شكيما ارتكب فاحشة فى إسرائيل باغتصابه ابنة يعقوب،وهو أمر محظور[3]، فى نفس الوقت فإن الغضب لم يكن قد انقطع ،وإنما فكر ابناءيعقوب فى طريقة ينفسون بها عن ذلك الغضب، تقوم على الدهاء والخديعة واغتنام الفرص، فأخبروا والدهم بالموافقة الظاهرية على خطبة دينة لشكيم، وطلب الأب وأبناؤه من حمور والد شكيم وأسرته أن يحضروا جميعا، فلما حضروا جميعا لم يكونوا يملكون وسائل دفاع، فطلب منهم يعقوب أن يضعوا أنفسهم طبقا لأحكام الشريعة السائدة فى بنى إسرائيل وهى الاختتان للذكور، فاستجاب الرجال

---

(١) القلق هو استعداد تلقائى للنفس يجعلها غير راضية بالواقع، فإذا تطلع المرء إلى الأحسن والأفضل، ونظر إلى حياته الواقعية، فوجدها محفوفة بالمخاطر، بعيدة عن تحقيق ما يصبوا إليه من الكمال والسعادة أحس بالقلق الغم. (راجع جميل صليبا – المعجم الفلسفى ج٢ ص٢٠٠ باب القاف – دار الكتاب اللبنانى – بيروت ١٩٨٩م)

(٢) التفسير التطبيقى ص٩٠ .

(٣) العهد القديم – سفر التكوين ٣٤ : ٥ – ٧ .

الذين حضروا مع حمورا وشكيم ابنه واختتنوا جميعا[1]، وبينما هم جميعا يتوجعون ويصرخزن من ألم الاختتان؛ استل شمعون[2] و لاوى[3]، ابنا يعقوب أخوا دينة وخرجا، ، كل منهما سيفه ودخل على الرجال المختونين فقتلوهم بما فيهم حمورا وشكيم، وخرجا، ثم أقبل بنو يعقوب مرة أخرى على القتلى، ونهبوا المدينة كلها، واستولوا على بقرها وغنمها وحميرها، وكل ما في المدينة وفي الحقول أيضا، وسبوا ونهبوا جميع ثرواتهم، وكل أطفالهم ونسائهم، وكل ما في البيوت »[4].

مناقشة الفكرة

لاشك أن قصة شكيم ودينة فيها الكثير من السرد القصصي غير المتناسق ، كما أن فيها من أنواع القصور ما يصعب علاجه ،أما لماذا فلما يأتى :-

* **أولاً :كما هو مشهور من أن يعقوب كان له اثنا عشر ولداً ولم تكن له بنت واحدة،** فمن أين جاءت تلك البنت ! ، وعلى فرض أنها جاءت فلم يكن من السهل على يعقوب وهو المغترب أن يقلل من شأن حمايتها، او الاحتراس لها، وبالتالى فلن يسمح لها مهما كان أن تنطلق فى أرض اغتربوا فيها ،تعج بالسباع وهو لا يدرى ما مصير تلك الابنة ، ولا يفعل ذلك رجل عجول أو أحمق ،فما بالك برجل مثل يعقوب؛ جعله العهد القديم أمثولة للخداع[5].

* **ثانياً : إن الوضع فى القصة ظاهر، والخيال فيها واضح، والأحداث التى جرت فيها متناقضة،** لأن مجرد ذكر القصة لم يوقف القارئ على سن "دينة"،التى ذهب الباحثون أنها كانت

---

(١) العهد القديم – سفر التكوين ٣٤ : ١٣ – ٢٤ .

(٢) شمعون أسم عبرانى معناه سماع وهو ابن يعقوب من ليئة وقد غضب يعقوب لتعرف شمعون ولاوى فى أمر الشكميين عن دفاعهما عن دينة أختتهما، ولهذا كانت البنوة من نسله أن يكون مشتتا موزعا فى كل بنى إسرائيل، وقد تعمد موسى ألا يبارك شمعون. قاموس الكتاب المقدس ص٥٢٠ .

(٣) لاوى ابنا يعقوب من ليئة سمى بهذا الاسم؛ لأنها قالت: يقترن بى رجلى وقد اشترك مع شمعون ثانى أبناء ليئة فى قتل حمور وابنه شكيم ثائرين لأختهما دينة . (قاموس الكتاب المقدس ص٨٠٦)

(٤) العهد القديم – سفر التكوين ٣٤ : ٢٤ – ٢٩ بتصرف يسير .

(٥) تحدث الباحث عن ذلك باستفاضة فى الفصل السابق من ذات الباب.

طفلة لم تتجاوز الرابعة من عمرها(١)،كما لم يخبر عن الذى تم؛ إن كان اغتصابا أم غراما وقع فيه الطرفان، وأحداث كهذه ليس من السهل أن تمر من غير إعادة النظر فيها بشكل دقيق .

* **ثالثا : أن الفتاة التى وقع حبها فيها ابن رئيس المدينة**؛ هل كانت على قدر من الجمال لا يوجد فى كثير من بنات الكنعانيين، ألم يكن للشاب ابن رئيس المدينة الحق فى اختيار زوجة تكفيه إشباع رغباته، بدلا من أن يقع فى غرام طفلة لا تقوم بذلك الواجب، حيث ذكر العهد القديم أن شكيم بن حمورا رآها وهو ابن رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأزلها(٢)، كما لم يخبر عن مفهوم الاضطجاع، هل هو اضطجاع من غير معاشرة لا تقوى عليه الطفلة، أم اضطجاع بمعاشرة غير متكاملة أرغمت عليه الطفلة المسكينة .

* **رابعا : كان من المناسب أن تتم المسألة بعد ذلك بشكل سلمى**، لما هو معروف من أن العقوبات ما لم تقم عليها الأدلة عندهم، فإن البدائل الأخرى هى التى تقوم بذلك الدور، ويبدوا أن يعقوب والد الفتاة كان ينوى أن تحل المسألة سلميا، ولو عن طريق تزوج الجانى بالمجنى عليها، ولكن أبناءه رفضوا رفضا قاطعا أن يكفر شكيم عن إثمه بالزواج من دينة(٣).

* **خامساً :أن العهد القديم يصور شكيما بالشاب المستهتر منعدم الضمير**، الذى أذل طفلة على مباشرة الجنس، وإجبارها عليه،وكان يمكن الإفلات بجريمته، فإذا بضميره يستيقظ فجأة، ويلتمس سبيل الهبة من أبيه خطبة الفتاة من أبيها بشكل عملى، ويعطى أباها ما يطلبه من مهر،لا على سبيل الهبة، وإنما على سبيل العوض، أو على سبيل البدل أو المهر وزيادة عليه من باب العطايا، وكأن يعقوب قد أمر ابنته بالتطهر الظاهرى، فى نفس الوقت سمح لها أن تخرج إلى الحقل وفيه ما ينتظرها

(١) ليوتاكسيل : التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص١٣٦ .

(٢) العهد القديم – سفر التكوين ١٣٤

(٣) ليوتاكسيل – التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص١٣٧ .

من جرائم يمكن أن تتم، لما هو معروف عندهم من أن الحقول كانت تستخدم مواكير لإشباع رغبات الجنس غير الشريف[1]،

ذلك مما لا يقبله الباحث أبدا على نبي الله يعقوب؛ لأن ذلك مما يتنافى مع العصمة التي منحها الله للأنبياء قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[2].

وقال أيضا: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾[3].

يقول صاحبا الجلالين: « وإذا جاءتهم أي أهل مكة آية على صدق النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن به حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله من الرسالة والوحي إلينا لأنا أكثر مالا وأكبر سنا قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته بالجمع والإفراد وحيث مفعول به لفعل دل عليه أعلم أي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها

(١) حينئذ يذكر العهد القديم أن البغايا كن يخفين وجوههن يجلسن بين الحقول وعلى قوارع الطريق التى يمر بها الرعاة، فإذا كشف الراعى عن رغبته فى إقامة علاقة جسدية مع إحدى الباغيات، فإنها تنهض لمضاجعته فى ذات الحقل.

وحين يكون مشغولا بممارسة الجنس معها تكون هى الأخرى مشغولة بالحصول على ما تثبت مواقعته بها على أن يكون ذلك مما يخصه كخاتمة أو سواكه أو عصاه، وكلما تكرر ذلك منه معها تكرر منها الحفاظ على أثر له، فإذا جاء موعد جز الصوف الذى كان يتم فى شهر بعينه من السنة يسمى شهر الحصاد، وكان يتم ذلك فى الحقل أيضا، فإن الغانية تجيء إلى الحقل وتخبر الراعى بمواقعته لها، وعدد المرات، وتقدم له الأدلة من متروكاته التى احتفظت بها، وحينئذ تحصل هى على حقها، فكأنها باعت جسدها فى المرات التى مضت، وأنسأت قيمة البيع لحين الميسرة، وهو وقت الحصاد، بل إنها تساوم للحصول على أعلى قدر من المال؛ لأنها عرضت نفسها عليه دون أن يحددوا القيمة وقت اللقاء، وبالتالى فهى التى تقدرها حسب ما يحنوا لها عند القبض. المهم أن يكون معها دليل موثق. (راجع فى هذا الشأن الزميلة نجلاء مصطفى بدوى - الدوافع فى العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها، فقد أفاضت فى أثناء حديثها عن دافع الجنس فى العهد القديم- رسالة ماجستير - قسم الأديان المقارنة بمعهد الدراسات والبحوث الأسيوية - جامعة الزقازيق .

(٢) سورة الحج - الآية ٧٥ .

(٣) سورة الأنعام - الآية ١٢٤ .

وهؤلاء ليسوا أهلا لها سيصيب الذين أجرموا بقولهم ذلك صغار ذل عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون أي بسبب مكرهم »[١].

وقال العلامة الشهرستانى :« هم أكمل الناس خلقا، وأوفاهم خلقا ميزهم بالفطانة ». وبالتالى فما نسب إلى نبى الله يعقوب لا يتفق أبدا مع وصفه بالبنوة .

* **سادسا: أن حمور لم يكن بهذا القدر من التغابى، بحيث يستجيب لخصومه**: الذين لوث ابنه سمعتهم وهو يعرف تماماً أن القوم سوف يحتالون عليه، فإذا جاء إليهم ومعه ذلك الجمع من الرجال، أفلا يكون من المناسب أن من يحضر معه يكون جديراً بالدفاع عن نفسه وعن غيره إذا كانوا قد أقبلوا على مسكن يعقوب وبنيه.

ما بالك إذن وقد أتى يعقوب وبنوه إلى مدينة شكيم وحمور، هل يمكن أن يقوم كل ذكور المدينة الكنعانية بموافقة أنبياء يعقوب على الأختتان والتوجع، ثم إن من المعروف أن المدينة كان بها النساء والأطفال، وهؤلاء المعتدون قد احتالوا على ذكورها البالغين، فهل عجزت النسوة عن الدفاع ومقاومة نفر قليل لا يزيد على شابين. إن العقل السليم لا يصدق بذلك أبداً، ومما يقال فى الأمثال: « إن البيت يدافع عن سكانه ».

ثم إن حمور كان رئيسا للأرض، ومن كان ذلك شأنه، فإنه يعتمد على الحرس الخاص، وهم فى الغالب رجال أشداء، تخصصوا فى الدفاع عن من يحرسون، فأين كان هؤلاء الرجال؟

إن العقل لا يمكنه التصديق بوقوع تلك الوقائع، بل إن من يلغى عقله يكون من الصعب عليه التصديق بوقوع تلك الحوادث، فما بالنا بمن يزعم أن الرجال قد قتلوا، وأن ولدى يعقوب قد استطاعا غلبة جميع أهل المدينة.

* **فى تقدير الباحث**: إن المسألة برمتها إنعكاسات الثقافات المتباينة على مؤلفى العهد القديم، طبقا لما هو معروف من أنهم ساكنو مصر وبابل، وساكنو الأشوريين[٢]

---

(١) تفسير الجلالين ج:١ ص:١٨٣ .

(٢) **الأشوريين** : هم من سكنوا الجزء الواقع شمال بابل بين النهرين بأرض الجزيرة فى الجزء الأعلى الممتد من نهر دجلة إلى التلال والجبال، ولذا أطلق على كل من سكنوا هذه المنطقة ، سواء أكانوا أشوريين الأصل أم بابليين سكنوا أرض أشور. (راجع عبدالفتاح السرنجارى - تاريخ العالم القديم ص٧٦/٧٧ - ط١٩٣١/٢م - مطبعة الاعتماد بطنطا)

والكلدانيين[1]، وارتضعوا من أساطير هؤلاء وخرافات أولئك، فلما أرادوا أن يضعوا لأنفسهم كتبا تحمل أفكارهم صاغوها من رصيدهم الثقافى بعيدا عن هدى السماء.

وذلك مما يجعل الباحث يحكم بأن العهد القديم يمثل اليهودية السياسية، بينما التوراة تمثل الفكر الموسوى والفرق بينهما كبيراً جداً. أما لماذا؟

❖ **فالجواب** : إن الله تعالى أخبرنا فى القرآن الكريم عن التوراة، فقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[2].

يقول الإمام البيضاوى : « قوله ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى ﴾ يهدى إلى الحق ونور يكشف عما أسبقهم من الأحكام ليحكم بها النبيون، يعنى أنبياء بنى إسرائيل أو موسى ومن بعده إذا قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ ﴿ الذين أسلموا ﴾ صفة أجريت على النبيين مدحاً لهم وتنويها بشأن المسلمين، وتعريفا باليهود »[3]، وإنهم بمعزل دين الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – واقتفاء هديهم.

ولا شك أن القرآن الكريم نص أن التوراة فيها هدى ونور يخالف تماما ما قصه العهد القديم الذى امتلئ بالخرافات والأوهام، بل لقد امتلئ بعبارات الجنس الرخيص، بحيث يصعب على الدارس الهروب من مواجهة تلك السفاسف[4] التى انتشرت فى العهد القديم.

---

(١) الكلدانيون : هم أخر السادة الساميين الذين حكموا بابل القديمة قبل عام ٦٠٥ ق.م . (راجع جيمس هنرى – برستيد – انتصار الحضارة – تاريخ الشرق القديم نقله إلى العربية دكتور : أحمد فخرى – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦م. ص١٩٨)

(٢) سورة المائدة – الآية ٤٤ .

(٣) الإمام القاضى البيضاوى – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص١٥٠/١٥١ .

(٤) السفاسف الشيء الذى ليس له معنى. تقول العرب : رجل سفساف أى ليس لكلامه معنى. (راجع المعلم بطرس البستانى – قطر المحيط – مادة سفف – باب السين ج١ ص٦٣٤). وقال ابن منظور: « السفساف الأمرُ الحَقِير والرَّديء من كل شيء وهو ضدّ المعالي والمَكارم وأصله ما يطير من غبار الدَّقيق إذا نُخِلَ والتراب إذا أُثير » (لسان العرب ج:٩ ص:١٥٥)

يقول أحد دارسى العهد القديم : « من الواضح تماما هنا أن المؤلف المقدس كان يحب كثيرا الخوض فى القصص الجنسية القذرة، بدليل أنه قص أمنون مع أخته التى ركبها وفض بكارتها، وأتحفنا الروح القدس بصورة أخرى للسفاح الذى تعد ضحاياه بالكثرة، حتى إنه فى قصة ابن[1] داود أتحفنا بوصفة أنه سفاح راح ضحية عشرة فروج أمام جمع غفير من المشاهدين، وهكذا نلقى أنفسنا، ونحن نقرأ العهد القديم، أننا لا نكاد نخرج من قذارة حتى نقاد إلى قذارة أخرى أشد انحطاطا، وهذا كله بما يدل على أن العهد القديم يمثل نتاج عقول الذين قاموا به ولا علاقة لهم بخبر السماء[2].

وفى نفس الوقت فإن الدارس له ما يخرج من سلبية إلاّ ويجد خلفها سلبيات، وأنها جميعا تجرى فى العهد القديم معبرة عن نفوس أصحابه الذين طحنتهم الغربة، وقست عليهم الفرقة، وضاعفت آلامها فى صدورهم سنوات الحرمان، وقد كانوا بأفعالهم الذميمة مستحقين لذلك كله، وكيف لا وهم الذين قالوا على الله السوء، ونسبوا إليه النقائص – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – فاستحقوا اللعن.

ﷻ قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[3].

وبهذا ينتهى الحديث عن ظاهرة الغضب فى العهد القديم أصولها وتطوراتها وموقف الإسلام منها، أملا أن يجد من القارئ الفاضل متسعاً من الوقت، ومكانا فى

---

(١) يقصد به أبشالوم الذى كان بكر أبيه داود، وقد استشار صديقه أخيتوفل فى موضوع الخلاف القائم بينه وبين أبيه الملك الناشئ عن قتله لأخيه غير الشقيق، فنصحه بالدخول إلى سرارى أبيه الموجودات لحفظ البيت، فنصبوا لأبشالوم خيمة على سطح البيت، فيدخل إلى سرارى أبيه أمام جمع من الناس، ويضاجع تلك السرارى الملكية علانية، وقد فعل. (راجع العهد القديم – سفر صموئيل الثانى ١٦ : ٢٠ – ٢٣)

(٢) ليوتاكسيل – التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٣٥٧)

(٣) سورة المائدة – الآيات ٨١/٧٨ .

الصدر، ورغبة في الوصول للحق، وتأكيداً على أن الإسلام وحده هو الباقي؛ لإبقاء الله إياه.

ﷻ قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١).

يقول الإمام الشافعي: « قال لما نزلت ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه الآية قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فحجهم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم حجوا فقالوا لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا فقال الله تعالى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين »(٢).

وأن سيدنا محمد ﷺ عبده ورسوله هو الرحمة المهداة(٣) والنعمة المسداة، وهو الخاتم لرسل الله وهو المرسل للإنس والجن جميعا من الله تعالى.

ﷻ قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(٤).

وفي الحديث الشريف: « عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشِّرات. قالوا: وما المبشِّرات؟ قال:

---

(١) سورة آل عمران – الآية ٨٥.

(٢) الإمام محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله – أحكام القرآن (ت:٢٠٤) – ج:١ ص١١١ دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٠هـ – المحقق: عبد الغني عبد الخالق.

(٣) ففي الحديث الشريف: عن أبي صالح قال: قال رسول الله ﷺ «إنما أنا رحمة مهداه» – رواه العلامة عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي – (١٨١هـ – ٢٥٥هـ) – سنن الدرامي ج:١ ص:٢١ – الحديث رقم: ١٥ – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧هـ – الطبعة الأولى – المحقق:: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي. وأخرجه الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (١٥٩هـ – ٢٣٥هـ) – الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة) ج:٦ ص٣٢٥ – الحديث رقم: ٣١٧٨٢ – مكتبة الرشد – الرياض ١٤٠٩هـ – الطبعة الأولى – المحقق:: كمال يوسف الحوت، وأخرجه – الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (٢٦٠هـ – ٣٦٠هـ) – الروض الداني (المعجم الصغير) – ج:١ ص:١٦٨ – الحديث رقم: ٢٦٤ – المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م – الطبعة الأولى – المحقق:: محمد شكور محمود الحاج أمرير.

(٤) سورة الأحزاب – الآية ٤٠.

الرؤيا الصالحة»(١).

وقال ﷺ : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»(٢).

وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :« فُضِّلتُ على الأنبياءِ بستٍّ: أعطيتُ جوامعَ الكلمِ، ونصرتُ بالرُّعبِ وأحلَّتْ لي الغنائمُ، وجُعلتْ لِيَ الأرضُ مسجداً وطهوراً، وأرسلتُ إلى الخلقِ كافَّةً، وخُتمَ بي النَّبيُّونَ »(٣).

---

(١) الإمام البخارى صحيح البخاري – باب: المبشِّرات – الحديث رقم: ٦٥٨٩ – والمراد بـ[(لم يبق) أي بعد نبوته صلى الله عليه وسلم. (إلاَّ المبشرات) المبشرات: جمع مبشرة من التبشير، وهو إدخال السرور والفرح على المبشر، والمراد أن الوحي ينقطع بموته صلى الله عليه وسلم، ولا يبقى ما يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا].

(٢) صحيح البخارى – الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي – باب: خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم. – الحديث رقم: ٣٣٤٢ – من رواية عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه:

(٣) الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيرى النيسابورى (٢٠٦–٢٦١هـ) – صحيح مسلم ج: ١ ص: ٣٧٠ – كتاب المساجد ومواضع الصلاة صحيح مسلم ج: ١ ص: ٣٧١ – الحديث رقم:٥٢٣ (طبعة دار إحياء التراث العربى – بيروت – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى– بدون) . وراجع العلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمى البستى – (ت: ٣٥٤هـ – طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م الثانية – تحقيق شعيب الأرنؤط) – صحيح ابن حبان ج: ٦ ص: ٨٧ – الحديث رقم: ٢٣١٣، وأخرجه الإمام العلامة المحدث محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ("٢٠٩– ٢٧٩ هـ") – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ١٢٣ – كتاب السير باب ما جاء في الغنيمة – الحديث رقم:١٥٥٣ . وراجع العلامة أحمد بن حسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقى – (٣٨٤–٤٥٨هـ – مكتبة دار البار بمكة المكرمة – ١٤١٤/١٩٩٤م – تحقيق محمد عبدالقادر عطا)– سنن البيهقي الكبرى ج: ٢ ص: ٤٣٣ – باب أينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد وفي ذلك دلالة على أن أصل الأرض على الطهارة ما لم تعلم نجاسة الحديث رقم: ٤٠٦١ . وراجع الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت : ٢٤١هـ) – المكتب الإسلامى للطباعة والنشر – بيروت – ط١ دار كتب الفقه) – مسند أحمد ج: ٢ ص: ٤١١– الحديث رقم: ٩٣٢٦ . وراجع العلامة أحمد بن على بن المثنى أبو يعلى الموصلى التميمى [(٢١٠/٣٠٧)هـ – طبعة دار المأمون للتراث بدمشق (ط١) – ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م – تحقيق حسين سليم أسد] – مسند أبي يعلى ج: ١١ ص: ٣٧٧ – الحديث رقم: ٦٤٩١ .

الخاتمة

الخاتمة

من المعروف أن كل عمل يقوم على مبادٍ هى أولياته[(١)]، ومقاطع هى موضوعاته وخواتيم تمثل النتائج التى أمكنه الوصول إليها، وكذلك جرى عرف الدارسين وبخاصة فى الرسائل العلمية، بأن المقدمات تمثل نوعا من تلخيص أبواب وفصول ومباحث الرسالة، وأن الخاتمة تمثل تلخيصا لأهم نتائج ذات الرسالة، وجريا على ذلك المستقر فى الأعراف.

فإنى أقدم فى تلك الخاتمة ما يلى:-

* **أولا : أن العهد القديم قد كتبه أصحابه بأيديهم فى سنوات طويلة، ولم يكن شيء فيه هو التوراة**[(٢)] بدليل أن التوراة أنزلها الله على موسى عليه السلام، وأنه لم يملها عليهم، كما لم يكتبها لهم، فلما انتقل موسى ولحقه هارون عليهما السلام إلى الرفيق الأعلى، اشتد بنو إسرائيل فى المعصية، فأنساهم الله ما كانوا قد عرفوه من تعاليم التوراة[(٣)].

* **ثانيا: أصحاب العهد القديم قد نسبوا أغلب أسفاره إلى كاتبيها**، أو الذين كتبت لهم على سبيل الوصف أو الوظيفة من وجهة نظر أولئك الكاتبين من أمثال سفر أستير[(٤)]، الذى كتب من خلال أحد المعجبين تصويرا لما قامت به وأيضا مزامير داود[(٥)].

---

(١) أولياته : أصلها آل بمعنى رجع . طالعتنا مصادر العربية قائلة: آل إليه إيالا وأيلولة ومالا. رجع وصار. (راجع المعجم الوجيز – مادة آل فصل الألف ص٣٠)

(٢) قال تعالى: ﴿ قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ۞ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين ﴾ [سورة الأعراف – الآيتان ١٤٤/١٤٥]

(٣) قال تعالى: ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خآئنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾ [سورة المائدة – الآية ١٣].

(٤) هذا السفر الذى يشغل عشر إصحاحات كلها تصف دور إستير فى خدمة بنى إسرائيل.

(٥) هم يذكرون أنهما مزامير والله ﷻ يقول ﴿ وآتينا داوود زبورا ﴾ [سورة النساء – من الآية ١٦٣] وليسا الزابور هو المزمور أبدا، كما أن الزابور واحد أما المزامير عددهم خمسين ومائة مزمورا.

* **ثالثا: إن العهد القديم قد امتلئ بالقصص التى تعبر عن نفسية كاتبيه** ، فتارة عبرت عن الخداع، حتى إن القارئ لا يتصور الصدق أبدا، ثم يتحدث عن الجنس الفاضح، حتى يتصور له أنه لا عفة أبدا، ويتحدث عن العداوة وإراقة الدماء، وإبادة الأشياء، حتى يصور له أنه لا سلم أبدا، ويتحدث عن الاستهتار بالقيم الثابتة، والخروج على القواعد المنضبطة، واغتنام الفرص حتى يصور المجتمع الإنسانى كله على أنه مجموعة من اللصوص المحترفة، وقطاع الطرق أو يصوره بالوحوش والضوارى، وذلك كله مما لا يمكن نسبته إلى نبى من أنبياء الله أبدا.

* **رابعا: إن ظاهرة الغضب فى العهد القديم لا تقف عند حد** ، فالغضب عندهم معناه واحد، وهو غليان دم القلب الذى يعقبه التصرف الأرعن، يستوى فى ذلك عندهم أحكم الحاكمين وهو الله رب العالمين، مع أخس المخلوقين – تعالى الله عنهم أجمعين، وهو من سمات التجسيد للإله التى حرص عليها أصحاب العهد القديم.

* **خامسا : إن ورود تلك الظاهرة فى العهد القديم يجيء على سبيل التكرار دالا على ما يعانيه مؤلفوه** ، فهم قد اعتادوا الغضب حتى صار جزءا من ثقافاتهم، بل صار جزءا من تكويناتهم الذاتية، بدليل أنه ما من إصحاح عندهم إلا وفيه جملة من الغضب، سواء أذكروا له أسباب ونتائج[١] أم قصروه على الأسباب وأغفلوا النتائج[٢].

* **سادسا : إنهم أنزلوا الإله جل علاه منازلهم الوضيعة** – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا – فجعلوه يغضب لأقل الأسباب، ثم يرضى بأقل الرجاءات، وفى حالة غضبه يتصرف خطئا، وفى حالة رضائه يرجع ندما، وذلك كله مما بينته أفكارهم السقيمة، ولا يصح شيء منها فى نسبته إلى الله تعالى أبدا. قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[٣].

---

(١) يقول العهد القديم : « وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب، وإذا هو شعب صلب الرقبة، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم » (سفر الخروج ٣٢ : ١٠ – ١١)

(٢) وربما لم يوجه اللوم إليهم، بل يوجه اللوم واللعن للأرض. يقول العهد القديم: « هذا يعزينا عن عملنا، وتعب أيدينا من قبل الأرض التى لعنها الرب » (راجع سفرالتكوين ٥ : ٢٩) .

(٣) سورة الشورى – من الآية ١١ .

❊ **سابعا: إن غضب الله عندنا نحن المسلمين هو عدم رحمة الله للعصاة الذين لم يستجيبوا لأوامره ﷻ** وبالتالى فهو لا يفيض عليهم برحماته[١]، ولا ينظر إليهم بوجهه الكريم[٢]، ولا يفتح عليهم[٣]؛ لأنه جل شأنه أمرهم فلم يأتمروا، ونهاهم فلم ينتهوا، فسلط عليهم أنفسهم التى استنامت فى أحضان شياطينهم فاستحقوا جميعا عدم شمل رحمة الله لهم[٤].

❊ **ثامنا: إن العهد القديم قد غرق أصحابه فى الحديث عن الغيب**، حتى كأن الغيب عندهم حاضر ماثل أمامهم، وكان من جراء ذلك الوقوع المتكرر منهم فى الخطأ لقوله تعالى:

﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾[٥].

وقد كان من نتيجة قفزهم فى الحديث عن الغيب الماضى، أن أعطوا تقدير مفترضا كعلاقة حواء بآدم، وتقديم ذكر أنساب أبناء آدم وأحفادهم، وكأنهم كانوا حضورا، مع أن ذلك من القصص الغيبى، الذى لا يعلمه إلا الله.

قال تعالى: ﴿ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾[٦].

---

(١) قال تعالى: ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ [سورة الأعراف – الآية ٩٦] .

(٢) قال تعالى: ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ [سورة آل عمران – الآية ٧٧]

(٣) قال تعالى: ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾ [سورة نوح – الآيات ١٠/١٢].

(٤) قال تعالى: ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ [سورة الحشر – الآية ١٦]

(٥) سورة الجن – الآيتان ٢٦/٢٧ .

(٦) سورة النساء – الآية ١٦٤ . فالذين قص الله أخبارهم جاء بعضها تفصيليا مادام يتعلق بدعوتهم، وجاء البعض الآخر إجماليا؛ لأنه يتعلق بحياتهم الخاصة، أما من لم يجيئوا على الناحيتين فهم الذين جعلهم الله فى الغيب مستورين، وكلفنا الإيمان بهم من غير تفصيل.

* **تاسعا : إن العهد القديم اعتبر أصحابه أن الله ملك لهم**، فأطلقوا عليه (ياهو) كما أطلقوا عليه (إيل)، وكلما شاءت لهم خيالاتهم إطلاق اسم على ربهم أطلقوه، مع أن أسماء الله توقيفية، يجيء بها الوحي من عند الله، وليس لأحد مهما كان أن يزيد وينقص فيها وإلا كان ملحدا. قال تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمآئه سيجزون ما كانوا يعملون﴾[1].

* **عاشرا: إن بنى إسرائيل جعلوا إلههم الخاص بهم يتغضب إليهم ويقف ضد خصومهم** مهما كانت مواقف الخصوم صحيحة، فوصفوا الله بالظلم تعالى الله عز وجل علوا كبيرا، مع أن العدل اسم من أسمائه الحسنى، وجعلوه يغضب، حتى إن دم قلبه ليرتفع على أولئك الخصوم محاباة لبنى إسرائيل، ذلك مما لا يرتضيه أفاضل المخلوقين، ولا يصح أبدا أن ينسب الجور والمحاباة أو شيء من ذلك لله رب العالمين[2].

* **حادى عشر : إن غضب الله فى العهد القديم على بنى إسرائيل كان من باب تحريك المشاعر** كأنهم يريدون أن يقولوا: إن الله يغضب على بني إسرائيل أيضا، لكنه يتراجع عن غضبه معهم بسرعة، حتى يظهر محبته الشديدة لهم، ويندم على ذلك الغضب قبل أن يصدر عن شيء من نتائجه، وإذا صدر شيء قليل من نتائجه، فإنه يندم كثيرا على ما فعل، ويحاول القيام بعملية تعويض واسعة النطاق لبنى إسرائيل وحدهم.

* **ثانى عشر: إن أسفار العهد القديم قد حرص مؤلفوها على تصوير لغة الابتزاز** بالضغط على أفئدة الآخرين، فهم يريدون أن يقولوا للعالم كله أن غير الإسرائيلى مخلوق لخدمة الإسرائيلى، عليه أن يقوم بذلك العمل طواعية، وإلا فإن سيف القاطع وسوط الجلاد قد حملها اليهودى أحدهما فى اليد اليمنى، والثانى فى اليد اليسرى، وإن إله بنى إسرائيل قد طلب منهم أن يقوموا بذلك.

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٨٠ .

(٢) الملاحظ أن اليهود قد وقعوا فى ذلك بناء على اعتقاداتهم الفاسدة فى تجسيد الإله وهو من العيوب الفاضحة والكفر الشنيع، الذى يمارسه اليهود ومن يجرى مجراهم.

التوصيات

من المعروف أن كل بحث علمى يلتقطه الدارس فى أثنائه بعض اللقط التى تكون بمثابة توصيات لزملاء الدراسة، حتى تكون النتائج أكثر قبولا، وإذا كان لى إلزام نفسى بتقديم تلك التوصيات، فإنها تكون على النحو التالى:-

* **أولا**: أن يتم التعامل مع مصادر الفكر غير الإسلامى على أنها غير مقدسة، ولا معصومة، وبالتالى لا تكون لها هيبة فى نفس الدارس أكثر مما هو قائم فيها.

* **ثانيا**: أن يتمكن الدارس من ضبط أحكامه المسبقة، وحبسها فى داخل صدره أو إطاحتها بعيدا عن موضوع بحثه، وإلا كان بحثه معيبا بالتعصب للنتائج المسبقة رغم عدم قيامها على قواعد صحيحة.

* **ثالثا**: إن قضايا العهد القديم، قد أعلن مؤلفوه عنها، وأنهم دونوها على إنها وجهات نظر لأصحابها، معبرة عن أمانيهم وطموحاتهم، وبالتالى ففيها صواب إن وجد يمكن قبوله، وإن لم يوجد فإن دفعه يكون أولى من قبوله، فلا عصمة لفكر بشر، ما لم يكن نبيا تمده عناية السماء.

* **رابعا**: أن يعتمد الباحثون على الله أولا قبل كل شيء، إذ أن الاعتماد عليه يولد فى نفس صاحبه الحرص على عدم تلفيق الاتهامات للأبرياء، كما يلزمه عدم القفز إلى ضمائر الناس، والحكم على نواياهم؛ لأن للقلوب مفاتيح بيد الله ﷻ ففى الحديث الشريف: «عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء»[1].

(١) الإمام الترمذى – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٤٤٨ – باب ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن – الحديث رقم: ٢١٤٠ وأخرجه ابن أبى شيبة – مصنف ابن أبي شيبة ج: ٦ ص: ٢٥ – من كان يقول يا مقلب القلوب – الحديث رقم: ٢٩١٩٦، وأخرجه الإمام أحمد – مسند أحمد ج: ٣ ص: ١١٢ – الحديث رقم: ١٢١٢٨، ورواه الإمام أبو يعلى – مسند أبي يعلى ج: ٦ ص: ٣٦٠ – الحديث رقم: ٣٦٨٨.

❊ **خامسا**: الاعتماد على المصادر الأصلية التى يتمسك بها أصحابها فى عرض الآراء المطروحة، ثم مناقشة ذلك بذات النصوص إن أمكن، فذلك أقرب للصواب، وأسرع فى قبول النتائج، وأوثق عند مقارنة الأدلة.

❊ **سادسا**: إتاحة الفرصة لكل طرف فى عرض قضاياه، وحشد الأدلة التى تعينه على ذلك العرض؛ لأن حبس الأدلة عن فريق بمثابة حبس ماء الحياة عن مخلوق يحتاجه، ومثله لا يكون مقبولا فى مجال مقارنة الأديان.

❊ **سابعا**: اعتبار أن ما قدمه الدارسون فى هذا الميدان مجهودا عقليا سلم لأصحابه، لكن لا يمنع ذلك دارسا من إعادة النظر فى النتائج؛ لأن الأنظار مختلفة والقدرات العقلية ليست فى الناس سواء.

المقترحات

- تعتبر المقترحات رءوساً لموضوعات ترجو استكمال الدراسة، إذ أن الموضوعات التى لم تُدرس تكون كالكواعب التى تنظر إلى أترابها فى خجل وحياء، كأنها تقول للدارسين: هل من باحث منصف يفض الخاتم بما شرع الله.

- **لذا؛ فإنى أقدم بعض تلك الكواعب لمن يريد فض أختامها بما شرع الله.**

(١) ظاهرة العدوان فى العهد القديم وعلاقتها باليهودية المعاصرة.

(٢) مظاهر العنصرية فى العهد القديم وموقف الإسلام منها .

(٣) أثر الأفكار الشعبية على الأسفار اليهودية.

(٤) تأثر لاهوتى العهد القديم بالتراث المصرى قبل الإسلام.

(٥) علاقة اليهودية الحديثة بالتلمود والبروتوكولات

(٦) أثر النزعات الصوفية على العقائد اليهودية .

(٧) دراسة سفر التكوين فى ضوء المعطيات العلمية الحديثة.

(٨) الموازنة بين سفرى التكوين والخروج فى طرائق إثبات العقيدة.

(٩) أثر أسفار العهد القديم فى الانفلات الأخلاقى لدى اليهود .

(١٠) علاقة التراث الشرقى بالعقائد اليهودية قديما وحديثا.

(١١) سفر الملوك الأول وأثره فى فكر اليهود المعاصرين.

ثبت بأهم المراجع

أولا : القرآن الكريم وعلومه

(١) القرآن الكريم .

(٢) أحكام القرآن – الإمام محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله (ت:٢٠٤هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٠هـ – تحقيق عبد الغني عبد الخالق

(٣) الأساس في التفسير –الأستاذ : سعيد حوى – الطبعة الأولى ١٩٨٥م، وطبعة دار السلام – بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل – الإمام الشيخ / القاضى ناصر الدين الشيرازى البيضاوى (ت : ٧٩١هـ) – طبعة ١٣١٦هـ – دار المعارف بمصر، وطبعة دار الفكر – بيروت ١٩٩٦م، وطبعة دار العهد الجديد – مكتبة الجمهورية المصرية – القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٧٥م.

(٥) أيسر التفاسير – الشيخ أبو بكر الجزائرى – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ١٩٩٤م، وطبعة راسم للدعاية والإعلان الثانية – السعودية – جدة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

(٦) أيسر التفاسير وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير – مكتبة العلوم والحكمة – المدينة المنورة – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٧) البحر المحيط – العلامة أثير الدين أبو عبدالملك محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي– دار إحياء التراث العربى بيروت ط٢/١٤١١هـ/١٩٩٠م، وبهامشه الماد وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط.

(٨) التحرير والتنوير – العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس ١٩٩٧م، وطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

(٩) تفسير جزء عم – الإمام محمد عبده – مطبعة محمد على صبيح ١٣٨١هـ/١٠٦٧م

(١٠) تفسير الجلالين – الإمامان؛ جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطى – مزيلا بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطى – دار الريان للتراث ١٩٨٧م، وتفسير الجلالين بهامش المصحف الشريف – مطبعة الشمرلى ١٩٧٩م.

(١١) تفسير الشعراوى – الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى – مؤسسة أخبار اليوم – قطاع الثقافة.

(١٢) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل – العلامة محمد جمال الدين القاسمي – تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى – طبعة عيسى البابى الحلبى لعام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، وطبعة دار الفكر – بيروت ١٩٧٠م.

(١٣) تفسير القرآن الحكيم، المسمى تفسير المنار – الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا – دار المعرفة بيروت، وطبعة دار المنار بالقاهرة – الطبعة الثانية ١٣٥٠هـ، وطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

(١٤) تفسير القرآن الحكيم – محمد عبدالمنعم خفاجى – مكتبة النجاح .

(١٥) تفسير القرآن العظيم – الإمام الجليل / الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى القرشي (٧٧٤هـ) – طبعة مكتبة الإرشاد ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، وطبعة دار الغد العربى ١٩٨٩م.

(١٦) تفسير القرآن الكريم – محمود محمد حمزة – مطبعة دار المعارف – مصر ١٩٨٢م.

(١٧) التفسير القرآنى للقرآن – للشيخ عبدالكريم الخطيب – طبعة دار الفكر العربى ١٩٧٠م

(١٨) تفسير المؤمنين – عبدالودود يوسف – راجعة دكتور مصطفى سعيد الخن – المؤسسة العلمية ١٣٥٥هـ/١٩٧٥م.

(١٩) التفسير الواضح – الدكتور محمد محمود حجازى – الطبعة الثانية – دار التفسير ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٢٠) تفسير سورة يونس – الدكتور محمد السيد بندارى – طبعة ١٩٨٦م.

(٢١) التفسير والمفسرون – للإمام الذهبى – طبعة دار الكتب الحديثة – مصر – الطبعة الثانية .

(٢٢) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان – العلامة الشيخ / إسماعيل حقى البروسوى (ت : ١١٣٧هـ) – اختصار الشيخ محمد على الصابونى الطبعة الأولى – دار الصابونى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، وطبعة دار الفكر – بيروت.

(٢٣) جامع البيان فى تفسير القرآن المشهور بتفسير الطبرى – العلامة الإمام أبو جعفر محمد بن جريز الطبرى (ت ٣١٠هـ) – دار الجيل – الطبعة الثالثة – طبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٥٤م وطبعة دار الغد العربى بالقاهرة ١٩٩٥م .

(٢٤) الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبى – الإمام / أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الأنصارى القرطبى (ت : ٦٧١هـ) – دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، وطبعة دار الغد العربى ١٩٨٨م، وطبعة مكتبة الغزالى – دمشق – مؤسسة منال العرفان – بيروت .

(٢٥) جواهر الحسان فى تفسير القرآن – العلامة عبدالرحمن بن عمر الثعالبى – مؤسسة الأمل للمطبوعات – لبنان – الطبعة الأولى (بدون).

(٢٦) حاشية الشيخ محمد عليان الزرادشتى فى تفسير شاهد الكشاف .

(٢٧) الدر المنثور فى التفسير المأثور – للإمام جلال الدين السيوطى (ت: ٩١١هـ) – طبعة دار الفكر – ط الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، وبهامشه القرآن الشريف مع كتاب تنوير المقياس لتفسير عبدالله بن عباس – المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٤هـ .

(٢٨) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى – الإمام / أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى (ت : ١٢٧٠هـ) – دار إحياء التراث العربى – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ .

(٢٩) شاهد الإنصاف على شواهد الكشاف – محمد عليان – المطبعة البهية – القاهرة ١٣٣٤هـ.

(٣٠) صفوة التفاسير – الشيخ محمد على الصابوني – مكتبة الغزالى – بيروت.

(٣١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان – العلامة نظام الدين الحسن بن محمد النيسابورى (٧٢٨هـ) بهامش تفسير الطبرى – دار الجيل – بيروت .

(٣٢) فتح البيان فى مقاصد القرآن – العلامة أبو الطيب صديق بن حسن بن على بن الحسين القنوجى البخارى – المكتبة العصرية – بيروت – صيدا ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٣٣) فتح القدير – الإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى (ت:١٢٥٥هـ) – دار الحديث بالقاهرة – ط٣/١٩٩٧م.

(٣٤) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الحفية – الشيخ سليمان بن عمر العجيلى الشافعى – طبعة الحلبى .

(٣٥) فى ظلال القرآن الكريم – الأستاذ الشيخ سيد قطب – الطبعة السادسة – دار الشروق ١٩٧٨م، والطبعة العاشرة ١٤٠٣هـ .

(٣٦) القاموس القويم لألفاظ القرآن الكريم – الشيخ إبراهيم أحمد عبدالفتاح – طبعة مجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٣م.

(٣٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل – الإمام / أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى (ت : ٥٢٨) – تحقيق مصطفى حسين – مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٦٦م. وطبعة دار المعرفة – بيروت / لبنان.

(٣٨) لباب التأويل فى معانى التنزيل – العلامة علاء الدين على بن محمد المعروف بالخازن (ت: ٧٢٥هـ) وبهامشه معالم التنزيل الحسين بن مسعود – دار الفكر العربى – بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٣٩) لطائف الإشارات – الإمام القشيرى – تحقيق الدكتور إبراهيم بسيونى – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م .

(٤٠) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسى – تحقيق الأستاذ عبدالسلام عبدالشافى – دار الكتب العلمية.

(٤١) مختصر تفسير ابن كثير – الإمام الجليل / الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى – اختصار وتحقيق الأستاذ / محمد على الصابونى دار التراث العربى – القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، وطبعة دار الصابونى للطباعة والنشر ١٩٨٨م.

(٤٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل – الإمام أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى (ت: ٧٠١هـ) – ط١ – مطبعة السعادة ١٣٢٦هـ.

(٤٣) المصحف الميسر – الشيخ عبدالجليل عيسى – مطبعة دار الفكر – بيروت ٣٣٧ هـ .

(٤٤) معالم التنزيل – العلامة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى (ت: ٥١٦هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت).

(٤٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – الأستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى – مكتبة دار الحديث – الطبعة الأولى – طبعة الشعب ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٤٦) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم – العلامة أبو القاسم الحسين محمد الراغب الأصفهانى – دار المعرفة بيروت – لبنان.

(٤٧) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى) – العلامة الإمام / فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمي البكرى الرازى المعروف بفخر الدين الرازى(ت:٦٠٦هـ) – المطبعة البهية المصرية – الطبعة الأولى ١٩٩١م، وطبعة دار إحياء التراث العربى، طبعة دار الغد العربى ١٩٩٣م.

(٤٨) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ط١٤/١٩٩٠م، وطبعة مؤسسة الأهرام – مصر – قليوب ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٤٩) الوجيز فى تفسير القرآن الكريم – الدكتور شوقى ضيف – دار المعارف – جمهورية مصر العربية ١٩٩٤م.

ثانيا السنة النبوية المطهرة وعلومها

(٥٠) إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى لأبى العباس شهاب الدين أحمد بن عمر، وبهامشه صحيح مسلم بشرح النووى – المطبعة الأميرية ببولاق مصر ١٣٢٣هـ.

(٥١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى – الإمام الحافظ أبو العلى محمد عبدالرحمن بن المباركفورى (ت: ١٣٥٣هـ) المكتبة السلفية بالمدينة المنورة – ط٢/١٩٦٧م.

(٥٢) تهذيب سنن أبي داود، الإصدار لابن القيم – طبعة مجمع أبي النور

(٥٣) الجامع الصحيح فى أحاديث البشير النذير – الإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت:٩١١هـ) وبهامشه كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق للإمام عبدالروف المناوى – الجزءان مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى– القاهرة (بدون)

(٥٤) حاشية السندى على النسائى للإمام السندى – طبعة مجمع أبى النور .

(٥٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت: ٤٣٠هـ) دار الكتب العلمية – بيروت .

(٥٦) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين – الإمام المحدث الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى (ت: ٦٧٦هـ) طبعة الحلبى.

(٥٧) سنن أبى داود – الإمام الحافظ / أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد – المكتبة العصرية.

(٥٨) سنن ابن ماجه – للإمام الحافظ أبى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى بن ماجه – طبعة دار إحياء التراث العربي بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، وطبعة المكتبة العلمية – بيروت – لبنان ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

(٥٩) سنن البيهقي الكبرى – الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (٣٨٤هـ – ٤٥٨هـ) – مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م – تحقيق محمد عبد القادر عطا، وطبعة دار المعارف العثمانية – ط أولى – حيد أباد الدكن بالهند ١٣٥٥هـ.

(٦٠) سنن الترمذى – الإمام / محمد الحافظ أبو عيسى محمد بن سورة (٢٠٩/٢٧٩هـ) – تحقيق إبراهيم عطوة عوض – دار الحديث – القاهرة، والجامع الصحيح – دار الفكر – راجع أصوله وصححه عبدالرحمن محمد عثمان – ط٣/١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٦١) سنن الدارمى ، الإمام الكبير أبو محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى (ت: ٢٥٥هـ) – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، وطبعة دار إحياء السنة النبوية.

(٦٢) السنن الكبرى – العلامة أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (٢١٥هـ/٣٠٣هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١هـ/ ١٩٩١م – الطبعة الأولى – تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن

(٦٣) سنن النسائى – الإمام الحافظ أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر النسائى(ت: ٣٠٢هـ) دار الحديث ١٩٨٧م .

(٦٤) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت: ٣٥٤) - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤هـ/١٩٩٣م - الطبعة الثانية - تحقيق شعيب الأرنؤوط .

(٦٥) صحيح ابن خزيمة - العلامة محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري (٢٢٣هـ - ٣١١هـ) - المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م - تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي .

(٦٦) صحيح الإمام البخارى - الإمام / محمد بن إسماعيل البخارى الجعفى (م: ١٩٤هـ، ت ٢٥٦هـ) - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط٤/١٩٩٨م، وطبعة دار ابن كثير اليمامة - بيروت ط٣/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، صحيح البخارى بحاشية السندى - مطبعة دار نهر النيل .

(٦٧) صحيح الإمام مسلم - الإمام / أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابورى (م: ٢٠٦هـ، ت٢٦١هـ) - طبعة الحلبى، وطبعة دار إحياء التراث العربى - بيروت - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى.

(٦٨) صحيح مسلم بشرح النووى - الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي- الطبعة الأولى - تعليق الأستاذ محمد محمد تامر - دار الفجر للتراث ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، وطبعة المطبعة المصرية ومكتبتها، وطبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ربيع ثانى ١٣٤٩هـ، ودار المعرفة - بيروت - لبنان ط٣/١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٦٩) فتح البارى بشرح صحيح البخارى - للعلامة ابن حجر العسقلانى - تحقيق محب الدين الخطيب وقصى الدين الخطيب - طبعة دار الريان للتراث . ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

(٧٠) كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس - الشيخ إسماعيل محمد العجلونى (ت: ١١٦٢هـ) مكتبة الغزالى - دمشق .

(٧١) كنز العمال - للعلامة علاء الدين المتقي الهندي - طبعة عام ١٩٨٩م مؤسسة الرسالة - دمشق.

(٧٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر - طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ، الموافق ١٩٩٢م .

(٧٣) المستدرك على الصحيحين – الإمام الحافظ أبو عبدالله النيسابورى (٣٢١/٤٠٥هـ) وبذيله التلخيص للحافظ الذهبى – دار الكتاب العربى – بيروت، وطبعة دار الكتب العلمية – بيروت الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م – تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا.

(٧٤) مسند أبى يعلى – العلامة أحمد بن على بن المثنى أبو يعلى الموصلى التميمى (٢١٠/٣٠٧)هـ – طبعة دار المأمون للتراث بدمشق (ط١) – ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م – تحقيق حسين سليم أسد.

(٧٥) مسند الإمام أحمد – الإمام /أحمد بن محمد بن حنبل (ت : ٢٤١هـ) – المكتب الإسلامى للطباعة والنشر – بيروت – الطبعة الأول – دار كتب الفقه .

(٧٦) مصنف بن أبى شيبة – العلامة أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبى شيبة (١٥٩/٢٣٥)هـ – طبعة مكتبة الرشد بالرياض ١٤٠٩هـ الأولى – تحقيق كمال يوسف الحوت.

(٧٧) المعجم الأوسط – العلامة سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبرانى (٢٦٠/٣٦٠)هـ – طبعة دار الحرمين بالقاهرة – طبعة ١٤١٥هـ – تحقيق طارق بن عوض الله الحسينى.

(٧٨) المعجم الصغير (الروض الداني) – سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (٢٦٠هـ-٣٦٠هـ) – المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ، عمان ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م الطبعة الأولى – تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير

(٧٩) المعجم الكبير – العلامة سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبرانى (٢٦٠/٣٦٠)هـ – مكتبة العلوم والحكم – الموصل –ط٢ – ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م – تحقيق حمدى بن عبدالمجيد السلفى .

(٨٠) موطأ مالك – الإمام مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحى (م:٩٣، ت:١٧٩هـ)، برواية الإمام محمد بن الحسن – طبعة دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩١م . وطبعة دار إحياء التراث العربى بمصر – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى، وطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٣٩هـ.

ثالثاً المعاجم والدوريات وكتب الرجال

(٨١) أساس البلاغة – العلامة محمود بن عمر الزمخشرى (ت: ٥٣٨هـ) طبعة دار الشعب ١٩٦٠م، طبعة دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، وطبعة دار الشعب بالقاهرة ١٩٩١م.

(٨٢) أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد – العلامة سعيد الخورى – بيروت – الطبعة الأولى ١٨٨٩م.

(٨٣) الإصابة فى تمييز الصحابة – العلامة أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى (٧٧٣/٨٥٢)هـ – ط١ – تحقيق على محمد البجاوى – طبعة دار الجبل ببيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٨٤) الأعلام للزركلى – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين – تأليف خير الدين الزركلى – الطبعة الثالثة ١٣٦٧هـ.

(٨٥) البداية والنهاية – الإمام الجليل / الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى – طبعة دار الغد العربى .

(٨٦) تاج العروس من جواهر القاموس – العلامة محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى ١٢٠٥هـ – ١٣٠٧هـ، المطبعة الخيرية بالجمالية – القاهرة.

(٨٧) التعريفات – السيد الشريف على بن محمد بن على السيد زين أبى الحسن والحسين الجرجانى (٧٤٠/٨١٣هـ) مطبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م . وطبعة دار الريان للتراث ١٤٠٣هـ ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الإبياري، وتحقيق الدكتور عبدالمنعم الحنفى – طبعة دار الرشاد ١٩٩١م، وتحقيق الدكتور عبدالمنعم عميرة – عالم الكتب – ط١/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٨٨) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس – مجموعة من كتاب اللاهوت – تعريب شركة مستر – القاهرة – الطبعة الثانية ١٩٩٨م

(٨٩) التفسير الحديث للكتاب المقدس – نكلس نسيم – المحرر المسئول: جوزيف صابر – سفر الخروج – دار الثقافة ١٩٨٩م.

(٩٠) تفسير الكتاب المقدس – تأليف جماعة من اللاهوتيين برئاسة دكتور فرنسيس دافرنس – دار منشورات النفير التفسير – بيروت ط٢/١٩٧٠م.

(٩١) تفسير سفر العدد – هلال أمين موسى ١٩٩٤م.

(٩٢) تهذيب التهذيب – العلامة شهاب الدين أحمد بن على بن حجر (ت: ٨٥٢هـ) – طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٢٥هـ .

(٩٣) تهذيب اللغة – العلامة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت: ٣٧٠هـ) تحقيق إبراهيم الإبيارى – دار الكتاب العربى ١٩٦٧م.

(٩٤) جريدة النور الإسلامية – العدد ٩٧ – مقال للدكتور محمد حسينى موسى الغزالى تحت عنوان الإسلام وبغية الشعور العام ١٩٨٢م.

(٩٥) دائرة المعارف الكتابية – التحرير: دكتور القس صموئيل حبيب وآخرين – المسئول وليم وهبة بباوى دار الثقافة – ط١ – بيروت لبنان ١٩٩٥م.

(٩٦) دائرة معارف القرن العشرين – محمد فريد وجدى – دار الفكر بيروت – لبنان ١٣٩٩هـ/١٩٧١م.

(٩٧) الدراسة العلمية فى علم الحيوان – أعضاء هيئة تدريس علم الحيوان بالجامعة المصرية ط٢/١٩٨٣م.

(٩٨) السراج المنير – الإمام الخطيب الشريبنى – دار المعرفة – بيروت.

(٩٩) سفر التكوين – الدكتور الخورى بوليس الفضائى – منشورات المكتبة البوليسية ط١/١٩٨٨م.

(١٠٠) سفر العدد من تفسير وتأملات الآباء الأولين – كنيسة الشهيد مارى جرجس باسبورتنج .

(١٠١) السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم – جماعة من اللاهوتيين – مجمع كنائس الشرق الأدنى – بيروت ١٩٧٣م.

(١٠٢) سير أعلام النبلاء – محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمار الذهبى أبو عبدالله (٦٧٣/٧٤٨)هـ – طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦ الرابعة، وطبعة ١٤١٣هـ التاسعة – تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسى.

(١٠٣)شرح الكتاب – مذكرات على سفر العدد – تشارلس ماكنتوتش – مطبعة المحيط بالفجالة بمصر رقم ٥٠٤ .

(١٠٤)العين – الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت : ١٥٧هـ) – منشورات الأعلى – بيروت – لبنان ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(١٠٥)فهرس الكتاب المقدس – دكتور جورج يوسف بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية فى الشرق الأوسط – مكتبة مشعل – ط٥/١٩٨١م.

(١٠٦) قاموس الكتاب المقدس – جماعة من اللاهوتيين – الطبعة السادسة – بيروت ١٩٨١م.

(١٠٧) القاموس المحيط – الإمام مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي – طبعة دار الجيل بيروت، وطبعة المطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٠هـ، وطبعة الهيئة المصرية للكتاب ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(١٠٨) قطر المحيط – المعلم بطرس البستانى طبعة مكتبة لبنان ١٨٦٩م .

(١٠٩) الكتاب المقدس – دار المقدس فى الشرق الأوسط ١٩٩٦م، وطبعة العيد المئوى.

(١١٠) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون – لحاجى خليفة – طبعة دار الفكر .

(١١١) لسان العرب – العلامة / أبو الفضل جمال الدين بن منظور (ت: ٧١١هـ) – تحقيق عبدالله على الكبير وآخرين – ط٣ دار المعارف سنة ١٩٨٥م .

(١١٢) محيط المحيط – المعلم بطرس البستانى – طبعة بيروت ١٨٧٠م .

(١١٣) مختار القاموس – الأستاذ الطاهر أحمد الزواوى الطرابلسى – طبعة الحلبى ١٩٩٤م.

(١١٤) مختار الصحاح – الشيخ محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازى – دار المعارف.

(١١٥) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير – العلامة أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى(ت :٧٧٠هـ) الطبعة الأولى – حققه الأستاذ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية، وطبعة المطبعة الخيرية – القاهرة ١٣٠٥هـ، ١٣١١هـ .

(١١٦) معجم البلدان لياقوت الحموى – الطبعة الأولى – مكتبة السعادة بمصر سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، تحقيق محمد فريد عبدالعزيز الجندى – دار الكتب العلمية – بيروت.

(١١٧) معجم ألفاظ القرآن الكريم – إصدار مجمع اللغة العربية – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٩٠م.

(١١٨) المعجم الفلسفى – الدكتور جميل صليبا – دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٢م .

(١١٩) المعجم العام لمصطلحات التحليل النفسى – بلانش و.ج.ب ونوثناليس – ترجمة الدكتور مصطفى حجازى – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – طبعة أولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢٠) معجم المؤلفين – تراجم مصنفى الكتب العربية – تأليف عمر رضا كحالة – طبعة بيروت.

(١٢١) معجم مصطلحات علم النفس – منير وهيبة الخازن – تقديم الدكتور يوسف لحاج – دار النشر للجامعيين ١٩٥٦م.

(١٢٢) معجم اللاهوت الكتابى – جماعة من اللاهوتيين – دار المشرق – بيروت – الطبعة الثانية ١٩٨٨م .

(١٢٣) المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ١٩٩٢م .

(١٢٤) المعجم الوسيط – الدكتور إبراهيم أنيس وآخرين – القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م. وإصدار مجمع اللغة العربية – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية القاهرة ١٩٨٥م

(١٢٥) المنجد فى اللغة والآداب والعلوم – الأب لويس معلوف العيسوى – المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩١٣م.

(١٢٦) الموسوعة العلمية الميسرة – لوسن دياب – مكتبة لبنان – طبع فى لبنان – مطابع يتويبدس ب أ ن.

(١٢٧) موسوعة علم النفس والتحليل النفسى (انجليزى – عربى) – الأستاذ عبدالمنعم الحنفى – مكتبة مدبولى ١٩٧٥م.

(١٢٨) النهاية فى غريب الحديث والأثر – الإمام ابن الأثير – طبعة دار الفكر – بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الرسائل الجامعية

(١٢٩) الدوافع فى العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها – الباحثة: نجلاء مصطفى بدوى – رسالة ماجستير – معهد الدراسات والبحوث الأسيوية – جامعة الزقازيق ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(١٣٠) الطعام فى القرآن الكريم دراسة موضوعية فى ضوء العلم الحديث – الدكتور إبراهيم على عطية عبدالعاطي – رسالة دكتوراه – كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٣١) عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية – الأستاذ الدكتور محمد حسينى موسى محمد الغزالى – رسالة ماجستير – بجامعة عين شمس.

(١٣٢) عقيدة الاصطفاء الإلهى عند اليهود وموقف الإسلام منها – الباحث عبدالباسط حسن عطية خليل – رسالة ماجستير – معهد الدراسات والبحوث الأسيوية – جامعة الزقازيق ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(١٣٣) عقيدة اليهود فى تجسيد الإله وموقف الإسلام منها – الباحث السيد عبدالبديع محمد – رسالة ماجستير – معهد الدراسات والبحوث الأسيوية – جامعة الزقازيق ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

رابعا المصادر العامة

هنا ملاحظات أود الالتفات إليها والتنبيه عليها :

الأولى : أن البحث والباحث مدينان لكل من أسهم بفكر أو نصيحة، أو توصية؛ لخدمة البحث، ورعاية الباحث، فذلك دين يجب الاعتراف به .

الثانية : أنى رتبت المصادر، مراعيا تقديم القرآن الكريم وعلومه على باقى المصادر، ثم معقبا بالسنة النبوية المطهرة وعلومها؛ حتى يتكامل معى أمر تقديم النقل على العقل، ثم أتبعتهما باقى المصادر؛ حتى تتحقق الفائدة، ويعم النفع، ومن ناحية المعاجم والموسوعات والدوريات العلمية .

الثالثة : أنى رعيت فى ترتيب المصادر العامة الطريقة الحديثة، وهى تدوين اسم المؤلف أولا من ناحية الشهرة بعد تجريده من حرف الـ، ثم اللقب العلمى أو الوصف، ثم ذكر اسمه، وأخيرا اسم المصدر مع الإشارة إلى تاريخ الطبع إن وجد، مرتبا ذلك على حروف الهجاء العربية .

حرف الألف

❊ أبو زيد ـ الدكتورة حكمت .

(١٣٤) التاريخ تعليمه وتعلمه – دار الطباعة الحديثة – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦١م.

❊ أجرى ـ لايوس .

(١٣٥) فن المسرحية – ترجمة دار مراد ١٩٣١م.

❊ الأخضرى ـ العلامة شيخ الإسلام عبدالرحمن .

(١٣٦) حاشية الأخضرى على سلمه – طبعة الحلبى وبهامشه إيضاح المبهم فى معانى السلم للعلامة الشيخ أحمد الدمنهورى.

❊ إسماعيل ـ الدكتور محمد بكر .

(١٣٧) قصص القرآن – دار المنار – طبعة أولى ١٩٩٦م.

حرف الباء

❊ باتوستا ـ العلامة أ. هـ .

(١٣٨) مقدمة المسرح الأمريكى – مؤسسة فرانكلين ١٩٦١م.

❊ الباجورى ـ العلامة شيخ الإسلام إبراهيم .

(١٣٩) تحفة المريد على جوهرة التوحيد – الجهاز المركزى للكتب الجامعية والرسائل التعليمية ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

(١٤٠) حاشية الباجورى على شرح السلم – طبعة الحلبى الأخيرة ١٩٣٨م.

❊ برستد جيمس هنرى .

(١٤١) انتصار الحضارة – تاريخ الشرق القديم – نقله إلى العربية الدكتور أحمد فخرى – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦م.

(١٤٢) فجر الضمير – ترجمة الدكتور سليم حسن وآخرين – دار مصر للطباعة والنشر – الألف – كتاب ١٠٨ – إشراف وزارة التربية والتعليم – يناير ١٩٥٦م.

❊ البغدادى ـ الخطيب أبو بكر أحمد بن على بن ثابت (ت: ٤٦٣)

(١٤٣) تاريخ بغداد – طبعة مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩هـ، وطبعة دار الكتبة العلمية – بيروت.

❊ البنهاوى ـ الدكتور محمد أحمد .

(١٤٤) علم الحيوان – طبعة الحلبى ١٩٨٠م.

حرف التاء

* تسلر ـ أ. ب .

(١٤٥) المسرح فى خمسين عام – ترجمة نصر صبيح القاهرة ١٩٢١م.

* التفتازانى ـ العلامة الشيخ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى (ت: ٧٩١هـ) .

(١٤٦) شرح مقاصد الطالبين فى علم أصول الدين – مطبعة البسنونى ١٣٠٥هـ.

* توكاريف ـ سيرغى أ .

(١٤٧) الأديان فى شعوب العالم – ترجمة د.م أحمد محمد فاضل – طبعة أولى – مطبعة الأهالى للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٨م.

حرف الجيم

* الجرجانى ـ العلامة السيد الشريف على بن محمد بن على (ت: ٨١٦هـ)

(١٤٨) حاشية الجرجانى على مطالع الأنظار للأصفهانى على طوالع الأنوار للقاضى البيضاوى– المطبعة الوهبية ١٣٦٥هـ.

* الجرجانى ـ العلامة عبدالقاهر .

(١٤٩) دلائل الإعجاز – تعليق وشرح الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى – مكتبة القاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

* الجيوشى ـ الدكتور محمد إبراهيم

(١٥٠) دراسات عن اليهودية د.ت.

حرف الحاء

* حجازى ـ الدكتور عبدالحى .

(١٥١) المدخل لدراسة العلوم القانوية – المطبعة العالمية – القاهرة ١٩٦٦م.

* الحنفى ـ الشيخ محمد أحمد بن أحمد.

(١٥٢) بدائع الزهور فى وقائع الزهور – المكتبة الشعبية – بيروت – لبنان ،

حرف الخاء

❊ الخطيب ـ شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني .

(١٥٣) الإقناع فى حل ألفاظ أبي شجاع – الهيئة العامة لشئون لمطابع الأميرية ١٩٨٠م.

❊ الخولي ـ الأستاذ البهي .

(١٥٤) آدم عليه السلام (فلسفة تقويم الإنسان) – مكتبة وهبة (بدون).

حرف الدال

❊ الداروطى ـ الدكتور محمد على الداروطى .

(١٥٥) مختصر ومرجع الداروطى للأمراض الجلدية ١٩٩٣م.

❊ داودى ـ الحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد (ت: ٩٤٥هـ).

(١٥٦) طبقات المفسرين – تحقيق على عمر – مطبعة الاستقلال الكبرى .

❊ دروزه ـ محمد عزة .

(١٥٧) تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم – مطبعة نهضة مصر – القاهرة.

حرف الراء

❊ الراجحي ـ الأستاذ عبدالغنى .

(١٥٨) آدم عليه السلام كما تحدث القرآن الكريم – مؤسسة مكة المكرمة (بدون).

❊ الرازى ـ الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت: ٦٠٦هـ)

(١٥٩) الأربعين فى أصول الدين – تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا – مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٦م.

حرف الذال

❊ الزبيدى ـ محمد بن محمد بن الحسينى .

(١٦٠) إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين – المطبعة الميمنية – القاهرة ١٣١١هـ.

حرف الزاى

* زين العابدين ـ الدكتور محمد محفوظ محمد

(١٦١) تأملات فى علوم الكتاب العزيز – مطابع الطاووس الذهبى – فاقوس شرقية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

حرف السين

* السرنجاوى ـ عبدالفتاح .

(١٦٢) تاريخ العالم القديم – ط٢ – مطبعة الاعتماد بطنطا ١٩٣١م.

حرف الشين

* الشافعى ـ العلامة محمد نووى .

(١٦٣) نور الظلام فى شرح منظومة عقيدة العوام – الطبعة الأخيرة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

* الشرقاوى ـ الدكتور محمد عبدالله .

(١٦٤) الكنز المرصود فى فضائح التلمود – مكتبة الوعى الإسلامى ١٩٩٠م.

* الشهرستانى ـ العلامة أبو الفتح محمد بن عبدالكريم ت : ٥٤٨هـ .

(١٦٥) نهاية الأقدام فى علم الكلام – تحقيق الفرد هيوم – نشر المكتبة الإسلامية – بيروت، وطبعة مكتبة المتنبى – د.ت.

* الشوادفى ـ الشيخ عطية إبراهيم .

(١٦٦) دراسات فى التوراة – المؤتمر العالمى الرابع للسيرة النبوية، المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية – الأزهر – مطابع لشروق – القاهرة – بيروت – لبنان ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

* شيلر ماكس .

(١٦٧) علم الأديان المقارنة – ترجمة هناء يوسف – بيروت – لبنان ١٩٣١م.

حرف الصاد

* صالح ـ السيدة تهانى عبدالرشيد.

(١٦٨) الطفولة وسن الإلزام – مطبعة سعيد عن أطروحة علمية سبق دراستها على ناحية أكاديمية بجامعة عين شمس – مركز الطفولة ١٩٧٨م.

حرف الطاء

❊ الطبرى ـ الإمام أبو جعفر ابن جرير

(١٦٩) تاريخ الأمم والملوك – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – طبعة أولى ١٤٩٠هـ/١٩٧٨م.

❊ طويل ـ الأستاذ صفوت محمد

(١٧٠) اليهود فى مصر الفرعونية – طبعة أولى – الموصل – العراق ١٩٢٧م.

حرف العين

❊ عبدالحليم ـ دكتور السيد مصطفى .

(١٧١) أولادنا نحن – ط١/١٩٧٦م.

❊ عبدالمحسن ـ الأستاذ عبدالراضى محمد .

(١٧٢) منهج أهل السنة والجماعة فى الرد على النصارى – دراسة علمية من خلال مجهود شيخ الإسلام ابن تيميه – الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ١٩٩٥م.

❊ عفيفى ـ الدكتور رفعت زكى محمود

(١٧٣) بحوث فى الأدب المقارن – ط١ – دار الطباعة المحمدية – القاهرة ١٩٩٧م.

❊ العماوى ـ الدكتور على محمد حسن .

(١٧٤) الإمام الفخر الرازى – حياته – يصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – الجمهورية العربية المتحدة – مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .

❊ عون ـ الأستاذ أحمد بك .

(١٧٥) بغية الطالبين فى علوم وعوائد وصنائع وأحوال قدماء المصريين ١٣١١هـ – ج١ فى علوم المصريين – مطبعة مدرسة الفنون والصنايع الخديوية ببولاق .

❊ عيش ـ الدكتور عثمان عبدالمنعم .

(١٧٦) فلسفة الأخلاق عند ابن مسكويه – ط١ مكتبة الأزهر ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

حرف الغين

❊ الغزالى ـ حجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد (ت:٥٠٢هـ) .

(١٧٧) معيار العلم فى فن لمنطق – المطبعة العربية بمصر ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.

❊ الغزالى ـ الدكتور محمد حسينى موسى محمد .

(١٧٨) الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى – ط٦ – آل مخزنجى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

(١٧٩) الغزاليات فى منطق التصورات – ط١ – آل بسيونى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

(١٨٠) حصاد الاقتصاد في الاعتقاد – الجزء الثالث – **الأفعال الإلهية** – طبعة آل بسيوني – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

❊ الغزالى ـ الشيخ محمد .

(١٨١) همود داعية – طبعة دار الاعتصام .

حرف الفاء

❊ فاربوش

(١٨٢) أساسيات الفزياء – ترجمة الدكتور سعيد الجزيرى آخرين – الدار الدولية للنشر والتوزيع والطبع ١٩٨٨م.

حرف القاف

❊ قراعة ـ الاستاذة سنية .

(١٨٣) الرسالات الكبرى – طبعة مكتب الصحاف الدولى للصحافة والنشر ١٣٨٥هـ/١٩٩٥م.

❊ القرطبى ـ الإمام / أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الأنصارى القرطبى (ت : ٦٧١هـ)

(١٨٤) الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام – تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا – دار التراث العربى ١٩٨٠م.

❊ القوصى ـ الدكتور عبدالعزيز

(١٨٥) أسس الصحة النفسية – النهضة المصرية الحديثة ١٩٧٥م.

حرف الكاف

❊ كاجدان أ.ب .

(١٨٦) الدين والإلحاد فى العالم القديم – طبعة موسكو .

* كريمر ـ صمونيل .

(١٨٧) من الوح سومر – ترجمة الدكتور طه باكر – تقديم أحمد فحرى – مكتبة المثنى ببغداد، ومؤسسة الخانجى بالقاهرة ١٩٥٦م.

* كولز ـ الدكتور سبنسر .

(١٨٨) اعرف نفسك – ترجمة لويس فخرى – الطبعة الأولى – دار محروس بالعراق سنة ١٩٧٢م.

حرف اللام

* ليراتوفش .

(١٨٩) الموحز فى التاريخ اليهودى العام.

* ليوتاكسيل .

(١٩٠) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير – الطبعة الأولى ١٩٩٤م – ترجمة د: حسان ميخائيل إسحاق.

حرف الميم

* المسير ـ الدكتور محمد سيد أحمد .

(١٩١) المجتمع المثالى فى الفكر الإسلامى .

* ملاك ـ الدكتور بندلى .

(١٩٢) أشخاص العهد القديم – ترجمة أنيس فرج – طبعة كركوك ١٩٤١م.

* منصور ـ دكتور طلعت وآخرين .

(١٩٣) أسس علم النفس – مطبعة الأنجلو المصرية ١٩٨١م.

حرف النون

* نجاتى ـ محمد عثمان .

(١٩٤) القرآن وعلم النفس – الطبعة الثالثة – دار الشروق – بيروت ١٩٨٨م.

* النجار ـ الشيخ عبدالوهاب .

(١٩٥) قصص الأنبياء – مكتبة دار التراث ١٩٨٥م.

❊ النجار - الدكتور محمد الطيب .

(١٩٦) تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن والسنة - دار الطباعة المحمدية بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٩٥م.

❊ النشرتى - الدكتور حمزة وآخرون .

(١٩٧) القصص القرآنى - مكتبة فياض .

حرف الواو

❊ ويلهـــاذون

(١٩٨) مقدمة فى تاريخ إسرائيل - طبعة سان بطرس ١٩٩٠م.

حرف الياء

❊ يعقوبى - أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر .

(١٩٩) تاريخ اليعقوبى - دار الفكر - بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

هذا بخلاف العديد من المصادر، التى أمكننى الرجوع إليها، واستفدت من فكرها، وكذلك الصحف السيارة، وقد رأيت عدم ذكرها؛ تخفيفا على صحيفة المصادر، وسوف يطالعها القارئ الكريم بنفسه أسفل الصفحات؛ والله أسأل السلامة فى الدين والدنيا، والنجاة فى الآخرة؛ إنه نعم المولى ونعم النصير .

فهرست الموضوعات